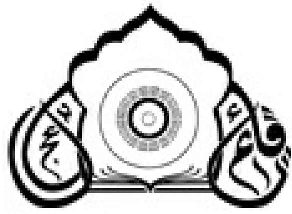






السلام علیک یا صاحب الزمان

# منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي

الخوئي قدس سره

الجزء الثاني

من منشورات

المكتبة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحیم

# منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه

نویسنده:

حبیب الله خوئی

ناشر چاپی:

المکتبه الاسلامیه

ناشر دیجیتالی:

مرکز تحقیقات رایانه‌ای قائمیه اصفهان

# فهرست

## منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه (عربی - فارسی) جلد ۲

### مشخصات کتاب

سرشناسه:خوئی، حبیب الله بن محمدهاشم، ۱۲۶۸ - ۱۳۲۴ق.

عنوان و نام پدیدآور:منهاج البراعه فی شرح نهج البلاغه/ لمولفه حبیب الله الهاشمی الخوئی؛ بتصحیحه و تهذیبه ابراهیم المیانجی.

مشخصات نشر:تهران: مکتبه الاسلامیه؛ قم: انتشارات دار العلم، ۱۳ -

مشخصات ظاهری:۲۰ ج.

شابک:۱۵۰ ریال (ج. ۸)

یادداشت:عربی.

یادداشت:فهرستنویسی براساس جلد هشتم، ۱۳۸۶ ق.= ۱۳۴۴.

یادداشت:چاپ دوم.

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- کلمات قصار

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق -- خطبه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. -- نامه ها

موضوع:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده:میانجی، ابراهیم، ۱۲۹۲ - ۱۳۷۰.، مصحح

شناسه افزوده:علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق . نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره:BP۳۸/۰۲ /خ۹ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی:۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی:۱۹۹۲۰۶

ص:۱

## تتمه باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام و أوامره

### تتمه الخطبه الأولى

#### «الفصل التاسع»

##### اشاره

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

«ثمّ فتق سبحانه ما بين السّموات العلى، فملأهنّ أطوارا من ملائكته، فمنهم سجود لا يركعون، و ركوع لا ينتصبون، و صافّون لا يتزايلون، و مسبّحون لا يسأمون، لا يغشيهم نوم العيون، و لا سهو العقول، و لا فتره الأبدان، و لا غفله النّسيان، و منهم أمناء على وحيه، و ألسنه إلى رسله، و مختلفون بقضائه و أمره، و منهم الحفظه لعباده، و السّدنه لأبواب جنانه، و منهم الثّابته فى الأرضين السفلى أقدامهم، و المارقه من السّماء العليا أعناقهم، و الخارجه من الأقطار أركانهم، و المناسبه لقوائم العرش أكتافهم، ناكسه دونه أبصارهم، متلفّعون تحته بأجنحتهم، مضروبه بينهم و بين من دونهم حجب العزّه

و أستار القدره، لا يتوهّمون ربّهم بالتّصوير، و لا يجرون عليه صفات المصنوعين، و لا يحدّونه بالأماكن، و لا يشيرون إليه بالنّظاير.»

**اللغه**

(أطوار) جمع طور كثوب و أثواب، و هو فى الأصل التّاره يقال: أتيته طورا بعد طور، أى تاره بعد تاره، و يجىء بمعنى الحاله، و المراد به هنا الأصناف المختلفه كما فسّر به قوله تعالى:

«و قد خلقكم أطوارا».

أى مختلفين فى الصّفات، أغنياء و فقراء، و زمناء و أصحاء، (و الملائكه) مأخوذه من الالوك و هو الرّساله، يقال: ألك بين القوم ألكا من باب ضرب، و الألوك الرّسول، و واحدها ملك، و أصله على ما قاله الفيومى ملأك، و وزنه معفل، فنقلت حركه الهمزه إلى اللاّم و سقطت لكثره الاستعمال فوزنه معفل فانّ الفاء هى الهمزه و قد سقطت، و قيل: مأخوذ من لاك إذا ارسل، فملاءك مفعل فنقل الحركه و سقطت الهمزه و هى عين، فوزنه مفل و على كل تقدير فملك إمّا اسم مكان بمعنى محلّ الرّساله، أو مصدر ميمىّ بمعنى المفعول (و السّجود) و (الرّكوع) هنا جمع ساجد و راكع، و فاعل الصّفه يجمع على فعول إذا جاء مصدره عليه أيضا (و الانتصاب) القيام (و الصّف) من صففت الشىء من باب نصر إذا نظمته طولا مستويا و منه صفّ الجماعه (و التزايل) التّفارق (و السّامه) الملاله و الضّجر (و يغشيهم) مضارع غشيته أى أتيته (و الفتره) الانكسار و الضّعف (و السّدنه) جمع سادن كخدمه و خادم لفظا و معنى (و المارقه) أى الخارجه يقال: مرق السّهم من الرّميه إذا خرج من الجانب الآخر (و الاقطار) الأطراف (و الأركان) جمع الرّكن كأقفال و قفل و هو جانب الشّى، و المراد هنا الأجزاء و الجوارح (و النّاكس) المتاطىء رأسه (و تلفّع) بالثّوب تلحف و اشتمل به (و النظائر) جمع نظيره و هى

ص:۳

المثل و الشّبه فی الأشکال و الأفعال و الأخلاق، و النّظیر المثل فی کلّ شیء قیل(۱): و فی بعض النّسخ بالنّواظر، أی بالابصار، و فی بعضها بالمواطن أی بالأمکنه.

### الاعراب

کلمه ثمّ هنا للتّرتیب الحقیقی فیکون فتق السّماوات بعد خلق الشّمس و القمر بل بعد جعلها سبعا و خلق الکواکب فیها، و یحتمل أن یکون للتّرتیب الـذکری، و ناکسه و تالیاها مرفوعات علی أنّها أوصاف للمناسـبه المرفوعه بالابتداء أو معطوفات علیها أو علی الثّابته بحـذف العاطف، و مسوغ الابتداء فی المعطوفات مع نکارتها إمّا عطفها علی ما یصح الابتداء، أو کون الخبر مجرورا، مثل و لکلّ أجل کتاب، أو کون الصـفه عامله عمل الرّفع، و هذه قواعد ثلاث من القواعد المصـحّحه للابتداء بالنکرات، صرّح به ابن هشام فی المغنی، أو لقیام الصّفه مقام الموصوف و هو رابع القواعد المسوّغه للابتداء بالنکره کما قرّر فی الأدبیّه، مثل مؤمن خیر من مشـرک، أی رجـل مؤمن خیر، و یحتمـل أن یکون ناکسه و المرفوعان بعـدها خبرا لمبتـدأ محـذوف، و الجمله استینافا بیانیّا کأنّه سـئل عن حال الملائکه المتّصـفه بالأوصاف السّالفه و عن شأنهم، فقال علیه السّـلام: هم ناکسه الأبصار دون العرش هـذا و عن بعض النّسخ ناکسه و متلفعین و مضروبه بالنّصب علی الحالیه، و مثلها محلّ الجملات بعدها، أعنی قوله لا یتوهّمون اه.

### المعنی

لمـا ذکر علیه السّـلام کیفیّه خلق السّـماوات السّـبع و تزیینهـا بزینه الشّـمس و القمر و الکواکب، أشار بعـد ذلک إلی سـکّانها و حالات السّاکنین فیها و صـفاتهم و أصـنافهم المختلفه باختلاف الصّـفات، و أقسامهم الکثیره بکثره الشّـئون و الحالات فقال علیه السّلام:

(ثم فتق مـا بین السّـماوات العلی) المسـتفاد من کلاـم الشّارح البحرانی أن کلمه ثمّ هنا للتّرتیب الـذّکری حیث قال: فان قلت: لم أخر ذکر فتق السّماوات و إسکان



---

۱- (۱) المجلسی ره منه.

الملائكه لها عن ذكر إجراء الشّمس و القمر و تزيينها بالكواكب و معلوم أنّ فتقها متقدّم على اختصاص بعضها ببعض الكواكب؟ قلت: إنّ إشارته إلى تسويه السماوات إشاره جمليّه، فكأنّه قدّر أوّلا أن خلق السّماوات كره واحده كما عليه بعض المفسرين، ثم ذكر علياهنّ و سفلاهن لجريانهما مجرى السّطحين الدّاخل و الخارج لتلك الكره، ثم أشار إلى بعض كمالاتها و هى الكواكب و الشّمس و القمر جمله، ثم بعد ذلك أراد التّفصيل فأشار إلى تفصيلها و تمييز بعضها عن بعض بالفتق و إسكان كلّ واحده منهنّ ملاء معيّنا من الملائكه، ثم عقب ذلك بتفصيل الملائكه، و لا شك أن تقديم الاجمال و تعقيبه بالتفصيل أولى فى الفصاحه انتهى.

أقول: ظاهر كلمه ثمّ و ظاهر سياق كلامه عليه السّلام أنّها هنا للتّرتيب الحقيقى فيستفاد منهما أن خلق السّماوات بعد خلق الشّمس و القمر و الكواكب، و بعد جعلها سببا، و دعوى معلوميّه تقدّم الفتق على اختصاص بعضها ببعض الكواكب ممنوعه إذ لم يقم دليل على التقدّم، بل يمكن أن يكون السّماوات السّبع مرتتقه مطبقه مخلوقه فيها الكواكب، ثم فصّل بينها بالهواء و نحوه، كما روى نظيره فى مجمع البيان عن ابن عبّاس فى تفسير الآيه الشّريفه:

«أَ وَ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّماواتِ وَ الْأَرْضَ كانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما ».

حيث قال: المعنى كما كانتا ملتزقتين منسدّتين ففصّلنا بينهما بالهواء، عن ابن عبّاس و غيره انتهى.

فان قيل: قد مضى فى ثالث تنبيهات الفصل السّابق فى حديث أبى جعفر عليه السّلام ما يدل على بطلان هذا التّفسير، حيث أمر الشامى بالاستغفار عن زعم كون المراد بالرّتق و الفتق الالتصاق و الانفصال إلى آخر ما مضى.

قلت: ما ذكرناه هنا من مجمع البيان إنّما هو على سبيل التّنظير، ضروره أنّ كلامنا فى فتق السّماوات، و تفسير ابن عبّاس كالحديث السّابق ناظران إلى

فتق السّماء و الأرض، و أحدهما غير الآخر، و بطلان احتمال الالتصاق بين السّماء و الأرض بدليل خاص لا يوجب بطلان احتمال الالتصاق فى السّماوات السّبع.

و الحاصل أنّه لا دليل على كون ثمّ فى كلامه عليه السّلام للترتيب الذكرى بخصوصه بل يحتمل ذلك و كونها للترتيب المعنوى، و على أى تقدير ففى كلامه عليه السّلام دلاله على بطلان مذهب الفلاسفه من تماس الأفلاك و عدم الفصل بينهما بهواء و نحوه.

و كيف كان فلما خلق اللّه سبحانه السّماوات و فصّل بعضها عن بعض (ملأهنّ أطوارا من ملائكته) و أسكنهم فيها على وفق ما يقتضيه تدبيره و حكمته، و للنّاس فى ماهيه الملائكه آراء متشتّه و أهواء مختلفه.

فمنهم من قال: إنّها أجسام لطيفه نورانيه قادره على التشكلات بأشكال مختلفه كامله فى العلم و القدره على الأفعال الشّاقه، مسكنها السّماوات، رسل اللّه إلى أنبيائه و امناءه على وحيه يسبّحون اللّيل و النّهار لا يفترون، و لا يعصون اللّه ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون، نسبه فى شرح المقاصد إلى أكثر الامه و الفخر الرّازى إلى أكثر المسلمين.

و منهم من قال: إنّها هى هذه الكواكب الموصوفه بالاسعاد و الانحاس، المسعدات ملائكه الرّحمه، و المنحسات ملائكه العذاب، و هو مذهب عبده الأوثان.

و منهم من قال: إنّهم متولّدون من جوهر النّور لا على سبيل التناكح، بل على سبيل تولد الضوء من المضىء، و الحكمه من الحكيم، كما أنّ الشّياطين متولدون من جوهر الظلمه حسب تولد السّفه من السّفيه، و هو رأى معظم المجوس و الثّنويّه المثبتين للأصلين حسب ما مر تفصيله فى شرح الفصل السّابع من فصول الخطبه، و هذه الأقوال متّفقه فى كون الملائكه أشياء متحيزه جسمانيه.

و منهم من قال: إنّهم فى الحقيقه هى الأنفس النّاطقه بذاتها المفارقه للأبدان

على نعت الصّفا و الخيريّه، كما أنّ الشّياطين هى الأنفس النّاطقه على وصف الخباثه و الكدره، و هو قول طائفه من النّصارى.

و منهم من ذهب إلى أنّها جواهر قائمه بأنفسها و مخالفه بنوع النّفوس النّاطقه البشريّه من حيث الماهيّه و أكمل منها قوه، و أكثر علما، و إنّما النفوس البشريّه جاريه منها مجرى الأضواء بالنسبه إلى الشّمس، ثمّ إنّ هذه الجواهر على قسمين منها ما هى بالنّسبه إلى أجرام الأفلاك و الكواكب كنفوسنا النّاطقه بالنسبه إلى أبداننا و منها ما هى أعلى شأنا من تدبير أجرام الأفلاك، بل هى مستغرقه فى معرفه اللّه و محبّته، و مشتغله بطاعته، و هذا القسم هم الملائكه المقرّبون، و نسبتهم إلى الملائكه الذين يدبّرون السّماوات كنسبه أولئك المدبرين إلى نفوسنا الناطقه، و هذان القسمان اتّفقت الفلاسفه على إثباتهما.

و منهم من أثبت نوعا آخر و هى الملائكه المدبّره لأحوال هذا العالم السفلى ثم قالوا: إنّ المدبرات إن كانت خيرات فهم الملائكه، و إن كانت شريره فهم الشّياطين، و هذه الأقوال الأخيره متّفقه فى نفى التّحيز و الجسميه عنها هذا.

و قال المحدّث المجلسى طاب ثراه فى البحار: اعلم أنه اجتمعت الاماميّه بل جميع المسلمين إلاّ من شذّ منهم من المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب اصولهم و تضييع عقايدهم: على وجود الملائكه، و أنّهم أجسام لطيفه نورانيه اولى أجنحه مثنى و ثلاث و رباع و أكثر قادرون على التّشكل بالاشكال المختلفه، و أنّه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما شاء من الأشكال و الصّور على حسب الحكم و المصالح، و لهم حركات صعودا و هبوطا، و كانوا يراهم الأنبياء و الاوصياء عليهم السّلام، و القول بتجرّدهم و تأويلهم بالعقول و النّفوس الفلكيه و القوى و الطبايع و تأويل الآيات المتظافره و الأخبار المتواتره تعويلا على شبهات واهيه و استبعادات وهميّه، زيغ عن سبيل الهدى، و اتّباع لأهل الهوى و العمى انتهى.

ثمّ إنّ للملائكه أقساما لا تحصى حاصله من اختلافهم فى النّعوت و الصّفات، و تفاوتهم فى المراتب و الدّرجات، فمنهم الكرّوبيون و منهم الرّوحانيون و منهم

المدبّرون و منهم الحافظون و منهم المسبحون و منهم الصّافون و منهم أمناء الوحى و سفراء الرسل و منهم الخزنه للجنان و منهم الزّبانيه للنيران إلى غير ذلك، و قد أشار إلى جمله منها الامام سيّد السّاجدين و زين العابدين عليه السّلام فى دعاء الصّحيفه فى الصلاه على حمله العرش و كل ملك مقرّب، و أمّا الامام عليه السّلام فقد قسمهم هنا إلى أقسام أربعه و فصّلهم بكلمه من، و الظاهر أنّ القسمه ليست حقيقيه، بأن يكون بين الأقسام تباينا و انفصالا حقيقيا، ضروره جواز اتّصاف بعض هذا الأقسام بالأوصاف الثّابته لغيره، و جواز اجتماع اثنين منها، أو ثلاثه أو جميع الأربعه فى نوع واحد أو فرد واحد كما قال عليه السّلام فى الصّحيفه السّجاديه:

«أللّهم و حمله عرشك الّذين لا يفترون من تسبيحك، و لا يسأمون من تقديسك».

حيث أثبت لحمله العرش كونهم مسبحين و قد فصل(۱) هنا حيث قال عليه السّلام: و مسبّحون لا يسأمون، و منهم الثّابته اه و قد علم ممّا ذكرنا أنّ هذه القسمه ليست أيضا بعنوان منع الجمع، فبقى كونها بعنوان منع الخلوّ، أو جميع أصناف الملائكه من المذكورين هنا و غيرهم يمكن دخوله فى قوله عليه السّلام: و مسبّحون لا يسأمون، إذ ما من ملك إلاّ و هو مسبّح له سبحانه كما قال سبحانه حكايه عنهم: و نحن نسبح بحمدك، غايه الأمر أنّ بعضا منهم متّصف مع ذلك بصفه اخرى أوجبت جعله قسما برأسه فافهم.

و ممّا ذكرنا يظهر ما فى كلام القطب الرّاوندى على ما حكى عنه الشّارح المعتزلى من جعله حفظه العباد و السّدنه لأبواب الجنان مع امناء الوحى قسما واحدا و ارجاعه الأقسام الأربعه إلى الثلاثه، كما يظهر منه أيضا ما فى كلام الشّارح البحرانى من جعله امناء الوحى و ألسنه الرّسل و المختلفين بالقضاء و الأمر، داخلين فى الأقسام السّابقه على هذا القسم فى كلامه عليه السّلام، لما عرفت من أنّ



---

۱- (۱) اى بين المسبحين و بين حمله العرش منه

تفصيله فى الأقسام باعتبار اختلاف الصّفات، لا باعتبار القسمه الحقيقيه، و معه لا داعى إلى تقليل الأقسام و إرجاع بعضها إلى بعض و إدخالها فيه، و إن كان المقصود بيان أن حفظه العباد و السدنه للأبواب كما أنّ فيهم وصف الحافظه و السدانه كذلك فيهم وصف الامانه.

فنقول: إنّ فيهم وصف المسبحيه أيضا فما الدّاعى إلى جعلهم مع الامناء بخصوصهم قسما واحدا، و كذلك نقول: إنّ اتّصاف امناء الوحى و ألسنه الرّسل و المختلفين بالقضاء و الأمر، بكونهم مع ذلك أيضا سجودا لا يركعون مثلا لا يوجب إدخالهم فى هذا القسم، لانّا نقول: إنّهم متّصفون مع ذلك بكونهم حفظه العباد أيضا فانّ جبرئيل مثلا- مع كونه أمين الوحى كان حافظا لابراهيم عليه السّلام مثلا عند إلقاء النّار، و ليوسف عليه السّلام فى غيابه الجبّ و نحو ذلك.

إذا عرفت ذلك فلنرجع إلى شرح الكلام و توضيح الأقسام التى أشار إليها بقوله:(فمنهم) أى القسم الأوّل منهم (سجود لا يركعون، و ركوع لا ينتصبون، و صافّون لا يتزايلون، و مسبحون لا يسأمون) يعنى أنّ بعضا منهم ساجد لا يرفع رأسه من السجود ليركع، و منهم من هو راكع لا- يقوم من ركوعه، و منهم صافّون للعباده لا يتفارقون من مكانهم، و منهم مسبحون لا يملّون من تسبيحهم، كما قال سبحانه حكايه عنهم:

«وَ ما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ وَ إِنّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَ إِنّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ».

إشاره إلى تفاوت مراتبهم و درجاتهم فى العباده، أى ما منّا أحد الاّ له مقام معلوم فى العباده و المعرفه و الانتهاء إلى أمر اللّه فى تدبير العالم، و إنّا لنحن الصافّون فى اداء الطاعه و منازل الخدمه، و إنّا لنحن المسبحون المنزّهون اللّه عمّا لا يليق به.

و قيل: إنّ المراد بالصّافين القائمون صفوفا فى الصلاه، و عن الكلبى صفوف

ص:٩

الملائكه فی السماء کصفوف أهل الدّنیا فی الأرض، و عن الجبائی المعنی صافون بأجنحتنا فی الهواء للعباده و التّسبیح، و المراد بالمسبحین القائلون سبحان اللّه علی وجه التعظیم للّه هذا.

و ینبغی أن یعلم أنّ المراد بالسجود و الرّکوع و الصّف و التسبیح فی کلامه علیه السّلام ما هو المتبادر منها، أعنی وضع الجبهه علی ما یصحّ السجود علیه فی الأوّل، و الانحناء فی الثّانی، و القیام فی خط مستطیل فی الثّالث، و قول سبحان اللّه و نحوه فی الرابع، و أنکر الشّارح البحرانی ذلک و لا بأس بنقل عبارته لتوضیح ما رامه.

قال:ثمّ إنّ السّجود و الرّکوع و الصّف و التسبیحعبادات متعارفه من الحقّ و متفاوته فی استلزام کمال الخشوع و الخضوع، و لا یمکن حملها علی ظواهرها المفهومه منها، لأنّ وضع الجبهه علی الأرض و انحناء الظهر و الوقوف فی خط واحد و حرکه اللّسان بالتسبیح امور مبتیّه علی وجود هذه الآلات التی هی خاصه ببعض الحیوانات، و بالحری أن یحمل تفاوت المراتب المذکوره لهم علی تفاوت کمالاتهم فی الخضوع و الخشوع لکبریاء اللّه و عظمته، إطلاقا للفظ الملزوم علی لازمه علی أنّ السجود فی اللّغه هو الانقیاد و الخضوع کما مر.

إذا عرفت ذلک فنقول: یحتمل أن یکون قوله منهم سجود إشاره إلی مرتبه الملائکه المقربین، لأن درجتهم أکمل درجات الملائکه، فکانت نسبه عبادتهم و خضوعهم إلی خضوع من دونهم کنسبه خضوع السجود إلی خضوع الرّکوع.

فان قلت: إنّه قد تقدّم أنّ الملائکه المقرّبین مبرءون عن تدبیر الأجسام و التعلّق بها، فکیف یستقیم أن یکونوا من سکّان السّماوات و من الأطوار الذین ملئت بهم.

قلت: إنّ علاقه الشّیء بالشّیء و إضافته إلیه یکفی فیها أدنی مناسبه بینهما، و المناسبه هنا حاصله بین الأجرام السّماویّه و بین هذا الطور من الملائکه، و هی مناسبه العلّه للمعلول، و الشّرط للمشروط انتهی، و أشار بقوله: فان قلت: إنه قد تقدّم

اه، إلی ما ذکره سابقا من أن المقرّبین هم الذّوات المقدّسه عن الجسمیه و الجهه، و عن حاجتها إلی القیام بها و عن تدبیرها اه.

أقول: و أنت خبیر بما فیه.

أما اولا- فلأنّ صرف الألفاظ المذکوره عن معانیها الظاهره فیها حسب ما اعترف به(۱) لا- وجه له، بل قد قام الأخبار المتواتره علی المعنی الظاهر، مثل ما رواه فی البحار عن أبی ذر قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إنّی أری ما لا ترون، و أسمع ما لا تسمعون إنّ السّماء أطت(۲) و حقّ لها أن تئط ما فیها موضع أربع أصابع إلاّ و ملک واضع جبهته ساجد اللّه.

و عن ابن جبیر أنّ عمر سأل النبی صلّی اللّه علیه و آله عن صلاه الملائکه فلم یرد علیه شیء فأتاه جبرئیل فقال إنّ أهل سماء الدّنیا سجود إلی یوم القیامه یقولون: سبحان ذی الملک و الملکوت، و أهل السّماء الثّانیه رکوع إلی یوم القیامه یقولون: سبحان ذی العزه و الجبروت، و أهل السّماء الثّالثه قیام إلی یوم القیامه یقولون: سبحان الحیّ الذی لا یموت.

و فی الأنوار عن الصّادق علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله مررنا لیله المعراج بملائکه من ملائکه اللّه عزّ و جل، خلقهم اللّه کیف شاء، و وضع وجوههم کیف شاء لیس شیء من أطباق وجوههم إلاّ و هو یسبح اللّه و یحمده من کلّ ناحیه بأصوات مختلفه أصواتهم مرتفعه بالتّسبیح و البکاء من خشیه اللّه، فسألت جبرئیل عنهم، فقال: کما تری خلقوا إنّ الملک منهم إلی جنب صاحبه ما کلّمه قط: و لا- رفعوا رؤوسهم إلی ما فوقهم، و لا- خفضوا رؤوسهم إلی ما تحتهم، خوفا من اللّه و خشوعا، فسلّمت علیهم فردّوا علیّ ایماء برءوسهم، و لا ینظرون إلیّ من الخشوع، فقال لهم جبرئیل: هذا محمّد نبیّ الرحمه أرسله اللّه إلی العباد رسولا و نبیّا، و هو خاتم الأنبیاء و سیّدهم، قال:



---

۱- (۱) ای بالظهور منه

۲- (۲) ناله کرد منه

فلمّا سمعوا ذلک من جبرئیل أقبلوا علیّ بالسّلام، و بشّرونی و أکرمونی بالخیر لی و لامّتی.

قال الشّارح: إنّه جاء فی الخبر أنّ حول العرش سبعین ألف صفّ قیام قد وضعوا أیدیهم علی عواتقهم رافعین أصواتهم بالتّهلیل و التکبیر، و من ورائهم مأئه ألف صفّ قد وضعوا الایمان علی الشّمائل ما منهم أحد إلاّ و هو یسبّح إلی غیر ذلک، ممّا یقف علیه المتتبّع، فانّ نصّ الرّوایه الأولی أنّ سجود الملائکه إنّما هو بوضع الجبهه، و المستفاد من تخصیص السّاجدین بالسّماء الدّنیا و الرّاکعین بالثّانیه، و القائمین بالثّالثه، فی الرّوایه الثّانیه أنّ المراد من کلّ من الألفاظ المذکوره معانیها المتعارفه، إذ لو ارید المعنی الذی ذکره الشّارح لزم أن یکون السّاجدون الذین هم أکمل خشوعا، أدنی درجه و أسفل مکانا من الرّاکعین الذین هم أدنی خشوعا منهم، و هکذا و هو کما تری.

و منه یظهر أیضا فساد ما ذکره الشّارح فی شرحه من جعل السّاجدین عباره عن المقرّبین، و الراکعین عباره عن حمله العرش، و الصّافین عباره عن الحافّین حول العرش، بملاحظه أنّ زیاده الخشوع یوجب ارتفاع الدّرجه، و السّاجد أعلی خشیه من الرّاکع فیکون أعلی درجه منه، و الرّاکع أکمل خشوعا من الصّافین فیکون أعلی مقاما منهم.

وجه ظهور الفساد أنّ ما ذکره من قبیل الاستدلال بالعقل، و لا عبره به فی مقابل النصّ الدّال علی الخلاف، و أمّا الرّوایه الثّالثه فقد استفید منها أنّ تسبیح الملائکه إنّما هو برفع الأصوات و تکلّمهم بحرکه اللّسان، حیث إنّهم ردّوا السّلام أوّلا علی النّبی بالایماء، ثم تعرض علیهم جبرئیل بالتکلّم فسلّموا علیه صلّی اللّه علیه و آله و بشروه، و أمّا الرّوایه الرّابعه فقد دلت علی أنّ صفّ الملائکه إنّما هو بالقیام، کما دلّت علی تسبیحهم برفع الأصوات هذا.

و ممّا ذکرناه عرفت أیضا ما فی تخصیص الجوارح و الآلات ببعض الحیوات،

ص:۱۲

و إنكار ثبوتها فى حقّ الملائكه على ما هو المستفاد من ظاهر كلامه، فانّ هذا عجب غايه العجب، ضروره أنّ الملائكه لهم أيد و أرجل و عواتق و أبصار و وجوه و أجنحه إلى غير ذلک من الجوارح المثبته لهم فى الآيات و الأخبار و الآثار، بل كان أن يكون ضروريا، غايه الأمر أنّ جوارحهم ليس من قبيل جوارحنا كثيفه، بل نورانيه لطيفه، و الظاهر أنّ ما ذكره من فروعات مذهب الفلاسفه المستنده إلى الأوهام السخيفه و العقول النّاقصه و الاستبعادات الوهميّه حسبما عرفت سابقا، و لا يعبأ بها قبال الأدلّه القاطعه و البراهين السّاطعه.

و أما ثانيا فلأنّه لقائل أن يقول: إنّه إذا لم يكن خضوع الملائكه و خشوعهم بعنوان السّجده و الرّكوع و القيام و التّسبيح و نحو ذلک من العناوين المتصوّره فى عبادات البشر ففى ضمن أىّ عنوان يخضعون و يخشعون؟ و إن كان المراد بالخضوع التكوينى، ففيه أنّ الخضوع التكوينى عامّ لجميع الموجودات، و لا اختصاص له بالملائكه، إذ كلّ شىء خاضع له و مقهور تحت قدرته، قال:

«وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ » و إن اريد الخضوع التكليفى كما هو الظاهر فلا بدّ و أن يكون التكليف فى ضمن عنوان من العناوين، و الثّابت فى الأخبار أنّ عبادتهم إنّما هو فى ضمن واحد من العناوين المذكوره، و لم يثبت عنوان آخر وراء تلک العناوين من الأدلّه النّقليه و العقل لا مسرح له فيها.

هذا كلّه مضافا إلى قوله سبحانه:

«فَسَجَدَ الْمَلائِكَهُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلاّ إِبْلِيسَ ».

فانّ ذلک مقيد للعموم من جهات عديده، فيدلّ على سجود جميع أصناف الملائكه

ص:١٣

و آحادهم و حینئذ نقول: إنّ سجدتهم لآدم إمّا أن یکون بالعنوان المتعارف الذی هو وضع الجبهه کما هو الظاهر، ففیه دلاله علی هدم جمیع ما قاله الشّارح، و إمّا أن یکون عباره عن مجرّد إظهار التّواضع فهو خلاف الظاهر أولا من حیث إنّهم أظهروا التّواضع لآدم، و اعترفوا بفضیلته حین أنبأهم بالأسماء و ثانیا من حیث إن حکایه حال قوم لقوم بألفاظ مخصوصه یوجب إراده المعانی المتعارفه عند المحکیّ لهم من هذه الألفاظ، و لا ریب أنّ المتبادر من السّجده هو المعنی الشرعی، هذا کلّه مضافا إلی إفاده بعض الأخبار(۱) کون سجودهم بالعنوان المتعارف، و بعد التّنزل نقول: إنّ أکثر المفسرین احتملوا إراده کلّ من المعنیین، فلو لم یتصوّر فی حقهم وضع الجبهه لما احتملوا ذلک بل جعلوا الآیه نصّا فی المعنی الآخر.

و أما ثالثا فانّ احتماله کون المراد بالسّجود الملائکه المقرّبون نظرا إلی کون درجتهم أکمل الدّرجات کما أنّ خضوع السّجودی أفضل الخضوعات ممنوع، لما قد مرّ فی الرّوایه السّابقه من أنّ أهل السّماء الدّنیا هم السّاجدون، و أنّه لیس فی السّماء موضع أربع أصابع إلاّ و فیها ملک ساجد، مع أنّ المقرّبین عنده أرفع درجه من حمله العرش الذین هم أعلی درجه من أهل السّماء الدّنیا بمراتب، و من أهل سایر السّماوات أیضا.

و أما رابعا فانّ المستفاد من الایراد الذی أورده علی نفسه من کون المقرّبین منزّهین عن تدبیر الأجسام اه، و تقریره فی الجواب ذلک حیث لم یتعرّض لردّه مضافا إلی تصریحه سابقا بما ذکره فی الایراد حسب ما حکیناه عنه: انّ المقربین عنده منزّهون عن الجهه و الجسمیّه و تدبیر الأجسام و التعلّق بها کما هو رأی الفلاسفه الذی بیّناه سابقا، و علی ذلک فنقول إنّ جبرئیل هل هو ملک مقرّب أم لا؟ فان قال: لا، و لا أظنّه قائلا به، فقد ردّ قوله سبحانه فی وصفه:



---

۱- (۱) هو روایه الصادق علیه السّلام منه

«إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِی قُوَّهٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَكِينٍ مُطاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ».

فانّ المكانه هو القرب كما صرّح به المفسّرون، و قوله عليه السّلام فی الصحيفه السجاديه:

«و جبرئيل الأمين على وحيک، المطاع فی أهل سمواتک، المكين لديک المقرّب عندک».

و الأخبار الكثيره الداله على ذلک، مثل ما راه علیّ بن ابراهيم فی حديث المعراج قال جبرئيل: أقرب الخلق إلى اللّه أنا و إسرافيل إلى غير ذلک ممّا لا حاجه إلى ذكره.

و إن قال نعم و هو الظاهر من كلامه بل صريحه فی ذيل قوله: و منهم امناء على وحيه، فنقول: إنّه كيف لا يكون فی جهه و مكان و لقد قال سبحانه:

«وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَهً أُخْرى عِنْدَ سِدْرَهِ الْمُنْتَهى ».

و قال: «وَ لَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ».

و كيف يمكن انكار جسميّته و قد ملاء ما بين الخافقين بأجنحته، و كيف ينكر تدبيره الأجسام مع أنّه كان ناصرا للنبی صلّى اللّه عليه و آله فی غزواته، و مصاحبا معه فی خلواته، و قالعا لبلاد قوم لوط، و مهلكا بصيحته لثمود، و قد وصفه اللّه بكونه مطاعا فی السّماوات و معناه أن يطاع له فی الأمر و النّهی، و معلوم أن الأمر و النّهی إنّما يكونان لتدبير الامور.

و أما خامسا فانّ ما ذكره من كفايه أدنى الملابسه فی صحّه الاضافه مسلّم، إلاّ أنّ هذا الجواب يدفعه ما مرّ فی الروايه، من أنّه ليس فی السّماء موضع أربع أصابع إلاّ و فيها ملک ساجد، و مثله، الرّوايه الاخرى، فانّهما صريحتان فی سكون الملائكه السّاجدين فی السّماء بعنوان الحقيقه لا بعنوان المجاز.

و أما سادسا فانّ قوله: و المناسبه حاصله بين الأجرام السّماويه و بين هذا

الطور من الملائكه، و هی مناسبه العلّه للمعلول، و الشرط للمشروط، ممّا لا یفهم معناه. إذ العلّه الفاعلی للسّماوات هو اللّه سبحانه، و العله المادّی هو الماء أو الدّخان أو الزّبد أو نور محمّد صلّی اللّه علیه و آله علی ما مرّ، و لا علیّه للملائکه فی شیء منها، و القول بأنّه سبحانه علّه العلل و إنّ العلّه للسّماوات العقول المجرّده، هو مذهب الفلاسفه الباطل عند الامامیّه.

و کیف کان فقد وضح و ظهر أنّ الملائکه المشغولین بطاعه اللّه علی أصناف أربعه: منهم سجود، و منهم رکوع، و منهم صفوف لا یتفارقون عن صفّهم و منهم مسبحون لا یملّون من تسبیحهم بل یتقوّون به، کما قال سبحانه:

«فَالَّذِینَ عِنْدَ رَبِّکَ یُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّیْلِ وَ النَّهارِ وَ هُمْ لا یَسْأَمُونَ ».

(لا یغشیهم نوم العیون) الظاهر رجوع الضمیر إلی الصّنف السّابق، و الظاهر اطراد الأوصاف فی الجمیع.

ثمّ مفاد کلامه علیه السّلام عدم غشیان النّوم للملائکه و علّله الشّارح البحرانی (ره) بأنّ غشیان النّوم لهم مستلزم لصحه النّوم علیهم، و اللازم باطل فی حقهم، فالملزوم مثله، أمّا الملازمه فظاهره، و أمّا بطلان اللازم فلأنّ النّوم عباره عن تعطیل الحواسّ الظاهره عن أفعالها، لعدم انصباب الرّوح النّفسانی الیها، أو رجوعها بعد الکلال و الضعف، و الملائکه السّماویّه منزّهون عن هذه الأسباب و الآلات، فوجب أن یکون النّوم غیر صحیح فی حقهم فوجب أن لا یغشیهم.

و عن القطب الرّاوندی أنّ معنی قولهم لا یغشیهم نوم العیون یقتضی أنّ لهم نوما قلیلا لا یغفلهم عن ذکر اللّه، فامّا الباری سبحانه فانّه لا تأخذه سنه و لا نوم أصلا مع أنّه حیّ، و هذه هی المدحه العظمی.

و أورد علیه الشّارح المعتزلی بقوله: و لقائل أن یقول: لو ناموا قلیلا لکانوا زمان النّوم و إن قلّ غافلین عن ذکر اللّه، لأنّ الجمع بین النّوم و بین الذّکر «ج ۱»

يستحيل، ثمّ قال، و الصّحيح أنّ الملك لا يجوز عليه النّوم كما لا يجوز عليه الأكل و الشّرب، لأنّ النّوم من توابع المزاج و الملك لا مزاج له، و أمّا مدح البارى بأنّه لا تأخذه سنه و لا نوم فخارج عن هذا الباب، لأنّه يستحيل عليه النّوم استحاله ذاتيه لا يجوز تبدّلها، و الملك يجوز أن يخرج عن كونه ملكا بأن يخلق فى أجزاء جسميّه رطوبه و يبوسه و حراره و بروده يحصل من اجتماعها مزاج و يتبع ذلك المزاج النّوم، فاستحاله النّوم عليه إنّما هى ما دام ملكا، فهو كقولك: الماء بارد، أى ما دام ماء لأنّه يمكن أن يستحيل هواء ثم نارا فلا يكون باردا لأنّه ليس حينئذ ماء، و البارى جلّت عظمته يستحيل على ذاته أن يتغير، فاستحال عليه النّوم استحاله مطلقه مع أنّه حيّ، و من هذا نشأ التمدّح انتهى.

و ظاهره كما ترى إنكار صحه النّوم عليه مطلقا و استحالته فى حقّه، لأنّ تجويزه له مع الخروج عن حقيقته الملكيه ممّا لا يقابل بالانكار و خارج عن محلّ الكلام، و أمّا المستفاد من الكلام المحكى عن الرّاوندى فهو أنّه يعرضهم حاله السنه و هو أوّل النّعاس و لا يعرضهم النوم الموجب للغفله.

و يمكن الاستشهاد عليه بما رواه الصدوق باسناده عن داود العطار، قال:

قال لى بعض أصحابى: أخبرنى عن الملائكه أ ينامون؟ فقلت: لا أدرى، فقال:

يقول اللّه عزّ و جلّ:

«يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ لا يَفْتُرُونَ ».

ثم قال: ألا اطرقك عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فيه بشيء؟ قلت: بلى، فقال: سئل عن ذلك فقال: ما من حيّ إلّا و هو ينام ما خلا اللّه وحده عزّ و جلّ: فقلت: يقول اللّه عزّ و جل يسبّحون اللّيل و النّهار لا يفترون، فقال: أنفاسهم تسبيح هذا.

و به ظهر الجواب عمّا أورده الشّارح المعتزلى بأنّهم لو ناموا قليلا لكانوا زمان النّوم غافلين، كما ظهر به وجه الجمع بين قوله عليه السّلام: لا يغشيهم نوم العيون، و بين الرّوايه المرويّه فى العلل لمحمد بن علىّ بن إبراهيم بن هاشم، قال: سئل

أبو عبـد اللّه عليه السّـلام عن الملائكه يأكلون و يشربون و ينكحون، فقال: لا، إنهم يعيشون بنسيم العرش، فقيل له: ما العلّه فى نومهم؟ فقال: فرقا بينهم و بين اللّه عزّ و جلّ، لأنّ الذى لا تأخذه سنه و لا نوم هو اللّه.

و حاصل الجمع أن يحمل النوم فى هذه الرّوايه و ما شابهها من الأخبار المثبته له، على النوم القليل المعبر عنه بالسنه الغير المانعه عن الذكر و التسبيح.

و فى قوله لا يغشيهم نوم العيون على النوم الغالب الموجب للغفله، و لا يبعد استفاده هذا المعنى من قوله: لا يغشيهم، كما ذكره الرّاونـدى بأخذه من الغشى الموجب لتعطيل القوى المحركه، إلّا أنه خلاف الظاهر، و الظاهر أنه مأخوذ من غشيته إذا أتيته، فلا دلاله فيه من حيث الوضع، و إنما الدّلاله باقتضاء الجمع الذى ذكرناه، و عليه فالمعنى أنه لا يأتيهم نوم العيون الموجب للغفله، كما يأتى غيرهم.

و هذا نظير ما روى فى خواص النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، من أنه كان ينام عينه و لا ينام قلبه انتظار اللوحى الالهى، فالنوم و إن اعتراه، لكنه لا يعطله عن مراقبه ربه سبحانه كما يعطل غيره و اللّه العالم (و لا سهو العقول، و لا فتره الأبدان، و لا غفله النسيان) الفرق بين السهو و النسيان و الغفله: أن السهو هو عزوب الشىء و انمحاؤه عن القوّه الذاكره مع ثبوته فى الحافظه بحيث يلحظ الذّهن عند الالتفات إليه، و النسيان هو ذهابه عنهما معا بحيث يحتاج فى تحصيله إلى كسب جديد، و الغفله أعمّ منهما، و لما كان هذه الامور الثلاثه من عوارض القوى الانسانيه صحّ سلبها عن الملائكه، لعدم وجود تلك المعروضات فيهم كما فى الانسان، و سلب الأعمّ و إن كان مستلزما لسلب الأخص إلّا أنّه عليه السّلام جمع فيهما لزياده التّوكيد.

و أمّا سلب فتور الأبدان فلأنّ الفتور هو وقوف الأعضاء البدنيه عن العمل بسبب تحلّل الأرواح البدنيه و ضعفها و رجوعها للاستراحه، و كلّ ذلك من توابع المزاج الحيوانى، فلا جرم صحّ سلبه عنهم، وفاقا لقوله سبحانه: يسبّحون الليل و النّهار لا يفترون.

(و) القسم الثّانى (منهم امناء على وحيه) الحافظون له مؤدّين إيّاه إلى رسله

جمع الأمين و هو الحافظ لما كلّف بحفظه على ما هو عليه ليؤدّيه إلى مستحقّه، قال سبحانه:

«ذِی قُوَّهٍ عِنْدَ ذِی الْعَرْشِ مَکِینٍ مُطاعٍ ثَمَّ أَمِینٍ » روی أنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قال لجبرئیل: ما أحسن ما أثنی علیک ربّک: ذی قوّه عند ذی العرش اه فما کانت قوّتک؟ و ما کانت أمانتک؟ فقال: و أمّا قوّتی فانّی بعثت إلی مداین لوط و هی أربع مداین فی کلّ مدینه أربعمائه ألف مقاتل سوی الذّراری، فحملتهم من الأرض السّفلی حتّی سمع أهل السّماوات أصوات الدّجاج و نباح الکلاب، ثمّ هویت بهنّ. و أمّا أمانتی فانّی لم اومر بشیء فعدلت إلی غیره، و فی روایه اخری فعدوته إلی غیره.

و امّا امناء الوحی فقد اشیر إلیهم فی جمله من الأخبار.

مثل ما رواه فی الاختصاص باسناده عن ابن عبّاس، قال عبد اللّه بن سلام للنّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فیما سأله: من أخبرک؟ قال النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله: جبرئیل، قال: عمّن؟ قال:

عن میکائیل، قال: عمّن؟ قال عن إسرافیل، قال: عمّن؟ قال: عن اللّوح المحفوظ، قال: عمّن؟ قال: عن القلم، قال: عمّن؟ قال: عن ربّ العالمین، قال: صدقت.

و نظیره ما رواه الصّدوق فی العیون باسناده عن علی بن هلال، عن علیّ بن موسی الرّضا، عن موسی بن جعفر، عن جعفر بن محمّد، عن محمّد بن علیّ، عن علیّ بن الحسین، عن الحسین بن علیّ، عن علیّ بن أبی طالب، عن النّبی علیهم السّلام، عن جبرئیل، عن میکائیل، عن إسرافیل، عن اللّوح، عن القلم، قال اللّه عزّ و جلّ: ولایه علیّ بن أبی طالب حصنی، و من دخل حصنی أمن من عذابی.

و فی بعض الأخبار أنّ جبرئیل قال لرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی وصف إسرافیل: هذا حاجب الرّبّ، و أقرب خلق اللّه منه، و اللّوح بین عینیه من یاقوته حمراء، فاذا تکلّم الرّبّ بالوحی ضرب اللّوح جبینه، فنظر فیه ثمّ ألقی إلینا نسعی به فی السّماوات و الأرض.

و لعلّ الاختلاف فيها محمول على اختلاف الكيفيات، أو بحسب اختلاف المقامات، و المستفاد من الرّوايه الأخيره كظاهر الاولى كون اللوح ورقا، كما أنّ مفاد الثّانيه كونه ملكا، و كلاهما ممّا ورد فى الأخبار كالقلم، و قد ظهر من هذه الأخبار كيفيّه تلقّى الوحى.

و فى روايه اخرى بنحو آخر، و هو ما روى أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لجبرئيل:

من أين تأخذ الوحى؟ قال: آخذه من اسرافيل، قال: من أين يأخذه إسرافيل؟ قال: يأخذه من ملك فوقه من الرّوحانيّين، قال: ممّن يأخذه ذلك الملك؟ قال:

يقذف فى قلبه قذفا هذا.

و قال الشّارح البحرانى: يشبه أن يكون هذا القسم(۱) داخلا فى الأقسام السّابقه من الملائكه، و إنّما ذكره ثانيا باعتبار وصف الامانه على الوحى و الرساله ثم أورد على نفسه بقوله فان قلت: كيف يصحّ أن يكون هذا القسم داخلا فى السّجود، لأنّ من كان أبدا ساجدا كيف يتصوّر أن يكون مع ذلك متردّدا فى الرّساله و النّزول و الصّعود، مختلفا بالأوامر و النّواهى إلى الرّسل، و أجاب بقوله قلت: انّا بيّنا أنّه ليس المراد بسجود الملائكه هو وضع الجبهه على الأرض بالكيفيّه التى نحن عليها، و إنّما هو عباره عن كمال عبوديتهم للّه و خضوعهم تحت قدر قدرته، و الامكان و الحاجه تحت ملك وجوب وجوده، و معلوم أنّه ليس بين السّجود بهذا المعنى و بين تردّدهم بأوامر اللّه و اختلافهم بقضائه على وفق مشيّته و أمره منافاه، بل كلّ ذلك من كمال عبوديتهم و خضوعهم لعزّته و اعترافهم بكمال عظمته انتهى.

أقول: و فيه بعد الغضّ عمّا أوردنا عليه سابقا فى إدخال هذا القسم فى القسم السّابق، مضافا إلى ما ذكرناه أيضا من منع كون السّجود بمعنى الخضوع المطلق حسبما مرّ تفصيلا بما لا مزيد عليه، أنّه جعل السّاجدين عباره عن المقرّبين الذين



---

۱- (۱) اى امناء الوحى منه

حکم فیهم بکونهم منزّهین عن الجسمیّه و الجهه و سکون السّماوات و تدبیر الأجسام و علی ذلک فنقول له: هب أنّ السّجود بالمعنی الذی ذکرت لا ینافی الرّساله و التردّد صعودا و هبوطا، و الوساطه بین الحقّ و الرّسل و الاختلاف بالقضاء و الامور، إلاّ أنّ تنزّههم عن الأصاف المذکوره ینافی هذه الأمور قطعا کما هو ظاهر لا یخفی.

(و)لما کان الملائکه وسایط بین الحقّ سبحانه و بین رسله فی تأدیه خطاباته إلیهم مفصحین لهم عن مکنون علمه حسن التّعبیر عنهم بأنّهم(ألسنه إلی رسله)تشبیها لهم باللّسان المفصح عمّا فی الضّمیر و إنّما احتیج الی الواسطه فی تبلیغ الخطابات و تأدیتها، لأنّ التّخاطب یقتضی التّناسب بین المتخاطبین، فاقتضت الحکمه توسط الملک لیتلقّف الوحی بوجهه الذی فی عالم الملکوت تلقّفا روحانیّا، و یبلغه بوجهه الذی فی عالم الملک و الحکمه إلی النبی، لأن من خواص الملک أن یتمثل للبشر فیراه جسما، فربّما ینزل الملک إلی الصوره البشریه، و ربّما یترقی النّبیّ إلی رتبه الملکیّه و یتعرّی عن کثره البشریّه فیأخذ عنه الوحی (و مختلفون لقضائه و أمره) من الاختلاف بمعنی التردّد، و فی وصف الأئمه فی بعض الخطب الآتیه و فی الزّیاره الجامعه: و مختلف الملائکه، ای محل تردّدهم و یأتی توضیح ذلک فی الفصل الآخر من فصول الخطبه المأه و الثامنه إن شاء اللّه.

و المراد بالقضاء إمّا الحکم و هو أحد معانیه العشره، فیکون عطف الأمر علیه من قبیل عطف الخاصّ علی العامّ و إمّا بمعنی الأمر کما فسّر به قوله:

«وَ قَضی رَبُّکَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِیّاهُ وَ بِالْوالِدَیْنِ إِحْساناً » و علی ذلک فالعطف للتّفسیر و التّبیین، و علی التّقدیرین فالمراد بالأمر الأمر التکلیفی هذا.

و لکن الأظهر أنّ المراد بالقضاء هو ما یساوق القدر، و بالأمر الامورات

المقدّره الحادثه فی العالم السّفلی، فیکون المعنی و مختلفون بمقتضیاته و مقدراته، و إنّما جعلنا المصدر بمعنی المفعول، لأنّ القضاء بمعنی المصدری عباره عن إبداع الحقّ سبحانه صور الموجودات و جمیع الأشیاء معقوله مفصّله محفوظه عن التّغیر فی اللّوح المحفوظ، و هو امّ الکتاب و یسمّی بالعلم الملزم، و معلوم أنّ هذا المعنی ممّا قد فرغ عنه، و لا یتصوّر تردّد الملائکه و تدبیرهم فیه، و إنّما تدبیرهم فی المقتضیات الموجوده علی طبق ما فی اللّوح المحفوظ.

توضیحه أنّ القضاء کما عرفت عباره عن إبداعه سبحانه لصور الموجودات الکلّیه و الجزئیه التی لا نهایه لها من حیث هی معقوله فی العالم العقلی و هو امّ الکتاب ثمّ لمّا کان ایجاد ما یتعلّق منها بموادّ الأجسام فی موادها و إخراج المادّه من القوه إلی الفعل غیر ممکن إلاّ علی سبیل التّعاقب و التدرّج، لامتناع قبولها لتلک الکثره دفعه، و کان الجود الالهی مقتضیا لایجادها و لتکمیل المادّه بابداعها فیها و إخراج ما فیها من قبول تلک الصّور من القوّه إلی الفعل، قدّر بلطیف حکمته وجوده زمانا لا ینقطع لیخرج فیه تلک الامور من القوّه إلی الفعل واحدا بعد واحد، فیصیر فی جمیع ذلک موجوده فی موادّها و المادّه کامله بها، فالمقتضیات عباره عن وجود هذه الأشیاء مفصله واحدا بعد واحد فی موادها السّفلیه الخارجیه بعد أن کانت ثابته فی صحایفها العلویه بأیدی(۱) المدبّرات، و إلی هذا أشار سبحانه فی قوله:

«وَ إِنْ مِنْ شَيْ ءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَ ما نُنَزِّلُهُ إِلاّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ » و إلی هذا القسم من الملائکه أشار فی قوله سبحانه:

«فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً » روی فی مجمع البیان عن عبد الرحمن بن سابط أنّ المراد بالمدبّرات جبرئیل و میکائیل و ملک الموت و إسرافیل یدبرون أمور الدّنیا فأما جبرئیل فموکل



---

۱- (۱) متعلق بالوجود، منه.

بالرّياح و الجنود و أما ميكائيل فموكل بالقطر و النّبات و أما ملك الموت بقبض الأنفس و أما اسرافيل فهو يتنزّل بالأمر عليهم، و التـدبير ليس منحصـر فى الأـربعه حسـبما تعرفه فى الأخبـار الآـتيه، و إنّما ذكرناه لتوضـيح معنى الآيه، كما أنّ الامور الواقعه فيها التّدبير لا تنحصر فيما ذكر و ستعرفه أيضا و قد ظهر بما ذكرنا معنى القضاء و المقتضيات و الملائكه المختلفون بالقضاء.

و أما القدر فهو دون مرتبه القضاء، إذ هو عباره عن صور جميع الموجودات فى لوح المحو و الاثبات على الوجه القابل للتّغيير، و إلى ذلك الاشاره فى قوله سبحانه:

«يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْـدَهُ أُمُّ الْكِتابِ » قال الصّادق عليه السّـلام بعد ما سئل عنه عن هذه الآيه: إن ذلك الكتاب كتاب يمحو اللّه فيه مـا يشاء و يثبت فمن ذلك(۱) الـذى يردّ الـدّعاء القضاء، و ذلك الدّعاء مكتوب عليه الذى يردّ به القضاء حتّى إذا صار إلى أم الكتاب لم يغن الدّعاء فيه شيئا.

و حاصل ما ذكرنا كله يرجع إلى جعل المراد بالقضاء فى كلامه عليه السّلام الامور المحتومه، و بالأمر الأمور الموقوفه و نظيره ما روى عن الصادق عليه السّلام، قال: هما أمر ان موقوف و محتوم، فما كان من محتوم أمضاه، و ما كان من موقوف فله فيه المشيّه يقضى فيه ما يشاء هذا.

و يحتمـل أن يكون المقصود من قوله عليه السّـلام: بقضـائه و أمره، أنّهم مختلفون باظهار قضائه و أمره إلى النّبى و الائمه عليهم السّـلام، و إلى ذلـك وقع الاشـاره فى وصف الأـئمه عليه السّـلام بـأنّهم مختلف الملاـئكه، أى محـلّ اختلاـفهم كما فى الأخبار المتظافره، و قـد عقد فى الكافى بابا فى ذلك، و هو باب أن الأئمه معدن العلم و شـجره النّبوه و مختلف الملائكه، و إليه الاشاره فى قوله سبحانه:

«تَنَزَّلُ الْمَلائِكَهُ وَ الرُّوحُ فِيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ »



---

۱- (۱) يعنى من قبيل المحو و الاثبات الحديث الذى ورد يرد الدعاء القضاء، فيض.

قال الصّادق عليه السّلام: إذا كان ليله القدر نزلت الملائكه و الرّوح و الكتبه إلى السّماء الدّنيا فيكتبون ما يكون من قضاء اللّه فى تلك السّنه فاذا أراد اللّه أن يقدّم شيئا أو يؤخّره أمر الملك أن يمحو ما يشاء، ثمّ أثبت الذى أراد.

قال القمى تنزّل الملائكه و روح القدس على إمام الزّمان و يدفعون اليه ما قد كتبوه.

و يشهد به ما رواه فى الكافى عن الباقر عليه السّلام قال: قال اللّه عزّ و جلّ فى ليله القدر:

«فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » يقول: ينزل فيها كلّ أمر حكيم، و المحكم ليس بشيئين إنّما هو شيء واحد، فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكم اللّه عزّ و جلّ، و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت إنّه لينزل فى ليله القدر إلى ولىّ الأمر تفسير الامور سنه سنه يؤمر فيها فى أمر نفسه بكذا و كذا، و فى أمر النّاس بكذا و كذا، و أنّه ليحدث لولى الأمر سوى ذلك كلّ يوم علم اللّه عز ذكره الخاصّ و المكنون و العجيب المخزون مثل ما ينزل فى تلك اللّيله من الأمر ثم قرء.

«وَ لَوْ أَنَّ ما فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَ الْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » و فيه أيضا عن حمران، عن أبى جعفر عليه السّلام أنّه قال: يقدّر فى ليله القدر كلّ شىء يكون فى تلك السّنه إلى مثلها من قابل من خير و شرّ و طاعه و معصيه و مولود و أجل و رزق، فما قدر فى تلك السّنه و قضى فهو المحتوم، و للّه عزّ و جلّ فيه المشيّه.

و المراد حسبما ذكرنا إظهار تلك المقادير للملائكه، و إظهارهم لها إلى

ص:۲۴

النّبى و الأئمه عليهم السلام فى تلك الليله، و إلاّ فالمقادير كما عرفت من الأزل إلى الأبد ثابته فى أم الكتاب هذا و بقى الكلام فى أنّ المختلفين بالقضاء و الأمرهم بعض الملائكه أو جميعهم، قال النّيسابورى: قوله تعالى: تنزّل الملائكه، يقتضى نزول كلّ الملائكه إما إلى السّماء الدّنيا و إمّا إلى الأرض، و هو قول الأكثرين، و على التّقديرين فانّ المكان لا يسعهم إلاّ على سبيل التّفاوت و النّزول فوجا فوجا كأهل الحجّ، فانّهم على كثرتهم يدخلون الكعبه أفواجا انتهى كلامه على ما حكى عنه.

و لكن الظاهر من كلمه منهم فى كلام الامام عليه السّلام هو أنّ المتّصفين بهذا الوصف بعض الملائكه، و هو الظاهر ممّا روى عن أبى جعفر عليه السّلام فى حديث طويل قال: إذا أتت ليله القدر فيهبط من الملائكه إلى ولىّ الأمراه، و المستفاد من الأخبار الكثيره أنّ جبرئيل من هذه الجمله، و نصّ الآيه الشريفه كون روح القدس منها أيضا، و قد يفسّر بالرّوح الأمين و هو جبرئيل، و لكن الظاهر أنّه غيره كما يدلّ عليه ما روى عن الصّادق عليه السّلام، قال: إنّ الرّوح أعظم من جبرئيل إنّ جبرئيل من الملائكه و الرّوح هو خلق أعظم من الملائكه، أليس يقول اللّه تبارك و تعالى: تنزّل الملائكه و الروح.

و فى شرح الصّحيفه قال: أتى رجل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام يسأله عن الرّوح أليس هو جبرئيل؟ فقال له: جبرئيل من الملائكه و الرّوح غير جبرئيل، فقال له:

لقد قلت عظيما من القول، ما أحد يزعم أن الرّوح غير جبرئيل، فقال له على عليه السّلام:

إنك ضال تروى عن أهل الضّلال، يقول اللّه تبارك و تعالى لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله:

«أَتى أَمْرُ اللّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحانَهُ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ يُنَزِّلُ الْمَلائِكَهَ بِالرُّوحِ » و الرّوح غير جبرئيل.

و عنه عليه السّلام أيضا انّ له سبعين ألف وجه، و لكلّ وجه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون لغه يسبّح اللّه تعالى بتلك اللغات كلّها، و يخلق اللّه تعالى من

تسبيحه ملكا يطير مع الملائكه، و لم يخلق اللّه أعظم من الرّوح غير العرش، و لو شاء أن يبلغ السّماوات السّبع و الأرضين السّبع بلقمه واحده لفعل، فسبحان من هو على كلّ شيء قدير، و مثلهما فى البحار.

(و) القسم الثّالث (منهم الحفظه لعباده) ظاهر العباره أنّ المراد بهم حفظه العباد من المعاطب و المهالك لا الحفظه عليهم يحفظون على العبد عمله، فهم من اشير اليهم فى قوله:

«لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ » روى فى المجمع عن على عليه السّلام أنّهم ملائكه يحفظونه من المهالك حتّى ينتهوا به إلى المقادير.

و فى الصّافى عن علىّ بن إبراهيم، عن الصّادق عليه السّلام إنّ هذه الآيه قرئت عنده، فقال لقاريها: ألستم عربا؟ فكيف يكون المعقّبات من بين يديه و إنّما المعقّب من خلفه، فقال الرّجل جعلت فداك: كيف هذا؟ فقال: إنّما نزلت له: معقّبات من خلفه، و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر اللّه، و من ذا الذى يقدر أن يحفظ لشىء من أمر اللّه و هم الملائكه الموكلون بالنّاس، و مثله عن العيّاشى.

و عنه أيضا عن الباقر عليه السّلام من أمر اللّه يقول بأمر اللّه من أن يقع فى ركى(۱) ، أو يقع عليه حايط، أو يصيبه شىء حتّى إذا نزل القدر خلوا بينه و بينه يدفعونه إلى المقادير و هما ملكان يحفظانه بالليل، و ملكان يحفظانه بالنّهار يتعاقبانه (و السّدنه لأبواب جنانه) أى المتولون لأبواب الجنان بفتحها و إغلاقها و إدخال من اذن لهم بالدّخول.

أقول: أمّا الجنان فعلى ما اشير إليه فى القرآن ثمان: جنه النّعيم و جنه الفردوس و جنه الخلد و جنه الماوى و جنه عدن و دار السّلام و دار القرار و جنه عرضها السّماوات و الأرض، و فى بعض كتب الأخبار تسميه الأخيره بالوسيله.

ص:۲۶

---

۱- (۱) الركى هو البئر منه

و أمّا أبوابها فثمانيه أيضا على ما فى بعض كتب الأخبار: الباب الاول اسمه التّوبه و الثانى الزكاه و الثالث الصّلاه و الرابع الأمر و النهى و الخامس الحجّ و السادس الورع و السابع الجهاد و الثامن الصّبر.

و فى الصّافى عن الخصال، عن الصّادق عن أبيه، عن جدّه، عن علىّ عليهم السّلام قال: إنّ للجنّه ثمانيه أبواب: باب يدخل منه النّبيّون و الصّديقون، و باب يدخل منه الشّهداء و الصّالحون، و خمسه أبواب يدخل منها شيعتنا و محبّونا، فلا أزال واقفا على الصّراط أدعو و أقول ربّ سلّم شيعتى و محبّى و أنصارى و أوليائى و من تولّانى فى دار الدّنيا، فاذا النداء من بطنان(۱) العرش قد اجيبت دعوتك، و شفعت فى شيعتك و يشفع كلّ رجل من شيعتى و من تولانى و نصرنى و حارب من حاربنى بفعل أو قول فى سبعين ألفا من جيرانه و أقربائه، و باب يدخل منه ساير المسلمين ممّن يشهد أن لا إله إلاّ اللّه و لم يكن فى قلبه مثقال ذره من بغضنا أهل البيت.

و عن الباقر عليه السّلام أحسنوا الظنّ باللّه و اعلموا أنّ للجنّه ثمانيه أبواب عرض كلّ باب منها مسيره أربعمائه سنه.

و أمّا سدنتها و خزّانها فقد اشير إليه فى سوره الزّمر، قال سبحانه:

«وَ سِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّهِ زُمَراً حَتّى إِذا جاؤُها وَ فُتِحَتْ أَبْوابُها وَ قالَ لَهُمْ خَزَنَتُها سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوها خالِدِينَ » و فى الأنوار فى حديث المحشر فاذا أتوا إلى رضوان اللّه و هو جالس على باب الجنّه و معه سبعون ألف ملك، مع كلّ ملك سبعون ألف ملك فينظر إليهم و هم فى أقبح صوره من سواد البدن و طول الشّعر و كونهم عزلا(۲) بلا ختان، فقال لهم: كيف تدخلون الجنّه و تعانقون



---

۱- (۱) اى وسطه منه

۲- (۲) و عزل عزلا من باب تعب اذا لم يختن، مجمع البحرين

الحور العين على هـذه الهيئه؟ فيأمر جماعه من الملائكه الواقفين أمامه فيـذهبون بالمؤمنين إلى عين ماء عنـد جـدار الجنّه، و هى عين الحياه فاذا اغتسلوا فيها صار وجه كلّ واحد منهم كالبدر فى تمامه و تسقط شعورهم و غلفهم(۱) و تبيضّ قلوبهم من النّفاق و الحسـد و الكذب و الرّذائل و الأوصاف الذّميمه حتّى لا يتحاسدوا فى الجنّه بعلوّ الدّرجات و التّفاوت فى المراتب، فيصـير كلّ واحد منهم بصوره ابن أربعه عشـر سنه، و يعطى حسن يوسف، و صوت داود، و صبر أيوب، فاذا أتوا إلى باب الجنّه وجدوا على بابها حلقه تطنّ (۲) عند كلّ من يدخلها و يقول فى طنينها: يا على، لكنها تطنّ عند كلّ داخل بطنين خاصّ ليس كالطنين الآخر، فيعرف بذلك الطنين أهل المؤمن فى منازله و خدمه و حور العين إن هذا فلان فيأتون لاستقباله هذا.

و قـد اشـير إلى طـايفه من السّـدنه و الأـبواب فى حـديث الجنـان و النـوق من روضه الكـافى، و هو مـا رواه الكلينى عن علىّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب عن محمّد بن اسـحاق المدنى عن أبى جعفر عليه السّـلام، قال: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله سئل عن قول اللّه:

«يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمنِ وَفْداً » فقال: يا علىّ إنّ الوفد لا يكونون إلاّ ركبانا، اولئك رجال اتّقوا اللّه فأحبّهم اللّه عزّ ذكره و اختصهم و رضى أعمالهم فسمّاهم المتّقين.

ثم قـال له: يا على أما و الـذى فلق الحبّه و برىء النّسـمه إنّهم ليخرجون من قبورهم، و إنّ الملائكه لتسـتقبلهم بنوق من نوق العزّ عليها رحائل الذّهب مكلّله بالدّر

ص:۲۸

---

۱- (۱) و غلف غلفا من باب تعب اذا لم يختن فهو اغلف و الانثى غلفاء و الجمع غلف من باب احمر، مصباح اللغه

۲- (۲) طن الذباب و غيره يطن من باب ضرب طنينا صوت، مصباح.

و الياقوت و جلائلها(۱) الاستبرق و السّندس و خطمها(۲) جندل الأرجوان، تطير بهم إلى المحشر مع كلّ رجل منهم ألف ملك من قدامه و عن يمينه و عن شماله يزفونهم(۳) زفّا حتّى ينتهوا بهم الى باب الجنّه الأعظم و على باب الجنّه شجره إنّ الورقه منها ليستظلّ تحتها ألف رجل من النّاس، و عن يمين الشّجره عين مطهره مزكيه، قال:

فيسقون منها فيطهر اللّه بها قلوبهم من الحسد، و يسقط عن أبشارهم الشّعر و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً » من تلك العين المطهره.

قال: ثم يصرفون إلى عين أخرى عن يسار الشّجره فيغتسلون فيها و هى عين الحياه فلا يموتون أبدا.

قال: ثمّ يوقف بهم قدام العرش و قد سلموا من الآفات و الأسقام و الحرّ و البرد أبدا، قال: فيقول الجبار جلّ ذكره للملائكه الذين معهم: احشروا أوليائى إلى الجنّه و لا توقفوهم مع الخلايق، فقد سبق رضائى عنهم و وجبت رحمتى لهم و كيف اريد أن أوقفهم مع أصحاب الحسنات و السيّئات.

قال، فتسوقهم الملائكه إلى الجنّه، فاذا انتهوا إلى باب الجنّه الأعظم ضرب الملائكه ضربه تصرّ صريرا يبلغ صوت صريرها كلّ حوراء أعدّها اللّه عزّ و جلّ لأوليائه فى الجنان، فيتباشرون بهم إذا سمعوا صرير الحلقه، فيقول بعضهم لبعض:

قد جاءنا أولياء اللّه، فيفتح لهم الباب فيدخلون الجنّه، و تشرف عليهم أزواجهم من



---

۱- (۱) جمع جلال بكسر الجيم و هو جمع جل بالضم منه

۲- (۲) جمع خطام چو بهائى كه در بينى شتران مى گذارند بجهت فرمانبردارى ملا خليل.

۳- (۳) الزف بردن جمعى كسى را بسوى كسى از روى مثل بردن عروس سوى داماد ملا خليل.

الحور العين و الآدميّين، فيقلن: مرحبا بكم، فما كان أشدّ شوقنا إليكم و يقول لهنّ أولياء اللّه: مثل ذلك.

فقال على عليه السّلام: يا رسول اللّه أخبرنا عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«غُرَفٌ مِنْ فَوْقِها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ » بماذا بنيت يا رسول اللّه؟ فقال صلّى اللّه عليه و آله: يا على تلك غرف بناها اللّه عزّ و جلّ لاوليائه بالدّر و الياقوت و الزّبرجد، سقوفها الذّهب، محبوكه بالفضه، لكلّ غرفه منها ألف باب من ذهب، على كلّ باب منها ملك موكل به، فيها فرش مرفوعه بعضها فوق بعض من الحرير و الدّيباج بألوان مختلفه، و حشوها المسك و الكافور و العنبر، و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ.

«وَ فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ » إذا دخل المؤمن إلى منازله فى الجنّه و وضع على رأسه تاج الملك و الكرامه البس حلل الذّهب و الفضه و الياقوت و الدّر المنظومه فى الاكليل(۱) تحت التاج.

قال: و البس سبعين حلّه حريرا بألوان مختلفه و ضرب مختلفه منسوجه بالذّهب و الفضّه و اللّؤلؤ و الياقوت الأحمر، فذلك قول اللّه عزّ و جلّ:

«يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَ لُؤْلُؤاً وَ لِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ » فاذا جلس المؤمن على سريره اهتزّ سريره فرحا، فاذا استقر لولىّ اللّه عزّ و جلّ منازل له فى الجنان استاذن عليه الملك الموكل بجناته ليهنّيه بكرامه اللّه عزّ و جلّ اياه، فيقول له خدّام المؤمن من الوصفاء و الوصايف: مكانك(۲) ، فانّ ولىّ اللّه قد اتّكأ على أريكته(۳) و زوجته الحوراء تهيّأ له فاصبر لولى اللّه.

قال: فتخرج عليه زوجته الحوراء من خيمه لها تمشى مقبله و حولها و صايفها و عليها سبعون حله منسوجه بالياقوت و اللؤلؤ و الزّبرجد هى من مسك و عنبر



---

۱- (۱) هو العصابه منه

۲- (۲) اى الزم مكانك

۳- (۳) هو المتكاء منه

و على رأسها تاج الكرامه، و عليها نعلان من ذهب مكلّلتان بالياقوت و اللؤلؤ، شراكهما ياقوت أحمر، فاذا دنت من ولىّ اللّه فهمّ أن يقوم إليها شوقا، فتقول له: يا ولىّ اللّه ليس هذا يوم تعب و لا نصب و أنت لى.

قال: فيعتنقان مقدار خمسمائه عام من أعوام الدّنيا لا يملّها و لا تملّه.

قال: فاذا فتر بعض الفتور من غير ملاله نظر إلى عنقها، فاذا عليها قلائد من قصب من ياقوت أحمر، وسطها لوح صفحته درّه مكتوب بها: أنت يا ولىّ اللّه حبيبى و أنا الحوراء حبيبتك إليك تناهت نفسى و إلىّ تناهت نفسك، ثمّ يبعث اللّه إليه الف ملك يهنّونه بالجنّه و يزوّجونه بالحوراء.

قال: فينتهون إلى أوّل باب من جنانه «جناته خ ل»، فيقولون للملك الموكل بأبواب جنانه: استاذن لنا على ولىّ اللّه فان اللّه بعثنا إليه تهنيه، فيقول لهم الملك:

حتّى أقول للحاجب فيعلّمه مكانكم.

قال: فيدخل الملك إلى الحاجب و بينه و بين الحاجب ثلاث جنان حتّى ينتهى إلى أوّل باب، فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصه ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين ليهنّئوا ولىّ اللّه، و قد سألونى أن آذن لهم، فيقول الحاجب: إنّه ليعظم علىّ أن أستأذن لأحد على ولى اللّه و هو مع زوجته الحوراء.

قال: و بين الحاجب و بين ولىّ اللّه جنّتان.

قال: فيدخل الحاجب إلى القيم، فيقول: له إنّ على باب العرصه ألف ملك، أرسلهم ربّ العزّه يهنّون ولىّ اللّه فاستأذن لهم فيقدم القيم إلى الخدّام، فيقول لهم: إنّ رسل الجبار على باب العرصه، و هم ألف ملك، أرسلهم يهنّون ولىّ اللّه فأعلموه بمكانهم، فيعلمونه فيؤذن للملائكه فيدخلون على ولى اللّه، و هو فى الغرفه و لها ألف باب، و على كلّ باب من أبوابها ملك موكل به، فاذا أذن للملائكه بالدخول على ولى اللّه فتح كلّ ملك بابه الموكل به.

قال: فيدخل القيم كلّ ملك من باب من أبواب الغرفه، فيبلّغون رساله الجبار

جلّ و عزّ، و ذلک قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ الْمَلائِکَهُ یَدْخُلُونَ عَلَیْهِمْ مِنْ کُلِّ بابٍ » من أبواب الغرفه، «سَلامٌ عَلَیْکُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَی الدّارِ » قال: و ذلک قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ إِذا رَأَیْتَ ثَمَّ رَأَیْتَ نَعِیماً وَ مُلْکاً کَبِیراً » یعنی بذلک ولی اللّه و ما هو فیه من الکرامه و النّعیم و الملک العظیم الکبیر، إنّ الملائکه من رسل اللّه عزّ ذکره یستأذنون علیه فلا یدخلون إلاّ باذنه فذلک الملک العظیم الکبیر الحدیث.

(و) القسم الرّابع (منهم الثابته فی الأرضین السّفلی أقدامهم) و عن بعض النّسخ فی الارض السّفلی اقدامهم قال فی البحار: و هو أظهر، و الجمع علی الأوّل إمّا باعتبار القطعات و البقاع، أو لأن کلاّ من الأرضین السّبع موضع قدم بعضهم و الوصف علی الأوّل بالقیاس إلی سایر الطبقات، و علی الثّانی بالقیاس إلی السّماء (و المارقه) أی الخارجه (من السّماء العلیا) و هی السّابعه (أعناقهم و الخارجه من الأقطار) ای من جوانب الأرض أو جوانب السّماء (أرکانهم) و هذا إشاره إلی ضخامتهم و عرضهم (و المناسبه لقوایم العرش أکتافهم) و المراد بالتّناسب إمّا القرب أو الشّباهه فی العظم، فان العرش علی عظمه حسبما تعرفه فی الأخبار الآتیه و کفی بذلک کونه محیطا بجمیع المخلوقات و کون الأرضین و السّماوات جمیعا و ما فیها عنده کحلقه فی فلاه، له أربع قوائم.

کما رواه فی البحار، عن الدّرّ المنثور، عن حماد قال: خلق اللّه العرش من زمرّده خضراء، و له أربع قوائم من یاقوته حمراء، و خلق له ألف لسان، و خلق فی الأرض ألف أمه یسبّح اللّه بلسان العرش.

«ج ۲»

ص:۳۲

و فيه أيضا من روضه الواعظين، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جده عليهم السّلام أنّه قال: فى العرش تمثال ما خلق اللّه من البرّ و البحر، و هذا تأويل قوله:

«وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ » و إنّ بين القائمه من قوائم العرش و القائمه الثّانيه خفقان الطير المسرع مسير ألف عام، و العرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النّور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق اللّه، و الأشياء كلّها فى العرش كحلقه فى فلاه، و إنّ للّه تعالى ملكا يقال له: خرقائيل له ثمانيه عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائه عام، فخطر له خاطر هل فوق العرش شيء، فزاده اللّه تعالى مثلها أجنحه اخرى، فكان له ستّ و ثلاثون ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائه عام، ثمّ أوحى اللّه اليه أيّها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأسه قائمه من قوائم العرش، ثم ضاعف اللّه له فى الجناح و القوه و أمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضا فاوحى اللّه إليه أيّها الملك لو طرت إلى نفخ الصّور مع أجنحتك و قوّتك لم تبلغ إلى ساق عرشى فقال الملك:

سبحان ربّى الأعلى و بحمده، فأنزل اللّه عزّ و جلّ: «سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى » فقال النّبى صلّى اللّه عليه و آله: اجعلوها فى سجودكم.

و من إكمال الدين باسناده عن ليث بن أبى سليم، عن مجاهد، قال: قال ابن عبّاس: سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول: إنّ للّه تبارك و تعالى ملكا يقال له: دردائيل، كان له ستّه عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى الجناح هواء، و الهواء كما بين السّماء و الأرض، فجعل يوما يقول فى نفسه(۱): أ فوق ربّنا جلّ جلاله شيء؟ فعلم اللّه تبارك و تعالى ما قال، فزاده أجنحه مثلها، فصار له اثنان و ثلاثون الف جناح، ثم أوحى اللّه عزّ و جل



---

۱- (۱) لعله كان ذلك محض خطور البال بغير شك لئلا ينافى العصمه، مجلسى طاب ثراه

إليه، فطار مقدار خمسمائه عام فلم ينل رأسه قائمه من قوائم العرش، فلما علم اللّه عزّ و جلّ اتعابه أوحى إليه أيّها الملک عد إلى مكانک، فأنا عظيم فوق كل عظيم، و ليس فوقى شىء و لا أوصف بمكان، فسلبه اللّه عزّ و جلّ أجنحته و مقامه من صفوف الملائكه، فلمّا ولد الحسين عليه السّلام هبط جبرئيل فى ألف قبيل من الملائكه لتهنيه النبى صلّى اللّه عليه و آله فمرّ بدردائيل، فقال له: سل النبىّ بحق مولوده أن يشفع لى عند ربّى، فدعا له النّبى صلّى اللّه عليه و آله بحق الحسين عليه السّلام فاستجاب اللّه دعائه و ردّ عليه أجنحته و رده إلى مكانه هذا.

و يحتمل أن يكون المراد بالمناسبه فى كلامه عليه السّلام التّماسّ، فالمراد بهم حمله العرش، بل هذا هو الظاهر بملاحظه أنّ الأوصاف المذكوره فى كلامه عليه السّلام قد اثبتت فى الأخبار الكثيره على هؤلاء الطائفه.

مثل ما روى عن ابن عبّاس فى تفسير قوله تعالى:

«وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمانِيَةٌ » قال: يقال: ثمانيه صفوف من الملائكه لا يعلم عدّتهم إلاّ اللّه، و يقال ثمانيه أملاک رؤسهم تحت العرش فى السّماء السّابعه، و أقدامهم فى الأرض السّفلى، و لهم قرون كقرون الوعله، ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائه عام.

و عن الخصال باسناده عن حفص بن غياث، قال سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول:

إنّ حمله العرش ثمانيه، لكل واحد منهم ثمانيه أعين، كلّ عين طباق الدّنيا.

و عن تفسير الامام عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: انّ اللّه لمّا خلق العرش خلق له ثلاثمأه و ستين ألف ركن، و خلق عند كلّ ركن ثلاثمأه الف و ستين الف ملک لو أذن اللّه لأصغرهم فالتقم السّماوات السبع و الأرضين السّبع ما كان بين لهواته إلاّ كالرمله فى المفازه الفصفاصه(۱) ، فقال لهم اللّه: يا عبادى احملوا عرشى هذا فتعاطوه فلم يطيقوا حمله و لا تحريكه، فخلق اللّه عزّ و جلّ مع كلّ واحد منهم واحدا فلم يقدروا أن يزعزعوه، فخلق اللّه مع كلّ واحد منهم عشره فلم يقدروا أن يحرّكوه، فخلق اللّه بعدد كلّ واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحرّكوه، فقال اللّه عزّ و جل



۱- (۱) الواسعه جوهرى.

لجميعهم: خلوه عليّ امسكه بقدرتى، فخلوه فأمسكه اللّه عزّ و جلّ بقدرته، ثم قال لثمانيه منهم احملوه أنتم، فقالوا: يا ربّنا لم نطقه نحن و هذا الخلق الكثير و الجمّ الغفير فكيف نطيقه الآن دونهم؟ فقال عزّ و جل: لأنّى أنا اللّه المقرب للبعيد و المذلل للعبيد و المخفف للشّديد و المسهّل للعسير أفعل ما أشاء و أحكم ما أريد أعلمكم كلمات تقولونها يخف بها عليكم، قالوا و ما هى؟ قال: تقولون:

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و لا حول و لا قوه إلا باللّه العلى العظيم و صلى اللّه على محمّد و آله الطيبين فقالوها، فحملوه، فخفّ على كواهلهم كشعره نابته على كاهل رجل جلد قوى فقال اللّه عزّ و جلّ لساير تلك الأملاك: خلوا على هؤلاء الثمانيه و طوفوا أنتم حوله و سبّحونى و مجدونى و قدسونى، فأنا اللّه القادر على ما رأيتم و على كلّ شىء قدير و عن وهب قال حمله العرش اليوم أربعه فاذا كان يوم القيامه أيدوا بأربعه آخرين ملك منهم فى صوره إنسان يشفع لبنى آدم فى ارزاقهم و ملك فى صوره نسر يشفع للطير فى أرزاقهم و ملك فى صوره ثور يشفع للبهائم فى أرزاقها(۱) و ملك فى صوره الأسد يشفع للسّباع فى أرزاقها، فلمّا حملوا العرش وقعوا على ركبهم(۲) من عظمه اللّه، فلقّنوا لا حول و لا قوه إلّا باللّه، فاستووا قياما على أرجلهم.

و عن ابن زيد قال لم يسمّ من حمله العرش إلّا إسرافيل.

و عن هارون بن رئاب، قال: حمله العرش ثمانيه يتجاوبون بصوت ضخيم، يقول أربعه منهم:

سبحانك و بحمدك على حلمك بعد علمك، و أربعه منهم يقولون:

سبحانك و بحمدك على عفوك بعد قدرتك. هذا و لا ينافى هذه الأخبار ما وردت فى الأخبار الأخر من أنّ حمله العرش ثمانيه أربعه من الأولين، و هم نوح و إبراهيم و موسى و عيسى عليهم السّلام، و أربعه



---

۱- (۱) و فى الخصال عن الصادق عليه السّلام و نكس الثور راسه منذ عبد بنو اسرائيل العجل: منه

۲- (۲) جمع ركبه كغرف و غرفه، منه

من الآخرين، و هم محمّد و علىّ و الحسن و الحسين صلوات اللّه عليهم. لأنّ العرش فى الأخبار الأوله الجسم المحيط بالمخلوقات، و فى هذه الأخبار هو العلم لانّه أحد معانيه كما عرفته فى شرح الفصل الخامس من فصول هذه الخطبه و صرّح بما ذكرناه الصّدوق فى اعتقاداته حيث قال: و إنّما صارت هؤلاء حمله العرش الذى هو العلم، لأنّ الانبياء الذين كانوا قبل نبيّنا محمّد صلّى اللّه عليه و آله على شرايع الاربعه من الاولين:

نوح و إبراهيم و موسى و عيسى، و من قبل هؤلاء الأربعه صارت العلوم إليهم، و كذلك صار العلم بعد محمّد و علىّ و الحسن و الحسين إلى من بعد الحسين من الأئمه عليهم السّلام.

(ناكسه دونه) أى دون العرش (أبصارهم) إما لكثره نور العرش كما يدلّ عليه ما روى عن ميسره، قال: ثمانيه أرجلهم فى التخوم[(۱)] و رؤوسهم عند العرش لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النّور، و إما لزياده الخوف كما روى عنه أيضا قال: حمله العرش أرجلهم فى الأرض السّفلى و رؤوسهم قد خرقت العرش و هم خشوع لا يرفعون طرفهم و هم أشدّ خوفا من أهل السّماء السّابعه و أهل السّماء السّابعه أشدّ خوفا من السّماء التى تليها و السّماء التى تليها أشدّ خوفا من التى تليها، و فى دعاء الصحيفه السّجاديه على داعيه أفضل السّلام و التحيّه فى وصف الملائكه:

«الخشّع الأبصار فلا يرومون النّظر إليك، النّواكس الأذقان الّذين قد طالت رغبتهم فيما لديك».

و فى التّوحيد باسناده عن وهب عن ابن عباس عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: إنّ للّه تبارك و تعالى ملائكه ليس شىء من أطباق أجسادهم إلاّ و هو يسبّح اللّه عزّ و جلّ و يحمده بأصوات مختلفه لا يرفعون رؤوسهم إلى السّماء و لا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء و الخشيه (متلفعون تحته) أى تحت العرش (بأجنحتهم) روى الشّارح البحرانى عن وهب قال: إنّ لكلّ ملك من حمله العرش و من



---

۱- (۱) تخوم الارض حدودها، منه

حوله أربعه أجنحه امّـا جناحـان فعلى وجهه مخافه أن ينظر الى العرش فيصـعق و امّا جناحان فيلفون (فيهفون خ ل)(١) بهما ليس لهم كلام إلاّ التسبيح و التّحميد.

و فى الأنوار روى أنّ صـنفا من الملائكه لهم ستّه أجنحه فجناحان يلفّون بهما أجسادهم و جناحان يطيرون بهما فى أمر من أمور اللّه و جناحـان مرخيـان على وجوههم حيـاء من اللّه و حينئـذ فكـلّ جنـاحين لغرض مخصوص، و به يظهر فائـده الجنـاح الثّـالث المشار اليه فى قوله سبحانه:

«أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنى وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ ».

ثمّ إن هذا فى جانب القلّه، و أمّا فى جانب الكثره فيزيد اللّه سبحانه فيهم ما يشاء و هو على كلّ شيء قدير (مضروبه بينهم و بين من دونهم) من الملاـئكه أو البشـر أو الجنّ أو الأـعمّ (حجب العزّه و أسـتار القـدره) المـانعه عن إدراك ذواتهم و الاطلاـع على شئوناتهم.

و توضيـحه بالتّمثيـل انّ ملوك الـدّنيا إذا بلغوا فى العزّ و العظمه مرتبه الغايه القصوى لا يصل إلى حضور خواصّه فضـلا عن ذاته إلاّ الأوحدى من النّاس، و لا يراهم إلاّ من كان له معهم علقه شديده و وسـيله قويه، و الحاجب عن ذلك ليس الا هيبه السّلطنه و قـدره الملـك و عظمته و إذا كـان هـذا حـال خواص السّـلطنه العـاريه و الملوك الـذين هم فى الحقيقه مملوك، فشـأن خواص الحضـره الرّبوبيّه و ملك الملوك أعلى و استناد الحايل عن إدراك مقاماتهم و درجاتهم إلى حجب العزّه و أستار القدره أحرى (و لاـ يتوهمون ربّهم بـالتّصوير) لكونهم منزّهين عن الادراكـات الوهميّه و الخيـاليه فى حق مبـدئهم و خالقهم جلّت عظمته، لأنّ عقولهم صافيه غير مشوبه بالتّوهمات و التخيّلات (و لا يجرون عليه صـفات المصـنوعين، و لا يحدّونه بالاماكن، و لا يشيرون اليه بالنظاير) لأنّ إجراء الصّـفات و التّحديـد بالأماكن و الاشاره بالنّظاير إنما هو من مخترعات الواهمه و المتخيّله المختصّتين بذوات الأمزجه العنصريه الغير



---

١- (١) هف الطائر اذا اخفق، منه

الجائزتین فی حقّ الملائکه السّماویه و مقرّبی الحضره الرّبوبیّه، هذا تمام الکلام فی شرح حال الملائکه حسبما اقتضاه المقام و یأتی شطر منه عند شرح بعض الخطب الآتیه المقتضیه لذلک کخطبه الأشباح و غیرها، و اللّه الموفّق و المعین.

**الترجمه**

پس منشق کرد و گشود خداوند سبحانه و تعالی میان آسمانهائی که بلند هستند، پس پر کرد آن طبقات را با أصناف مختلفه از ملائکه و فرشتگان خود، پس بعضی از ایشان ساجدانند که رکوع نمی کنند، و بعضی راکعانند که راست نمی ایستند، و بعضی دیگر صف زدگانند که از صفوف و مکانهای خود زایل نمی شوند، و طائفهٔ تسبیح کنندگانند که ملال و پریشانی نمی آورند، عارض نمی شود بایشان خواب چشمها و نه سهو عقلها و نه سستی بدنها و نه غفلت فراموشی، و بعضی دیگر امینانند بر وحی او و زبان های صدقند در رسانیدن فرمایشات او به پیغمبران و تردّد کنندگانند بقضاء و امر او، و بعضی دیگر از ایشان حافظانند بندگان خدا را از مکاره و مهالك، و طایفه دیگر دربانان و خازنانند از برای درهای بهشت های او، و بعضی دیگر از ایشان آنانند که ثابت است در زمین های زیرین قدم های ایشان و بیرون رفته از آسمان بلند گردنهای ایشان و خارج است از أطراف زمین و آسمان أعضا و جوارح ایشان، و مناسبست با قائمه های عرش دوشهای ایشان و پائین افتاده در زیر عرش چشمان ایشان، پیچیده شده اند در زیر عرش ببالهای خودشان، زده شده میان آنها و میان فروتر از آنها پرده های عزت و سترهای قدرت و عظمت در حالتی که توّهم نمی کنند پروردگار خودشان را بصورت در آوردن، و اجراء نمی کنند بر او صفات مخلوقات را و تحدید نمی کنند او را بمکان ها و اشاره نمی کنند بسوی او بنظایر و أمثال و نعم ما قیل:

برتر است از مدرکات عقل و وهم لا جرم گم گشت در وی فکر و فهم

چون بکلی روی گفت و گوی نیست هیچکس را جز خموشی روی نیست

### الفصل العاشر منها فی صفه آدم علیه السّلام

#### اشاره

ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها، تربه سنّها بالماء حتّی خلصت، و لاطها بالبلّه حتّی لزبت، فجبل (فجعل خ) منها صوره ذات أحناء و وصول، و أعضاء و فصول، أجمدها حتّی استمسکت، و أصلدها حتّی صلصلت، لوقت معدود، و أجل معلوم، و نفخ فیها من روحه فتمثّلت إنسانا ذا أذهان یجیلها، و فکر یتصرّف بها، و جوارح یختدمها، و أدوات یقلّبها، و معرفه یفرّق بها بین الحقّ و الباطل، و الأذواق و المشامّ، و الألوان و الأجناس، معجونا بطینه الألوان المختلفه، و الأشباه المؤتلفه، و الأضداد المتعادیه، و الأخلاط المتباینه، من الحرّ و البرد، و البلّه و الجمود، و المسائه و السّرور.

#### اللغه

(الحزن) من الأرض ما غلظ منها و هو علی وزن فلس (و السّهل) خلافه (و العذب) من الأرض ما طاب منها و استعد للنّبات (و السّبخ) کفلس أیضا المالحه منها یعلوها الملوحه الغیر الصّالحه للنّبات و لا تکاد تنبت إلّا بعض الأشجار و مثله السّبخه بفتح الموحده و سکونها أیضا تخفیفا واحده السّباخ مثل کلبه و کلاب بالکسر أیضا یجمع علی سبخات مثل کلمه و کلمات (و التّربه) التّراب و الجمع ترب کغرفه و غرف (سنها بالماء) من سننت الماء علی الأرض صببتها (و لاطها) أی مزجها من لاط الشّیء بالشیء لوطا لصق (و البله) بالکسر الرّطوبه من البلل

(و اللّزوب) الاشتداد يقال لزب الشّىء لزوبا من باب قعد اشتدّ، و طين لازب يلزق باليد لاشتداده (فجبل) و فى بعض النّسخ (فجعل) و كلاهما بمعنى خلق (و احناء) جمع حنو و هو الجانب و (وصول) جمع الوصل كما أنّ (فصول) جمع الفصل و هما كلّ ملتقى عظمين فى الجسد يطلق عليه باعتبار اتّصال أحد العظمين بالآخر وصولا و أوصالا، و باعتبار انفصال أحدهما عن الآخر فصولا و مفاصل.

و تفسير الشّارح البحرانى الوصول بالمفاصل غير مناسب لما عرفت من ترادف المفاصل للفصول و إن كان محل الوصل عين محلّ الفصل إلاّ أنّ التّغاير بحسب الاعتبار موجود و ملحوظ نعم مصداقهما متّحد (و أصلدها) من الصّلد و هو الصلب المتين و (صلصل) الشىء صلصله إذا صوّت يقال صلصل الحديد و صلصل الرّعد و الصّلصال الطين اليابس الغير المطبوخ الذى يسمع له عند النّقر صوت كما يصوت الفخار و هو المطبوخ من الطين، و قيل: إنّ الصّلصال هو الطين المنتن مأخوذ من صلّ اللحم و أصلّ إذا صار منتنا، و هو ضعيف لما سنذكره (فتمثّلت) أى تصورت و فى بعض النّسخ فمثلت من مثل بين يديه مثولا من باب قعد انتصب قائما (و الأذهان) جمع الذّهن و هو الفطنه و فى الاصطلاح القوى الباطنه المدركه (و الاختدام) الاستخدام (و الأدوات) الآلات (و المشام) جمع المشموم لما يشم كالمأكول لما يؤكل (معجونا) من عجنه عجنا أى خمره و العجين الخمير (و الطينه) الخلقه و الجبله (و الاشباه) جمع الشبه المثل و النظير.

### الاعراب

كلمه حتّى فى قوله حتّى خلصت و حتّى لزبت حرف ابتداء يبتدء بها الجمل المستأنفه مثل قوله:

«ثُمَّ بَدَّلْنا مَكانَ السَّيِّئَهِ الْحَسَنَهَ حَتّى عَفَوْا ».

و ذهب ابن مالك إلى أنّها جاره و أنّ بعدها ان مضمره قال ابن هشام: و لا أعرف له فى ذلك سلفا و فيه تكلّف اضماران من غير ضروره، و لفظه ذات منصوبه على

الوصفيه مؤنثه ذو، و جمله أجمدها لا محلّ لها من الاعراب لأنّها مستأنفه بيانيّه فكأنّه قيل: ثم فعل بها ما ذا؟ فقال: أجمدها و تحتمل الانتصاب على الحاليه، و الضمير فيه و فى أصلدها راجع إلى الصّوره، و اللّام فى قوله عليه السّلام لوقت معدود للتّعليل أو بمعنى إلى، و الضمير فى قوله عليه السّلام: نفخ فيها راجع إلى الصّوره أيضا، و كلمه من فى قوله من روحه زائده أو تبعّضيه أو نشويه بناء على الاختلاف فى معنى الرّوح حسبما تعرفه، و معجونا منتصب على الحاليّه من انسانا و يحتمل الوصفيه له، و كلمه من فى قوله: من الحرّ و البرد بيانيه.

**المعنى**

(منها فى صفه آدم عليه السّلام) يعنى بعض هذه الخطبه فى صفته عليه السّلام فانّه عليه السّلام لمّا فرغ من اظهار قدره اللّه سبحانه فى عجائب خلقه الملكوت و السّماوات و بدايع صنعته فى ايجاد الفضاء و الهواء و المجرّدات أشار إلى لطائف صنعه فى العنصريات من ايجاد الانسان و اختياره على الأشباه و الأقران لكونه نسخه جامعه لما فى عالم الملك و الملكوت، و نخبه مصطفاه من رشحات القدره و الجبروت،

أ تزعم أنک جرم صغيرو فيک انطوى العالم الاکبر

فقال عليه السّلام:(ثمّ جمع سبحانه) اسناد الجمع إليه تعالى من التّوسع فى الاسناد من باب بنى الأمير المدينه إذ الجمع حقيقه فعل ملک الموت بأمر اللّه سبحانه بعد أن اقتضت الحكمه خلقه آدم و جعله خليفه فى الأرض.

قال سيد بن طاوس فى کتاب سعد السّعود على ما حكى عنه فى البحار:

وجدت فى صحف إدريس من نسخه عتيقه أنّ الأرض عرّفها اللّه جلّ جلاله أنّه يخلق منها خلقا فمنهم من يطيعه و منهم من يعصيه، فاقشعرت الأرض و استعفت إليه و سألته أن لا يأخذ منها من يعصيه و يدخله النّار و أنّ جبرئيل أتاها ليأخذ عنها طينه آدم عليه السّلام فسألته بعزّه اللّه أن لا يأخذ منها شيئا حتّى يتضرّع إلى اللّه و تضرّعت فأمره اللّه بالانصراف عنها، فأمر اللّه ميكائيل فاقشعرّت و تضرّعت و سألت فأمره اللّه الانصراف عنها، فأمر اللّه تعالى اسرافيل بذلک فاقشعرّت و سألت و تضرّعت فأمره

اللّه بالانصراف عنها، فأمر عزرائيل فاقشعرّت و تضرّعت فقال: قد أمرنى ربّى بأمر أنا ماض سرّك ذاك أم سائك فقبض منها كما أمره اللّه ثمّ صعد بها إلى موقفه فقال اللّه له: كما وليت قبضها من الأرض و هو كاره كذلك تلى قبض أرواح كلّ من عليها و كلّما قضيت عليه الموت من اليوم إلى يوم القيامه و مضمون هذه الرّوايه مطابق لأخبار أهل البيت عليهم السّلام، فانّ الموجود فيها أيضا أنّ القابض هو عزرائيل و أنّه قبض (من حزن الأرض و سهلها و عذبها و سبخها) أى من غليظها و ليّنها و طيبها و مالحها، و هذه إشاره إلى أنّ القبضه المأخوذه من غير محلّ واحد من وجه الأرض و يوافقه ساير الأخبار، و لعلّ ذلك هو السّر فى تفاوت أنواع الخلق لاستناده إلى اختلاف المواد و فى بعض الأخبار أنّها اخذت من أديم الأرض أى من وجهها و منه سمّى آدم و المراد أنّه جمع سبحانه من أجزاء الأرض المختلفه (تربه سنّها بالماء) أى مزجها به (حتى خلصت) أى صارت خالصه (و لاطها) أى ألصقها (بالبله) أى بالرّطوبه (حتى لزبت) و اشتدت.

قيل: هاتان الفقرتان إشارتان إلى أصل امتزاج العناصر و إنّما خصّ الأرض و الماء لأنهما الأصل فى تكون الأعضاء المشاهده التى تدور عليها صوره الانسان المحسوسه (فجبل) (فجعل خ) منها (صوره ذات أحناء و وصول) أى صاحبه جوانب و أوصال (و اعضاء و فصول) أى جوارح و مفاصل.

و هاتان إشارتان إلى خلق الصوره الانسانيه و إفاضتها بكمال أعضائها و جوارحها و مفاصلها و ما يقوم به صورتها (أجمدها حتى استمسكت، و أصلدها حتى صلصلت) أى جعلها جامده بعد ما كانت رطبه ليّنه حتّى صار لها استمساك و قوام، و جعلها صلبه متينه حتى صارت صلصالا يابسا يسمع له عند النّقر صوت كصلصله الحديد.

و قال بعضهم: إنّ الصّلصال هو المنتن و كلام الامام عليه السّلام شاهد على فساده

ص:۴۲

حیث إنّه علیه السّلام نبّه بحصول الاستمساک بعد الجمود و حصول الصّلصالیه بعد الصلود و من الواضح أنّ النّتن یرتفع مع حصول الجمود و الیبوسه فهو علی تقدیر وجوده انّما کان قبل تلک الحاله و هی حاله المسنونیه المشار الیها فی قوله تعالی:

«وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ».

قال الفخر الرّازی کونه حماء مسنونا یدلّ علی النّتن و التغیر و ظاهر الآیه یدلّ علی أنّ هذا الصّلصال إنّما تولد من الحمإ المسنون فوجب أن یکون کونه صلصالا مغایر الکونه حمأ مسنونا، و لو کان کونه صلصالا عباره عن النّتن و التغیر لم یبق بین کونه صلصالا و بین کونه حمأ مسنونا تفاوت، انتهی هذا.

و یحتمل أن تکون هاتان الفقرتان إشاره إلی قوام مادّه الانسان، فالاجماد لغایه الاستمساک راجع إلی بعض أجزاء الصّوره المجعوله کاللّحم و العروق و الأعصاب و نحوها، و الاصلاد راجع إلی البعض الاخر کالأسنان و العظام و بعد أن أکمل اللّه سبحانه للصّوره أعضائها و جوارحها و هیّئها لقبول الرّوح أبقاها (لوقت معدود و أجل معلوم) أی لأجل وقت أو الی وقت معیّن اقتضت الحکمه و المصلحه نفخ الرّوح فیها، و إلی هذا الوقت اشیر فی قوله تعالی:

«هَلْ أَتی عَلَی الْإِنْسانِ حِینٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ یَکُنْ شَیْئاً مَذْکُوراً ».

قال فی مجمع البیان: و قد کان شیئا إلا انه لم یکن شیئا مذکورا، لأنّه کان ترابا و طینا إلی أن نفخ فیه الرّوح، و قیل إنّه أتی علی آدم أربعون سنه لم یکن شیئا مذکورا لا فی السماء و لا فی الأرض، لأنّه کان جسدا ملقی من طین قبل أن ینفخ فیه الرّوح.

و روی عطا عن ابن عبّاس أنّه تمّ خلقه بعد عشرین و مأئه سنه انتهی.

و عن بعض الصّحف السّماویّه أنّ طینه آدم علیه السّلام عجنت أربعین سنه ثم جعلت لازبا، ثم جعلت حمأ مسنونا أربعین سنه ثمّ جعلت صلصالا کالفخار أربعین

سنه، ثمّ جعلت جسدا ملقى على طريق الملائكه أربعين سنه و نفخ فيها من روحه بعد تلك المدّه.

و فى العلل باسناده عن عبد العظيم الحسنى قال: كتبت إلى أبى جعفر عليه السّلام أسأله عن علّه الغائط و نتنه، قال: إنّ اللّه خلق آدم و كان جسده طيّبا فبقى أربعين سنه ملقى تمرّ به الملائكه فتقول لأمر ما خلقت، و كان ابليس يدخل فى فيه و يخرج من دبره فلذلك صار ما فى جوف آدم منتنا خبيثا غير طيّب و فى البحار عن الخصال و تفسير الفرات باسناده عن الحسن عليه السّلام فيما سأله كعب الأحبار أمير المؤمنين عليه السّلام قال: لما أراد اللّه خلق آدم بعث جبرئيل فأخذ من أديم الأرض قبضه فعجنه بالماء العذب و المالح و ركب فيه الطبايع قبل أن ينفخ فيه الرّوح فخلقه من أديم الأرض فطرحه كالجبل العظيم، و كان إبليس يومئذ خازنا على السّماء الخامسه يدخل فى منخر آدم ثم يخرج من دبره ثم يضرب بيده على بطنه فيقول لأى امر خلقت؟ لئن جعلت فوقى لا اطعتك، و لئن جعلت أسفل منّى لأعينك فمكث فى الجنّه ألف سنه ما بين خلقه إلى أن ينفخ فيه الرّوح الحديث.

و وجه الجمع بين هذه الرّوايه و ما سبق من حيث اختلافهما فى مقدار مدّه تأخير النّفخ غير خفى على العارف الفطن.

فان قيل: لما ذا أخّر نفخ الرّوح فى تلك المدّه الطويله.

قلنا: لعلّه من باب اللّطف فى حقّ الملائكه لتذهب ظنونهم فى ذلك كلّ مذهب فصار كانزال المتشابهات الذى تحصل به رياضه الأذهان فى تخريجها و فى ضمن ذلك يكون اللّطف، و يجوز أن يكون فى اخبار ذريّه آدم بذلك لطف لهم و لا يجوز اخبارهم بذلك إلّا إذا كان المخبر عنه حقّا.

أقول: هكذا أجاب الشّارح المعتزلى، و يشير إلى جوابه الأوّل الرّوايه السّابقه فيما حكاه عليه السّلام من قول ابليس لأىّ أمر خلقت اه.

و الأولى أن يقال: إنّ السرّ فيه لعلّه اعتبار الملائكه، إذ الاعتبار فى التدريج

أكثر أو ليعلم النّاس التّأنى فى الأمور و عدم الاستعجال، و مثله خلق السّماوات و الارض فى ستّه أيام على ما نطق به القرآن الحكيم مع أنّه سبحانه كان قادرا على خلقها فى طرفه عين، قال أمير المؤمنين عليه السّلام: و لو شاء أن يخلقها فى أقلّ من لمح البصر لخلق، و لكنّه جعل الاناته و المداراه مثالا لأمنائه و ايجابا للحجّه على خلقه.

(و) كيف كانفلما حلّ الأجل الذى اقتضت الحكمه فيه النّفخ(نفخ فيها)أى فى الصّوره المستعده لقبول النّفخ(من روحه)الذى اصطفاه على ساير الأرواح و المراد بنفخ الرّوح فيها إفاضته عليها، استعير به عنها لأنّ نفخ الرّيح فى الوعاء لما كان عباره عن إدخال الرّيح فى جوفه و كان الاحياء عباره عن إفاضه النّفس على الجسد و يستلزم ذلك حلول القوى و الأرواح فى الجثّه باطنا و ظاهرا حسن الاستعاره.

قال بعض المتألهين: إنّ النّفخ لمّا كان عباره عن تحريك هواء يشتعل به الحطب و نحوه كالفحم فالبدن كالفحم و هذا الرّوح كالهواء الذى فى منافذ الفحم و أجوافه، و النّفخ سبب لاشتعال الرّوح البخارى بنار النّفس و تنورها بنور الروح الامرى فللنّفخ صوره و حقيقه و نتيجه، فصورته إخراج الهواء من آله النّفخ إلى جوف المنفوخ فيه حتّى تشتعل نارا و هذه الصّوره فى حق اللّه محال، و لكن النتيجه و المسبب غير محال، و قد يكنّى بالسّبب عن النتيجه و الأثر المترتب عليه كقوله تعالى:

«غَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِمْ »و«اِنْتَقَمْنا مِنْهُمْ ».

و صوره الغضب عباره عن نوع تغير فى نفس الغضبان يتأذى به و نتيجته إهلاك المغضوب عليه أو جرحه و ايلامه فعبر فى حقّ اللّه عن نتيجه الغضب بالغضب و عن نتيجه الانتقام بالانتقام، فكذلك يمكن أن يقال هاهنا: إنه عبّر عمّا ينتج نتيجه النّفخ بالنفخ و إن لم يكن على صوره النّفخ و لكن نحن لا نكتفى فى الأسماء التى هى مبادى

أفعال اللّه بهـذا القـدر، و هو مجرّد ترتّب الأثر من غير حقيقه تكون بازاء الصوره، بل نقول: حقيقه النّفـخ الـذى فى عالم الصّوره عبـاره عن إخراج شـىء من جـوف النافـخ إلى جوف المنفوخ فيه كـالزّقّ و نحوه هى إفـاضه نور سـر الرّوح العلوى الالـهى على القالب اللّطيف المعتدل المستوى أعنى به الرّوح الحيوانى القابل لفيضان النّور العقلى و الروح الالهى كقبول البلور لفيضان النّور الحسى من الشّمس النافذ فى أجزائه و أقطاره و هكذا يكون أنوار الحسّ و الحياه نافذه فى كل جزء من أجزاء القالب و البدن، فعبر عن إضافه الروح على البدن بالنّفخ فيه انتهى.

بقى الكلام فى إضافه الروح إليه سبحانه، فنقول: إنّ الافاضه من باب التشريف و الاكرام، روى فى الكافى باسناده عن محمّد بن مسـلم، قـال سـألت أبـا عبـد اللّه عليه السّـلام عن قول اللّه عزّ و جـلّ و نفخت فيه من روحى كيف هـذا النفـخ؟ فقـال: إنّ الرّوح متحرّك كالرّيح و إنّما سـمّى روحا لأنّه اشـتق اسـمه من الرّيح، و إنّما إخراجه على لفظه الرّيح لأنّ الأرواح مجانسه(۱) للرّيح، و إنّما أضافه إلى نفسه لأنّه اصـطفاه على ساير الأرواح كما قال لبيت من البيوت، بيتى، و لرسول من الرّسل خليلى و أشـباه ذلك و كلّ ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبّر.

و مثـل إضافه الروح إليه تعالى إضافه الصّوره إليه سـبحانه فى بعض الأخبار كما رواه فى الكافى عن محمّـد بن مسـلم أيضا قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عمّا يروون أنّ اللّه تعالى خلق آدم على صورته فقال: هى صوره محدثه مخلوقه اصطفاها اللّه تعالى و اختارهـا على ساير الصّور المختلفه فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبه إلى نفسه و الرّوح إلى نفسه فقال: بيتى و نفخت فيه من روحى هذا.

و لكن الصّدوق روى فى العيون باسناده عن الحسين بن خالد قال: قلت للرّضا عليه السّلام:

يـابن رسـول اللّه إنّ النّـاس يروون أن رسـول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله قـال: إنّ اللّه خلق آدم على صورته فقـال: قـاتلهم اللّه لقد حذفوا أوّل الحديث إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله مرّ برجلين يتسابّان فسمع أحدهما يقول لصاحبه: قبّح اللّه وجهك و وجه من يشبهك، فقال رسول اللّه:



---

۱- (۱) بحسب المعنى و التحرك و التصرف و اصلاح ما يمر عليه، ملا صالح.

يا عبد اللّه لا تقل هذا لأخيك فان اللّه عزّ و جلّ خلق آدم على صورته.

فانّ المستفاد من هذه الرّوايه رجوع الضّمير فى صورته إلى الرّجل المسبوب، و إنّما لم يتعرّض الباقر عليه السّلام فى الرّوايه الاولى لردّه و لم يشر إلى تحريف الرّوايه إمّا للتّقيه أو إشاره إلى أنّ الرّوايه على تقدير صحّتها أيضا لا دلاله فيها على ما هو مطلوب العامه من اعتقاد التّجسيم و إثبات الصّوره له، سبحانه عمّا يقول الظالمون و تعالى علوّا كبيرا.

و ربّما يجاب بأنّ المراد أنّه على صورته لأنّه مظهر الصّفات الكماليّه الالهيّه، أو يقال: إنّ الضّمير راجع إلى آدم أى صورته اللاّيقه به المناسبه له هذا.

و قد تحقّق بما ذكرناه كلّه معنى نفخ الرّوح و وجه المناسبه فى إضافته إلى الضّمير الرّاجع إليه تعالى.

و أمّا نفس الرّوح فاعلم أنّه قد يطلق على النّفس النّاطقه التى تزعم الحكماء أنّها مجرده، و هى محلّ للعلوم و الكمالات و مدبّره للبدن، و قد يطلق على الروح الحيوانى و هو البخار اللّطيف المنبعث من القلب السّارى فى جميع أجزاء البدن، و يمكن إراده المعنيين كليهما من الرّوح المنفوخ فى آدم، و قد استفيد من قول الباقر عليه السّلام فى الرّوايه السّابقه: إنّ الرّوح متحرّک كالرّيح كون الرّوح متحرّكا سريعا فى جميع أجزاء البدن و أنّه يجرى آثاره فى تجاويف أعضائه فيصلح البدن و يحيى ما دام فيه، كما أنّ الرّيح متحرّک سريعا فى أقطار العالم و يجرى آثاره فيها فيصلح العالم بجريانه و يفسد بفقدانه.

و فى الاحتجاج فى جمله مسائل الزّنديق عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: فهل يوصف الرّوح بخفّه و ثقل و وزن؟ قال عليه السّلام: الرّوح بمنزله الرّيح فى الزّقّ إذا نفخت فيه امتلاء الزّقّ منها فلا يزيد فى وزن الزّقّ و لوجها فيه و لا ينقصها خروجها منه كذلک الرّوح ليس لها ثقل و لا وزن، قال: أخبرنى ما جوهر الرّيح قال عليه السّلام:

الرّيح هواء إذا تحرك سمّى ريحا و إذا سكن سمّى هواء و به قوام الدنيا و لو كفت الرّيح ثلاثه أيام لفسد كلّ شيء على وجه الأرض و نتن. و ذلك إنّ الرّيح بمنزله مروحه تذب و تدفع الفساد عن كلّ شيء و تطيّبه فهى بمنزله الرّوح إذا خرج عن البدن نتن البدن و تغيّر تبارك اللّه أحسن الخالقين (فتمثّلت) الصّوره المجبوله بعد نفخ الرّوح (إنسانا).

روى فى العلل مرفوعا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام: قال: سمّى الانسان إنسانا لأنّه ينسى و قال اللّه عزّ و جلّ: و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى.

و عن الدرّ المنثور عن ابن عبّاس قال: خلق اللّه آدم من أديم الأرض يوم الجمعه بعد العصر فسمّاه آدم ثمّ عهد اللّه فنسى فسمّاه الانسان، قال ابن عبّاس: فباللّه ما غابت الشّمس من ذلك اليوم حتّى اهبط من الجنّه.

و قال الرّاغب الانسان قيل سمّى بذلك لأنّه خلق خلقه لا قوام له إلّا بأنس بعضهم ببعض، و لهذا قيل الانسان مدنىّ بالطبع من حيث إنّه لا قوام لبعضهم إلّا ببعض و لا يمكنه أن يقوم بجميع أسبابه و محاوجه.

و قيل سمّى بذلك لأنّه يأنس بكلّ ما يألفه، و قيل هو افعلان و أصله انسيان سمّى بذلك لأنّه عهد إليه فنسى.

أقول: الانسان لو كان من الانس فوزنه فعلان و هو مذهب البصريّين، و لو كان من النّسى فوزنه إفعان أصله إنسيان على وزن إفعلان فحذفت الياء استخفافا لكثره ما يجرى على ألسنتهم و عند التّصغير يردّ إلى الأصل يقال انيسيان، و هو مذهب الكوفيّين و الرّوايه السّابقه مؤيّده لمذهبهم، و قوله عليه السّلام (ذا أذهان يجيلها) قال الشّارح البحرانى: إشاره إلى ما للانسان من القوى الباطنه المدركه و المتصرّفه(۱)



۱- (۱) قال المحدث البحرانى و اما الباطنه من القوى فهى أيضا خمس و هى اما مدركه فقط اما للصور الجزئيه و هو القوه المسماه حسا مشتركا المرتبه فى التجويف الاول من الدماغ عندها تجتمع صور المحسوسات ثم القوه المرسومه خيالا و هى خزانه الحس المشترک مودوعه فى آخر «ج ۳» التجويف المقدم من الدماغ يجتمع فيها مثل المحسوسات و تبقى فيها بعد الغيبه عن الحواس و اما مدركه للمعانى الجزئيه و هى اما الوهم و هى قوه مرتبه فى التجويف الاوسط من الدماغ تدرك المعانى الجزئيه الغير الموجوده فى المحسوسات كادراک الشاه معنى فى الذئب يوجب لها الهرب و اما الحافظه و هى قوه مرتبه فى التجويف الاخير من الدماغ تحفظ الاحكام الجزئيه المدركه للوهم و هى خزانه له و اما مدركه و متصرفه و هى القوه المسماه متخيله باعتبار استعمال الوهم فيها و مفكره باستعمال العقل لها و محلها مقدم البطن الاوسط من الدماغ من شانها التركيب و التفصيل لبعض الصور ببعض و عن بعض و كذا المعانى و المعانى بالصوره و هى الحاكيه للمدركات انتهى كلامه رفع مقامه، منه.

و معنى اجالتها تحريكها و بعثها فى انتزاع الصّور الجزئيه كما للحسّ المشترك، و المعانى الجزئيه كما للوهم (و فكر يتصرف بها) أى صاحب حركات فكريه يتصرّف بها فى امور معاشه و معاده، و إلاّ فالقوّه المتفكّره فى الانسان واحده و هى القوّه المودعه فى مقدم البطن الأوسط من الدّماغ من شأنها تركيب الصّور بالصّور و المعانى بالمعانى و المعانى بالصّور و الصّور بالمعانى (و جوارح يختدمها، و أدوات يقلبها).

المراد بالجوارح و الادوات إمّا معنى واحد و هى الأعضاء و الآلات البدنيّه جميعا فانها خادمه للنّفس النّاطقه و واسطه التقليب، و إمّا أن المراد بالاولى الأعمّ و بالثّانيه خصوص بعض الأعضاء ممّا يصحّ نسبه التّقليب و التّقلب اليه كاليد و الرّجل و البصر و القلب (و معرفه يفرق بها بين الحقّ و الباطل) و المراد بالمعرفه هى القوّه العاقله إذ الحقّ و الباطل من الأمور الكليّه و التميّز بينها حظّ العقل (و) هى المفرّقه أيضا بين (الأذواق و المشام و الألوان و الأجناس).

و المراد بالأذواق المذوقات المدركه بالذّوق و هى قوّه منبثّه فى العصب المفروش على سطح اللّسان التى يدرك بها الطعوم من الحلاوه و المراره و الحموضه و الملوحه و غيرها.

و بالمشام المشمومات المدركه بالشمّ و هى قوّه مودعه فى زائدتى مقدّم الدّماغ الشّبيهتين بحلمتى الثدى بها تدرك الروايح من الطيبه و المنتنه و غيرهما.

و بالألوان المبصرات المدركه بحس البصر و هى قوّه مرتبه فى العصبتين المجوفتين اللّتين تتلاقيان فتفترقان إلى العينين التى بها يدرك الألوان من السّواد و البياض و الحمره و الصّفره و الأشكال(۱) و المقادير و الحركات و نحوها.



---

۱- (۱) عطف على الالوان، منه

و بالأجناس الأمور الكلّيه المنتزعه من تصفّح الجزئيّات و إدراكها و لذلك أخّر عليه السّلام ذكر الأجناس عنها إشاره إلى ما ذكر، و ذلك لأنّ النّفس بعد ما أدرك الجزئيّات بالمدركات و المشاعر السّالفه تتنبّه لمشاركات بينها و مباينات فاصله بينها مميّزه لكلّ واحد منها عن الآخر، فتنتزع منها تصوّرات كليّه بعضها ما به الاشتراك بينها، و بعضها ما به امتياز إحداها عن الاخرى، و لعلّه اريد بالأجناس مطلق الامور الكليّه لا الجنس المصطلح فى علم المنطق و الكلام.

فان قلت: التفرقه بين الأذواق و المشام و الألوان إنّما هو من فعل الحواسّ الظاهره، إذ هى المدركه لها و المميزه بينها حسبما ذكرت فما معنى نسبته إلى العقل؟ قلت: إدراك هذه و إن كان بالحواس المذكوره إلّا أنّها قد يقع فيها الشّك و المرجع فيها حينئذ إلى العقل لأنّه الرّافع للشّك عنها.

توضيح ذلك ما ورد فى روايه الكافى باسناده عن يونس بن يعقوب، قال: كان عند أبى عبد اللّه عليه السّلام جماعه من أصحابه منهم حمران بن أعين و محمّد بن النّعمان و هشام ابن سالم و الطيار و جماعه فيهم هشام بن الحكم و هو شاب، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

يا هشام الا تخبرنى كيف صنعت بعمر و بن عبيد و كيف سألته! فقال هشام: يابن رسول اللّه إنّى اجلّك و استحييك و لا يعمل لسانى بين يديك، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

إذا أمرتكم بشىء فافعلوا، قال هشام: بلغنى ما كان فيه عمرو بن عبيد و جلوسه فى مسجد البصره فعظم ذلك علىّ فخرجت إليه و دخلت البصره يوم الجمعه فأتيت مسجد البصره فاذا أنا بحلقه كبيره فيها عمرو بن عبيد و عليه شمله(۱) سوداء متزر(۲) بها من صوف و شمله مرتد(۳) بها و النّاس يسألونه فاستفرجت النّاس فافرجوا لى ثم قعدت فى آخر القوم على ركبتى، ثم قلت:

أيّها العالم إنّى رجل غريب تأذن لى فى مسأله؟ فقال لى: نعم، فقلت

له: أ لك عين؟ فقال لى يا بنىّ أىّ شىء تريد من هذا السؤال و شىء تراه كيف



---

۱- (۱) كساء يشتمل به منه

۲- (۲) من الازار منه

۳- (۳) من الرداء منه.

تسأل عنه؟ فقلت: هكـذا مسألتی فقال: یا بنیّ سل و إن کانت مسألتک حمقاء، قلت: أجبنی فیها، قال لی: سل، قلت: أ لک عین؟ قـال: نعم، قلت: فمـا تصـنع بهـا؟ قال: أری بها الألوان و الأشـخاص قلت: فلک أنف؟ قال: نعم، قلت: فما تصـنع به؟ قال: أشم به الرائحه، قلت: أ لک فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال:

أذوق به الطعم، قلت: فلـک اذن؟ قـال: نعم، قلت: فمـا تصـنع بها؟ قال: أسـمع بها الصوت، قلت: أ لک قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصـنع به؟ قال: أمیّز به کلما ورد علی هـذه الجوارح و الحواس، قلت: أ و لیس فی هذه الجوارح غنی عن القلب؟ فقال: لا، قلت: و کیف ذلـک و هی صـحیحه سـلیمه؟ قـال: یا بنیّ إنّ الجوارح إذا شـکت فی شـیء شـمّته أو رأته أو ذاقته أو سـمعته ردته إلی القلب فیستبین الیقین «فیستیقن خ» و یبطل الشّک، قال هشام: فقلت له: فانما أقام اللّه القلب لشکّ الجوارح؟ قال: نعم قلت: لا بدّ من القلب و إلّا لم یستیقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: یا أبا مروان فانّ اللّه تبارک و تعالی لم یترک جوارحک حتّی جعل لها إماما یصـحّ لها الصـحیح و یتیقن به ما شـککت فیه و یترک هذا الخلق کلّهم فی حیرتهم و شـکّهم و اختلافهم لا یقیم لهم إماما یردّون إلیه شـکّهم و حیرتهم و یقیم لک إماما لجوارحک تردّ إلیه حیرتک و شکّک؟ قال: فسکت و لم یقل لی شیئا، ثمّ التفت إلیّ فقـال لی: أنت هشـام بن الحکم؟ فقلت: لاـ فقـال: أ من جلسـائه؟ قلت: لاـ قال: فمن أین أنت؟ قلت: من أهل الکوفه، قال: فأنت إذا هو، ثمّ ضـمّنی إلیه و أقعدنی فی مجلسه و زال عن مجلسه و ما نطق حتی قمت، قال: فضـحک أبو عبد اللّه علیه السّلام فقال: یا هشام من علّمک هذا؟ قلت: شیء أخذته منک و الفته، فقال هذا و اللّه مکتوب فی صحف إبراهیم و موسی.

قال بعض المحققین(۱) من شـراح الحدیث: و معنی شکّ الحواس و غلطها أنّ الحسّ أو الوهم المشوب بالحسّ یشک أو یغلط بسـبب من الأسـباب، ثمّ یعلم النّفس بقوّه العقل ما هو الحقّ المتیقّن کما یری البصـر العظیم صـغیرا لبعده و الصـغیر کبیرا لقربه و الواحد اثنین لحول فی العین و الشّجره التی فی طرف الحوض منکوسه



---

۱- (۱) الصدر الشیرازی منه

لانعكاس شعاع البصر من الماء اليها، و السّمع يسمع الصّوت الواحد عند الجبل و نحوه ممّا فيه صلابه أو صقاله صوتين لمثل العلّه المذكوره من انعكاس الهواء المتموّج بكيفيّه المسموع إلى الصّماخ تاره اخرى و يقال للصوت الثّاني: الصّداء، و كما تجد الذّائقه الحلو مرّا لغلبه المره الصّفراء على جرم اللّسان، و كذا تشمئزّ الشّامه من الرّوائح الطيبه بالزّكام فهذه و أمثالها أغلاط حسيّه يعرف القلب حقيقه الأمر فيها انتهى ما أهمّنا نقله.

و اتّضح به كلّ الوضوح أنّ التّفرقه بين الحقّ و الباطل و بين المحسوسات عند الشّكّ و الارتياب إنّما هى وظيفه العقل و القلب و هو اللّطيفه النّورانيه المتعلّقه أوّل تعلّقها بهذا القلب الصّنوبرى و نسبته إلى أعضاء الحسّ و الحركه كنسبه النّفس إلى قوى الحسّ و الحركه فى أنّه ينبعث منه الدّم و الرّوح البخارى إلى ساير الأعضاء فالنّفس رئيس القوى و إمامها و القلب و هو مستقرّها و عرش استوائها باذن اللّه رئيس ساير الأعضاء و إمامها.

(معجونا) أى مخمرا ذلك الانسان (بطينه الألوان المختلفه) و أصلها و هذه إشاره إلى اختلاف أجزاء الانسان فان بعض أعضائه أبيض كالعظام و الشّحم، و بعضها أحمر كالدّم و اللّحم، و بعضها أسود كالشّعر و حدقه العين و هكذا، و مثل اختلاف أجزائه اختلاف أفراد نوع الانسان، فمنهم السّعيد و الشقىّ و الطيب و الخبيث، و كل ذلك مستند إلى اختلاف المواد.

كما يدلّ عليه ما رواه القمىّ فى تفسيره باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى عن أبى جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات اللّه عليهم فى حديث طويل، و فيه قال: فاغترف ربّنا تبارك و تعالى غرفه بيمينه من الماء العذب الفرات و كلتا يديه يمين فصلصلها فى كفه فجمدت، فقال لها: منك أخلق النّبيين و المرسلين و عبادى الصّالحين و الأئمه المهتدين و الدّعاه إلى الجنّه و أتباعهم إلى يوم القيامه و لا أبالى و لا أسأل عمّا أفعل و هم يسألون، ثمّ اغترف غرفه من الماء المالح الأجاج

فصلصلها فی کفّه فجمدت، ثم قال: منک أخلق الجبّارین و الفراعنه و العتاه و إخوان الشّیاطین و الدّعاه إلی النّار و أشیاعهم إلی یوم القیامه، و لا اسأل عمّا أفعل و هم یسألون، قال: و شرط فی ذلک البداء فیهم و لم یشترط فی أصحاب الیمین، ثم خلط المائین جمیعا فی کفه فصلصلهما ثم کفاهما(۱) قدام عرشه و هما سلاله من طین الحدیث، و سیأتی تمامه بعید ذلک.

(و الأشباه المؤتلفه) کالایتلاف بین العظام و الأسنان و نحوها فانّها أجسام متشابهه ایتلف بعضها مع بعض و بها قامت الصّوره الانسانیه (و الأضداد المتعادیه، و الأخلاط المتباینه، من الحرّ و البرد و البلّه و الجمود و المسائه و السّرور).

و المراد بالبلّه و الجمود الرّطوبه و الیبوسه، و کلمه من تبیین للأضداد و الأخلاط جمیعا و لیست بیانا للأخلاط فقط بقرینه ذکر المسائه و السّرور.

قیل: و المراد بالحرّ الصّفراء و بالبرد البلغم و بالبلّه الدّم و بالجمود السّوداء فکلامه علیه السّلام إشاره إلی الطبایع الأربع التی بها تحصل المزاج و بها قوام البدن الانسانی.

و فی حدیث القمیّ السّابق بعد قوله علیه السّلام: ثم کفاهما قدام عرشه و هما سلاله من طین، قال: ثمّ أمر اللّه الملائکه الأربعه الشّمال و الجنوب و الصّبا و الدّبور أن یجولوا علی هذه السّلاله من طین فأبرءوها و أنشأوها ثمّ جزوها و فصلوها و أجروا فیها الطبایع الأربعه.

قال: الرّیح فی الطبایع الأربعه من البدن من ناحیه الشّمال، و البلغم فی الطبایع الأربعه من ناحیه الصّبا، و المره فی الطبایع الأربعه من ناحیه الدّبور، و الدّم فی الطبایع الأربعه من ناحیه الجنوب.

قال: فاستقلّت النّسمه و کمل البدن، فلزمه من ناحیه الرّیح حبّ النّساء و طول الأمل و الحرص، و لزمه من ناحیه البلغم حبّ الطعام و الشّراب و البرّ و الحلم



---

۱- (۱) هکذا فی روایه علل الشرائع: ثم القاهما قدام عرشه و هما ثله من طین، منه

و الرّفق، و لزمه من ناحيه المرّه الغضب و السّفه و الشّيطنه و التّجبر و التمرّد و العجله، و لزمه من ناحيه الدّم حب الفساد و اللّذات و ركوب المحارم و الشهوات قال أبو جعفر: وجدنا هذا فی كتاب أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه هذا.

و أمّا المسائه و السّرور فهما من الكيفيات النّفسانيه، و سبب السرور إدراك الكمال و الاحساس بالمحسوسات الملائمه و التمكّن من تحصيل المرادات و القهر و الاستيلاء على الغير و الخروج عن الآلام و تذكر الملذّات، و سبب المسائه مقابلات هذه.

قال البحرانی: و مقصوده عليه السّلام التّنبيه على أنّ طبيعه الانسان فيها قوّه قبول و استعداد لتلك الكيفيات و أمثالها، و تلك القوّه هی المراد بطينه المسائه و السّرور و اللّه العالم.

### الترجمه

پس جمع فرمود حق سبحانه و تعالی از زمين درشت و زمين نرم و زمين شيرين و زمين شور پاره خاك را، آميخت و ممزوج نمود آن خاك را به آب تا اين كه خالص و پاكيزه شد، و مخلوط و ملصق نمود آن را برطوبت تا اين كه چسبان گشت پس ايجاد كرد از آن صورت و شكلی كه صاحب طرفها بود و بندها و صاحب جوارح بود و فصلها، خشك ساخت آن صورت را تا اين كه قوام حاصل شد آنرا، و سخت گردانيد آن را تا اين كه گل خشك آواز كننده گرديد پس باقی گذاشت آن را بجهت وقت شمرده شده و اجل دانسته گرديده، پس از آن دميد در آن صورت روح خود را يا از روحی كه اختيار كرده بود آن را بساير ارواح، پس متمثّل شد و متصور گرديد انسانی كه صاحب ذهنهائيست كه متحرك می سازد آن را، و صاحب فكرهاييست كه تصرف و تفتيش می كند با آن، و صاحب جوارحی كه طلب خدمت می كند از آنها، و صاحب آلاتی كه برميگرداند آن ها را در امورات خود، و صاحب معرفت و عقلی كه فرق می گذارد با آن ميان حق و باطل و ميان ذوقها و مشامها و ميان رنگها و جنسها در حالتی كه آميخته و خمير شده بود آن انسان

به اصل رنگهای گوناگون و شبه هائی که با همدیگر الفت دارند، چون استخوان و دندان و ضدهائی که تعاند دارند با همدیگر و خلطهائی که تباین دارند با یکدیگر از حرارت و برودت و رطوبت و یبوست و پریشانی و خوشحالی.

## الفصل الحادی عشر

### اشاره

و استأدی اللّه الملائکه ودیعته لدیهم، و عهد وصیّته إلیهم، فی الإذعان بالسّجود له و الخنوع لتکرمته فقال: اسجدوا لآدم فسجدوا إلّا إبلیس و قبیله (و جنوده خ)، اعترتهم الحمیّه، و غلبت علیهم الشّقوه، تعزّزوا بخلقه النّار، و استوهنوا خلق الصّلصال، فأعطاه اللّه النّظره استحقاقا للسّخطه، و استتماما للبلیّه، و إنجازا للعده، فقال:

إنّک من المنظرین إلی یوم الوقت المعلوم.

### اللغه

(استأدی اللّه الملائکه) أی طلب منهم الأداء (و الخنوع) کالخضوع لفظا و معنی (و التکرمه) إمّا بمعنی التکریم و هو التّعظیم و الاحترام مصدر ثان من التّفعیل کما فی الاوقیانوس، أو اسم من التکریم علی ما قاله الفیومی (و ابلیس) افعیل من ابلس قال سبحانه:

«فَإِذا هُمْ مُبْلِسُونَ » أی آیسون من رحمه اللّه، و اسمه بالعبرانیه عزازیل بزائین معجمتین و بالعربیّه الحارث و کنیته أبو مرّه (و القبیل) فی الأصل الجماعه تکون من الثلاثه فصاعدا من قوم شتی فان کانوا من أب واحد فقبیله، و قد تسمی قبیلا و جمعه قبل و جمع القبیله القبائل (و الشّقوه) بکسر الشّین الشّقاوه (و التّعزز) التکبر (و استوهنوا) عدوّه واهنا

ضعیفا (و النظره) بکسر الظاء مثل کلمه اسم من انظرت الدین أخّرته قال سبحانه:

«فَنَظِرَةٌ إِلى مَيْسَرَةٍ ».

أی تأخیر (و السّخطه) بالضمّ کالسّخط الغضب و عدم الرّضا (و البلیّه) اسم من الابتلاء و هو الامتحان (و أنجز) وعده وعدته إذا وفی به.

### الاعراب

الملائکه منصوب بنزع الخافض أی من الملائکه، و اضافه العهد إلی الوصیه قیل من قبیل إضافه الصّفه إلی الموصوف أی وصیّته المعهوده، و استثناء ابلیس امّا منقطع علی ما هو الأظهر الأشهر بین أصحابنا و کثیر من المعتزله، أو متّصل علی ما ذهب إلیه طائفه من متکلّمی العامه و اختاره منا الشیخ (ره) فی التّبیان، و منشأ الخلاف أنّ إبلیس هل هو من الجنّ أم من الملائکه، و یأتی تحقیق الکلام فیه، و انتصاب الاستحقاق و الاستتمام و الانجاز علی المفعول له.

### المعنی

### اشاره

(و استادی اللّه الملائکه) أی طلب منهم أداء (ودیعته) المودعه (لدیهم و) طلب أداء (عهد وصیّته إلیهم) و المراد بتلک الودیعه و الوصیّه ما أشار الیه سبحانه فی سورتی الحجر وص.

قال فی الأولی: «وَ إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ صَلْصالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ ».

قال أمیر المؤمنین علیه السّلام علی ما رواه القمیّ عنه و کان ذلک من اللّه تقدمه فی آدم قبل أن یخلقه و احتجاجا منه علیهم.

و فی الثّانیه: «إِذْ قالَ رَبُّکَ لِلْمَلائِکَهِ إِنِّی خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِینٍ فَإِذا سَوَّیْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِیهِ مِنْ رُوحِی فَقَعُوا لَهُ ساجِدِینَ »

فلقد كان عزّ و جلّ أوصاهم و عهد إليهم أنّه خالق بشرا لا بد لهم من السّجود له بعد استوائه و نفخ الرّوح فيه، و إلى ذلک أشار عليه السّلام بقوله (فى الاذعان بالسّجود له و) الانقياد ب (الخنوع) و الخضوع (لتكرمته) و تعظيمه (فقال) سبحانه للملائكه بعد الاستواء و نفخ الرّوح (اسجدوا لآدم) قال الصّادق عليه السّلام: و كان ذلک الخطاب بعد ظهر الجمعه (فسجدوا) و بقوا على السّجده إلى العصر (إلا إبليس) قال الرضا عليه السّلام كان اسمه الحارث سمّى إبليس لأنّه ابلس من رحمه اللّه (و قبيله) قال المحدّث المجلسى قده: و ضمّ القبيل هنا إلى ابليس غريب، فانّه لم يكن له فى هذا الوقت ذريّه و لم يكن أشباهه فى السّماء، فيمكن أن يكون المراد به أشباهه من الجنّ فى الأرض بأن يكونوا مأمورين بالسّجود أيضا، و عدم ذكرهم فى الآيات و ساير الأخبار لعدم الاعتناء بشأنهم، أو المراد به طائفه خلقها اللّه تعالى فى السّماء غير الملائكه، و يمكن أن يكون المراد بالقبيل ذريته و يكون اسناد عدم السّجود إليهم لرضاهم بفعله كما قال عليه السّلام فى موضع آخر: إنّما يجمع النّاس الرّضا و السّخط، و إنّما عقر ناقه ثمود رجل واحد فعمّهم اللّه بالعذاب لما عمّوه بالرّضا، فقال سبحانه:

«فَعَقَرُوها فَأَصْبَحُوا نادِمِينَ ». انتهى أقول: و الأوجه ما أجاب به أخيرا و يشهد به مضافا إلى ما ذكره ما رواه السيّد (ره) فى آخر الكتاب عنه عليه السّلام من أنّ الرّاضى بفعل قوم كالداخل فيه معهم و قال سبحانه:

«قُلْ قَدْ جاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّناتِ وَ بِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ ».

فانّه روى فى الكافى عن الصّادق عليه السّلام قال: كان بين القاتلين و القائلين خمسمائه عام، فألزمهم اللّه القتل لرضاهم بما فعلوا، و مثله عن العياشى فى عدّه روايات

(اعترتهم) و غشيتهم (الحميّه) و العصبيّه (و غلبت عليهم الشّقوه) و الضّلاله (تعزّزوا) و تكبروا (بخلقه النار و استوهنوا) و استضعفوا (خلق الصلصال) و قالوا:

إنّ مادتنا و جوهرنا خير من جوهر آدم الطينى فلا نسجد له، لأنّ السّجود إنّما هو لمكان شرف الجوهر و جوهر النّار أشرف من جوهر التراب، و هذا معنى قوله سبحانه فى سوره الأعراف:

«قالَ ما مَنَعَکَ أَلّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » و فى الكافى و الاحتجاج عن الصّادق عليه السّلام أنّه دخل عليه أبو حنيفه فقال له: يا با حنيفه بلغنى أنك تقيس، قال: نعم، أقيس قال: لا تقس فانّ أوّل من قاس ابليس حين قال:

«خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ » فقاس ما بين النّار و الطين و لو قاس نوريّه آدم بنوريه النّار عرف فضل ما بين النّورين و صفاء أحدهما على الآخر.

قال بعض الأفاضل: إنّ إبليس قد غلط حيث لاحظ الفضل باعتبار الجوهر و العنصر فلو لاحظه باعتبار الفاعل لعلم فضل آدم عليه نظرا إلى ما أكرمه اللّه به من إضافه روحه إلى نفسه و نسبه خلقته إلى يديه حيث قال:

«فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي » و قال: «لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ » مضافا إلى ما فى قياسه فى نفسه أيضا من الفساد من حيث إنّ الطين أمين يحفظ كلّ ما اودع عنده و النّار خائن يفنى كلّ ما يلقى فيه. و النّار متكبّر طالب للعلوّ، و التّراب متواضع طالب السّفل، و التّواضع أفضل من التكبر هذا(۱)



---

۱- (۱) و قال الصدر الشيرازى فى مفاتيح الغيب اما خطاؤه يعنى ابليس فى الاستدلال فلوجوه احدها انا سلمنا ان النار افضل و اشرف من الطين من حيث ظاهر الوجود لكن لا فضيله لها عليه من حيث الحقيقه و الغايه بل الطين افضل و اشرف منها لان من خواص الطين الانبات و النشو و النمو و لهذا السركان تعلق به الروح ليصير قابلا للترقى و النار من خاصيتها الاحراق و الاهلاک و ثانيها ان فى الطين لزوجه و امساكا فاذا استفاد الروح منه بالتربيه هذه الخاصيه يصير ممسكا للفيض الالهى اذا لم يكن ممسكا فى عالم الارواح و لهذا السركان آدم مسجودا للملائكه و فى النار خاصيه الاتلاف و الاسراف و هو ضد الامساک، و ثالثها ان الطين مركب من الماء و التراب و الماء مطيه الحياه لقوله و من الماء كل شيء حى و التراب مطيه النفس النباتيه و اذ امتزجا يتولد منهما النفس الحيوانيه لان مركبها الروح الحيوانى و هى مطيه الروح الانسانى و الجوهر النطقى للمناسبه الروحيه بينهما و فى النار ضد ذلك من الاهلاک و الافساد هذا مع ان شرف مسجوديه آدم للملائكه و فضيلته على ساجديه لم يمكن بمجرد خواص الطينه التى هى جهه الصلاحيه و القبول و ان تشرفت الطينه بشرف التخمير من غير واسطه كما دل عليه قوله ما منعک ان لا تسجد لما خلقت بيدى و قوله صلى اللّه عليه و آله خمر طينه آدم بيديه اربعين صباحا و انما كانت فضيلته الاصليه على غيره بنفخ الروح المشرف بالاضافه الى الحضره الالهيه من غير واسطه كما قال و نفخت فيه من روحى و لاختصاصه بالتجلى فيه عند نفخ الروح كما فى قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم ان اللّه خلق آدم فتجلى فيه و قد مر انه غلط الملعون بين جهه الماده

العنصريه و بين جهه الصوره الروحيه الاضافيه و عمى قلبه عن درك صفه الانسانيه و الصوره الذاتيه و لهذا السر لم يكن امر اللّه الملائكه بسجود آدم بعد تسويته قالب آدم من الطين بل امرهم بعد نفخ صوره الروح فيه كما قال تعالى انى خالق بشرا من طين فاذا سويته و نفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين و ذلك لان آدم بعد ان نفخ فيه الروح الاضافى صار مستعدا للتجلى الالهى لما حصل فيه من صفات الروح و نورانيته التى تستحق بها للتجلى و امساك الطين الذى يقبل الفيض الالهى مسكه عند التجلى فاستحق سجود الملائكه لانه صار قلبه ككعبه حقيقيه تفهم انشاء اللّه و تغتنمه و تنتفع به انتهى كلامه ره.

و قد ظهر ممّا ذكرناه فساد العمل بالقياس أيضا و قد عنونه أصحابنا فى علم الأصول و حكموا بعدم جواز العمل فى الأحكام الشرعيه بالأقيسه و الاستحسانات العقليّه، نظرا إلى ما نشاهده من حكم الشّارع فى الموارد الكثيره بخلاف ما يقتضيه عقولنا النّاقصه.

كجمعه بين المتشاكلات و تفريقه بين المختلفات فى منزوحات البئر.

و كجمعه بين النّوم و البول و الغائط فى الأحداث.

و حكمه بوجوب الاحرام فى الحلّ مع أنّ الحرم أفضل.

و حكمه بوجوب مسح ظاهر القدم مع أنّ الباطن أولى.

و حكمه بحرمه صوم يوم العيد و وجوب سابقه و ندبيّه لاحقه.

ص:۵۹

و حکمه بوجوب خمسمائه دینار و هو نصف الدّیه الکامله فی قطع إحدی الیدین و قطع الید لربع دینار.

و حکمه لقطع الید لسرقه ربع دینار و عدم جواز قطعه للغصب و لو کان ألفا إلی غیر ذلک من الموارد التی یقف علیها المتتبع و مع ذلک کیف یمکن الاستبداد بالعقول النّاقصه و الآراء الفاسده فی استخراج مناطات الأحکام الشّرعیّه، و قد قام الأخبار المتواتره عن أئمّتنا علیهم السّلام علی النّهی عن العمل بالقیاس و الاستحسانات العقلیّه، مثل قولهم: إنّ دین اللّه لا یصاب بالعقول، و إنّ السّنه إذا قیست محق الدین، و إنّه لا شیء أبعد عن عقول الرّجال من دین اللّه.

روی الصّدوق و الکلینی باسنادهما عن أبان بن تغلب، قال: قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام ما تقول فی رجل قطع أصبعا من أصابع المرأه کم فیها؟ قال: عشره من الابل، قال: قلت: قطع اثنین؟ فقال: عشرون، قلت: قطع ثلاثا؟ قال: ثلاثون، قلت: قطع أربعا؟ قال: عشرون، قلت: سبحان اللّه یقطع ثلاثا فیکون علیه ثلاثون فیقطع أربعا فیکون علیه عشرون، إن هذا کان یبلغنا و نحن بالعراق فنبرأ ممّن قاله، و نقول:

إنّ الذی «جاء به خ» قاله شیطان، فقال: مهلا یا أبان هذا حکم رسول اللّه إنّ المرأه تعاقل الرّجل إلی ثلث الدّیه فاذا بلغت الثلث رجعت المرأه إلی النّصف، یا أبان إنک أخذتنی بالقیاس، و السّنه إذا قیست محق الدین.

و فی الاحتجاج أن الصّادق علیه السّلام قال لأبی حنیفه لما دخل علیه: من أنت؟ قال: أبو حنیفه، قال: مفتی أهل العراق، قال: نعم، قال: بم تفتیهم؟ قال: کتاب اللّه، قال: فأنت العالم بکتاب اللّه؟ ناسخه و منسوخه و محکمه و متشابهه، قال: نعم، قال: فأخبرنی عن قول اللّه عزّ و جلّ.

«وَ قَدَّرْنا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وَ أَيّاماً آمِنِينَ » أی موضع هو؟ قال أبو حنیفه: هو ما بین مکّه و المدینه، فالتفت أبو عبد اللّه علیه السّلام إلی جلسائه و قال: نشدتکم باللّه هل تسیرون بین مکّه و المدینه و لا تؤمنون علی دمائکم

من القتل و على أموالكم من السّرق؟ فقالوا اللهمّ نعم، قال: ويحك يا أبا حنيفه إن اللّه لا يقول إلا حقّا، أخبرنى عن قول اللّه:

«وَ مَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً » أىّ موضع هو؟ قال: ذاك بيت اللّه الحرام، فالتفت أبو عبد اللّه عليه السّلام إلى جلسائه و قال لهم: نشدتكم باللّه هل تعلمون أنّ عبد اللّه بن زبير و سعيد بن جبير دخلاه فلم يأمنا القتل؟ قالوا اللهمّ نعم، فقال: أبو عبد اللّه عليه السّلام: ويحك يا أبا حنيفه إنّ اللّه لا يقول إلاّ حقّا.

فقال أبو حنيفه: ليس لى علم بكتاب اللّه عزّ و جلّ إنّما أنّا صاحب قياس، قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: فانظر فى قياسك إن كنت مقيسا أيّما أعظم عند اللّه القتل أو الزنا؟ قال: بل القتل، قال: فكيف رضى اللّه فى القتل بشاهدين و لم يرض فى الزّنا إلاّ بأربعه؟ ثمّ قال له: الصّلاه أفضل أم الصّيام؟ قال: بل الصّلاه أفضل، قال: فيجب على قياس قولك على الحائض قضاء ما فاتها من الصّلاه فى حال حيضها دون الصّيام، و قد أوجب اللّه عليها قضاء الصّوم دون الصّلاه، ثم قال: البول أقذر أم المنى؟ قال:

البول أقذر، قال: يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المنى، و قد أوجب اللّه الغسل على المنى دون البول.

قال: إنّما أنا صاحب رأى، قال عليه السّلام: فما ترى فى رجل كان له عبد فتزوج و زوج عبده فى ليله واحده فدخلا بامرأتيهما فى ليله واحده ثمّ سافرا و جعلا امر أتيهما فى بيت واحد فولدتا غلامين فسقط البيت عليهم فقتل المرأتين و بقى الغلامان أيهما فى رأيك المالك و أيهما المملوك و أيهما الوارث و أيهما الموروث؟ قال: إنّما أنا صاحب حدود، فقال عليه السّلام: فما ترى فى رجل أعمى فقاء عين صحيح، و أقطع قطع يد رجل كيف يقام عليهما الحدّ؟ قال: إنّما أنا رجل عالم بمباعث الأنبياء، قال: فأخبرنى عن قول اللّه تعالى لموسى

و هارون حین بعثهما إلی دعوه فرعون:

«لَعَلَّهُ یَتَذَکَّرُ أَوْ یَخْشی » لعل منک شکّ؟ قال: نعم، قال: ذلک من اللّه شک إذا قال لعلّه؟ قال أبو حنیفه: لا أعلم.

قال علیه السّلام: إنک تفتی بکتاب اللّه و لست ممّن ورثه، و تزعم أنک صاحب قیاس و أوّل من قاس إبلیس و لم یبن دین الاسلام علی القیاس، و تزعم أنک صاحب رأی و کان الرّأی من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله صوابا و من دونه خطاء، لأنّ اللّه قال:

«أَنِ احْکُمْ بَیْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ » و لم یقل ذلک لغیره، و تزعم أنک صاحب حدود و من انزلت علیه أولی بعلمها منک، و تزعم أنّک عالم بمباعث الأنبیاء و خاتم الأنبیاء أعلم بمباعثهم منک، لولا أن یقال:

دخل علی ابن رسول اللّه فلم یسأله من شیء ما سألتک عن شیء، فقس إن کنت مقیسا، قال: لا تکلّمت بالرّأی و القیاس فی دین اللّه بعد هذا المجلس، قال علیه السّلام: کلاّ إن حبّ الرّیاسه غیر تارکک کما لم یترک من کان قبلک الخبر.

ثمّ إنّ إبلیس اللّعین بعد ما تمرّد عن السّجود و تکبّر عن طاعه المعبود سأل اللّه النّظره و المهله و الابقاء إلی یوم البعث و قال:

«رَبِّ فَأَنْظِرْنِی إِلی یَوْمِ یُبْعَثُونَ ».

(فأعطاه اللّه النّظره استحقاقا للسخطه) أی لأجل استحقاقه سخط اللّه سبحانه و غضبه، فانّ فی الامهال، و إطاله العمر ازدیاد الاثم الموجب لاستحقاق زیاده العقوبه، قال سبحانه:

«وَ لا یَحْسَبَنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّما نُمْلِی لَهُمْ خَیْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِی لَهُمْ لِیَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِینٌ » (و استتماما للبلیّه) أی لابتلاء بنی آدم و تعریضهم للثواب بمخالفته (و انجازا للعده)

ص:۶۲

قیل: المراد به وعد الامهال، و لیس بشیء، لأنّه لم یسبق منه سبحانه وعد فی إمهاله حتّی ینجزه، بل الظاهر أن المراد به أنّه تعالی لمّا کان لا یضیع عمل عامل بمقتضی عدله و قد عبده إبلیس فی الأرض و فی السّماء و کان مستحقّا للجزاء الذی وعده سبحانه لکل عامل مکافاه لعمله، فأنجز له الجزاء الموعود فی الدّنیا مکافاه لعبادته حیث لم یکن له فی الآخره من خلاق.

روی فی البحار عن العیّاشی عن الحسن بن عطیّه قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: إنّ إبلیس عبد اللّه فی السّماء فی رکعتین ستّه ألف سنه و کان إنظار اللّه، ایّاه إلی یوم الوقت المعلوم بما سبق من تلک العباده.

و فی روایه علی بن ابراهیم الآتیه عن أمیر المؤمنین علیه السّلام قال إبلیس: یا ربّ و کیف و أنت العدل الذی لا تجور و لا تظلم فثواب عملی بطل، قال: لا، و لکن سلنی «اسأل خ» من أمر الدّنیا ما شئت ثوابا لعملک فاعطیک، فاوّل ما سأل البقاء إلی یوم الدین فقال اللّه: قد أعطیتک الخبر.

و فی روایته الآتیه أیضا عن زراره عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: قلت: جعلت فداک بماذا استوجب إبلیس من اللّه أن أعطاه ما أعطاه؟ قال: بشیء کان منه شکره اللّه علیه، قلت و ما کان منه جعلت فداک؟ قال: رکعتین رکعهما فی السّماء فی أربعه آلاف(۱) سنه (فقال: إنک من المنظرین إلی یوم الوقت المعلوم).

قال الرّازی فی تفسیره: اعلم أنّ إبلیس استنظر إلی یوم البعث و القیامه و غرضه منه أن لا یموت، لأنّه إذا کان لا یموت قبل یوم القیامه و ظاهر أن بعد قیام القیامه لا یموت فحینئذ یلزم منه أن لا یموت البتّه، ثم إنّه تعالی منعه عن هذا المطلوب و قال:

«فَإِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ إِلی یَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ »



---

۱- (۱) قوله فی أربعه آلاف سنه و قد مضی فی الروایه السالفه انه فی سته الف سنه و فی روایه اخری فی الفی سنه قال المجلسی و یمکن دفع التنافی بین ازمنه الصلاه و السجود بوقوع الجمیع او لصدور البعض موافقا لاقوال العامه تقیه انتهی منه.

و اختلفوا فى المراد منه على وجوه:

أحدها أن المراد من يوم الوقت وقت النّفخه الأولى حين يموت كلّ الخلايق و إنّما سمّى هذا الوقت بالوقت المعلوم، لأنّ من المعلوم أنّه يموت كلّ الخلايق فيه، و قيل إنّما سمّاه اللّه تعالى بهذا الاسم، لأنّ العالم بذلك هو اللّه تعالى لا غير كما قال تعالى:

«إِنَّما عِلْمُها عِنْدَ رَبِّى لا يُجَلِّيها لِوَقْتِها إِلاّ هُوَ » و قال: «إِنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَهِ » و ثانيها أنّ المراد من يوم الوقت المعلوم هو الذى ذكره و هو قوله:

(إلى يوم يبعثون) و انما سمّاه اللّه تعالى بيوم الوقت المعلوم لان إبليس لما عيّنه و أشار إليه بعينه صار ذلك كالمعلوم، فان قيل: لما أجابه اللّه تعالى إلى مطلوبه لزم ان لا يموت إلى وقت قيام السّاعه و بعد قيام القيامه لا يموت أيضا فيلزم أن يندفع عنه الموت بالكليّه، قلنا يحمل قوله: إلى يوم يبعثون الى ما يكون قريبا منه، و الوقت الذى يموت فيها كلّ المكلفين قريب من يوم البعث على هذا الوجه، فيرجع حاصل هذا الكلام الى الوجه الأول.

و ثالثها أنّ المراد بيوم الوقت المعلوم يوم لا يعلمه إلاّ اللّه تعالى و ليس المراد منه يوم القيامه انتهى.

أقول: و المستفاد من بعض أخبارنا الوجه الأوّل، و هو ما روى فى العلل عن الصّادق عليه السّلام أنّه سئل عنه فقال: يوم الوقت يوم ينفخ فى الصّور نفخه واحده فيموت إبليس ما بين النفخه الاولى و الثّانيه.

و من البعض الآخر أنّه عند الرّجعه، و هو ما رواه القمىّ باسناده عن أبى «ج ۴»

عبد اللّه علیه السّلام فی قوله، قال: یوم الوقت المعلوم یوم یذبحه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی الصّخره فی بیت المقدس، و فی روایه اخری رواها العیاشی عنه علیه السّلام أیضا انه سئل عنه فقال: أ تحسب أنّه یوم یبعث فیه النّاس إنّ اللّه أنظره إلی یوم یبعث فیه قائمنا، فاذا بعث اللّه قائمنا کان فی مسجد الکوفه و جاء إبلیس حتّی یجثو بین یدیه علی رکبتیه فیقول: یا ویله من هذا الیوم فیأخذ بناصیته فیضرب عنقه فذلک یوم الوقت المعلوم، و یحتمل الجمع بینها بأن یقتله القائم ثم یحیی و یقتله رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ثم یحیی و یموت عند النّفخه، و اللّه العالم بحقایق الامور.

**و ینبغی التنبیه علی امور مهمه مفیده لزیاده البصیره فی المقام**

**الاوّل أنّه سبحانه ذکر قصّه آدم و کیفیّه خلقته و معامله إبلیس معه فی**

مواقع کثیره من القرآن الکریم

و فی ذلک أسرار کثیره:

منها الاشاره إلی کمال قدرته و عظمته حیث إنّه خلق إنسانا کاملا ذا عقل و حسّ و حیاه و صاحب مشاعر ظاهره و باطنه من تراب جامد، ثمّ جعله طینا لازبا فجعله حمأ مسنونا فجعل الحمأ صلصالا یابسا، ثمّ نفخ فیه من روحه فاستوی انسانا کاملا فتبارک اللّه أحسن الخالقین.

و منها تذکیر الخلق بما أنعم به علی أبیهم آدم حیث فضّله علی ملائکه السّماء بما علّمه من الاسماء و جعله مسجودا لهم و ذا مزیّه علیهم.

و منها تحذیر الخلق عن مکائد الشّیطان لیجتنبوا عن مصائده و فخوفه فانّ عداوته أصلیه و منافرته ذاتیه لا یمکن توقع الوصل و العلقه معه ألبتّه.

و منها تنبیه الخلق علی أنّ آدم مع فعله زلّه واحده کیف أخرج من جوار رحمه اللّه و اهبط الی دار البلیّه، فما حال من تورّط فی الذّنوب و اقتحم فی المهالک و العیوب مدی عمره و طول زمانه و هو مع ذلک یطمع فی دخول دار الخلد و نعم ما قیل:

يا ناظرا نورا بعينى راقد و مشاهدا للأمر غير مشاهد

تصل الذّنوب الى الذنوب و ترتجى دركك الجنان و نيل فوز العابد

أنسيت أنّ اللّه أخرج آدما منها الى الدّنيا بذنب واحد

(۱)

**الثانى**

لقائل أن يقول: أمر الملائكه بالسّجود لآدم لما ذا و ما السّرّ فى ذلك؟

قلنا: فيه أسرار كثيره.

منها إظهار فضيلته على الملائكه.

و منها الابتلاء و الامتحان ليظهر حال ابليس على الملائكه حيث علموا بعد إبائه و امتناعه عن السجده أنه لم يكن منهم و قد زعموا قبل ذلك انه منهم كما يدلّ عليه ما رواه علىّ بن ابراهيم القمى عن أبيه عن ابن أبى عمير عن جميل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام(۲) قال سئل عمّا ندب(۳) اللّه الخلق إليه أدخل فيه الضّلال؟ «الضلاله خ» قال: نعم و الكافرون دخلوا فيه، لأن اللّه تبارك و تعالى أمر الملائكه بالسّجود لآدم فدخل فى امره الملائكه و إبليس، فانّ إبليس كان مع الملائكه فى السّماء يعبد اللّه و كانت الملائكه يظن أنّه منهم فلمّا أمر اللّه الملائكه بالسّجود لآدم أخرج ما كان فى قلب إبليس من الحسد، فعلمت الملائكه أنّ إبليس لم يكن منهم، فقيل له عليه السّلام:

فكيف وقع الأمر على إبليس و إنّما أمر اللّه الملائكه بالسّجود لآدم؟ فقال: كان إبليس منهم بالولاء و لم يكن من جنس الملائكه، و ذلك انّ اللّه خلق خلقا قبل آدم، و كان إبليس فيهم حاكما فى الأرض فعتوا و أفسدوا و سفكوا الدّماء، فبعث



---

۱- (۱) للشيخ البهائى ره:جد تو آدم بهشتش جاى بودقدسيان كردند بهر او سجوديك گنه چون كرد گفتندش تمامذنبى مذنب برو بيرون خرامتو طمع دارى كه با چندين گناهداخل جنت شوى اى رو سياه - منه

۲- (۲) فى روايه اخرى للقمى عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال ان اللّه تبارك و تعالى اراد ان يخلق خلقا بيده و ذلك بعد ما مضى من الجن و النسناس فى الارض سبعه الف سنه و كان من شانه خلق آدم الحديث.

۳- (۳) اى دعاه اليه، منه

اللّه الملائکه فقتلوهم و أسروا إبلیس و رفعوه إلی السّماء فکان مع الملائکه یعبد اللّه إلی أن خلق اللّه تبارک و تعالی آدم.

و منها أنّ سجودهم له لما کان فی صلبه من أنوار نبیّنا و أهل بیته المعصومین صلوات اللّه علیهم یدلّ علیه ما رواه فی الصّافی و البحار عن تفسیر الامام عن علیّ بن الحسین عن أبیه عن رسول اللّه سلام اللّه علیهم، قال: یا عباد اللّه إن آدم لما رأی النّور ساطعا من صلبه إذ کان اللّه قد نقل أشباحنا من ذروه العرش إلی ظهره رأی النّور و لم یتبین الأشباح، فقال: یا ربّ ما هذه الأنوار؟ فقال عزّ و جلّ: أنوار أشباح نقلتهم من أشرف بقاع عرشی إلی ظهرک و لذلک أمرت الملائکه بالسّجود لک إذ کنت وعاء لتلک الأشباح، فقال آدم: یا ربّ لو بینتها لی، فقال اللّه عزّ و جلّ: انظر یا آدم الی ذروه العرش، فنظر آدم و وقع نور أشباحنا من ظهر آدم علی ذروه العرش فانطبع فیه صور أنوار أشباحنا التی فی ظهره کما ینطبع وجه الانسان فی المرآه الصّافیه فرأی أشباحنا، فقال: ما هذه الأشباح یا ربّ؟ قال اللّه یا آدم هذه أشباح أفضل خلایقی و بریاتی هذا محمّد و أنا الحمید المحمود فی فعالی شققت له اسما من اسمی و هذا علیّ و أنا العلیّ العظیم شققت له اسما من اسمی، و هذه فاطمه و أنا فاطر السّماوات و الأرض فاطم أعدائی من رحمتی یوم فصل قضائی و فاطم أولیائی عمّا یعرهم «یعتریهم خ» و یشینهم فشققت لها اسما من اسمی، و هذا الحسن، و هذا الحسین و أنا المحسن المجمل فشققت اسمیهما من اسمی هؤلاء خیار خلیقتی و کرام بریّتی بهم آخذوا بهم اعطی و بهم أعاقب و بهم أثیب فتوسّل بهم إلیّ یا آدم إذا دهتک داهیه فاجعلهم إلیّ شفعائک فانّی آلیت علی نفسی قسما حقّا أن لا اخیب بهم آملا و لا أردّ بهم سائلا فلذلک حین زلت منه الخطیئه دعا اللّه عزّ و جلّ بهم فتیب علیه و غفرت له.

### الثالث

لقائل أن یقول: ما ذا کان المانع لابلیس عن السّجود؟

قلت: المستفاد من روایه القمی السّالفه أنّه الحسد، و المستفاد من الآیات القرآنیه أنّه الاستکبار، و هو

المستفاد أيضا ممّا رواه فى البحار عن قصص الرّاوندى بالاسناد إلى الصدوق باسناده إلى ابن عبّاس قال: قال إبليس لنوح عليه السّلام: لك عندى يد سأعلّمك خصالا، قال نوح: و ما يدى عندك؟ قال: دعوتك على قومك حتّى أهلكهم اللّه جميعا، فايّاك و الكبر و إيّاك و الحرص و إيّاك و الحسد، فانّ الكبر هو الذى حملنى على أن تركت السّجود لآدم فأكفرنى و جعلنى شيطانا رجيما، و إيّاك و الحرص فانّ آدم أبيح له الجنّه و نهى عن شجره واحده فحمله الحرص على أن أكل منها، و إيّاك و الحسد فانّ ابن آدم حسد أخاه فقتله، فقال نوح: متى تكون أقدر على ابن آدم؟ فقال: عند الغضب هذا.

و لا منافاه بينها لأنّه يجوز أن يكون المانع الحسد و الكبر النّاشى من قياسه الفاسد جميعا.

و يدلّ عليه(۱) ما رواه علىّ بن إبراهيم باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى عن أبى جعفر محمّد بن علىّ بن الحسين عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات اللّه عليهم. فى حديث طويل و ساق الحديث إلى قوله: فخلق اللّه آدم فبقى أربعين سنه مصوّرا و كان يمرّ به إبليس اللعين فيقول: لأمر ما خلقت، فقال العالم عليه السّلام:

فقال ابليس: لأن أمرنى اللّه بالسّجود لهذا لعصيته، قال: ثمّ نفخ فيه، فلما بلغت فيه الرّوح إلى دماغه عطس عطسه فقال: الحمد للّه، فقال اللّه له: يرحمك اللّه(۲) ، ثمّ قال اللّه تبارک و تعالى للملائكه: اسجدوا لآدم فسجدوا له، فاخرج إبليس ما كان فى قلبه من الحسد فأبى أن يسجد فقال اللّه عزّ و جلّ.

«ما مَنَعَکَ أَلّاٰ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُکَ قالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِی مِنْ نارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ».

قال الصّادق عليه السّلام فأوّل من قاس إبليس و استكبر، و الاستكبار هو أوّل معصيه عصى اللّه بها، قال: فقال ابليس: يا ربّ اعفنى من السّجود لآدم و أنا أعبدك عباده لم يعبدكها ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل، قال اللّه تعالى: لا حاجه لى إلى عبادتك إنّما أريد



---

۱- (۱) اى على وجه الجمع بما ذكر، منه

۲- (۲) قال الصادق فسبقت له من اللّه المرحمه، تفسير القمى (ره)

أن أعبد من حيث أريد لا من حيث تريد، فأبى أن يسجد فقال اللّه تبارک و تعالی:

«فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّکَ رَجِیمٌ وَ إِنَّ عَلَیْکَ لَعْنَتِی إِلی یَوْمِ الدِّینِ ».

فقال ابلیس: یا رب کیف و أنت العدل الذی لا تجور فثواب عملی بطل، قال: لا و لکن اسأل من أمر الدّنیا ما شئت ثوابا لعملک فاعطیک فأوّل ما سأل البقاء إلی یوم الدّین، فقال اللّه قد أعطیتک.

قال: سلّطنی علی ولد آدم، قال: سلّطتک قال: أجرنی فیهم مجری الدّم فی العروق قال: أجریتک، قال: لا یولد لهم ولد إلاّ ولد لی اثنان و أراهم و لا یرونی و أتصوّر لهم فی کلّ صوره شئت، فقال: قد أعطیتک، قال: یا ربّ زدنی، قال: قد جعلت لک و لذریّتک صدورهم أوطانا، قال: ربّ حسبی فقال ابلیس عند ذلک:

«فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ إِلاَّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ »... «ثُمَّ لَآتِیَنَّهُمْ مِنْ بَیْنِ أَیْدِیهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَیْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَکْثَرَهُمْ شاکِرِینَ ». هذا و روی أیضا باسناده عن زراره عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: لمّا اعطی اللّه تبارک و تعالی لابلیس ما أعطاه من القوّه قال آدم: یا ربّ سلّطت إبلیس علی ولدی و أجریته فیهم مجری الدّم فی العروق و أعطیته ما أعطیته فما لی و لولدی! فقال: لک و لولدک السیّئه بواحده و الحسنه بعشر أمثالها، قال: یا رب زدنی، قال: التّوبه مبسوطه إلی حین یبلغ النّفس الحلقوم، فقال: یا ربّ زدنی قال: أغفر و لا ابالی قال: حسبی.

## الرابع

اختلفوا فی أنّ ابلیس اللّعین هل هو من الجنّ أم من الملائکه،

المعزی إلی أکثر المتکلمین من أصحابنا و المعتزله هو الأوّل، و ذهب کثیر من فقهاء العامّه علی ما حکی عنهم الفخر الرّازی و جمهور المفسّرین و منهم ابن عبّاس علی ما حکاه عنهم الشّارح البحرانی إلی الثّانی.

و المختار عندنا هو الأوّل وفاقا للاکثر و منهم المفید و قد نسبه إلی الامامیّه کلّها، حیث قال فی المحکی عنه فی کتاب المقالات: إنّ ابلیس من الجنّ خاصّه

و إنّه ليس من الملائكه و لا كان منها، قال اللّه تعالى:

«إِلّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ ».

و جاءت الأخبار المتواتره عن أئمه الهـدى من آل محمّـد عليهم السّـلام بذلك، و هو مذهب الاماميّه كلّها و كثير من المعتزله و أصحاب الحديث انتهى.

و احتجّ للمختار بوجوه.

الأوّل: انّ إبليس من الجنّ فوجب أن لا يكون من الملائكه، أمّا أنّه من الجنّ فلقوله تعالى فى سوره الكهف:

«إِلّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ».

و أمّا أنّه إذا كان من الجنّ فوجب أن لا يكون من الملائكه، فلقوله تعالى:

«وَ يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلاـئِكَهِ أَ هؤُلاـءِ إِيّاكُمْ كانُوا يَعْبُدُونَ قالُوا سُـبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ » فانّ الآيه صريحه فى الفرق بين الجنّ و الملائكه.

و مـا ربّما يتوهّم من أنّ معنى قوله سبحانه: كان من الجنّ، أنّه كان خازن الجنّه على ما روى عن ابن مسعود، أو أنّ كان بمعنى صار، أى صار من الجنّ كما أنّ قوله: و كان من الكافرين، بمعنى صار من الكافرين، فظاهر الفساد.

أمّا أولا فلأنّه خلاف الظاهر المتبادر من الآيه الشّريفه، كما أنّ حمل كان بمعنى صار كذلك.

و أمّا ثانيا فلأنّه سبحانه علّل ترك السّجود بأنّه كان من الجنّ و لا يمكن تعليل ترك السّجود بكونه خازنا للجنّه كما لا يخفى.

و العجب من بعضـهم حيث قال: إن كونه من الجنّ لا ينافى كونه من الملائكه لأنّ الجنّ من الاجتنان و هو الاسـتتار، و الملائكه مستترون عن العيون فصحّ جواز إطلاق اللّفظ عليهم.

و فيه أنّ الجنّ و إن كان يجوز إطلاقه بحسب اللغه على الملك إلاّ أنّه صار فى الاصطلاح مختصّا بالجنس المقابل للملك و الانس، فلا يجوز الاطلاق.

الثّانى أنّ إبليس له ذريّه و نسل، قال اللّه تعالى:

«أَ فَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونِي».

و الملائكه لا ذريّه لهم إذ ليس فيهم انثى كما يدل عليه قوله سبحانه:

«وَ جَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبادُ الرَّحْمنِ إِناثاً».

و اورد عليه بمنع دلاله الايه على انتفاء الانثى أولا، و منع ملازمه انتفاء الانثى على تقديره ثانيا، ألا ترى أنّ الشّياطين ليس فيهم انثى و مع ذلك لهم ذرّيه، و لذلك قال شيخنا الطوسى (ره) فى محكى كلامه عن التّبيان: من قال إنّ إبليس له ذرّيه و الملائكه لا ذرّيه لهم و لا يتناكحون و لا يتناسلون فقد عوّل على خبر غير معلوم.

الثّالث أنّ الملائكه معصومون لأدلّه العصمه و إبليس ليس بمعصوم فلا يكون منهم و ربّما يستدلّ بوجوه أخر لا حاجه إلى ذكرها.

و احتجّ للقول الثّانى بوجهين.

الاول انّه سبحانه استثناه فى غير موضع من القرآن من الملائكه، و الاستثناء إخراج ما لولاه لدخل، و هو يفيد كونه من الملائكه.

و ما أورد عليه أولا من أنّ الاستثناء المنقطع شايع فى كلام العرب و كثير فى كلام اللّه سبحانه قال:

«وَ إِذْ قالَ إِبْراهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنَّنِي بَراءٌ مِمّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي».

و قال: «لا يَسْمَعُونَ فِيها لَغْواً وَ لا تَأْثِيماً إِلّاَ قِيلًا سَلاماً سَلاماً» و قال: وَ «لا»

«تَأْكُلُوا أَمْوالَكَمْ بَيْنَكَمْ بِالْباطِلِ إِلاّ أَنْ تَكَونَ تِجارَةً عَنْ تَراضٍ ».

إلى غير ذلك.

و ثانيا من أنّ الاستثناء على تسليم اتصاله أيضا لا يفيد الدّخول كما قال الزّمخشرى بعد قوله سبحانه إلّا إبليس استثناء متّصل، لأنّه كان جنّيا واحدا بين أظهر الالوف من الملائكه مغمورا بهم فغلبوا عليه فى قوله فاسجدوا ثمّ استثنى منهم استثناء واحد منهم.

فقد ردّ الأوّل بانّه خلاف الأصل و لا يصار إليه إلّا بدليل و الأدلّه السّالفه(۱) لا تصلح للدّلاله لأنّها من قبيل العمومات، و الأمر فى المقام دائر بين تخصيصها على جعل ابليس من الملائكه و بين حمل الاستثناء على المنقطع على جعله من الجنّ و كلاهما خلاف الأصل إلّا أنّ الأوّل أولى لأن تخصيص العام أغلب من انقطاع الاستثناء فلا بدّ من المصير اليه.

و الثّانى بأنّ تغليب الكثير على القليل إذا كان ذلك القليل ساقط العبره غير ملتفت إليه فى جنب الكثير أمّا إذا كان معظم الحديث لا يكون إلّا عن ذلك الواحد لم يجز اجراء حكم غيره عليه و تغليبه عليه و فيه نظر و وجهه سيظهر.

الثانى أنّه لو لم يكن إبليس من الملائكه لما كان الأمر بالسجده بقوله اسجدوا شاملا له، فلا يكون تركه للسّجود إباء و استكبارا و معصيه، و لما استحق الذمّ و العقاب، و حيث حصلت هذه الامور كلّها فعلمنا بتناول الخطاب له، و لا يتناوله إلّا مع كونه من الملائكه.

و ردّ أولا ـ بمنع كونه مخاطبا بذلك الخطاب العام المستلزم للتّناول، لم لا يجوز أن يخاطب بأمر آخر مختص به، و ثانيا بمنع استلزام تناول ذلك الخطاب له على تقدير تسليمه كونه من الملائكه لجواز أن يكون طول مخالطته بهم و نشوه معهم مصحّحا لتعلق الخطاب و تناوله فلا يثبت به الملازمه.



---

۱- (۱) على كونه من الجن، منه

و يضعّف الأول بأن ظاهر قوله: و إذ قلنا للملائكه اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس، أن الاباء و العصيان إنّما حصل بمخالفه هذا الأمر لا بمخالفه أمر آخر.

و الثّانى بأنّ طول المخالطه لا يوجب تناول الحكم و إلاّ لتناول خطاب المذكور فى الأدلّه الشّرعيّه للاناث و بالعكس و هو خلاف ما صرّح به علماء الأصول.

أقول: هذا جمله ما استدلّ به على الطرفين فى المقام و التّعويل عندنا على الأخبار الصّحيحه عن العتره الطاهره:

منها روايه علىّ بن ابراهيم القمىّ السّالفه فى الأمر الثّانى.

و منها ما عن تفسير الامام عن يوسف بن محمّد بن زياد و علىّ بن محمّد بن سيار عن أبويهما عن العسكرى عليه السّلام فى ذيل قصّه هاروت و ماروت بعد إثباته عليه السّلام عصمه الملائكه، قالا: قلنا له: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضا ملكا، فقال: لابل كان من الجنّ، أما تسمعان اللّه عزّ و جلّ يقول:

«وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ ».

فأخبر عزّ و جلّ أنّه كان من الجنّ، و هو الذى قال اللّه عزّ و جلّ:

«وَ الْجَانَّ خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نارِ السَّمُومِ ».

و منها ما رواه العيّاشى عن جميل بن درّاج عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: سألته عن إبليس أ كان من الملائكه او هل كان يلى شيئا من أمر السّماء؟ قال عليه السّلام: لم يكن من الملائكه و لم يكن يلى شيئا من أمر السّماء، و كان من الجنّ، و كان مع الملائكه، و كانت الملائكه ترى أنّه منها، و كان اللّه يعلم أنّه ليس منها، فلما أمر بالسّجود كان منه الذى كان.

و منها ما رواه علىّ بن ابراهيم باسناده عن جميل قال: كان الطيار يقول لى ابليس ليس من الملائكه و إنّما امرت الملائكه بالسّجود لآدم، فقال إبليس لا أسجد

فما لابليس يعصى حين لم يسجدو ليس هو من الملائكه، قال فدخلت أنا و هو على أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال فأحسن و اللّه فى المسأله فقال جعلت فداك: أرأيت ما ندب اللّه إليه المؤمنين من قوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ».

دخل فى ذلك المنافقون معهم؟ قال: نعم، و الضلال و كلّ من أقرّ بالدّعوه الظاهره، و كان إبليس ممّن أقرّ بالدّعوه الظاهره معهم.

إلى غير ذلك من الأخبار الكثيره التى قد سمعت فى صدر المسأله عن المفيد «قده» ادعاءه تواترها و نسبه المذهب المختار إلى الاماميّه رضوان اللّه عليهم الظاهر فى كونه مجمعا عليه بينهم، و لا يعبأ بخلاف شيخنا الطوسى قدّس اللّه روحه فى المسأله و لا يقدح ذلك فى الاجماع مع كونه معلوم النّسب و ادّعاؤه الرّوايه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام بكونه من الملائكه ضعيف، بما قاله العلامه المجلسى من أنّا لم نظفر بها و إن ورد فى بعض الأخبار فهو نادر مأوّل.

فان قلت: سلّمنا ذلك كلّه و لكن كيف يتصوّر فى حقّ الملائكه عدم علمهم بأنّ إبليس منهم بعد أن أسروه من الجنّ و رفعوه إلى السّماء، و ما المراد بقولهم عليهم السّلام فى الأخبار السّابقه: و كانت الملائكه ترى أنّه منها؟ قلنا: يحتمل أن يكون المراد أنّ الملائكه ترى أنّه منهم فى طاعه اللّه و عدم العصيان لمواظبته على عبادته سبحانه أزمنه متطاوله، فيكون من قبيل قولهم عليهم السّلام: سلمان منا، أو أنّهم لمّا رأوا تباين أخلاقه ظاهرا للجنّ و تكريم اللّه تعالى إياه و جعله من بينهم مرفوعا إلى السّماء، و جعله رئيسا على بعضهم كما قيل، ظنّوا أنّه كان منهم وقع بين الجنّ.

## الخامس

لقائل أن يقول: كيف كان سجود الملائكه لآدم

أهو بنحو السّجود المتعارف من وضع الجبهه على المسجد أو بنحو آخر؟ قلت: الموجود فى كلمات الأعلام أنّه

كان بنحو السّجود المتعارف، و هو المروى عن الصّادق عليه السّلام أيضا، و لا إشكال فيه و إنّما الاشكال فى أنّ السّجده عباده، و كيف جاز فى حقّ آدم.

قلت: قد اتّفق المسلمون على أنّ ذلك السّجود ليس سجود عباده، لأن سجود العباده لغير اللّه كفر و لا يمكن أن يكون مأمورا به.

ثمّ اختلفوا بعد ذلك على أقوال:

أحدها أنّه على وجه التكرمه لآدم و التّعظيم لشأنه و تقديمه عليهم و هو قول قتاده و جماعه من أهل العلم، و هو المرويّ عن أئمّتنا و لهذا جعل أصحابنا ذلك دليلا على أفضليّه الأنبياء من الملائكه من حيث انّه امرهم بالسّجود لآدم و ذلك يقتضى تعظيمه و تفضيله عليهم و إذا كان المفضول لا يجوز تقديمه على الفاضل علمنا أنّه أفضل من الملائكه، و قد نسب الصدوق ذلك فى العقائد إلى اعتقاد الاماميّه، و هو ظاهر فى قيام اجماعهم على هذا القول.

لا يقال: سجود التعظيم و التكرمه هو عباره اخرى لسجود العباده فيعود الاشكال لانّا نقول: لا نسلّم كونه عباده، و ذلك لأن الفعل قد يصير بالمواضعه مفيدا كالقول يبين ذلك أن قيام أحدنا للغير يفيد من الاعظام ما يفيده القول و ما ذاك إلّا للعاده فلا يمتنع أن يكون فى بعض الأوقات سقوط الانسان على الأرض و إلصاقه الجبين بها مفيدا ضربا من التّعظيم و إن لم يكن ذلك عباده، و إذا كان كذلك لم يمتنع أن يتعبّد اللّه الملائكه بذلك إظهارا لرفعته و كرامته.

الثّانى أنّ السّجود كان للّه و آدم كالقبله حكاه الطبرى عن الجبائى و أبى القاسم البلخى.

و أورد عليه أوّلا بأنّه لا يقال صلّيت للقبله بل يقال صلّيت إلى القبله فلو كان آدم قبله يقول اسجدوا إلى آدم مع أنّه قال اسجدوا لآدم، و يظهر منه عدم كونه قبله.

و ثانيا بأنّ إباء إبليس عن السّجود إنّما هو لاعتقاده تفضيله به و تكرمته

و حسبانه أنّ کونه مسجودا له یدلّ علی أنّه أعظم شأنا من السّاجد کما یشعر به قوله:

«قالَ أَ رَأَيْتَکَ هذَا الَّذِی کَرَّمْتَ » و قوله: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ ».

و من المعلوم أنّ السّجده للقبله لا یوجب تفضیل القبله علی السّاجد ألا تری أن النبی صلّی اللّه علیه و آله کان یصلّی إلی الکعبه و لا یلزم أن یکون الکعبه أفضل منه.

و أجیب عن الأوّل بأنّه کما یجوز ان یقال: صلّیت إلی القبله کذلک یصحّ أن یقال: صلّیت للقبله، و کلاهما بمعنی واحد، و یشهد بصحته قول حسان فی مدح مولانا أمیر المؤمنین علیه السّلام:

ما کنت أعرف «أحسب خ» انّ الأمر منصرف عن هاشم ثمّ منها عن أبی حسن

أ لیس أوّل من صلّی لقبلتکم و أعرف النّاس بالآیات «القرآن خ» و السنن

و عن الثّانی بأنّ إبلیس شکی تکریمه و ذلک التکریم لا نسلّم أنّه حصل بمجرّد تلک المسجودیه، بل لعلّه حصل بذلک مع امور اخر، هذا، و أنت خبیر بما فیه.

الثّالث أنّ السّجود فی أصل اللغه هو الانقیاد و الخضوع و هو المراد هنا.

و ردّه الفخر الرّازی بأنّ السّجود لا شکّ أنّه فی عرف الشرع عباره عن وضع الجبهه علی الأرض، فوجب أن یکون فی أصل اللغه کذلک، لأصاله عدم النّقل انتهی.

و فیه ما لا یخفی و أنت بعد الخبره بما ذکرناه تعرف أنّ الأقوی هو القول الأوّل.

**السادس**

إن قیل: أیّ حکمه فی خلقه الشّیطان و تسلیطه علی ابن آدم و إمهاله إلی

یوم الدین؟

قلت: هذه شبهه وقعت فی البریه و أصلها نشأت من إبلیس من استبداده بالرّأی فی مقابله النصّ و اختیاره الهوی فی معارضه الأمر و استکباره بالنّار التی

خلق منها على الطين و الصّلصال، و تفصيل هذه الشّبهه ما حكاه الفخر الرّازى عن محمّد بن عبد الكريم الشّهرستانى فى أوّل كتابه المسمّى بالملل و النّحل حكايه عن مارى شارح الأناجيل الأربعه، قال: و هى مذكوره فى التوراه متفرّقه على شكل مناظره بينه و بين الملائكه بعد الأمر بالسّجود، قال إبليس للملائكه: إنّى اسلم أن لى إلها هو خالقى و موجدى و هو خالق الخلق لكن لى على حكمه اللّه أسأله سبعه.

الاول ما الحكمه فى الخلق لا سيّما كان عالما بأنّ الكافر لا يستوجب عند خلقه إلّا الآلام؟ الثانى ثمّ ما الفائده فى التّكليف مع أنّه لا يعود منه ضرّ و لا نفع، و كلّ ما يعود إلى المكلّفين فهو قادر على تحصيله لهم من غير واسطه التّكليف؟ الثالث هب أنّه كلفنى بمعرفته و طاعته فلما ذا كلّفنى بالسّجود لآدم؟ الرابع ثمّ لمّا عصيته فى ترك السّجود لآدم فلم لعننى و أوجب عقابى مع أنّه لا فائده له و لا لغيره فيه ولى فيه أعظم الضّرر؟ الخامس ثمّ لمّا فعل ذلک فلم مكّننى من الدّخول إلى الجنّه و وسوست لآدم عليه السّلام؟ السادس ثمّ لمّا فعلت ذلک فلم سلّطنى على أولاده و مكّننى من إغوائهم و إضلالهم؟ السابع ثمّ لمّا استمهلته المدّه الطويله فى ذلک فلم أمهلنى؟ و معلوم أنّ العالم لو كان خاليا عن الشّر لكان ذلک خيرا.

قال شارح الأناجيل: فأوحى اللّه تعالى إليه(١) من سرادقات الجلال و الكبرياء يا إبليس انّک ما عرفتنى و لو عرفتنى لعلمت أنّه لا اعتراض علىّ فى شىء من أفعالى،



---

١- (١) و فى بعض العبارات فاوحى اللّه الى الملائكه قولوا له انک فى تسليمک الاول الى الهک و آله الخلق غير صادق و لا مخلص اذ لو صدقت انى اله العالمين ما حكمت على بلم فانا اللّه لا اله الا انا لا اسأل غما افعل و الخلق مسئولون (منه)

فانّى انا اللّه لا اله إلّا أنا لا أسأل عمّا أفعل.

قال الفخر الرّازى بعد حكايه ذلك: و اعلم أنّه لو اجتمع الأوّلون و الآخرون من الخلايق و حكموا بتحسين العقل و تقبيحه لم يجدوا عن هذه الشّبهات مخلصا و كان الكلّ لازما، أمّا اذا أجبنا بذلك الجواب الذى ذكره اللّه تعالى زالت الشّبهات و اندفعت الاعتراضات، و كيف لا، و كما أنّه سبحانه واجب الوجود فى ذاته واجب الوجود فى صفاته فهو مستغن فى فاعليّته عن المؤثرات المرجحات إذ لو افتقر لكان فقيرا لا غنيّا فهو سبحانه مقطع الحاجات و منتهى الرّغبات و من عنده نيل الطلبات، و إذا كان كذلك لم تتطرق اللميّه إلى أفعاله و لم يتوجه الاعتراض على خالقيّته انتهى.

قال الصّدر الشّيرازى فى كتابه المسمّى بمفاتيح الغيب بعد ذكره شبهات إبليس و جوابه سبحانه و ذكره ما حكيناه عن الرّازى: أقول: إنّ لكلّ من هذه الشبهات جوابا برهانيّا صحيحا واضحا عند أصحاب القلوب المستقيمه، لابتنائه على الاصول الحقه العرفانيه فى المقدمات الاضطراريه اليقينيه لكن الجاحد المعوج لا ينفعه كثره البراهين النّيره، و إنّما يسكته الجواب الجدلى المشهور المبنى على المقدمات المقبوله التى يذعن بها الجمهور، و ليس معنى قوله تعالى لا اسأل عمّا افعل أنّه ليس لما فعله مبدء ذاتى و غايه عقليّه و مصلحه حكميّه، كما هو مذهبهم من إبطال العلّيه و المعلوليّه و إنكار العلاقه الذّاتيه بين الأسباب و مسبّباتها و تجويز ترجيح أحد المتساويين فى النّسبه على الاخر و تمكين المجازات الاختياريه و الارادات التّخييليّه بل المراد أحد معنيين.

الأوّل أنّه لا لميّه للفعل الصّادر عن ذاته من غير واسطه سوى ذاته و إنّما ذاته هو منشأ الفعل المطلق و غايته و كما لا سبب لذاته فى وجوده لا سبب لذاته فى ايجاده و إلّا لكان ناقصا فى ذاته مستكملا بغيره تعالى عن ذلك علوّا كبيرا.

الثّانى أنّ من ليس له درجه الارتقاء إلى عالم الملكوت و الوصول إلى شهود المعارف الالهيّه و إدراك الحضره الرّبوبيّه فلا يمكنه العلم بكيفيّه الصّنع و الايجاد

على ما هو عليه، و لا سبيل له إلّا التسليم و الاعتراف بالقصور و من له مرتبه إدراك الأشياء كما هى بالعلم اللّدنّى فلا حاجه له إلى السّؤال، لأنّه يلاحظ الامور على ما هى عليه بنور اللّه و بعين قلبه المنوّر بنور الايمان و العرفان، لا بأنوار المشاعر كالشّيطان، و لهذا منع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله النّاس عن التّكلم و البحث فى الأشياء الغامضه كسرّ القدر و مسأله الرّوح، لأنّ البحث عنها لا يزيد إلّا حيره و دهشه.

و قال فى شرح أصول الكافى ما محصّله: إنّ غرض الفخر الرّازى إثبات مذهب أصحابه من القول بالفاعل المختار و نفى التخصيص فى الأفعال، و ذلک ممّا ينسد به باب إثبات المطالب بالبراهين كاثبات الصّانع و صفاته و أفعاله و اثبات البعث و الرّساله، إذ مع تمكين هذه الاراده الجزافيّه لم يبق اعتماد على شىء من اليقينيات، فيجوز أن يخلق الفاعل المختار بالاراده التى يعتقدها هؤلاء الجدليون فينا أمرا يرينا الاشياء لا على ما هى عليه.

فاقول: إنّ لكلّ شبهه من هذه الشّبهات التى أوردها اللّعين جوابا برهانيّا حقّا من قبل اللّه تعالى بما يسكته، و هو بيان حاله و ما هو عليه من كفره و ظلمه جوهره عن إدراک الحقّ كما هو، و ان ليس غرضه فى ابداء هذه الشبهات إلّا الاعتراض و إغواء من يتبعه من الجهال النّاقصين أو الغاوين الذين هم جنود إبليس أجمعون، فقيل له: إنّک لست بصادق فى دعواک معرفه اللّه و ربوبيّته و لو صدقت فيها لم تكن معترضا على فعله.

### و أمّا الأجوبه الحكميّه عن تلک الشبهات على التّفصيل لمن هو أهلها

و مستحقّها

فهى هذه.

### اما الشبهه الاولى

و هى السّؤال عن الحكمه و الغايه فى خلق إبليس،

فالجواب عنها أنّه من حيث إنّه من جمله الموجودات على الاطلاق فمصدره و غايته ليس إلّا ذاته تعالى التى تقتضى وجود كلّ ما يمكن وجوده و يفيض عنها الوجود على كلّ قابل و منفعل، و أمّا حيثيّه كونه موجودا ظلمانيا و ذاتا شريره و جوهرا خبيثا فليس ذلک بجعل

جاعل، بل هو من لوازم هويته النّازله فى آخر مراتب النّفوس و هى المتعلّقه بما دون الأجرام السّماويه و هو الجسم النّارى الشديده القوّه فلا جرم غلبت عليه الانانيّه و الاستكبار و الافتخار و الاباء عن الخضوع و الانكسار.

### و اما الشبهه الثانيه

و هى السؤال عن حكمه التّكليف بالمعرفه و الطاعه

، فالجواب عنها أنّ الغايه فى ذلك تخليص النّفوس من اسر الشّهوات و سجن الظلمات و نقلها من حدود البهيميّه و السبعيّه إلى حدود الانسانيه و الملكيّه و تطهيرها و تهذيبها بنور العلم و قوّه العمل من درن الكفر و المعصيه و رجس الجهل و الظلمه، و لا ينافى عموم التكليف عدم تأثيره فى النّفوس الجاشيه و القلوب القاسيه، كما أنّ الغايه فى إنزال الغيث إخراج الحبوب و إنبات الثّمار و الأقوات منها(۱) و عدم تأثيره فى الصّخور القاسيه و الأراضى الخبيثه لا ينافى عموم النّزول، و اللّه أجل من أن تعود إليه فائده فى هدايه الخلق كما فى إعطائه أصل خلقه بل هو الذى «أَعْطى كُلَّ شَیْ ءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى ».

من غير غرض أو عوض فى فضله وجوده.

### و اما الشبهه الثالثه

و هى السّؤال عن فايده تكليفه بالسّجود لآدم و الحكمه فيه،

فالجواب عنها أولا أنّه ينبغى أن يعلم أن للّه سبحانه فى كلّ ما يفعله أو يأمر به حكمه بل حكما كثيره لأنّه تعالى منزّه عن فعل العبث و الاتفاق و الجزاف و إن خفى علينا وجه الحكمه فى كثير من الامور على التّفصيل بعد أن علمنا القانون الكلى فى ذلك على الاجمال، و خفاء الشيء علينا لا يوجب انتفائه، و هذا يصلح للجواب عن هذه الشبهه و نظايرها.

و ثانيا أنّ التكليف بالسّجود كان عامّا للملائكه و كان هو معهم فى ذلك



---

۱- (۱) كقطر الماء فى الاصداف درّ و فى بطن الافاعى صار سما ج. «۵»

الوقت فعمه الأمر بها تبعا و بالقصد الثّانى، لكنه لما تمرّد و عصى و استكبر و أبى بعد ما اعتقد بنفسه أنّه من المأمورين صار مطرودا ملعونا.

و ثالثا أنّ الأوامر الالهيّه و التّكاليف الشّرعيّه ما يمتحن به جواهر النّفوس و يعلن ما فى بواطنهم و يبرز ما فى مكان صدورهم من الخير و الشّر و الشّقاوه فتتمّ به الحجّه و تظهر المحجه «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ ».

## و اما الشبهه الرابعه

و هى السّؤال عن لمّه تعذيب الكفار و المنافقين و ايلامهم بالعقوبه و إبعادهم

عن دار الرّحمه و الكرامه،

فالجواب عنها أنّ العقوبات الاخرويّه من اللّه تعالى ليس باعثها الغضب و الانتقام و إزاله الغيظ و نحوها تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا، و إنّما هى لوازم و تبعات ساق إليها أسباب داخليّه نفسانيّه و أحوال باطنيّه انتهت إلى التعذيب بنتائجها من الهوى إلى الهاويه و السقوط فى أسفل درك الجحيم و مصاحبه الموذيات من العقارب و الحيّات و غيرها و مثالها فى هذا العالم الأمراض الوارده على البدن الموجبه للأوجاع و الأسقام بواسطه نهمه سابقه، فكما أنّ وجع البدن لازم من لوازم ما ساق إليه الأحوال الماضيه و الأفعال السّابقه من كثره الأكل أو إفراط الشّهوه و نحوهما من غير أن يكون هاهنا معذّب خارجىّ، فكذلك حال العواقب الاخرويّه و ما يوجب العذاب الأليم الدّائم لبعض النفوس الجاحده المعرضه عن الآيات و هى «نارُ اللّهِ الْمُوقَدَةُ اَلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ » و أما الّتى دلّت عليه الأخبار و الآيات الوارده فى الكتب الالهيّه و الشّرايع الحقّه من العقوبات الجسمانيه الوارده على بدن المسىء من خارج على ما يوصف فى التّفاسير فهى أيضا منشاها أمور باطنيه و هيئات نفسانيه برزت من

الباطن إلی الظاهر و تصورت بصور النیران و العقارب و الحیّات و المقامع من حدید و غیرها، و هکذا حصول الأجسام و الأشکال و الأشخاص فی الآخره کما حقّق فی مباحث المعاد الجسمانی و کیفیّه تجسّم الأعمال، و دلّ علیه کثیر من الآیات مثل قوله تعالی:

«وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِیطَهٌ بِالْکافِرِینَ » و قوله: «وَ بُرِّزَتِ الْجَحِیمُ لِلْغاوِینَ » و قوله: «کَلّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْیَقِینِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِیمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَیْنَ الْیَقِینِ » و قوله: «إِذا بُعْثِرَ ما فِی الْقُبُورِ وَ حُصِّلَ ما فِی الصُّدُورِ » ثمّ إذا سلّم معاقب من خارج فان فی ذلک أیضا مصلحه عظیمه، لأنّ التّخویف و الانذار بالعقوبه نافع فی أکثر الأشخاص و الانقیاد بذلک التخویف بتعذیب المجرم المسیء تأکید للتّخویف و مقتض لازدیاد النفع، ثم هذا التّعذیب، و ان کان شرّا بالقیاس الی الشّخص المعذّب لکنّه خیر بالقیاس الی أکثر أفراد النّوع فیکون من جمله الخیر الکثیر الذی یلزمه الشرّ القلیل کما فی قطع العضو لا صلاح البدن و سایر الأعضاء.

### و أما الشبهه الخامسه

و هی السؤال عن فائده تمکین الشیطان من الدّخول إلی آدم فی الجنّه

حتی غرّه بوسوسته فأکل ما نهی عنه فاخرج به من الجنّه، فالجواب عنها أنّ الحکمه فی ذلک و المنفعه عظیمه، فانّه لو بقی فی الجنه أبدا لکان بقی هو وحده فی منزلته التی کان علیها فی أوّل الفطره من غیر استکمال و اکتساب فطره اخری فوق الاولی و إذا هبط إلی الأرض خرج من صلبه أولاد لا تحصی یعبدون اللّه و یطیعونه إلی یوم القیامه و یرتقی منهم عدد کثیر فی کل زمان إلی درجات الجنان بقوّتی العلم و العباده، و أیّ حکمه و فائده أعظم و أجلّ و أرفع و أعلی من وجود الأنبیاء و الأولیاء؟ و من جملتهم سید المرسلین و أولاده المعصومون صلوات اللّه علیهم و علی سایر الأنبیاء

و المرسلين، و لو لم يكن فى هبوطه إلى الأرض مع إبليس إلاـ ابتدائه مدّه الدّنيا و اكتسابه درجه الاصطفاء لكانت الحكمه عظيمه و الخير جليلا.

### و أما الشبهه السادسه

و هى السؤال عن وجه الحكمه فى تسليطه على ذرّيه آدم بالاغواء و الوسوسه

بحيث يراهم من حيث لا يرونه، فالجواب عنها أن نفوس أفراد البشر فى أوّل الفطره ناقصه بالقوّه، و مع ذلك بعضها خيره نورانيه شريفه بالقوّه مايله إلى الامور القدسيه عظيمه الرغبه إلى الاخره، و بعضها خسيسه الجوهر ظلمانيه شريره مائله إلى الجسمانيّات عظيمه فى ايثار الشهوه و الغضب، فلو لم يكن الاـغواء و لاـ طاعه النّفس و الهوى لكان ذلك منافيا للحكمه لبقائهم على طبقه واحده من نفوس سليمه ساذجه فلا تتمشى عماره الدّنيا بعدم النفوس الجاسيه الغلاظ العماله فى الأرض لأغراض دنيّه عاجله، ألا ترى إلى ما روى من قوله تعالى فى الحديث القدسى: انّى جعلت معصيه آدم سببا لعماره العالم، و ما روى أيضا فى الخبر: لو لا أنّكم تذنبون لذهب اللّه بكم و جاء بقوم يذنبون.

### و أما الشبهه السابعه

و هى السؤال عن فائده إمهاله إلى يوم الوقت المعلوم

، فالجواب عنها بمثل ما ذكرناه، فان بقائه تابع لبقاء النّوع البشرى بتعاقب الأفراد و هى مستمرّه إلى يوم القيامه، فكذلك وجب استمراره لأجل ايراثه الفائده التى ذكرناها فى وجوده و وجود وسوسته إلى يوم الدين، انتهى ما أهمنا نقله و بعض أجوبته غير خال عن التأمل فتأمل

### الترجمه

و طلب أدا نمود حق سبحانه و تعالى از فرشتگان أمانت خود را كه نزد ايشان داشت و وصيت معهودهٔ كه بايشان نموده بود در اذعان و انقياد نمودن ايشان بسجده كردن مر او را و خضوع و فروتنى ايشان از براى تعظيم و تكريم آن، پس فرمود خداوند ربّ العزّه ايشان را كه سجده كنيد آدم را پس همه سجده كردند و هيچيك تمرّد نكرد مگر شيطان ملعون و قبيله و تابعان او، عارض شد ايشان را عصبيّت و غالب شد

بر ایشـان شـقاوت و بـدبختی، تکبر نمودنـد و عزیز شـمردند خودشان را بجهه مخلوق شـدن ایشان از آتش، و ضـعیف و خوار شمردنـد مخلوق از صـلصال و گـل خشـک را، پس عطـا فرمود خداونـد او را مهلـتی از برای اسـتحقاق او مر سـخط و غضـب خداونـدی را، و از برای تمام ساختن امتحان بنی نوع انسان، و از جهت راست نمودن وعـده خود پس فرمود که بـدرستی تو از مهلت داده شدگان هستی تا روزی که وقت دانسته شده است.

## الفصل الثانی عشر

### اشاره

ثمّ أسـکن آدم دارا أرغـد فیها عیشـته، و آمن فیها محلّته، و حذّره إبلیس و عداوته، فاغترّه عدوّه نفاسه علیه بدار المقام و مرافقه الأبرار، فباع الیقین بشکّه و العزیمه بوهنه، و استبدل بالجذل و جلا، و بالاعتزاز ندما.

### اللغه

(السّـکون) هو الاطمینـان و المسـکن المنزل و (الرغـد) النفع الواسع الکثیر الـذی لیس فیه عناء، قال ابن دریـد: الرّغـد السـعه فی العیش و (العیشه) بکسـر العین کالعیش بالفتح مصدر عاش یعیش و هو الحیاه و ما یعاش به من الرزق و الطعام و الخبز و (محلّه) القوم منزلهم (فاغترّه) من الغرّه بالکسـر و هو الغفله و (نفس) الشـیء بالضم نفاسه کرم و نفست به مثل ضـننت به لنفاسته لفظا و معنی و (المقام) بالفتح اسم مکان من قام بمعنی انتصب و بالضمّ اسم مکان من أقام و کلاهما صـحیحان و عزم (عزیمه) و عزمه اجتهد وجد فی أمره و (الجذل) بفتحتین مصدر جذل إذا فرح و (اعتزّ) بفلان عدّ نفسه عزیزه به

### الاعراب

کلمه ثمّ فی قوله علیه السّلام ثمّ أسکن حرف عطف مفیده للتّعقیب فتفید أنّ الاسکان

فی الجنّه بعد أمر الملائکه بالسجود و سجودهم و هو الظاهر من الترتیب الذکری فی الآیه الشریفه فی سوره البقره حیث قال سبحانه:

«وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِکَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ » ثم قال: «وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ ». الآیه إلّا أنّ المستفاد من الأخبار و ظاهر بعض(۱) الآیات و التفاسیر کون السجود حین السّکون فی الجنّه و یمکن الجواب بانّ المراد بالسّکنی فی الایه الشریفه و فی قول الامام علیه السّلام هو المقام مع اللّبث و الاستقرار و هو لا ینافی کون آدم علیه السّلام فی الجنّه قبل ذلک أیضا و کون سجود الملائکه له حین ما کان هو فیه کما هو ظاهر لا یخفی، و نصب إبلیس فی قوله و حذّره إبلیس علی نزع الخافض، و نفاسه منصوب علی المفعول له، و الباء فی قوله: بدار المقام للسّببیه، و فی قوله بشکّه باء الأثمان و هی الدّاخله علی الأعواض مثل بعت الکتاب بدرهم، و قد یطلق علیها باء المقابله، و فی قوله علیه السّلام: بالجذل و بالاعتزاز کذلک(۲) ، و یحتمل کونها هنا بمعنی من بناء علی کون الاستبدال بمعنی التبدل یقال تبدّله و تبدّل منه إذا اتخذه منه بدلا.

### المعنی

### اشاره

(ثمّ) إنّه سبحانه بعد ما أمر الملائکه بالسّجود لآدم فسجدوا إلّا إبلیس فجعله رجیما و أخرجه من جواره و (أسکن آدم) و أقرّه (دارا) أی فی دار (أرغد فیها عیشته) أی جعله فیها فی عیشه واسعه کما قال سبحانه فی سوره البقره:

«وَ قُلْنا یا آدَمُ اسْکُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُکَ الْجَنَّهَ وَ کُلا مِنْها رَغَداً حَیْثُ شِئْتُما ».

(و آمن فیها محلّته) نسبه الأمن إلی المحلّ من قبیل المجاز العقلی أی جعله



---

۱- (۱) و هو قوله فاخرج منها فانک رجیم و قوله: قال فاهبط منها فما یکون لک ان تتکبر فیها فاخرج انک من الصاغرین فافهم، منه

۲- (۲) ای للمقابله

فیها فی أمن من الآفات و سلامه من المکاره و الصدمات، و هذه من صفات الجنّه لأنّ من دخلها کان آمنا کما قال سبحانه:

«اُدْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِینَ ». (۱)

و هذا لاغبار علیه و إنّما الکلام فی أنّ الجنه التی أسکنه اللّه فیها هل هی جنّه الدنیا.

و تفصیل ذلک ما ذکره الفخر الرّازی، قال: اختلفوا فی أنّ الجنّه المذکوره فی الآیه هل کانت فی الأرض أو فی السّماء و بتقدیر أنّها کانت فی السّماء فهل هی الجنّه التی هی دار الثّواب أو جنّه الخلد أو جنّه أخری.

فقال أبو القاسم البلخی و أبو مسلم الاصفهانی: هذه الجنّه کانت فی الأرض و حملا الاهباط (۲) علی الانتقال من بقعه إلی بقعه، کما فی قوله تعالی:

«اِهْبِطُوا مِصْراً » و احتجا علیه بوجوه.

أحدها أنّ هذه الجنّه لو کانت هی دار الثواب لکانت جنّه الخلد، و لو کان آدم فی جنّه الخلد لما لحقه الغرور من إبلیس بقوله:

«هَلْ أَدُلُّکَ عَلی شَجَرَهِ الْخُلْدِ وَ مُلْکٍ لا یَبْلی » و لما صحّ قوله:

«ما نَهاکُما رَبُّکُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَهِ إِلاّ أَنْ تَکُونا مَلَکَیْنِ أَوْ تَکُونا مِنَ الْخالِدِینَ ».

و ثانیها أنّ من دخل هذه الجنّه لا یخرج منها، لقوله تعالی:

«وَ ما هُمْ مِنْها بِمُخْرَجِینَ ».

و ثالثها أنّ إبلیس لما امتنع من السّجود لعن، فما کان یقدر مع غضب اللّه



---

۱- (۱) و هذه الایه و ان کان نزولها فی صفه جنه الاخره الا ان جنه الدنیا طبقها فی هذه و غالب الصفات فلا ضرر فی الاستشهاد بها مع اختیارنا فیما بعد کون آدم فی جنه الدنیا کما هو ظاهر، منه

۲- (۲) ای فی قوله تعالی و قلنا اهبطوا بعضکم لبعض عدو الایه، منه

على أن يصل إلى جنّه الخلد.

و رابعها أنّ الجنّه التى هى دار الثواب لا يفنى نعيمها، لقوله تعالى:

«أُكُلُها دائِمٌ وَ ظِلُّها » و لقوله تعالى: «وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّهِ خالِدِينَ فِيها » الى أن قال: «عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ».

أى غير مقطوع، فهذه الجنّه لو كانت هى التى دخلها آدم لما فنيت، لكنها تفنى لقوله تعالى:

«كُلُّ شَيْ ءٍ هالِكٌ إِلاّ وَجْهَهُ ».

و لما خرج منها آدم و انقطعت تلك الرّاحات و خامسها أنّه لا يجوز فى حكمته تعالى أن يبتدء الخلق فى جنّه يخلدهم فيها و لا تكليف لأنّه لا يعطى جزاء العاملين من ليس بعامل، و لأنّه تعالى لا يهمل عباده بل لا بدّ من ترغيب و ترهيب و وعد و وعيد.

و سادسها لا نزاع فى أنّ اللّه تعالى خلق آدم فى الأرض و لم يذكر فى هذه القصّه أنّه نقله إلى السّماء. و لو كان تعالى قد نقله إلى السّماء كان ذلك أولى بالذّكر، لأنّ نقله من الأرض إلى السّماء من أعظم النّعم، فدلّ ذلك على أنّه لم يحصل، و ذلك يوجب أنّ المراد من الجنّه التى قال اللّه له «اُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّهَ ».

جنّه اخرى غير جنّه الخلد.

القول الثّانى و هو قول الجبائى أنّ تلك الجنّه كانت فى السّماء السّابعه، و الدليل عليه قوله تعالى: اهبطوا منها، ثم انّ الاهباط الأوّل كان من السّماء السّابعه إلى السّماء الاولى، و الاهباط الثّانى كان من السّماء إلى الأرض.

القول الثالث و هو قول جمهور أصحابنا إن هذه الجنّه هى دار الثواب و الدّليل عليه أنّ الألف و اللاّم فى لفظ الجنّه لا يفيد العموم، لأنّ سكون جميع الجنان

محال، فلا بدّ من صرفها إلى المعهود السّابق، و الجنّه التی هی المعهوده المعلومه بین المسلمین هی دار الثواب فوجب صرف اللّفظ إلیها.

القول الرّابع إن الکلّ ممکن و الأدله النّقلیه ضعیفه و متعارضه، فوجب التوقّف و ترک القطع و اللّه أعلم انتهی.

أقول: و الأظهر من هذه الأقوال هو القول الأوّل، لقوّه أدلّته و إن کان یمکن تطرّق النّظر إلیها.

أمّا الأوّل و الثّانی فلا مکان أن یقال: إنّ الخلود فیها و عدم الخروج إنّما یکون بعد استقرار أهل الجنّه فیها للثّواب، و هو المستفاد من أدلّه الخلود، و أمّا قبل ذلک فلا دلیل علیه.

و أمّا الثّالث فلما قیل: من أنّ إبلیس لم یدخل فی الجنّه بل وسوس لهما من وراء جدار الجنّه أو من الأرض.

و فیه نظر لأنّ المستفاد من ظاهر الآیات کون مخاطبته معهما مشافهه، کما أنّ الموجود فی أخبارنا دخوله إلیها بوسیله الحیّه حسبما یأتی الاشاره إلیها.

و الأولی أن یقال: هذا الدّلیل علی تقدیر تسلیمه جار علی غیر هذا القول أیضا و ذلک، لأنّ غضب اللّه سبحانه کما هو مانع من دخول جنّه الخلد فکذلک مانع من دخول مطلق الجنّه و إن لم تکن دار خلد، لأنّ الجنّتین کلتیهما مشترکتان فی کونهما دار رحمه و قرب، فلا یستحقّهما من غضب اللّه علیه و لعنه و طرده بقوله:

«فَاخْرُجْ مِنْها فَإِنَّکَ رَجِیمٌ ».

فان قیل: فکیف التّوجیه بین ذلک و بین ما استظهرت من الآیات و دلت علیه الأخبار من دخوله فی الجنّه بتوسط الحیّه.

قلت: یمکن التّوجیه بأن یقال: إنّه کان ممنوعا من دخولها بارزا بحیث یعرف، و قد دخلها مخفیّا لیدلیهما بغرور، و قد ورد ذلک فی بعض الأخبار، أو یقال:

إنّ دخوله فیه علی وجه التّقرب و التنعّم مناف لکونه مغضوبا علیه، و أمّا الدّخول

للتّدليس و الازلال بعد اقتضاء الحكمه له فلا منافاه له معه كما لا يخفى.

و أمّا الرّابع فلما مر فى الأولين.

و أمّا الخامس فلجواز أن يكون ذلك تفضّلا منه سبحانه، و ليست فى ذلك منافاه للحكمه كما توهّم.

و أمّا السّادس فظاهر لأنّه استبعاد محض، هذا كلّه ما يقتضيه التصرّفات الفكريه و دقّه النّظر فى الأدله و القاطع للكلام إنّما هو الأخبار المأثوره عن العتره الطاهره.

فقد روى فى الكافى و العلل عن الصّادق عليه السّلام أنّها كانت من جنان الدّنيا يطلع فيها الشّمس و القمر و لو كان من جنان الخلد ما خرج منها أبدا.

و مثلهما(۱) علىّ بن ابراهيم القمى فى تفسيره عن أبيه رفعه إليه عليه السّلام و قوله:

(و حذّره ابليس و عداوته) إشاره إلى ما حكاه سبحانه فى سوره طه بقوله:

«وَ إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَهِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاّ إِبْلِيسَ أَبى فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقى » فوسوس اليه الشّيطان و قال:

«يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّکَ عَلى شَجَرَهِ الْخُلْدِ وَ مُلْكٍ لا يَبْلى ».

و (اغترّه عدوه نفاسه) و بخلا (عليه بدار المقام و مرافقه الأبرار) من الروحانيين و الملائكه المقرّبين.

«فَأَكَلا مِنْها فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما وَ طَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ».



---

۱- (۱) لكن قول امير المؤمنين عليه السّلام فى الفصل الاتى و وعده المرد الى جنته ينافى هاتين الروايتين و مثله ما روى فى حديث الشامى انه سأل امير المؤمنين «عليه السلام» عن اكرم واد على وجه الارض فقال واد يقال له سرانديب سقط فيه آدم من السماء فالجزم باحد المذاهب لا يخلو من اشكال منه.

و أمّا كيفيه الاغترار فقد يأتى تفصيلا(فباع اليقين بشكه)قيل: إنّ بيع اليقين بالشك مثل قديم للعرب لمن عمل عملا لا يفيده و ترك ما ينبغى له أن يفعله، تمثل به أمير- المؤمنين عليه السّلام هاهنا و لم يرد أنّ آدم شكّ فى أمر اللّه.

أقول: و يمكن اجراء الكلام على ظاهره بأن يراد باليقين اليقين بعداوه إبليس و بالشّك الشّك فيها، و المراد ببيعه به تبديله به و ذلک لأنّ إبليس لمّا أبى و استكبر عن السّجود و أظهر الفضيله و الانيّه و جعل مطرودا تيقّن آدم بعداوته له، و قد أعلمه اللّه سبحانه به حينئذ أيضا كما قال:

«فَقُلْنا يا آدَمُ إِنَّ هذا عَدُوٌّ لَکَ وَ لِزَوْجِکَ فَلا يُخْرِجَنَّكُما مِنَ الْجَنَّهِ فَتَشْقى ».

و لمّا وسوس اليهما الشيطان:

«وَ قاسَمَهُما إِنِّی لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ ».

و لم يكن آدم و حوّا شاهدا قبل ذلک من يحلف باللّه كاذبا، و ثقا بقوله و شكّا فى عداوته لمكان ذلک، و يمكن استنباط ذلک من روايه العيون و الاحتجاج الاتيه(۱) للرّضا عليه السّلام مع المأمون، و ليس فى ذلک منافاه لمرتبه الرّساله كما توهّم، لأنّ ذلک ليس بأعظم من أكل الشجره و ستعرف تحقيقه فى مقامه إنشاء اللّه و قوله:

(و العزيمه بوهنه) أى العزيمه التى كانت له فى عدم القرب من الشّجره و الأكل منها بالوهن الذى حصل له من النّسيان، قال سبحانه:

«وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِیَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ».

قال فى الكشّاف: و العزم التّصميم و المضىّ على ترک الأكل و أن يتصلّب فى ذلک تصلّبا يؤيس الشّيطان من التّسويل له، و قال: فان قلت: ما المراد بالنّسيان؟ قلت: لا يجوز أن يراد النّسيان الذى هو نقيض الذكر و أنّه لم يعن(۲)



---

۱- (۱) فى التذييل الثالث، منه

۲- (۲) اى لم يهتم منه،

بالوصیّه العنایه الصادقه و لم یستوثق منها بعقد القلب علیها و ضبط النّفس حتّی تولد من ذلک النّسیان، و أن یراد التّرک و انه ترک ما وصّی به من الاحتراس عن الشجره و أکل ثمرتها انتهی.

و قال الطبرسی (ره) معناه أمرناه و أوصینا إلیه أن لا یقرب الشّجره و لا یأکل منها، فترک الأمر عن ابن عبّاس و لم نجد له عقدا ثابتا، و قیل معناه: فنسی من النّسیان هو السّهو و لم نجد له عزما علی الذّنب، لأنّه أخطأ و لم یتعمد عن ابن زید و جماعه، و قیل: و لم نجد له حفظا لما امر به عن عطیّه، و قیل: صبرا عن قتاده قال الشّارح البحرانی: و حاصل هذه الأقوال یعود إلی أنّه لم یکن له قوّه علی حفظه ما أمر اللّه سبحانه أنتهی.

و فی الکافی عن علیّ بن إبراهیم باسناده عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إنّ اللّه تبارک و تعالی عهد إلی آدم أن لا یقرب هذه الشّجره، فلمّا بلغ الوقت الذی کان فی علم اللّه أن یأکل منها نسی فأکل منها، و هو قول اللّه تبارک و تعالی:

«وَ لَقَدْ عَهِدْنا » الآیه و فیه أیضا عن الصّادق علیه السّلام، قال فی قوله تعالی:

«وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلی آدَمَ مِنْ قَبْلُ ».

کلمات فی محمّد و علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین و الأئمه من ذرّیتهم علیهم السّلام فنسی هکذا و اللّه انزلت علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله.

أقول: و الظاهر أنّ المراد بتلک الکلمات حسبما یستفاد من الأخبار التی یأتی بعضها(۱) هو إقرار آدم بفضیله محمّد و آله المعصومین علیهم السّلام و اعتقاده لشرافتهم و عدم تمنّیه منزلتهم، فنسی تلک الکلمات و تمنی منزلتهم فأخرجه اللّه سبحانه من الجنّه (و استبدل بالجذل) و السّرور خوفا و (وجلا و بالاعتزاز) أی العزّه التی طلبها من أکل الشّجره بتدلیس ابلیس و قوله لهما:



---

۱- (۱) و هو روایه العیون الاتیه، منه

«ما نَهاكُما رَبُّكَما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَهِ إِلّا أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ ».

(ندما) و خيبه، و لذلک:

«قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ ».

## تذنيبات

### الاول

لقائل أن يقول: كيف تمكّن ابليس من وسوسه آدم مع كونه خارج الجنّه و كون

آدم فى الجنّه؟

فنقول: قد اختلفوا فيه على أقوال.

أحدها ما حكى عن القصاص و هو الذى روى عن ابن عبّاس انه لما اراد إبليس أن يدخل الجنّه منعته الخزنه فأتى الحيه و هى دابه لها أربع قوائم كأنّها البختيّه و هى كأحسن الدّواب بعد ما عرض نفسه على ساير الحيوانات، فما قبله واحد منها فابتلعته الحيّه و أدخلته الجنّه خفيّه من الخزنه، فلمّا دخلت الحيّه الجنّه خرج إبليس من فمها و اشتغل بالوسوسه فلا جرم لعنت الحيّه و سقطت قوائمها و صارت تمشى على بطنها و جعل رزقها فى التّراب و عدوا لبنى آدم.

و ثانيها أنّه دخل الجنّه فى صوره دابه.

و ثالثها ما قاله بعض الأصوليّين: إنّ آدم و حوّاء لعلّهما كانا يخرجان إلى باب الجنّه و إبليس كان يقرب و يوسوس إليهما.

و رابعها أنّ إبليس كان فى الأرض و أوصل الوسوسه إليهما فى الجنّه.

أقول: و الأظهر هو القول الأوّل، لبعد الرّابع من حيث إنّ الوسوسه عباره عن الكلام الخفى و الكلام الخفى لا يمكنه ايصاله من بعد، و الثّالث و الثّانى لم يرد بهما خبر، و الموجود فى أخبارنا أنّ ايقاع الشّيطان لهما فيما نهيا عنه قد كان بسبب الحيّه، و ذلک على ما حكاه المفسر الفيض فى الصّافى و المحدّث الجزائرى فى الأنوار

هو أنّ الشّيطان لمّا اخرج من الجنّه لم يقدر على الدّخول إليها بنفسه فأتى إلى جدار الجنّه و رأى الحيّه على أعلى الجدار، فقال لهـا ادخلينى الجنّه و أعلّمـك الاـسم الأعظم، فقالت له: الملائكه تحرس الجنّه فيرونك، فقال لها: ادخل فى فمك و اطبقى علىّ حتّى أدخل، ففعلت، و من ثم صار السمّ فى أنيابها و فى فمها لمكان جلوس ابليس فيه، فلمّا أدخلته قالت له: أين الاسم الأعظم؟ فقال لها: لو كنت أعلمه لما احتجت إليك فى الدّخول، فأتى إلى آدم و بدء به فقال:

«ما نَهاكُما رَبُّكُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَهِ إِلاّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ ».

ان تناولتما منها تعلمان الغيب و تقدران على ما يقدر عليه من خصّه اللّه بالقدره.

«أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ » لا تموتان أبدا «وَ قاسَمَهُما » حلف لهما «إِنِّی لَکُما لَمِنَ النّاصِحِینَ ».

و كان إبليس بين لحيى الحيّه و كان آدم يظنّ أنّ الحيه هى الّتى تخاطبه و لم يعلم أنّ ابليس قـد اختبى بين لحيى الحيّه فردّ آدم على الحيّه أنّ هذا من غرور إبليس كيف يخوننا ربّنا أم كيف تعظمين اللّه بالقسم به و أنت تنسبينه إلى الخيانه و سوء الظنّ و هو أكرم الأـكرمين أم كيف أروم التّوصـل إلى مـا منعنى منه ربى و أتعاطـاه بغير حكمه، فلمّـا آيس إبليس من قبول آدم فـأتى إلى حوّاء و خاطبها من حيث يوهمها هى التى تخاطبها(۱) ، و قال: يا حواء أرأيت هذه الشّجره التى كان اللّه عزّ و جلّ حرّمها عليكما فقـد أحلّهـا لكما بعـد تحريمها، لما عرف من حسن طاعتكما له و توقير كما إيّاه و ذلك أنّ الملائكه الموكلين بالشّجره الـذين معهم الحراب يـدفعون عنهـا ساير حيوانات الجنّه لا يـدفعك عنها إذ رمتها فاعلمى بـذلك أنّه قـد أحلّ لك و ابشـرى بأنك إن تناولتها قبل آدم كنت أنت المسلطه عليه الآمره النّاهيه فوقها، فقالت حوّاء سوف اجرّب هذا فرامت فأرادت الملائكه أن يدفعوها عنها بحرابها، فأوحى اللّه



---

۱- (۱) يعنى ان المخاطبه لها هى الحيه منه.

إليهم إنّما تـدفعون بحرابكم من لاـ عقـل له بزجره، فأمّا من جعلته ممكنا مميّزا فكلوه إلى عقله الـذى جعلته حجّه عليه فان أطاع استحقّ ثوابى و جزائى، فتركوها و لم يتعرضوا لها بعد ما همّوا بمنعها بحرابهم، فظنت أنّ اللّه ما نهيهم، لأنّه قد أحلّها بعد ما حرمها، فقالت صدقت الحيّه و ظنّت أنّ المخاطب بها الحيّه، فتناولت منها و لم تنكر من نفسها شيئا، فاتت حواء إلى آدم فصارت عونا للشّيطان عليه، و قالت ألم تعلم أنّ الشّجره المحرّمه علينا قد ابيحت لنا تناولتها و لم يمنعنى منه أملاكها و لم انكر شيئا من حالى، و لـذلك اغترّ آدم فقام آدم معها إلى الأكل من الشجره فكانت أوّل قدم مشت إلى الخطيئه، فلما مدّ أيديهما إليها تطاير ما عليهما من الحلىّ و الحلل و بقيا عريانين فأخذا من ورق التين فوضعاه على عورتيهما، فتطاير الورق فوضع آدم يده على عورته و الأخرى على رأسه كما هو شأن العراه.

و يستفاد من بعض الاخبار أنّ هـذا هو العلّه فى وجوب الوضوء، و هو ما رواه الصّدوق طاب ثراه فى الفقيه قال: جاء نفر من اليهود إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فسألوه عن مسائل و كان فيما سألوه أخبرنا يا محمّد لأىّ علّه توضّأ هـذه الجوارح الأربع و هى أنظف المواضع فى الجسد؟ قال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله: لمّا أن وسوس الشّيطان إلى آدم عليه السّلام دنا من الشّجره فنظر إليها فذهب ماء وجهه، ثمّ قام و مشى اليها و هى أوّل قدم مشت إلى الخطيئه، ثمّ تناول بيده منها ما عليها فأكل فطار الحلّى و الحلل عن جسده، فوضع آدم يده على امّ رأسه و بكى فلمّا تاب اللّه عزّ و جلّ عليه فرض عليه و على ذريّته تطهير هذه الجوارح الأربع، فأمر اللّه بغسل الوجه لما نظر إلى الشجره، و أمره بغسل اليدين إلى المرفقين لما تناول بهما، و أمره بمسح الرّأس لما وضع يده على أمّ رأسه و أمره بمسح القدمين لما مشى بهما إلى الخطيئه و قد ذكر فيه علّه اخرى له رواها عن أبى الحسن علىّ بن موسى الرّضا عليهما السّلام و لا ربط لها بالمقام، و لا يذهب عليك أن توارد العلل المتعدده على معلول واحد فى العناوين الشّرعيه لا ضير فيه، لأنّها من قبيل المعرفات و ليست عللا حقيقيه كما هو ظاهر

**الثانی**

قد اختلف الأخبار كالأقوال فی الشّجره المنهیه

، ففی روایه أنّها شجره الحسد، و فی اخری أنّها شجره الكافور، و فی ثالثه أنّها شجره الحنطه و عن تفسیر الامام أنها شجره علم محمّد و آل محمّد علیهم السّلام آثرهم اللّه بها دون سایر خلقه لا یتناول منها بأمر اللّه إلاّ هم، و منها ما كان یتناوله النبیّ و علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین علیهم السلام بعد إطعامهم المسكین و الیتیم و الأسیر حتّی لم یحسوا بجوع و لا عطش و لا تعب و لا نصب، و هی شجره تمیّزت من بین سایر الأشجار بأنّ كلا منها إنّما یحمل نوعا من الثمار، و كانت هذه الشجره و جنسها تحمل البرّ و العنب و التّین و العنّاب و سایر أنواع الثمار و الفواكه و الأطعمه فلذلك اختلف الحاكون بذكرها، فقال بعضهم: برّه، و قال آخرون: هی عنبه، و قال آخرون: هی عنابه و هی الشجره التی من تناول منها باذن اللّه الهم علم الأوّلین و الآخرین من غیر تعلّم، و من تناول بغیر اذن اللّه خاب مراده و عصی ربّه و عن العیون باسناده إلی عبد السّلام بن صالح الهروی قال: قلت للرّضا علیه السّلام یابن رسول اللّه أخبرنی عن الشجره التی أكل منها آدم و حوّاء ما كانت؟ فقد اختلف النّاس فیها، فمنهم من یروی أنّها الحنطه، و منهم من یروی أنّها العنب، و منهم من یروی أنّها شجره الحسد، فقال علیه السّلام: كلّ ذلك حقّ؟ قلت: فما معنی الوجوه علی اختلافها؟ فقال: یا أبا الصّلت إنّ شجره الجنّه تحمل أنواعا، و كانت شجره الحنطه و فیها عنب لیست كشجره الدّنیا، و إنّ آدم لما أكرمه اللّه تعالی ذكره باسجاده ملائكته و بادخاله الجنّه قال فی نفسه: هل خلق اللّه بشرا أفضل منی؟ فعلم اللّه عزّ و جلّ ما وقع فی نفسه فناداه ارفع رأسك یا آدم و انظر إلی ساق عرشی، فرفع رأسه فنظر إلی ساق العرش فوجد علیه مكتوبا: لا إله الا اللّه محمّد رسول اللّه علیّ بن أبی طالب أمیر المؤمنین و زوجته فاطمه سیّده نساء العالمین و الحسن و الحسین سیّد اشباب أهل الجنّه، فقال آدم: یا ربّ، من هؤلاء؟ فقال عزّ و جلّ: هؤلاء من ذرّیتك، و هم خیر منك و من جمیع خلقی و لولاهم ما

خلقتـک و لاـ خلقت الجنّه و النّار و لا السّـماء و لا الأرض فايّاک أن تنظر إليهم بعين الحسـد فاخرجک عن جوارى فنظر إليهم بعين الحسد و تمنى منزلتهم فتسلط عليه الشّيطان حتى أكل من الشّجره التى نهى عنها و تسلط على حواء لنظرها إلى فاطمه بعين الحسد حتّى أكلت من الشّجره كما أكل آدم، فأخرجهما اللّه عن جنّته و أهبطهما عن جواره إلى الارض هذا.

و قال بعض العارفين(۱): كما أنّ لبـدن الانسان غـذاء من الحبوب و الفواكه، كـذلک لروحه غذاء من العلوم و المعارف، و كما أنّ لغـذاء بدنه أشـجارا تثمرها، فكذلک لروحه أشـجار تثمرها و لكلّ صـنف منه ما يليق به من الغذاء، فانّ من الانسان من يغلب فيه حكم البـدن على الرّوح، و منهم من هو بـالعكس، و لهم فى ذلک درجات يتفاضل بها بعضـهم على بعض، و لأهل الـدّرجه العليا كل ما لأهل الدرجه السّفلى و زياده، و لكلّ فاكهه فى العالم الجسمانى مثال فى العالم الرّوحانى مناسب لها، و لهذا فسّرت الشّـجره تـاره بشـجره الفـواكه، و اخرى بشـجره العلـوم، و كـان شـجره علم محمّـد إشـاره إلى المحبوبيّه الكـامله المثمره لجميع الكمالات الانسانيه المقتضيه للتوحيد المحمدى الذى هو الفناء فى اللّه و البقاء باللّه المشار إليه بقوله صلّى اللّه عليه و آله: لى مع اللّه وقت لاـ يسـعنى فيه ملـک مقرّب و لاـ نبىّ مرسـل، فـان فيهـا من ثمار المعارف كلّها، و شـجره الكافور إشاره إلى برد اليقين الموجب للطمأنينه الكامله المسـتلزمه للخلق العظيم الذى كان لنبيّنا صلّى اللّه عليه و آله و دونه لأهل بيته، فلا منافاه بين الرّوايات و لاـ بينهـا و بين ما قالها أهل التأويل إنّها شـجره الهوى و الطبيعه لأنّ قربها إنّما يكون بالهوى و الشـهوه الطبيعيه، و هـذا معنى ما ورد أنّها شجره الحسد: فانّ الحسد إنّما ينشأ منها، انتهى.

و قـد تلخّص منه و من الرّوايات السّالفه أنّ آدم كما أكل من الشّـجره المنهيه التى هى شـجره الفاكهه فى عالم الظاهر، فكذلک أكل فى عالم الباطن و الحقيقه من الشجره

ص:۹۶

---

۱- (۱) هو الفيض، م «ج ۶»

المختصه بآل محمّد عليهم السّلام التى غرسها اللّه لهم بيد قدرته، فطابق ظاهره و باطنه فى ارتكاب الخطيئه و كان ذلك سببا لاهباطه إلى دار البليّه.

و فى بعض الأخبار أنّ ذلك أيضا سبب لوجوب غسل الجنابه و لزياده حظّ الذّكر من الانثى فى الميراث.

و هو ما رواه الصّدوق فى الفقيه قال: جاء نفر من اليهود إلى النّبى صلّى اللّه عليه و آله فسأله أعلمهم عن مسائل فكان فيما سأله أن قال: لأىّ شىء أمر اللّه تعالى بالاغتسال من الجنابه و لم يأمر بالغسل من الغائط و البول؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ آدم لمّا أكل من الشّجره دبّ (۱) ذلك فى عروقه و شعره و بشره، فاذا جامع الرّجل أهله خرج الماء من كلّ عرق و شعره فى جسده، فأوجب اللّه تعالى على ذرّيته الاغتسال من الجنابه إلى يوم القيامه، و البول يخرج من فضله الشّراب الذى يشربه الانسان، و الغايط يخرج من فضله الطعام الذى يأكله الانسان، فعليه فى ذلك الوضوء، قال اليهودى: صدقت يا محمّد.

و فى العيون باسناده عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام فى حديث الشّامى مع أمير المؤمنين عليه السّلام و سأله لم صارت الميراث للذّكر مثل حظّ الانثيين؟ فقال عليه السّلام:

من قبل السّنبله كانت عليها ثلاث حبّات، فبادرت إليها حوّاء فأكلت منها حبّه و أطعمت آدم حبّتين، فلذلك ورث الذّكر مثل حظّ الانثيين.

### الثالث

اعلم أنّ النّاس اختلفوا فى عصمه الأنبياء عليهم السّلام على أقوال شتّى

،

### و ينبغى أن نشير أوّلا إلى معنى العصمه

فنقول: العصمه فى اللّغه اسم من عصمه اللّه من المكروه يعصمه من باب ضرب أى حفظه و وقاه و منعه عنه، و فى الاصطلاح هى ملكه اجتناب المعاصى مع التمكن منها.

و قيل هى ملكه تمنع الفجور و يحصل بها العلم بمعايب المعاصى و مناقب الطاعات.

ص:۹۷

---

۱- (۱) دب يدب دبا و دبيبا الماشى على الارض، ق.

و قال الرّاغب: هی فیض إلهیّ یقوی بها الانسان علی تحرّی الخیر و تجنّب الشّرّ حتّی تصیر کمانع له و ان لم یکن منعا محسوسا.

و قـال العلاّمه فی الباب الحادی عشر: العصمه لطف خفی یفعل اللّه تعالی بالمکلف بحیث لا یکون له داع إلی ترک الطاعه و ارتکاب المعصیه مع قدرته علی ذلک.

و قال المرتضی فی کتاب الدّرر و الغرر: العصمه هی اللّطف یفعله اللّه تعالی فیختار العبد عنده الامتناع من فعل القبیح، فیقال علی هذا: إنّ اللّه عصمه بأن فعل له ما اختار عنده العدول عن القبیح، و یقال: إنّ العبد معصوم، لأنّه اختار عند هذا الدّاعی الذی فعل له الامتناع من القبیح، و أصل العصمه فی موضوع اللّغه المنع، یقال: عصمت فلانا من السّوء إذا منعت من حلوله به، غیر أنّ المتکلمین أجروا هذه اللّفظه علی من امتنع باختیاره عند اللطف الذی یفعله اللّه تعالی به، لأنّه إذا فعل ما یعلم أنّه یمتنع عنده من فعل القبیح فقد منعه من القبیح فأجروا علیه لفظه المانع قهرا و قسرا و أهل اللغه یتعارفون ذلک أیضا و یستعملونه، لأنّهم یقولون فیمن أشار علی غیره برأی فقبله منه مختارا، و احتمی بذلک من ضرر یلحقه و سوء یناله أنّه حماه(۱) من ذلک الضّرر و منعه و عصمه منه، و إن کان علی سبیل الاختیار انتهی.

و قد ظهر ممّا ذکرنا کلّه أنّ العصمه ملکه مانعه عن ارتکاب المعاصی و موجبه لاتیان الطاعات علی وجه الاختیار، فما ذهب إلیه بعضهم من أنّ المعصوم مجبول علیهما و أنّه لا یمکنه الاتیان بالمعاصی باطل جدّا و إلاّ لما استحقّ مدحا کما هو ظاهر.

إذا عرفت ذلک فاعلم أنّ النّاس اختلفوا فی عصمه الأنبیاء علی أقوال کثیره قال الفخر الرّازی و ضبط القول فیه أن یقال: الاختلاف فی هذا الباب یرجع إلی أقسام أربعه:



---

۱- (۱) أی حفظه.

أحدها ما يقع فى باب الاعتقاد.

و ثانيها ما يقع فى باب التّبليغ.

و ثالثها فى باب الأحكام و الفتيا.

و رابعها ما يقع على أفعالهم و سيرتهم.

أمّا اعتقادهم الكفر و الضّلال فان ذلك غير جايز عند أكثر الامّه، و قالت الفضليه من الخوارج: إنّهم قد وقعت منهم الذّنوب و الذّنب عندهم كفر و شرك فلا جرم قالوا: بوقوع الكفر منهم، و أجازت الاماميّه عليهم إظهار الكفر على سبيل التقيّه.

أمّا النّوع الثّانى و هو ما يقع بالتّبليغ فقد أجمعت الأمّه على كونهم معصومين عن الكذب و التّحريف فيما يتعلّق بالتّبليغ، و إلّا لارتفع الوثوق بالأداء، و اتفقوا على أن ذلك كما لا يجوز وقوعه منهم عمدا لا يجوز أيضا سهوا، و من النّاس من جوّز ذلك سهوا قالوا: لأنّ الاحتراز عنه غير ممكن.

و أمّا النّوع الثّالث و هو ما يتعلّق بالفتيا فأجمعوا على أنّه لا يجوز خطاؤهم فيه على سبيل التّعمد، و أمّا على سبيل السّهو فجوّزه بعضهم، و أباه آخرون.

و أمّا النّوع الرّابع و هو الذى يقع فى أفعالهم فقد اختلفت الامه فيه على أقوال خمسه:

أحدها قول من جوّز عليهم الكبائر على جهه العمد و هو قول الحشويّه.

و الثّانى قول من لا يجوّز عليهم الكبائر لكنّه يجوّز عليهم الصّغائر على جهه العمد إلّا ما ينفر كالكذب و التّطفيف، و هذا قول أكثر المعتزله.

القول الثّالث أنّه لا يجوز أن يأتوا بصغيره و لا بكبيره على جهه العمد ألبتّه، بل على جهه التّأويل و هو قول الجبائى.

القول الرّابع أنّه لا يقع منهم الذّنب إلّا على جهه السّهو و الخطاء، و لكنّهم مأخوذون بما يقع منهم على هذه الجهه و ان كان ذلك موضوعا عن امّتهم، و ذلك

لأنّ معرفتهم أقوى و دلائلهم أكثر، و أنّهم يقدرون من التحفّظ على ما لا يقدر عليه غيرهم.

القول الخامس أنّه لا يقع منهم الذّنب لا الكبيره و لا الصغيره لا على سبيل القصد و لا على سبيل السهو و لا على سبيل التّأويل و الخطاء و هو مذهب الرّافضه.

و اختلف النّاس فی وقت العصمه على ثلاثه أقوال:

أحدها قول من ذهب أنّهم معصومون من وقت مولدهم، و هو قول الرّافضه.

و ثانيها قول من ذهب إلى أنّ وقت عصمتهم وقت بلوغهم و لم يجوزوا منهم ارتكاب الكفر و الكبيره قبل النّبوه، و هو قول كثير من المعتزله.

و ثالثها قول من ذهب إلى أنّ ذلک وقت النّبوه، أمّا قبل النّبوه فجائز و هو قول أكثر اصحابنا و قول أبی الهذيل و أبی على من المعتزله، انتهى ما اهمنا نقله من كلامه.

و قد ظهر منه أنّ الشيعه لا يجوّزون عليهم المعاصى مطلقا.

و أمّا ما ذكره من أنّ الاماميّه أجازت عليهم إظهار الكفر على سبيل التقيه فهو افتراء عليهم، و إنّما هو شیء ذكره صاحب المواقف، و كيف يجوّزون إظهار الكفر للأنبياء و الأئمه مع تأييدهم بالنّفوس القدسيّه و القوى الرّبانيه، و ما هذه النّسبه إلّا فريه بيّنه و بهتان عظيم.

و أمّا ما ذكره من أنّ الشّيعه لا يجوّزون عليهم المعاصى مطلقا فهو حقّ و لهم على ذلک أدله عقليّه و نقليّه ذكروها فی كتبهم الكلاميّه و التفاسير القرآنيه.

منها أنّ متابعه النّبى واجب لقوله: فاتّبعونی، فلو كان عاصيا وجب الاقتداء عليه فی معصيته فيفضى إلى الجمع بين الحرمه و الوجوب و هو محال و إذا ثبت ذلک فی حقّ النّبیّ ثبت فی حقّ ساير الأنبياء لعدم القول بالفصل.

و منها أنّه لو أقدم على المعصيه لوجب زجره عنها من باب النّهى عن المنكر مع أنّ زجرهم و ايذائهم محرّم لقوله:

«إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللّهُ فِی الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ ».

و منها أنّه لا شیء أقبح عند العقل من نبی رفع اللّه درجته و ائتمنه علی وحیه و جعله خلیفه فی بلاده و عباده یسمع نداء ربه أن لا تفعل كذا فیقدم علیه ترجیحا للذته و غیر ملتفت إلی نهی ربّه و لا منزجر بوعیده هذا معلوم القبح بالضروره.

و منها أنّه لو لم یكونوا معصومین لانتفت فایده البعثه و اللّازم باطل فالملزوم مثله، بیان الملازمه أنّه إذا جازت المعصیه علیهم لم یحصل الوثوق بصحه قولهم لجواز الكذب حینئذ علیهم، و إذا لم یحصل الوثوق لم یحصل الانقیاد لأمرهم و نهیهم فینتفی فائده بعثتهم و هو محال هذا.

و قد ذكروا أدله كثیره وراء ما ذكرنا علیک بمطالبتها من مواقعها.

فان قلت: غایه ما یستفاد من تلک الأدله هو كونهم معصومین بعد البعثه علی ما ذهب إلیه الأشاعره و طائفه من المعتزله. و لا دلاله فیها علی وجوب العصمه قبلها أیضا كما هو مذهب الشّیعه.

قلنا: إذا تمّت دلالتها علی ما بعد البعثه فنقول فیما قبل البعثه: إنّ من الواضح أنّ القلوب تشمئز و لا ینقاد إلی طاعه من عهد منه فی سالف عمره أنواع المعاصی و الكبائر و ما تنفر النّفس عنه، ألا تری أن عالما لم یكن له مبالاه فی أفعاله و أقواله قبل تحصیله و فی أیّام صغره، لا یكون له وقع فی القلوب بعد ما كمل و بلغ من العلم و الكمال غایته.

إذا مهدت هذا فنقول: ما ورد فی الكتاب العزیز و الأخبار مما یوهم صدور الذّنب عنهم الذی جعله الخصم دلیلا علی مذهبه لا بدّ من حمله علی ترک الأولی جمعا بینها و بین أدله العصمه العقلیّه و النّقلیّه مع أنّ جمیع الأدله الموهمه لخلاف العصمه قد ذكر له وجوه و محامل فی مواضعه و علیک فی ذلک بمطالعه كتاب تنزیه الأنبیاء الذی رتّبه علم الهدی المرتضی رضی اللّه عنه و غیره من الكتب المعده لذلک، و لو لا خوف الاطاله لذكرنا نبذه منه إلّا أنّه لا بأس بذكر ما یوهم ذلک فی قصه

آدم علیه السّلام الذی تمسّک به الخصم و هو سبعه أوجه.

الأوّل أنّه کان عاصیا لقوله: و عصی آدم ربّه، و العاصی صاحب الکبیره لأنّه قد توعد علیه بالعقاب، قال سبحانه:

«وَ مَنْ یَعْصِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ ».

الثّانی أنّه کان غاویا لقوله: فغوی، و الغیّ ضدّ الرّشد یدلّ علیه المقابله فی قوله:

«قَدْ تَبَیَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَیِّ ».

الثّالث أنّه تائب لقوله:

«ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَیْهِ ».

و التّوبه إنّما هو عن الذّنب.

الرّابع ارتکابه المنهی عنه کما یشهد به توبیخه بقوله:

«أَ لَمْ أَنْهَکُما عَنْ تِلْکُمَا الشَّجَرَهِ ». و یدلّ علیه قوله:

«وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ ».

و مرتکب المنهی عنه مذنب.

الخامس أنّه ظالم لقوله:

(«فَتَکُونا مِنَ الظّالِمِینَ ») و قوله حکایه عنهما «رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا ».

و الظلم ذنب بالضّروره.

السّادس اعترافه بأنّه لو لا مغفره اللّه إیّاه لکان خاسرا فی قوله:

«وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ ».

و الخسران إنّما یکون عن الذّنب:

السّابع أنّه أخرج من الجنّه بسبب إطاعته للشّیطان و قبوله لوسوسته و ازلاله و ذلک یقتضی کونه مذنبا هذا.

و الجواب عن الأوّل أنّ كون آدم عاصيا مسلّم، و أمّا أنّ كلّ عاص صاحب كبيره فممنوع، لأنّ المعصيه عباره عن مخالفه الأمر واجبا كان أو مندوبا، فانّهم يقولون أشرت عليه فى أمر ولده فى كذا فعصانى، بل يطلق على مخالفه الاوامر الارشاديّه أيضا كما يقولون: أمرته بشرب الدّواء فعصانى، و قال عمر و بن العاص لمعاويه:

أمرتک أمرا جازما فعصيتنى و كان من التّوفيق قتل ابن هاشم

و قال ابن المنذر ليزيد بن المهلب أمير خراسان:

أمرتک أمرا جازما فعصيتنى فأصبحت مسلوب الاماره نادما

إذا عرفت ذلک فنقول: لا يمتنع اطلاق اسم العصيان على فعل آدم عليه السّلام، لا لكونه تاركا للواجب، بل لكونه تاركا للأولى من باب حسنات الأبرار سيئات المقرّبين و أمّا ما قيل فى الاستدلال من أنّ العاصى قد توعد عليه بالعقاب فى قوله:

و من يعص اللّه الايه، فنقول: إنّ الآيه و إن كانت مفيده للعموم بدلاله لفظه من إلاّ أنّها مخصوصه بالعاصى بترک الأوامر الواجبه، لا مطلق الأوامر ضروره أنّ المندوب لا عقاب على تركه.

و يشهد بما ذكرنا من عدم كون الأمر فى المقام إلزاميّا أنّه على تقدير كونه للالزام لزم استحقاق آدم للعقاب بنصّ الآيه الشريفه أعنى قوله: و من يعص اللّه الايه و كيف لأحد أن يجترى و يجسر على هذه الدّعوى و يجيز العقاب على الأنبياء الذين هم أعلام الهدى و العروه الوثقى إن هذا إلاّ بهتان عظيم و افتراء.

و عن الثّانى سلّمنا أنّ الغيّ عباره عن ضدّ الرّشد إلاّ أنّ الرّشد هو أن يتوصل بشيء إلى شيء يوصل إلى المقصود، فمن توصّل بشيء إلى شيء فحصل له ضدّ مقصوده كان ذلک غيّا كما قال الشّاعر:

فمن يلق خيرا يحمد النّاس أمره و من يغو لم يعدم على الغيّ لائما

و على ذلک فمعنى قوله سبحانه: فغوى، فخاب ممّا كان يطمع فيه بأكل الشّجره من الخلود فى الجنّه و الملک الدّائم.

و عن الثّالث أنّا نمنع من أنّ التّوبه لا يكون إلاّ عن ذنب لأنّه عباره عن

النّدم على ما مضى فيجوز على ترك المندوب و سيأتى تحقيق له فى الفصل الآتى.

و عن الرّابع المنع من كون مرتكب المنهىّ عنه مذنبا مطلقا و إنّما هو فى ارتكاب المناهى التحريميّه، و أمّا مخالفه النّهى التّنزيهى فلا يكون ذنبا، و ذلك لأنّ آدم كان مندوبا؟؟؟ إلى ترك التّناول من الشّجره و كان بالتّناول منها تاركا نفلا و فضلا و لم يكن فاعلا للقبيح، لأنّ القبيح ما يستحقّ فاعله للعقاب و قد علمت أنّ العقاب منفى عن الأنبياء، و من أجاز العقاب عليهم فقد أساء عليهم الثّناء و أعظم الفريه على اللّه تعالى.

فان قيل: ألم يكن إخراج آدم و إهباطه إلى الأرض عقوبه له؟ قلت: إنّ آدم لم يكن مخلوقا للجنّه و إنّما خلقه اللّه سبحانه ليكون خليفه فى الأرض كما يشهد به إخباره سبحانه للملائكه قبل خلق آدم بقوله:

«إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً ».

و إنّما كان إسكانه فى الجنّه من باب التفضّل و الاكرام.

و عن الخامس بأنّ الظالم ربّما يقال على من بخس نفسه الثّواب، فنقول:

لا شكّ انّه كان تاركا للأفضل مع القدره على تحصيل الأفضل فكان ذلك ظلما على نفسه فالظلم هو النّقص و بخس الثّواب بترك المندوب.

و عن السّادس بأنّ الخسران عباره عن عدم الرّبح، و من الواضح أنّه لو لم يقدم على أكل الشّجره حصل له الثواب الموعود من اللّه سبحانه من الأكل الرّغيد و العيش السّعيد، و بالاقدام عليه حصل له الخسران و فوّت المنفعه على نفسه و حاصله منع أنّ الخسران لا يكون إلّا عن ذنب.

و عن السّابع بما ذكرناه سابقا من أنّ آدم خلق لأن يكون خليفه فى الأرض و ليس فى إهباطه إلى الأرض دلاله على كونه مذنبا، نعم يمكن أن يقال:

إنّ تركه للأولى كان سببا لتعجيل الهبوط، لاحتمال تغيّر المصلحه فى البقاء بحصول الأكل هذا.

ص:۱۰۴

و بقى الكلام فى أنّ أكل آدم من الشّجره هل كان على سبيل السّهو و النسيان أو على سبيل العمد و القصد.

المستفاد من بعض الأخبار هو الأوّل، و هو روايه علىّ بن ابراهيم عن أبى جعفر عليه السّلام التى سبقت عند شرح قوله عليه السّلام و العزيمه بوهنه.

و ربّما اورد عليه بأنّه لو كان ناسيا لما عوتب على ذلك الفعل، لعدم القدره على التّرك مع النّسيان و تكليف الغافل قبيح عقلا.

و فيه أنّ العتاب يحتمل أن يكون على ترك التحفّظ لأنّ استقلال العقل بقبح المؤاخذه على النسيان مطلقا ممنوع لأنّ النّسيان الصّادر عن ترك التحفّظ لا يقبح المؤاخذه عليه، و لذلك صحّ دعاء النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و استيهابه لها من ربّه ليله المعراج بقوله:

«رَبَّنا لا تُؤاخِذْنا إِنْ نَسِينا » الآيه.

و هذه المؤاخذه هى التى منّ برفعها على امه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و خصّت به من بين الامم كما يدلّ عليه حديث رفع التّسعه الذى رواه الصّدوق فى الخصال و التّوحيد عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و هو أنّه صلّى اللّه عليه و آله قال: رفع عن امّتى تسعه أشياء: الخطاء، و النّسيان، و ما استكرهوا عليه، و ما لا يعلمون، و ما لا يطيقون، و ما اضطرّوا إليه، و الحسد، و الطيره، و التفكّر فى الوسوسه فى الخلق ما لم ينطق الانسان بشفه، و بالجمله المؤاخذه على النّيسان مع التحفّظ قبيحه عقلا و اجماعا، و أما مع عدمه فليس فيها قبح، و لذلك استوهبها النبىّ صلّى اللّه عليه و آله ليله المعراج و منّ اللّه على امّته برفعها منها من باب التفضّل و الانعام.

و أما الثّانى أعنى إقدامه على الأكل مع العمد فقد ذهب إليه جمع من المفسّرين من العامه و الخاصّه، ثمّ اختلفوا فيه على أقوال أحدها أنّ ذلك النّهى كان نهى تنزيه لا نهى تحريم، و قد علمت أنّه مذهب الاماميّه.

ص:۱۰۵

الثانى أنّه كان عمدا من آدم و كان ذلك كبيره و كان آدم نبيّا فى ذلك الوقت و هو مذهب الفضليه من الخوارج خذلهم اللّه.

الثالث ما عزاه الفخر الرازى إلى أكثر المعتزله، و هو أنّه أقدم على الأكل بسبب اجتهاد أخطأ فيه، و ذلك لا يقتضى كون الذّنب كبيره، بيان الاجتهاد و الخطاء أنّه لمّا قيل له و لا تقربا هذه الشّجره فلفظه هذه قد يراد بها الشّخص، و قد يشار بها إلى النّوع، فلمّا سمع آدم قوله: و لا تقربا هذه الشّجره، ظنّ آدم أنّ المراد بها الشّجره المشخّصه المعينه. فترك الأكل منها و تناول من شجره اخرى من نوعها إلاّ انّه كان مخطئا فى ذلك الاجتهاد، لأنّ مراده سبحانه من كلمه هذه كان النّوع لا الشّخص، و الخطاء فى الفروع إذا كان خطاء لا يوجب استحقاق العقاب، لاحتمال كونه صغيره مغفوره كما فى شرعنا أقول: و مثل هذه المقاله قد ورد فى بعض أخبارنا، و هو ما رواه الصّدوق فى العيون كالطبرسى فى الاحتجاج عن علىّ بن محمّد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون و عنده الرضا عليه السّلام، فقال له المأمون: يابن رسول اللّه أليس من قولك إنّ الأنبياء معصومون؟ قال: بلى، فقال: ما معنى قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ».

فقال عليه السّلام: إنّ اللّه تبارك و تعالى قال لآدم «اُسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّهَ وَ كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ ».

و أشار لهما إلى شجره الحنطه «فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ ».

و لم يقل لهما لا تأكلا من هذه الشّجره و لا ممّا كان من جنسها فلم يقربا تلك الشجره و إنّما أكلا من غيرها لما أن وسوس الشّيطان إليهما و قال: إنّما نهيكما

ربّكما عن هذه الشّجره و ما نهيكما أن تقربا غيرها و لم ينهكما عن الأكل منها:

«إِلاّ أَنْ تَكُونا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونا مِنَ الْخالِدِينَ وَ قاسَمَهُما إِنِّی لَکُما لَمِنَ النّاصِحِينَ ».

و لم يكن آدم و حوّاء شاهدا قبل ذلک من يحلف باللّه كاذبا «فَدَلاّهُما بِغُرُورٍ »... «فَأَكَلا مِنْها ».

ثقه بيمينه باللّه و كان ذلک من آدم قبل النّبوه و لم يكن ذلک بذنب كبير استحق دخول النّار به و إنّما كان من الصغائر الموهوبه التى تجوز على الأنبياء قبل نزول الوحى إليهم فلمّا اجتبيه اللّه و جعله نبيّا كان معصوما لا يذنب صغيره و لا كبيره قال اللّه:

«وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَ هَدى » و قال:

«إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ » الحديث أقول: و هذا الحديث كما ترى مطابق لمذهب المعتزله كما حكيناه عنهم، و مخالف لاصول الاماميّه لتصريح ذيله بجواز صدور الصغيره على الأنبياء قبل نزول الوحى فلا بدّ إمّا من طرحه لضعف سنده من حيث الارسال كما فى الاحتجاج، أو انتهاء سلسله السند إلى تميم بن عبد اللّه بن تميم القرشى كما فى العيون، فانّ السّند فيه حدثنا تميم بن عبد اللّه بن تميم القرشى، قال حدثنى أبى عن حمدان بن سليمان النيسابورى عن علىّ بن محمّد بن الجهم، و قد ضعّفه العلامه فى الخلاصه حيث قال:

تميم بن عبد اللّه بن تميم القرشى الذى روى عنه أبو جعفر محمّد بن بابويه ضعيف أو حمله على التقيّه و إن بعدت، أو تأويله بما يطابق اصول المذهب، و قد أوّله الطبرسى على ما رأيته فى حاشيه بعض نسخ الاحتجاج بقوله: و لعلّ الرضا عليه السّلام أراد بالصّغاير الموهوبه ترک المندوبه و ارتکاب المکروه من الفعل دون الفعل القبيح

و فيه أنّ ما ذكره و إن كان مقتضى أصول المذهب إلاّ أنّ تأويل الرّوايه به غير ممكن، لأنّ الصغائر بالمعنى الذى ذكره لا اختصاص لها بما قبل نزول الوحى حسبما ورد فى الرّوايه، و لا يجب العصمه عنها بعد النبوه أيضا كما يفهمه قوله عليه السّلام:

فلمّا اجتبيه اللّه و جعله نبيّا كان معصوما لا يذنب صغيره و مثل هذا الاشكال يلوح على روايه اخرى نظير تلك الرّوايه، و هى ما رواه فى العيون أيضا باسناده عن أبى الصّلت الهروى قال لمّا جمع المأمون لعلىّ بن موسى الرّضا عليهما السلام أهل المقالات من أهل الاسلام و الدّيانات من اليهود و النّصارى و المجوس و الصّابئين و ساير أهل المقالات، فلم يقم أحد إلا و قد ألزمه حجّته كأنّه ألقمه حجرا، قام إليه علىّ بن محمّد بن الجهم، فقال له يابن رسول اللّه: أتقول: بعصمه الأنبياء عليهم السلام؟ قال عليه السّلام: نعم، قال: فما تقول بقول اللّه:

«وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى ».

إلى أن قال: فقال الرّضا عليه السّلام: ويحك يا علىّ اتّق اللّه و لا تنسب إلى أنبياء اللّه الفواحش و لا تتأوّل كتاب اللّه برأيك فانّ اللّه عزّ و جل قد قال:

«وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ».

و أمّا قوله عزّ و جلّ فى آدم: و عصى آدم ربه فغوى فانّ اللّه عزّ و جلّ خلق آدم حجّه فى أرضه و خليفه فى بلاده، لم يخلقه للجنّه و كانت المعصيه من آدم فى الجنّه لا فى الأرض و عصمته يحب أن يكون فى الأرض ليتمّ مقادير أمر اللّه، فلمّا اهبط إلى الأرض و جعل حجّه و خليفه عصم بقوله عزّ و جلّ:

«إِنَّ اللّهَ اصْطَفى آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِيمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَى الْعالَمِينَ ».

الحديث، و عسى أن يكون للرّوايتين تأويل عند غيرى و فوق كلّ ذى علم عليم هذا و يلوح على الرّوايه الاولى إشكال آخر و هو أنّه عليه السّلام قد ذكر أنّ المشار إليها بقوله و لا تقربا هذه الشّجره شجره الحنطه، و لم يقل لهما: لا تأكلا من هذه

الشّجره، و لا ممّا كان من جنسها فلم يقربا هذه و إنّما أكلا من غيرها بتدليس ابليس.

و حاصل الاشكال أن يقال: المشار إليها بهذه إمّا أن تكون شخص الشجره، و إمّا أن تكون نوعها، فعلى الأوّل لا يكون أكله من غيرها ممّا هى من نوعها تركا للأولى على مذهبنا و ذنبا على مذهب غيرنا، فأىّ توبيخ كان من اللّه سبحانه عليه فى فعله ذلك، و على الثّانى كيف يمكن تدليس الشّيطان لهما بقوله: انّما نهيكما ربّكما عن هذه الشّجره و ما نهيكما أن تقربا غيرها حسبما ورد فى الرّوايه مضافا إلى أنّ اللاّزم على اللّه سبحانه نصب القرينه على إراده النّوع، بأن يقول:

و لا تقربا هذه الشّجره و لا غيرها ممّا كان من نوعها، لقبح الاغراء بالجهل و تأخير البيان عن وقت الحاجه.

و يمكن رفع الاشكال بأن يقال: إنّ المنهىّ عنه إنّما كان نوع الشّجره، و كلمه هذه قد يشار بها إلى الشخص، و قد يشار بها إلى النّوع، فقوله: و لا تقربا هذه الشّجره، مع عدم نصب القرينه من قبيل الخطاب بالمجمل لا أنّ الخطاب مجمل بل متعلّق الخطاب أعنى المكلّف به مردّد بين الكلّى و الفرد، و نفس الخطاب أعنى التّكليف بالاجتناب معلوم، فاللاّزم على آدم عليه السّلام حينئذ هو الاحتياط بالاجتناب عن جميع الأفراد، و قد دلسه الشّيطان و أوقعه فى خلاف الاحتياط المقتضى للاجتناب، و قال له إنّ اللّه حيث لم ينصب قرينه على اراده النّوع فقد أباح النّوع إلاّ الفرد الخاصّ فأكل من غير ذلك الفرد و استحقّ التّوبيخ، و هذا ليس من قبيل الاغراء بالجهل، و لا من قبيل تاخير البيان عن وقت الحاجه، إذ نفس التكليف قد كان معلوما بالعلم التّفصيلى لا جهاله فيه أصلا، و لا حاجه له إلى البيان غايه الأمر كون المكلف به مجملا مردّدا بين أمرين و العقل حاكم فيه بوجوب الاحتياط بترك المحتملات، هذا ما نقده الخاطر القاصر فى المقام، و العلم بحقايق الأمور و الأحكام للّه و لاوليائه الكرام عليهم السّلام.

ص:١٠٩

### الترجمه

پس از آن ساكن گردانيد حق سبحانه و تعالى جناب آدم على نبينا و آله و عليه السلام را در سرائى كه وسيع نمود در آن عيش او را، و ايمن ساخت در آن محل او را از مكاره و آفات، و بترسانيد او را از ابليس لعين و دشمنى او، پس فريفته ساخت او را دشمن او بجهت بخل و حسد او بسكون او در سراى اقامت كه بهشتست و به رفيق شدن او با نيكوكاران كه ملائكهٔ مقربين اند، پس بفروخت يقين بعداوت ابليس را بشكك در عداوت بجهت قسم خوردن او بخداوند كه من از ناصحين هستم، و بفروخت عزيمت و اهتمامى كه داشت در نخوردن از شجره بوهن و سستى خود كه عارض شد او را بجهه تدليس ابليس، و استبدال كرد و بدل نمود فرح و سرور را بخشيت و ترس، و عزت و بزرگى را بندامت و پريشانى.

### الفصل الثالث عشر

### اشاره

ثمّ بسط اللّه له فى توبته، و لقّيه كلمه رحمته، و وعده المردّ إلى جنّته.

### اللّغه

(التّوبه) الانابه و أصلها الرّجوع عمّا سلف و النّدم على ما فرط و (لقيه) ألقاه من باب تعب لقيا استقبله و كلّ شيء استقبل شيئا أو صادفه فقد لقيه قال الطبرسى (ره) فى تفسير: فتلقى آدم من ربه كلمات: التّلقى نظير التلقن يقال: تلقيت منه أى أخذت و قبلت، و أصله من لقيت خيرا فيعدى إلى مفعول واحد ثم يعدى إلى مفعولين بتضعيف العين، نحو لقّيت زيدا خيرا كقوله تعالى:

«وَ لَقّاهُمْ نَضْرَةً وَ سُرُوراً » أقول: و مثله قول الامام عليه السّلام: و لقّيه كلمه رحمته، و حكى الفخر الرازى عن القفال قال: أصل التّلقى التعرض للقادم(۱) يوضع فى موضع الاستقبال للشّىء

ص:۱۱۰

---

۱- (۱) اقول: و منه تلقى الركبان الوارد فى الاخبار و فى الكتب الفقهيه منه،

الجائی، ثم یوضع موضع القبول و الأخذ قال اللّه:

«وَ إِنَّکَ لَتُلَقَّی الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَکِیمٍ عَلِیمٍ ».

أی تلقّنه، و یقال: تلقینا الحاج أی استقبلناه، و یقال: تلقیت هذه الکلمه من فلان أی أخذتها منه، و إذا کان هذا أصل الکلمه و کان من تلقی رجلا فتلاقیا لقی کلّ واحد صاحبه فاضیف الاجتماع إلیهما معا، صلح أن یشترکا فی الوصف بذلک، فیقال: کلّ ما تلقیته فقد تلقاک، فجاز أن یقال: تلقی آدم کلمات أی أخذها و وعاها و استقبلها بالقبول، و جاز أن یقال تلقی کلمات بالرّفع علی معنی جائته عن اللّه کلمات و (المردّ) کالردّ مصدر من ردّه إذا صرفه.

### الاعراب

مفعول بسط محذوف، و التّقدیر بسط اللّه له بساط رحمته و کرامته فی توبته، بأن جعلها مقترنه بالقبول، و علی ما فی بعض النّسخ من انتفاء کلمه له یجوز جعل بسط بمعنی سرّ یقال: بسط فلانا، أی سره فالمفعول حینئذ الضّمیر المحذوف الرّاجع إلی آدم علیه السّلام.

### المعنی

### اشاره

(ثم) إنّ آدم علیه السّلام لمّا اغترّه عدوّه و أکل من الشّجره و ارتکب خلاف الأولی و استبدل الاعتزاز بالندم (بسط اللّه له) بساط رحمته و کرامته (فی توبته) بأن ألهمها إلیه و تقبلها بقبول حسن (و لقّیه) أی لقنه (کلمه رحمته) التی اشیر إلیها فی قوله سبحانه:

«فَتَلَقّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ ».

(و وعده المردّ) و الرّجوع (الی جنّته) کما قال سبحانه فی سوره البقره:

«فَإِمّا یَأْتِیَنَّکُمْ مِنِّی هُدیً فَمَنْ تَبِعَ هُدایَ فَلا خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَ لا هُمْ یَحْزَنُونَ » و فی سوره طه «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدایَ فَلا یَضِلُّ وَ لا یَشْقی ».

## تنبیهات

### الاول

أنّ ظاهر کلام الامام علیه السّلام کون توبه آدم قبل الاهباط من الجنّه

حیث عطف الاهباط علی بسط التّوبه، و هو مقتضی التّرتیب الذکری فی الآیه من سوره طه، قال سبحانه:

«وَ عَصی آدَمُ رَبَّهُ فَغَوی ثُمَّ اجْتَباهُ رَبُّهُ فَتابَ عَلَیْهِ وَ هَدی قالَ اهْبِطا مِنْها جَمِیعاً ». حیث جعل الأمر بالهبوط بعد التوبه قال الشّارح المعتزلی و ذلک أحد قولی المفسرین اه، و لکن الأشهر أنّ التّوبه کانت بعد الهبوط کما ورد فی سوره البقره قال سبحانه:

«فَأَزَلَّهُمَا الشَّیْطانُ عَنْها فَأَخْرَجَهُما مِمّا کانا فِیهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُکُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَکُمْ فِی الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتاعٌ إِلی حِینٍ فَتَلَقّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ ».

و الأقوی عندی کون التّوبه بعد الاهباط علی ما ورد فی سوره البقره، فیکون کلام الامام علیه السّلام من قبیل التقدیم و التّأخیر، و التقدیر فاستبدل بالجذل و جلا و بالاعتزاز ندما فأهبطه اللّه إلی دار البلیّه و تناسل الذّریّه، ثمّ بسط فی توبته و لقّیه کلمه رحمته.

فان قلت: مقتضی النّظم حسبما ذکرت فی إحدی الآیتین مخالف للاخری ظاهرا فما الدّلیل علی ترجیح ما یستفاد من آیه البقره؟ ثم علی تقدیر وجود الدّلیل ما السّر فی تقدیم التّوبه علی الاهباط فی آیه طه؟ قلت: أمّا السّر فیما ذکر فلعلّه هو أنّه سبحانه لما نسب إلی آدم العصیان و الغیّ الظاهرین فی صدور الذّنب الموهمین للافتضاح و سقوطه عن رتبه النّبوه و الاصطفاء کما سبق إلی ذوی الافهام القاصره و العقول النّاقصه من العامه العمیاء (ج ۷)

فـانّهم و إن لم يقرّوا بـذلك إلاّـ أنّه لاـزم كلاـمهم نظرا إلى أنّ المـذنب لاـ يكون نبيّا كما عرفت فى الفصل السّابق، اقتضـى(۱) الحال و المقام أن يعقّبه بما يوجب دفع ذلك التّوهم و ينبه على أنّ صدور ذلك لم يوجب انحطاط رتبته بحيث يسـلبه التّوفيق و الألطـاف الخفيّه بـالكلّيه، و يكون موجبا للخـذلان و الحرمان فعقّبه من دون فصل بما أفاد كونه مجتبى و مرتضـى، و أن صـدور ذلك الفعل لم يسـقطه عن الاسـتعداد و القابليّه للعنايه الرّبانيه، كما قدم الاجتباء على التّوبه لذلك السـر أيضا و هو زياده إشعاره بدفع ذلك التّوهم فاقتضى الحال تقديمه و أمّا سوره البقره فقد جرت الحكايه فيها على ما هو الأصل فيها من المطابقه للمحكى، و هذا السّر ممّا لم يسبق إليه أحد غيرى من العلماء و المفسرين و اللّه العالم.

و أمّـا الـدّليل على تقـدّم الاهباط على التّوبه فهو الأخبار الكثيره منها ما رواه علىّ بن إبراهيم القمّى فى تفسيره عن الصّادق عليه السّلام قال: فاهبط آدم على الصفا، و إنّما سميت الصفا لأنّ صفوه اللّه نزل عليها و نزلت الحوّاء على المروه «و انما سميت المروه ظ» لأنّ المرأه نزلت عليها، فبقى آدم أربعين صباحا ساجدا يبكى على الجنّه فنزل عليه جبرئيل فقال يا آدم: ألم يخلقك اللّه بيده و نفـخ فيـك من روحه و أسـجد لـك ملائكته؟ قال: بلى، قال: و أمرك أن لا تأكل من الشّـجره فلم عصـيته؟ قال: يا جبرئيل إنّ إبليس حلف لى بـاللّه انه لى ناصـح و مـا ظننت أن أحـدا من خلقه يحلف باللّه عزّ و جل كاذبا، فقال له جبرئيل: يا آدم تب إلى اللّه.

و منها ما رواه أيضا باسـناده عنه عليه السّلام، قال: إنّ آدم بقى على الصّفا أربعين صباحا ساجدا يبكى على الجنّه، و على خروجه من جوار اللّه عزّ و جلّ، فنزل جبرئيل فقال:

يـا آدم مالـك تبكى؟ فقـال: يـا جبرئيل ما لى لا أبكى و قـد أخرجنى اللّه من جواره و أهبطنى إلى الـدّنيا، فقال: يا آدم تب إليه الحـديث و يـأتى بتمامه إنشاء اللّه فى أواخر الخطبه(۲) عنـد شـرح اعلاـم الحـجّ و منها ما رواه فى البحار عن معانى الأخبار عن العجلى عن ابن زكريّا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن محمّد بن سنان عن المفضّل قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام



---

۱- (۱) جواب لما، منه

۲- (۲) فى الفصل الثانى عشر عند شرح قوله: و وقفوا مواقف انبيائه، منه

إنّ اللّه تبارك و تعالى خلق الأرواح قبل الأجساد بألفى عام، فجعل أعلاها و أشرفها أرواح محمّد و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه من بعدهم صلوات اللّه عليهم فعرضها على السّماوات و الأرض و الجبال، فغشيها نورهم فقال اللّه تبارك و تعالى للسماوات و الأرض و الجبال: هؤلاء أحبّائى و أوليائى و حججى على خلقى و أئمه بريّتى، ما خلقت خلقا هو أحبّ إلىّ منهم و لهم و لمن تولاّهم خلقت جنّتى، و لمن خالفهم و عاداهم خلقت نارى، فمن ادّعى منزلتهم منّى و محلّهم من عظمتى عذّبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمين، و جعلته مع المشركين فى أسفل درك من نارى و من أقرّ بولايتهم و لم يدّع منزلتهم منّى و مكانهم من عظمتى جعلته معهم (معى خ ل) فى روضات جنانى و كان لهم فيها ما يشاءون عندى، و أبحتهم كرامتى و أحللتهم جوارى و شفعتهم فى المذنبين من عبادى و إمائى، فولايتهم أمانه عند خلقى فأيّكم يحملها بأثقالها و يدّعيها لنفسه دون خيرتى فأبت السّماوات و الأرض و الجبال أن يحملنها و أشفقن من ادّعاء منزلتها و تمنّى محلّها من عظمه ربّها، فلمّا أسكن اللّه آدم و زوجته الجنّه قال لهما:

«كُلا مِنْها رَغَداً حَيْثُ شِئْتُما وَ لا تَقْرَبا هذِهِ الشَّجَرَهَ ».

يعنى شجره الحنطه «فَتَكُونا مِنَ الظّالِمِينَ ».

فنظرا إلى منزله محمّد و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه من بعدهم عليهم السّلام فوجداها أشرف منازل أهل الجنّه فقالا: يا ربّنا لمن هذه المنزله؟ فقال اللّه جلّ جلاله: ارفعا رؤوسكما إلى ساق عرشى فرفعا رؤوسهما فوجدا اسم محمّد و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه بعدهم صلوات اللّه عليهم مكتوبا على ساق العرش بنور من نور الجبّار جل جلاله، فقالا: يا ربّنا ما أكرم أهل هذه المنزله عليك، و ما أحبّهم إليك و ما أشرفهم لديك؟ فقال اللّه جلّ جلاله: لولاهم ما خلقتكما فهؤلاء خزنه علمى و امنائى على سرّى إيّاكما أن تنظرا إليهم بعين الحسد و تتمنيا منزلتهم

عندی و محلّهم من کرامتی فتدخلا بذلک فی نهیی و عصیانی فتکونا من الظالمین، قالا ربّنا و من الظالمون؟ قال: المدّعون لمنزلتهم بغیر حقّ، قالا ربّنا فأرنا منازل ظالمیهم حتّی نراها کما رأینا منزلتهم فی جنّتک، فأمر اللّه تبارک و تعالی النّار فأبرزت جمیع ما فیها من ألوان النّکال و العذاب، و قال اللّه عزّ و جلّ مکان الظالمین لهم المدّعین لمنزلتهم فی أسفل درک منها:

«کُلَّما أَرادُوا أَنْ یَخْرُجُوا مِنْها مِنْ غَمٍّ أُعِیدُوا فِیها » و کلما نضجت جلودهم بدلوا سواها لیذوقوا العذاب یا آدم و یا حوّاء لا تنظرا إلی أنواری (ابراری خ ل) و حججی بعین الحسد فاهبطکما عن جواری و احل بکما هوانی («فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّیْطانُ لِیُبْدِیَ لَهُما ما وُورِیَ عَنْهُما مِنْ سَوْآتِهِما وَ قالَ ما نَهاکُما رَبُّکُما عَنْ هذِهِ الشَّجَرَهِ إِلاّ أَنْ تَکُونا مَلَکَیْنِ أَوْ تَکُونا مِنَ الْخالِدِینَ وَ قاسَمَهُما إِنِّی لَکُما لَمِنَ النّاصِحِینَ فَدَلاّهُما بِغُرُورٍ ».) و حملهما علی تمنّی منزلتهم فنظرا إلیهم بعین الحسد فخذلا حتّی أکلا من شجره الحنطه فعاد مکان ما اکلا شعیرا فاحمل الحنطه ممّا لم یاکلاه و أصل الشعیر کلّه ممّا عاد مکان ما أکلاه فلمّا أکلا من الشّجره طار الحلّی و الحلل عن اجسادهما و بقیا عریانین «وَ طَفِقا یَخْصِفانِ عَلَیْهِما مِنْ وَرَقِ الْجَنَّهِ وَ ناداهُما رَبُّهُما أَ لَمْ أَنْهَکُما عَنْ تِلْکُمَا الشَّجَرَهِ وَ أَقُلْ لَکُما إِنَّ الشَّیْطانَ لَکُما عَدُوٌّ مُبِینٌ قالا رَبَّنا ظَلَمْنا أَنْفُسَنا وَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنا وَ تَرْحَمْنا لَنَکُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِینَ ».

قال اهبطا من جواری فلا یجاورنی فی جنتی من یعصینی فهبطا موکولین إلی أنفسهما فی طلب المعاش، فلمّا أراد اللّه عزّ و جلّ أن یتوب علیهما جاءهما جبرئیل فقال لهما:

ص:۱۱۵

إنّكما ظلمتما أنفسكما بتمنّى منزله من فضّل عليكما، فجزاؤكما ما قد عوقبتما به من الهبوط من جوار اللّه عزّ و جلّ إلى أرضه فاسألا ربّكما بحقّ الاسماء التى رأيتموها على ساق العرش حتّى يتوب عليكما، فقالا: اللهمّ إنّا نسألك بحقّ الأكرمين عليك: محمّد و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين و الأئمه إلا تبت علينا و رحمتنا، فتاب اللّه عليهما إنّه هو التّواب الرّحيم، فلم تزل أنبياء اللّه بعد ذلك يحفظون هذه الأمانه و يخبرون بها أوصيائهم و المخلصين من أممهم، فيأبون حملها و يشفقون من ادّعائها و حملها الانسان الذى قد عرف فأصل كلّ ظلم منه إلى يوم القيامه و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ:

«إِنّا عَرَضْنَا الْأَمانَهَ عَلَى السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَها وَ أَشْفَقْنَ مِنْها وَ حَمَلَهَا الْإِنْسانُ إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً ».

قال المجلسى (ره) الانسان الذى عرف هو ابو بكر هذا و الأخبار فى هذا الباب كثيره، و الاستقصاء فيها موجب للاطاله و فيما ذكرناه كفايه إنشاء اللّه.

و بقى الكلام فى مده بكاء آدم على الجنّه و المستفاد من روايتى علىّ بن إبراهيم السالفتين أنّه بكى أربعين صباحا و فى روايه الصّدوق فى العيون عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام فى أسأله الشّامى عن أمير المؤمنين عليه السّلام بالكوفه، قال: و سأله(۱) عن بكاء آدم على الجنّه و كم كانت دموعه التى خرجت من عينيه؟ فقال عليه السّلام: بكى مأئه سنه و خرج من عينه اليمنى مثل الدّجله و العين الاخرى مثل الفرات و فى الأنوار للمحدّث الجزائرى أخذا عن الأخبار، ثمّ إنّ آدم و حوّاء أنزلا من السّماوات على جبل فى شرقى الهند، يقال له: باسم و فى روايه اخرى يقال له: سر انديب، و هو فى الاقليم الأوّل ممّا يلى معدّل النّهار، و قد كانت حوّاء ضفرت رأسها فى الجنّه، فقالت: ما أصنع بهذه الضفيره و أنا مغضوب علىّ، ثمّ إنّها حلّت ضفرتها و فى خبر آخر أنّها حلّت عقيصه واحده فأطارت الرّيح

ص:۱۱۶

---

۱- (۱) اى الشامى عن على «عليه السلام» منه

ذلک الطیب فی بلاد الهند، فمن ثمّ کان أکثر الطیب منه.

ثمّ أتی جبرئیل فأخذ آدم إلی مکّه لیعلمه المناسک، فطوی له الأرض فصار موضع قدمیه عمران، و ما بینهما خراب فأهبط آدم علی الصّفا و به سمی لهبوط صفیّ اللّه علیه و حوّاء علی المروه و به سمّیت لنزول المرأه و هی حوّاء علیها، فبکی آدم علی ما وقع منه و علی فراق الجنّه ثلاثمائه سنه من أیّام الدّنیا و فی(۱) أیّام الآخره یوم کألف سنه ما بین العصر إلی العشاء، و بکی حتّی صار علی خدّیه کالنّهرین، فخرج من عینه الیمنی دموع مثل دجله، و من عینه الیسری مثل الفرات، ثمّ إنّ آدم رأی حوّاء یوم الثّامن من شهر ذی الحجّه فلم یعرفها ذلک الیوم لشعث أحوالهما و طول أحزانهما، فتروّی و تفکّر ذلک، ثمّ إنّه عرفها یوم التّاسع، فمن ثمّ سمّی یوم الثّامن یوم التّرویه و التّاسع یوم عرفه، و لمّا لم تقبل توبته فی تلک السّنین و الأعوام أتی إلیه جبرائیل، فقال: یا آدم ادع اللّه بالأسماء التی رأیتها مکتوبه علی ساق العرش بسطور النّور و قل: اللّهم بحقّ محمّد و علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین و الأئمه الطاهرین أن تقبل توبتی و لعلّ المحدّث المذکور قد أخذ تقدیر مدّه البکاء بما ذکره ممّا رواه الصّدوق فی الفقیه فی باب علّه وجوب الصّلاه الخمس عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله قال: و أما صلاه العصر فهی السّاعه التی أکل آدم فیها من الشّجره فأخرجه اللّه من الجنّه فأمر اللّه ذریته بهذه الصّلاه إلی یوم القیامه.

و اختارها لامتی فهی من أحب الصّلاه الی اللّه عزّ و جلّ، و أوصانی أن أحفظها من بین الصّلوات، و أمّا صلاه المغرب فهی السّاعه التی تاب اللّه فیها علی آدم، و کان ما بین ما أکل من الشجره و بین ما تاب اللّه علیه ثلاثمأه سنه من أیّام الدّنیا، و فی أیام الاخره یوم کألف سنه ما بین العصر إلی العشاء، فصلّی آدم ثلاث رکعات رکعه لخطیئته و رکعه لخطیئه حواء و رکعه لتوبته الحدیث، و یأتی بتمامه انشاء اللّه فی شرح الخطبه المأه و التاسعه هذا.

و لا بأس باختلاف هذه الأخبار فی مدّه أیام البکاء زیاده (الزائد خ) و نقصانا،



---

۱- (۱) ای یوم واحد من أیام الاخره کألف سنه من أیام الدنیا و قوله ما بین العصر الی العشاء یعنی کان ثلاثمائه سنه من أیام الدّنیا ما بین العصر الی العشاء من أیام الآخره، من حواشی الفقیه.

(الناقص خ) لامکان حمل الأقلّ علی الشّدید و الأکثر علی الخفیف و المراد بالشدید هو ما یشتمل علی النوح، و یقال له: البکاء بالمدّ و الثّانی بالقصر،

#### الثانی

اختلف الأقوال کالأخبار فی الکلمات التی تلقاها آدم من ربّه

التی أشار إلیها الامام علیه السّلام بقوله: و لقاه کلمه رحمته.

فقیل إنّ المراد بها هی قوله: ربّنا ظلمنا أنفسنا الایه.

و قیل هی سبحان اللّه و الحمد للّه و لا إله إلا اللّه و اللّه أکبر.

و عن ابن عبّاس إنّ اللّه علّم آدم و حواء أمر الحج و الکلمات التی یقال فیه، فحجا، فلما فرغا أوحی اللّه تعالی إلیهما أنّی قد قبلت توبتکما.

و فی الکافی عن أحدهما علیه السّلام أنّ الکلمات:

لا إله إلاّ أنت سبحانک اللّهمّ و بحمدک عملت سوء و ظلمت نفسی فاغفر لی و أنت خیر الغافرین، لا إله إلاّ أنت سبحانک اللّهمّ و بحمدک عملت سوء و ظلمت نفسی فاغفر لی و ارحمنی إنّک أنت أرحم الرّاحمین، لا إله إلاّ أنت سبحانک اللّهمّ و بحمدک عملت سوء و ظلمت نفسی فاغفر لی و تب علیّ إنّک أنت التّوّاب الرّحیم.

و فی أکثر أخبارنا أنّ المراد بها الأسماء المبارکه لمحمد و آل محمّد سلام اللّه علیهم التی توسّل آدم بها إلی اللّه سبحانه فی قبول توبته، و لا منافاه بینها لامکان تلقی الجمیع و إن کان الأقوی الأخیر لقوّه أدلّته عددا و سندا.

فمن تلک الأدله روایه معانی الأخبار السّالفه فی التذییل الأوّل.

و منها ما عن تفسیر الامام علیه السّلام لما زلت من آدم الخطیئه و اعتذر إلی ربّه عزّ و جلّ قال یا ربّ: تب علیّ و اقبل معذرتی فلقد تبین نقص الخطیئه

و ذلّها بأعضائی و سایر بـدنی، قال اللّه تعالی یا آدم: أما تذکر أمری إیاک بأن تدعونی بمحمد و آله الطیبین علیهم السـلام عند شدائدک و دواهیک و فی النّوازل تبهظک(۱) ، قال آدم یا ربّ بلی، قال اللّه عزّ و جلّ: فهم محمّـد و علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین علیهم السّـلام خصوصا فادعنی أجبک إلی ملتمسک و ازدک فوق مرادک، قال آدم: یا ربّ الهی و قد بلغ عندک من محلّهم أنک بالتّوسل بهم تقبل توبتی و تغفر خطیئتی و أنا الـذی أسـجدت له ملائکتک و أبحته جنّتک و زوّجته حوّاء أمتک و أخـدمته کرام ملائکتـک، قـال اللّه تعـالی: یـا آدم إنّما امرت الملائکه بتعظیمک بالسّـجود لک إذ کنت وعاء لهـذه الأنوار و لو کنت سألتنی بهم قبل خطیئتک أن أعصـمک و أن افطنک لـدواعی عـدوّک إبلیس حتّی تحترز منها لکنت قـد جعلت ذلک، و لکن المعلوم فی سـابق علمی یجری موافقـا لعلمی فالان فبهم فادعنی لاجیبک، فعنـد ذلک قال آدم: اللّهم بجاه محمّـد و علیّ و فـاطمه و الحسن و الحسـین و الطیبین من آلهم لمّا تفضّـلت بقبول توبتی و غفران زلتی و إعادتی من کراماتک إلی مرتبتی، قال اللّه عزّ و جلّ: قد قبلت توبتک و أقبلت برضوانی علیک و صرفت آلائی و نعمائی إلیک و أعدتک إلی مرتبتک من کراماتی و وفرت نصـیبک من رحمـاتی، فـذلک قوله عزّ و جـلّ «فَتَلَقّی آدَمُ مِنْ رَبِّهِ کَلِماتٍ فَتابَ عَلَیْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوّابُ الرَّحِیمُ » و منها ما فی البحار عن معانی الأخبار باسناده عن المفضّل عن الصّادق جعفر بن محمّد علیهما السّلام، قال: سألته عن قول اللّه عزّ و جل:

«وَ إِذِ ابْتَلی إِبْراهِیمَ رَبُّهُ بِکَلِماتٍ ».

مـا هـذه الکلمات؟ قال علیه السّـلام: هی الکلمات التی تلقّیها آدم من ربه فتاب علیه و هو أنّه قال: یا ربّ أسألک بحقّ محمّـد و علیّ و فـاطمه و الحسن و الحسـین إلاـ تبت علیّ، فتاب اللّه علیه إنّه هو التّواب الرّحیم، فقلت: یابن رسول اللّه فما یعنی عزّ و جلّ بقوله أتمهنّ، قال: یعنی أتمّهنّ إلی القائم إثنا عشـر إماما، تسـعه من ولد الحسین علیه السّلام قال المفضّل: فقلت له: یا بن رسول اللّه، فأخبرنی عن قول اللّه عزّ و جلّ:



---

۱- (۱) بهظه الحمل أثقله، ص.

«وَ جَعَلَها كَلِمَةً باقِيَةً فِی عَقِبِهِ ».

قال: یعنی بذلک الامامه جعلها اللّه فی عقب الحسین علیه السّلام إلی یوم القیامه قال: فقلت له: یابن رسول اللّه فکیف صارت الامامه فی ولد الحسین دون الحسن و هما جمیعا ولدا رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سبطاه و سیّدا شباب أهل الجنّه؟ فقال: إنّ موسی و هارون کانا نبیّین و مرسلین أخوین، فجعل اللّه النّبوه فی صلب هارون دون صلب موسی و لم یکن لأحد أن یقول: لم فعل اللّه ذلک، فانّ الامامه خلافه اللّه عزّ و جلّ لیس لأحد أن یقول: لم جعلها اللّه فی صلب الحسین دون صلب الحسن علیهما السّلام، لأنّ اللّه هو الحکیم فی أفعاله لا یسأل عمّا یفعل و هم یسألون و منها ما فیه أیضا عن جامع الأخبار و أمالی الصّدوق بالاسناد عن معمر بن راشد، قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: أتی یهودی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، فقام بین یدیه یحدّ النظر إلیه، فقال صلّی اللّه علیه و آله: یا یهودی حاجتک؟ قال: أنت أفضل أم موسی بن عمران النّبیّ کلّمه اللّه و أنزل علیه التّوراه و العصا و فلق له البحر و أظلّه بالغمام؟ فقال له النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله: إنّه یکره للعبد أن یزکی نفسه و لکنّی أقول: إنّ آدم لمّا أصاب الخطیئه کان توبته أن قال: اللهمّ إنّی أسألک بحقّ محمّد و آل محمّد لمّا(۱) غفرت لی فغفرها اللّه له، و إنّ نوحا لمّا رکب فی السّفینه و خاف الغرق، قال: اللهمّ إنّی أسألک بحقّ محمّد و آل محمّد لمّا أنجیتنی من الغرق فنجاه اللّه، و إنّ إبراهیم لمّا القی فی النّار قال: اللهمّ إنّی أسألک بحقّ محمّد و آل محمّد لمّا أنجیتنی منها فجعلها اللّه علیه بردا و سلاما، و إنّ موسی لمّا ألقی عصاه و أوجس فی نفسه خیفه قال: اللهمّ إنّی أسألک بحقّ محمّد و آل محمّد لمّا أمنتنی، فقال اللّه جلّ جلاله: لا تخف إنّک أنت الأعلی یا یهودی إنّ موسی لو أدرکنی ثمّ لم یؤمن بی و بنبوّتی ما نفعه ایمانه شیئا و لا نفعته النّبوه، یا یهودی و من ذریّتی المهدی علیه السّلام إذا خرج نزل عیسی بن مریم



۱- (۱) کلمه لما ایجابیه بمعنی الا ای أسألک فی کل حال الا حصول المطلوب و هو الحاح و مبالغه فی السؤال بحار،

لنصرته فقدّمه و صلّى خلفه إلى غير ذلك من الأخبار الكثيره، تركناها مخافه الاطناب، و قد عقد المحدث العلامه المجلسى طاب ثراه فى البحار بابا فى أنّ دعاء الأنبياء استجيب بالتّوسل و الاستشفاع بهم صلوات اللّه عليهم أجمعين

## الثالث

فى تحقيق توبه الأنبياء على وجه لا ينافى العصمه

فنقول: قد عرفت فى الفصل السّابق أنّ الأنبياء عليهم السّلام معصومون من أوّل عمرهم إلى آخره، و أنّه لم يصدر منهم ذنب قطّ لا صغيره و لا كبيره لا فى الصغر و لا فى الكبر و لا قبل البعثه و لا بعد البعثه لا على سبيل العمد و لا على سبيل السّهو و الخطاء، على ما ذهبت اليه أصحابنا رضى اللّه عنهم، و عند ذلك احتاجوا إلى تأويل ما ورد فى الكتاب العزيز من الآيات الدّاله على توبتهم، و كذلك ما ورد فى الأخبار فمن توبه النبى صلّى اللّه عليه و آله مثل ما رواه فى الكافى باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان يتوب إلى اللّه عزّ و جلّ كلّ يوم سبعين مرّه و ما رواه الطبرسى فى مجمع البيان عن أمّ سلمه قالت: كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله باخره لا يقوم و لا يقعد و لا يجىء و لا يذهب إلا قال سبحان اللّه و بحمده أستغفر اللّه و أتوب إليه فسألناه عن ذلك، فقال إنّى أمرت بها ثمّ قرء «إِذا جاءَ نَصْرُ اللّهِ وَ الْفَتْحُ ».

إلى آخر السّوره و كذلك ما ورد من توبه الأئمه عليهم السلام كما فى الأخبار الكثيره و الأدعيّه المأثوره، و كفاك شاهدا أدعيّه الصّحيفه السّجاديه و لا سيّما دعاء التّوبه و دعاء الاستقاله المتضمنه للاعتراف بالذنوب و المعاصى إذا عرفت ذلك فأقول: قد أجاب عنه أكثر الأصحاب بأنّ ترك المندوب و فعل المكروه ربّما يسمّى ذنبا فيجوز التوبه حينئذ قال الطبرسى (ره): و عندنا يصحّ التوبه إذا كانت من ترك المندوب و يكون

ذلـک علی وجه الرّجوع إلی فعله، و علی هـذا یحمـل توبه الأنبیـاء فی جمیع مـا نطق به القرآن و قـد أجیب عن اسـتغفار النّبیّ و الأـئمه علیهم السّـلام و توبتهم مضافـا إلی مـا مرّ بوجوه خـاصّه أحـدها أنّه لتعلیم الأـمه و تـأدیبهم و تنبیههم علی کیفیّه الاقرار و الاـعتراف بالتقصـیر و الـذنوب و الاسـتغفار و التّوبه الثـانی أنّه من قبیـل التّواضع و الاـعتراف بالعبودیه و أنّ البشـر مظنّه التقصـیر الثّالث أنّ الاعتراف بالـذّنوب و الاستغفار منها إنّما هو علی تقـدیر وقوعها، و المعنی إن صدر منّی شـیء من هذه الامور فاغفره لی، و قـد تقرّر أنّه لاـ یلزم من صـدق الشّـرطیّه صـدق کـلّ واحـد من جزئیهـا الرّابع أنّهم یتکلمون علی لسـان أمّتهم و رعیّتهم، فاعترافهم بالذّنوب اعتراف بذنوب امّتهم، لأنّ کلّ راع مسـئول عن رعیّته و إنّما أضافوا الذّنوب إلی أنفسهم المقدسه للاتّصال و السّـبب، و لا سبب أوکد ممّا بین الرّسول أو الامام علیه السّلام و بین امّته و رعیّته، ألا تری أنّ رئیس القوم إذا وقع من قومه هفوه أو تقصـیر قام هو فی الاعتـذار منهم و نسب ذلک إلی نفسه و إذا اریـد عتابهم و توبیخهم وجّه الکلام إلیه دون غیره منهم، و إن لم یفعل هو ذلک بل و لا شهده و هذا فی الاستعمال معروف أقول: و یؤیّد هذا الوجه ما رواه القمّی عن الصّادق علیه السّلام فی قوله تعالی:

«لِیَغْفِرَ لَـکَ اللّهُ مـا تَقَـدَّمَ مِنْ ذَنْبِـکَ وَ ما تَأَخَّرَ » قال علیه السّـلام: و اللّه ما کان له ذنب و لا همّ بـذنب، و لکنّ اللّه حمله ذنوب شیعته ثمّ غفرها و فی المجمع عنه أنّه سـئل عنها، فقال علیه السّـلام: و اللّه ما کان له ذنب، و لکنّ اللّه سـبحانه ضـمن له أن یغفر ذنوب شیعه علی ما تقدّم من ذنبهم و ما تأخّر، قال بعض أهل المعرفه:

قد ثبت عصمته فلم یبق لاضافه الذّنب إلیه إلاّ أن یکون هو المخاطب و المراد امّته کما قیل: إیّاک أدعو و اسمعی یا جاره

الخامس ما ذكره الشّيخ علىّ بن عيسى الاربلى (ره) فى كشف الغمّه و استحسنه أكثر من تأخّر عنه كالمحدّث المجلسى (ره) و الشّيخ البهائى فى شرح الأربعين و الطريحى و شارح الصّحيفه السيّد صدر الدين علىّ الحسينى و غيرهم من متصدّى الأخبار قال (ره) فائده سنيه كنت أرى الدّعاء الذى كان يقوله أبو الحسن عليه السّلام فى سجده الشّكر و هو (۱) «ربّ عصيتک بلسانى و لو شئت و عزّتک لأخرستنى و عصيتک ببصرى و لو شئت و عزّتک لأكمهتنى و عصيتک بسمعى و لو شئت و عزّتک لأصممتنى و عصيتک بيدى و لو شئت و عزّتک لكنعتنى و عصيتک بفرجى و لو شئت و عزّتک لعقمتنى و عصيتک برجلى و لو شئت و عزّتک لجذمتنى و عصيتک بجميع جوارحى الّتى أنعمت بها علىّ و لم يكن هذا جزاك منّى».

بخط عميد الرّوساء لعقمتنى و المعروف عقمت(۲) المراه و عقمت و عقمت و أعقمها اللّه.

فكنت أفكّر فى معناه و أقول: كيف يتنزّل على ما يعقده الشيعه من القول بالعصمه، و ما اتّضح لى ما يدفع التردّد الذى يوجبه، فاجتمعت بالسيّد السّعيد النّقيب رضى الدّين ابى الحسن علىّ بن موسى الطاوس الحسنى رحمه اللّه و ألحقه بسلفه الطاهر،



---

۱- (۱) يعنى بار خدايا عصيان تو كردم بزبان و اگر مى خواستى بعزت و بزرگى تو قسم كه هرآينه مرا گنگ مى كردى و عصيان تو نمودم بچشم خود و اگر مشيت تو بآن تعلق مى گرفت بعزت و بزرگى تو قسم كه هر آينه كور مى كردى مرا و عصيان تو كردم بگوش خود يعنى امورى كه نبايست شنيد شنيدم و اگر مى خواستى بعزت و بزرگى تو قسم كه هراينه مرا كر مى كردى كه هيچ چيز نمى توانستم شنيد، شرح اربعين بهائى ره

۲- (۲) عقم فى بعض ما عندنا من كتب اللغه جاء لازما و متعديا قال فى القاموس عقم كفرح و نصر و كرم و عنى و عقمها اللّه يعقمها و اعقمها، انتهى اختصاص

فذكرت له ذلك فقال: إنّ الوزير السّعيد مؤيد الدين القمى رحمه اللّه سألنى عنه، فقلت: كان يقول هذا ليعلم النّاس، ثم إنى ذكرت بعد ذلك فقلت: هذا كان يقوله فى سجدته فى اللّيل و ليس عنده من يعلّمه، ثم سألنى الوزير مؤيد الدّين محمّد بن العلقمى ره فاخبرته بالسؤال و الجواب الأوّل الذى قلت و الذى أوردته عليه و قلت: ما بقى إلاّ أن يكون يقوله على سبيل التّواضع، و ما هذا معناه، فلم يقع منّى هذه الأقوال بموقع و لا حلّت من قلبى فى موضع، و مات السيّد رضى الدّين رحمه اللّه، فهدانى اللّه إلى معناه و وقفنى على فحواه، فكان الوقوف عليه و العلم به و كشف حجابه بعد السنين المتطاوله و الأحوال المجريه و الادوار المكرّره من كرامات الامام موسى عليه السّلام و معجزاته و لتصحّ نسبه العصمه إليه عليه السّلام و تصدق على آبائه و ابنائه البرره الكرام و تزول الشّبهه التى عرضت من ظاهر هذا الكلام.

و تقريره(۱) أنّ الأنبياء و الأئمه عليهم السّلام تكون أوقاتهم مشغوله باللّه تعالى و قلوبهم مملوّه و خواطرهم متعلّقه بالملأ الأعلى، و هم عليهم السلام أبدا فى المراقبه كما قال صلّى اللّه عليه و آله: اعبد اللّه كأنّك تراه فان لم تكن تراه فانّه يراك، فهم أبدا متوجّهون إليه و مقبلون بكلهم عليه، فمتى انحطوا عن تلك الرّتبه العاليه و المنزله الرّفيعه إلى الاشتغال بالمأكل و المشرب و التّفرغ إلى النّكاح و غيره من المباحات، عدوّه ذنبا و اعتقدوه خطيئه و استغفروا منه.

ألا ترى أنّ بعض عبيد أبناء الدّنيا لو قعد و أكل و شرب و نكح و هو يعلم أنّه بمرئى من سيّده و مسمع، لكان ملوما عند النّاس و مقصرا فيما يجب عليه من خدمه سيّده و مالكه، فما ظنك بسيّد السّادات و ملك الاملاك.

و إلى هذا أشار صلّى اللّه عليه و آله: أنّه ليغان(۲) على قلبى و إنى لأستغفر بالنّهار سبعين مرّه، و لفظه السّبعين إنّما هى لعد الاستغفار لا إلى الرّين(۳) ، و قوله حسنات



---

۱- (۱) ما ذكره ره وجه حسن فى تأويل ما نسبوا الى انفسهم المقدسه من الذنب و الخطاء و العصيان، بحار الانوار.

۲- (۲) بدرستى كه در پوشيد دل من چيزى را كه مى پوشيد او را، شرح اربعين

۳- (۳) الرين الحجاب الكثيف قال تعالى: بل ران على قلوبهم، منه.

الأبرار سيئات المقرّبين.

و يزيده إيضاحا من لفظه ليكون أبلغ من التّأويل و يظهر من قوله عقمنى و العقيم الذى لا يولد له و الذى يولد من السّفاح لا يكون ولدا، فقد بان بهذه أنّه كان يعدّ اشتغاله فى وقت ما بما هو ضروره للأبدان معصيه و يستغفر اللّه منها.

و على هذا فقس البواقى و كلّما يرد عليك من أمثالها، و هذا معنى شريف يكشف بمدلوله حجاب الشبه و يهدى به اللّه من حسر عن بصره و بصيرته رين العمى و العمه، و ليت السّيد (ره) كان حيّا لأهدى هذه العقيله إليه و أجلو عرايسها عليه، فما أظنّ أنّ هذا المعنى اتّضح من لفظ الدعاء لغيرى، و لا أنّ أحدا سار فى ايضاح مشكله و فتح مقفّله مثل سيرى. و قد ينتج الخاطر العقيم فيأتى بالعجائب، و قديما ما قيل: مع الخواطى سهم صائب انتهى كلامه رفع مقامه.

و قد اقتفى أثره القاضى ناصر الدّين البيضاوى فى شرح المصابيح عند شرح قوله صلّى اللّه عليه و آله: إنّه ليغان على قلبى و إنّى لأستغفر اللّه فى اليوم مأئه مرّه، قال: الغين لغه فى الغيم و غان على كذا اى غطى، قال أبو عبيده فى معنى الحديث أى يتغشى قلبى ما يلبسه، و قد بلغنا عن الاصمعى أنّه سئل عن هذا، فقال للسائل: عن قلب من تروى هذا؟ فقال: عن قلب النّبى صلّى اللّه عليه و آله، فقال: لو كان غير قلب النبى صلّى اللّه عليه و آله، لكنت افسره لك، قال القاضى و للّه درّ الاصمعى فى انتهاجه منهج الأدب و إجلاله القلب الذى جعله اللّه موقع وحيه و منزل تنزيله.

ثمّ قال: لمّا كان قلب النبى صلّى اللّه عليه و آله أتمّ القلوب صفاء و أكثرها ضياء و أعرفها عرفانا و كان صلّى اللّه عليه و آله معنيا(۱) مع ذلك بتأسيس الملّه و تشريع السّنه ميسرا غير معسر، لم يكن له بدّ من النّزول إلى الرّخص و الالتفات إلى حظوظ النّفس مع ما كان ممتحنا به من أحكام البشريه، فكان إذا تعاطى شيئا من ذلك أسرعت كدوره إلى القلب لكمال رقّته و فرط نورانيّته، فانّ الشّيء كلّما كان أرقّ و أصفى كان ورود



---

۱- (۱) من عنى بالامر اهتم به، منه

المکدّرات علیه أبین و أهدی، فکان إذا أحسّ بشیء من ذلک عدّه علی النّفس دنبا فاستغفر منه انتهی ما حکی عنه ملخصا.

و قال المحدّث العلامه المجلسی طاب ثراه فی المجلد السّابع من البحار: اعلم أنّ الامامیّه رضی اللّه عنهم اتفقوا علی عصمه الأئمه علیهم السّلام من الذنوب صغیرها و کبیرها فلا یقع منهم ذنب أصلا لا عمدا و لا نسیانا و لا لخطاء فی التّأویل و لا للاسهاء من اللّه سبحانه، و لم یخالف فیه الا الصدوق محمّد بن بابویه و شیخه ابن الولید رحمه اللّه علیهما فانّهما جوزا الاسهاء من اللّه تعالی لمصلحه فی غیر ما یتعلق بالتّبلیغ و بیان الأحکام، لا السهو الذی یکون من الشّیطان، و قد مرت الأخبار و الأدله الداله علیها فی المجلد السّادس و الخامس و أکثر أبواب هذا المجلد مشحونه بما یدلّ علیها، فامّا ما یوهم خلاف ذلک من الأخبار و الأدعیه فمأوله بوجوه.

الأوّل أنّ ترک المستحب و فعل المکروه قد یسمی ذنبا و عصیانا، بل ارتکاب بعض المباحات أیضا بالنسبه إلی رفعه شأنهم و جلالتهم ربّما عبروا عنه بالذّنب، لانحطاط ذلک عن سایر أحوالهم کما مرت الاشاره إلیه فی کلام الاربلی (ره) الثّانی أنّهم بعد انصرافهم عن بعض الطاعات التی أمروا بها من معاشره الخلق و تکمیلهم و هدایتهم و رجوعهم عنها إلی مقام القرب و الوصال و مناجاه ذی الجلال، ربّما وجدوا أنفسهم لانحطاط تلک الأحوال عن هذه المرتبه العظمی مقصرین، فیتضرّعون لذلک و إن کان بأمره تعالی، کما أنّ أحدا من ملوک الدّنیا إذا بعث واحدا من مقربی حضرته إلی خدمه من خدماته التی یحرم بها من مجلس الحضور و الوصال، فهو بعد رجوعه یبکی و یتضرّع و ینسب نفسه إلی الجرم و التّقصیر، لحرمانه عن هذا المقام الخطیر.

الثالث أن کمالاتهم و فضائلهم و علومهم لما کانت من فضله تعالی، و لو لا ذلک لأمکن أن یصدر منهم أنواع المعاصی، فاذا نظروا إلی تلک الحال أقرّوا بفضل ربّهم و عجز نفسهم بهذه العبارات الموهمه لصدور السیئات، فمفادها إنی أذنبت لو لا توفیقک، و أخطأت لولا هدایتک.

الرّابع أنّهم لما كانوا فى مقام التّرقى فى الكمالات و الصّعود على مدارج الترقيات فى كلّ آن من الآنات فى معرفه الرّب تعالى و ما يتبعها من السعادات فاذا نظروا إلى معرفتهم السّابقه و عملهم معها، اعترفوا بالتّقصير و تابوا منه، و يمكن أن ينزل عليه قول النبى صلّى اللّه عليه و آله: و إنى لأستغفر اللّه فى كلّ يوم سبعين مرّه.

الخامس أنّهم عليهم السلام لما كانوا فى غايه المعرفه لمعبودهم فكلما أتوابه من الأعمال بغايه جهدهم ثم نظروا إلى قصورها عن أن يليق بجناب ربهم، عدوا طاعاتهم من المعاصى، و استغفروا منها كما يستغفر المذنب العاصى.

و من ذاق من كأس المحبّه جرعه شائقه لا يأبى عن قبول تلك الوجوه الرائقه و العارف المحب الكامل إذا نظر إلى غير محبوبه أو توجه إلى غير مطلوبه، يرى نفسه من أعظم الخاطئين، رزقنا اللّه الوصول إلى درجات المحبين.

أقول: هذا ما ذكره علماؤنا البارعون فى التفصّى عن الاشكال المذكور، شكر اللّه سعيهم و أجزل مساعيهم رضوان اللّه عليهم، إلاّ أنّ لى فى المقام وجها آخر و هو بحسب الظاهر قريب من بعض الوجوه السّابقه إلا أنّ نسبته إليها كنسبه الثّريا الى الثّرى كما هى غير خفيّه على صاحب الذوق السّليم و الطبع المستقيم و هو أنّك قد عرفت فى التذييل الأوّل من تذييلات الفصل الثّامن من فصول هذه الخطبه، أنّ أوّل ما خلق اللّه سبحانه أنوار النبىّ و آله عليهم السّلام، كما عرفت أنّه سبحانه خلق تلك الأنوار من قبل أن يخلق العالم بالوف من السّنين، و مرّ هناك فى حديث أبى الحسن البكرى أنّه سبحانه خلقها قبل إيجاد العالم بأربعه و عشرين و أربعمائه ألف عام إذا تذكرت ذلك فنقول: إنّهم قد كانوا حينئذ أنوارا بسيطه و جواهر مجرّده عن التّعلق بالأجسام و الجسمانيّات، خالصه عن الكدورات، فارغه عن القيودات و العلاقات، مستغرقه فى تلك المدّه المتطاوله فى شهود جمال الحقّ سبحانه و تعالى مشتغله فى جميع هذه المدّه بالتّسبيح و التّقديس و التنزيه، تاره فى حجاب القدره

و اخری فی حجاب العظمه، و ثالثه فی حجاب العزّه، و رابعه فی حجاب الهیبه إلی غیر هذه من حجب النّور المذکوره فی الحدیث المذکور، ثمّ اقتضت الحکمه الرّبانیّه إهباطهم من عالم التجرّد إلی عالم التقیّد و التعلّق، فتصوّروا بالصّور الانسانیّه هدایه للخلق و إرشادا للامّه، و حصلت لهم فی هذا العالم من القیودات و العلاقات ما هو مقتضی البشریّه و الجسمانیّه، و لمّا لم یتمکّنوا فی هذا العالم من الاستغراق التام و الفراغ الکامل، مثل تمکنهم فی ذلک العالم، لوجود التّعلّقات المانعه هنا و عدمها هناک، استغفروا اللّه سبحانه لذلک، و اعترفوا بالتقصیر اعتراف المذنب المقصر، هذا ما خطر بالخاطر القاصر، و اللّه الهادی إلی المنهج القویم، و الصّراط المستقیم

## الترجمه

پس بعد از این که جناب آدم از شجرهٔ منهیه اکل نمود، و بعمل خود نادم و پشیمان گشت و چهل شبانه روز و بروایتی یک صد سال و بروایت دیگر سیصد سال گریه و زاری کرد، بسط فرمود خداوند سبحانه و تعالی بجهت او بساط کرامت و رحمت خودش را در توبهٔ او، باین نحو که الهام توبه فرمود بر او و قبول کرد آنرا از او، و تلقین نمود بر او کلمهٔ رحمت خود را که بنا بر اشهر توسّل باسماء مبارکهٔ محمّد و آل محمّد سلام اللّه علیهم است که در ساق عرش دیده بود و وعده فرمود بر او رجوع دادنش را ببهشت عنبر سرشت خود

## الفصل الرابع عشر

## اشاره

فأهبطه إلی دار البلیّه و تناسل الذّرّیّه، و اصطفی من ولده أنبیاء أخذ علی الوحی میثاقهم، و علی تبلیغ الرّساله أمانتهم، لمّا بدّل أکثر خلقه عهد اللّه إلیهم، فجهلوا حقّه، و اتّخذوا الأنداد معه، و اجتالتهم

الشّياطين عن معرفته، و اقتطعتهم عن عبادته، فبعث فيهم رسله، و واتر إليهم أنبيائه، ليستأدوهم ميثاق فطرته، و يذكّروهم منسيّ نعمته، و يحتجّوا عليهم بالتّبليغ، و يثيروا لهم دفاين العقول، و يروهم آيات المقدره من سقف فوقهم مرفوع، و مهاد تحتهم موضوع، و معايش تحييهم، و اجال تفنيهم، و أوصاب تهرمهم، و أحداث تتتابع عليهم.

**اللغه**

(هبط) الماء و غيره هبطا من باب ضرب نزل و فى لغه قليله يهبط هبوطا من باب قعد و هبطته أنزلته يتعدى و لا يتعدى و (البليّه) كالبلاء و البلوى اسم من الابتلاء بمعنى الامتحان و (التّناسل) التّوالد و (الذّريّه) و النّسل و الولد نظائر و تكون الذّريه واحدا و جمعا و فيها ثلاث لغات أفصحها ضمّ الذّال و بها قرء السّبعه فى الآيات القرآنيه، و الثّانيه كسرها، و يروى عن زيد بن ثابت، و الثّالثه فتح الذّال مع تخفيف الرّاء وزان كريمه و بها قرء أبان بن عثمان و تجمع على ذرّيات و الذّرارى و فى أصلها أربعه مذاهب: من الذّرء بالهمز من ذرء اللّه الخلق، و من الذّر و الذّرو و الذّرى، فعلى الأوّل وزنها فعيله أبدلت الهمزه ياء كبريّه، و على الثّانى وزنها فعليه كقمريّه أو فعّيله نحو ذرّيره، فلمّا كثرت الرّاآت أبدلت الأخيره ياء و ادغم الياء الاولى فيها، نحو سريّه فيمن أخذها من السرّ، و هو النّكاح، أو فعّوله نحو ذروره فابدلوا الرّاء الأخيره لما ذكرناه فصار ذرويه ثمّ ادغمت الواو فى الياء فصار ذريّه، و على الثالث فوزنها فعوله، و على الرّابع فعيله و (الأنداد) جمع النّد و هو المثل و (اجتالتهم) من الجولان أى ادارتهم و (الشّياطين) جمع الشّيطان من الشّطن و هو البعد، قال الزمخشرى فى محكى كلامه: قد جعل سيبويه نون الشّيطان فى موضع من كتابه أصليّه و فى آخر زائده، و الدّليل على أصالتها قولهم:

تشيطن، و اشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده عن الصّلاح و الخير، و من شاط إذا بطل

ص:١٢٩

إذا جعلت نونه زائده و (واتر) من المواتره و هى المتابعه، قيل: و لا يكون المواتره بين الأشياء إلّا إذا وقعت بينها فتره، و إلّا فهى مداركه و مواصله و (أثار) الغبار يثيره هيجه و أثاروا الأرض فى الايه الشريفه أى قلّبوها للزّراعه و (المقدره) بفتح الميم و حركات الدّال كالقدره مصدر من قدر عليه إذا قوى و (المهاد) الفراش و البساط و (الأوصاب) جمع الوصب و هو المرض و الوجع و (أهرمه) إذا أضعفه من هرم هرما من باب تعب كبر و ضعف و رجل هرم ككتف و امراه هرمه و (الاحداث) جمع الحدث بفتحتين و هو الامور الحادثه، و خصّت فى العرف بالنّوايب المتجدده و المصايب الحادثه

## الاعراب

و تناسل الذّريّه بالجرّ عطف على البليّه، و جمله أخذ على الوحى اه فى محلّ النّصب على الحاليّه من فاعل أخذ أو مفعوله، و لما فى قوله عليه السّلام: لمّا بدّل، ظرفيّه بمعنى حين أو بمعنى إذ و تختصّ بالماضى و بالاضافه إلى الجمله فتقتضى جملتين وجدت ثانيتهما عند وجود اوليهما و تقدير الكلام: لمّا بدل أكثر خلقه عهد اللّه اصطفى من ولده أنبياء، و العامل فيها الجواب المقدّم، و آيات المقدره بالاضافه و فى بعض النّسخ الايات المقدره بالتّوصيف، و من سقف بيان للايات

## المعنى

ثمّ انّ آدم لمّا أكل من الشّجره أخرجه اللّه سبحانه من الجنّه (فاهبطه) أى أنزله (إلى دار البليّه) و المراد بالاهباط على تقدير كون آدم عليه السّلام فى جنّه السّماء واضح، و أمّا على تقدير كونه فى جنّه الدّنيا كما هو الأظهر لما قد مرّ، فالمراد بالاهباط هو الانتقال من بقعه إلى بقعه كما فى قوله تعالى: اهبطوا مصرا، و المراد بدار البليّه هو دار الدّنيا، لأنّ اللّه سبحانه قد جعل فيه البلاء أدبا للظالم و امتحانا للمؤمن و درجه للأنبياء و كرامه للأولياء على ما ورد فى الخبر ثمّ إنّ أوّل بقعه هبط إليها آدم هى الصّفا على ما مرّ فى الأخبار، و فى بعض الأخبار هى جبل سرانديب كما مرّ أيضا و هو جبل بأعلى الصّين فى أرض الهند

ص:١٣٠

يراه البحريّون من مسافه أيّام، و فيه على ما نقل أثر قدم آدم مغموسه، و نقل أنّ الياقوت الأحمر موجود فى هذا الجبل تحدرها السيول و الأمطار من ذروته الى الحضيض و به يوجد الماس أيضا و يوجد العود.

و قد كان هبوط آدم بعد غروب الشّمس على ما رواه علىّ بن ابراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبى جعفر عليه السّلام، قال: كان عمر آدم عليه السّلام من يوم خلقه اللّه إلى يوم قبضه تسعمائه و ثلاثين سنه، و دفن بمكه و نفخ فيه يوم الجمعه بعد الزّوال، ثم برء زوجه من أسفل أضلاعه(۱) و أسكنه جنّته من يومه ذلك، فما استقرّ فيها إلاّ ست ساعات من يومه ذلك حتى عصى اللّه و أخرجهما من الجنّه بعد غروب الشّمس و ما بات فيها.

و فى الفقيه عن الحسين بن العلاء عن ابى عبد اللّه عليه السّلام قال: إنّه لمّا اهبط آدم من الجنّه ظهرت به شامه سوداء(۲) من قرنه إلى قدمه فطال حزنه و بكاؤه لما ظهر به فأتاه جبرئيل فقال: له ما يبكيك يا آدم؟ فقال: لهذه الشّامه التى ظهرت بى قال: قم يا آدم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الاولى، فقام فصلّى فانحطت الشّامه إلى عنقه، فجائه فى الصّلاه الثّانيه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الثّانيه، فقام فصلّى فانحطت الشّامه إلى سرّته، فجائه فى الصّلاه الثّالثه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الثّالثه، فقام فصلّى فانحطت الشّامه إلى ركبتيه، فجائه فى الصّلاه الرّابعه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الرّابعه، فقام فصلّى فانحطت الشّامه إلى قدميه، فجائه فى الصّلاه الخامسه فقال: يا آدم قم فصلّ فهذا وقت الصّلاه الخامسه، فقام فصلّى فخرج منها، فحمد اللّه و أثنى عليه فقال جبرئيل: يا آدم مثل ولدك فى هذه الصّلاه كمثلك فى هذه الشّامه، من صلّى من ولدك فى كلّ يوم و ليله خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشّامه.

و فى الوسائل فى باب تحريم العصير العنبى باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال:



---

۱- (۱) قال فى الفقيه و الخبر الذى روى ان حواء خلقت من ضلع آدم الايسر صحيح و معناه من الطينه التى فضلت من ضلعه الايسر و لذلك صارت اضلاع الرجل انقص من اضلاع النساء بضلع انتهى كلامه رحمه اللّه.

۲- (۲) خال سياه.

إنّ اللّه لما أهبط آدم أمره بالحرث و الزّرع و طرح غرسا عليه من غرس الجنّه فأعطاه النّخل و العنب و الزّيتون و الرّمان فغرسها لعقبه و ذرّيته، فأكل هو من ثمارها فقال إبليس: ائذن لی ان آكل منه شيئا فأبى أن يطعمه فجاء عند آخر عمر آدم، فقال لحوّاء: قد أجهدنی الجوع و العطش اريدان تذيقنی من هذه الثّمار، فقالت له:

إنّ آدم عهد إلیّ أن لا أطعمک شيئا من هذا الغرس و أنّه من الجنّه و لا ينبغی لک أن تأكل منه، فقال لها: فاعصری منه فی كفی شيئا، فأبت عليه، فقال: ذرينی أمصّه و لا آكله، فأخذت عنقودا من عنب فأعطته فمصّه و لم يأكل منه لما كانت حوّاء قد اكدت عليه، فلمّا ذهب يعض عليه اجتذبته حوّاء من فيه، فأوحى اللّه إلى آدم إنّ العنب قد مصّه عدوّی و عدوّک إبليس و قد حرّمت عليک من عصيره الخمر ما خالطه نفس ابليس فحرمت الخمر، لأنّ عدوّ اللّه إبليس مكر بحواء حتّى أمصّته العنبه، و لو أكلها لحرّمت الكرمه من أوّلها إلى آخرها و جميع ثمارها و ما يخرج منه، ثم إنّه قال لحوّاء: لو أمصصتنی شيئا من التمر كما أمصصتنی من العنب، فأعطته تمره فمصّها إلى أن قال(۱) ثم إن ابليس ذهب بعد وفاه آدم فبال فی أصل الكرمه و النّخله، فجرى الماء فی عودهما ببول عدوّ اللّه، فمن ثم يختمر العنب و الكرم، فحرّم اللّه على ذرّيه آدم كل مسكر، لأنّ الماء جرى ببول عدوّ اللّه فی النّخله و العنب و صار كلّ مختمر خمرا لأنّ الماء اختمرت فی النّخله و الكرمه من رائحه بول عدوّ اللّه هذا.

و قد استطرفت هذه الأخبار لكونها غير خاليه عن المناسبه للمقام مع ما فيها من الاشاره إلى بعض ما ابتلى به آدم عليه السّلام بعد إهباطه إلى دار البليه.

و من أعظم ما ابتلى به قتل هابيل و لقد رثى له بما رواه فی العيون باسناده عن الرّضا عن آبائه عليهم السّلام فی حديث الشّامی مع أمير المؤمنين عليه السّلام و سأله عن أوّل من قال الشّعر: فقال عليه السّلام: آدم عليه السّلام، فقال: و ما كان شعره؟ قال عليه السّلام:



---

۱- (۱) و كانت العنب و التمر اشد رائحه من المسک الا ذفر و أحلى من العسل فلما مصهما ابليس لعنه اللّه ذهبت رائحتهما و انتقصت حلاوتهما هكذا فی نسخه الوافی، منه

لمّا انزل من السّماء إلى الأرض فرأى تربتها و سعتها و هواها، و قتل قابيل هابيل قال آدم عليه السّلام:

تغيّرت البلاد و من عليها فوجه الارض مغبّر قبيح

تغيّر كل ذى لون و طعم و قلّ بشاشه الوجه المليح

و ما لى لا اجود بسكب دمع و هابيل تضمّنه الضّريح

ارى طول الحياه علىّ غما و هل انا من حياتى مستريح

قتل قابيل هابيل أخاه فوا حزنا لقد فقد المليح

فأجابه ابليس لعنه اللّه

تنحّ عن البلاد و ساكنيهافبى فى الخلد ضاق بك الفسيح

و كنت بها و زوجك فى قرارو قلبك من أذى الدّنيا مريح

فلم تنفكّ من كيدى و مكريالى ان فاتك الثّمن الربيح

و بدّل أهلها أثلا و خمطابجنّات و أبواب متيح(١)

فلو لا رحمه الجبار أضحيبكفّك من جنان الخلد ريح

هذا و قوله عليه السّلام (و تناسل الذرّيه) أى أهبطه إلى دار توالد الاولاد من البنات و البنين.

و قد اختلف فى ابتداء التّناسل فذهب المجوس المجوّزون لنكاح المحارم إلى أنّ آدم زوّج البنات للبنين فحصل التّناسل و كثر الخلق.

و فى الآثار أنّهم كان لهم ملك فسكر ليله فوقع على اخته و امّه فلما أفاق ندم و شقّ ذلك عليه و أراد رفع التّعيير عنه، فقال للنّاس: هذا حلال، فامتنعوا عليه فجعل يقتلهم و حفر لهم الاخدود.

و فى خبر آخر عن امير المؤمنين عليه السّلام يأتى فى شرح الخطبه الثّانيه و التّسعين أنه احتجّ لهم على جوازه بتزويج أولاد آدم و أنّهم قد كانوا ينكحون أخواتهم فقبله جماعه و بقوا عليه إلى الآن.



---

١- (١) اى مرتفع منه

و وافقهم على ذلك الاعتقاد الفاسد جمهور المخالفين، فانّهم قالوا: إنّ حواء امرأه آدم كانت تلد فى كلّ بطن غلاما و جاريه، فولدت أوّل بطن قابيل و توأمته اقليميا، و البطن الثّانى هابيل و توأمته ليوذا، فلما أدركوا جميعا أمر اللّه تعالى أن ينكح قابيل اخت هابيل و هابيل اخت قابيل، فرضى هابيل و أبى قابيل، لأنّ اخته كانت حسناء، و قال: ما أمر اللّه سبحانه بهذا و لكن هذا من رأيك فأمرهما آدم أن يقربا قربانا فرضيا بذلك، فانطلق هابيل إلى أفضل كبش من غنمه و قربه التماسا لوجه اللّه تعالى و مرضاه أبيه، و أمّا قابيل فانّه قرّب الزّوان الذى يبقى فى البيدر الذى لا يستطيع أن يدسه، فقرّب ضغثا منه لا يريد به وجه اللّه و لا مرضاه أبيه، فقبل اللّه قربان هابيل و أتت نار بيضاء من السّماء فأخذته، ورد على قابيل قربانه، فقال ابليس لعنه اللّه لقابيل: إنّه يكون لهابيل عقب يفتخرون على عقبك، بأن قبل قربان أبيهم فاقتله حتّى لا يكون له عقب، فقتله، و هذا مقاله المخالفين الموافقه لمذهب المجوس لعنهم اللّه.

و أمّا الحقّ الحقيق الذى ينبغى أن يدان به فهو ما ذهب إليه أصحابنا أخذا عن الأخبار المأثوره عن أهل بيت العصمه و الطهاره سلام اللّه عليهم.

منها ما رواه الصّدوق فى الفقيه عن زراره عن أبى عبد اللّه عليه السّلام إنّ آدم ولد له شيث و أنّ اسمه هبه اللّه، و هو أوّل وصى اللّه من الادميين فى الأرض، ثم ولد له بعد شيث يافث، فلمّا أدركا أراد اللّه أن يبدء بالنّسل ما ترون و أن يكون ما قد جرى به القلم من تحريم ما حرّم اللّه عزّ و جلّ من الاخوات على الاخوه، أنزل بعد العصر فى يوم الخميس حوراء من الجنّه اسمها نزله، فأمر اللّه عزّ و جلّ أن يزوجها من شيث، فزوجها منه، ثم أنزل بعد العصر من الغد حوراء من الجنّه اسمها منزله فأمر اللّه عزّ و جلّ أن يزوجها من يافث، فزوّجها منه، فولد لشيث غلام، و ولد ليافث جاريه، فأمر اللّه عزّ و جلّ آدم عليه السّلام حين أدركا أن يزوّج ابنه يافث من ابن شيث، ففعل، فولد الصّفوه من النّبيين و المرسلين من نسلهما، و معاذ اللّه أن يكون ذلك على

ما قالوا من أمر الاخوه و الأخوات.

و منها ما فيه عن القاسم بن عروه عن بريد العجلی عن أبی جعفر علیه السّلام، قال:

إنّ اللّه تبارک و تعالی انزل علی آدم حوراء من الجنّه فزوّجها أحد ابنیه و زوّج الأخر ابنه الجان، فما کان فی النّاس من جمال کثیر أو حسن خلق فهو من الحوراء، و ما کان فیهم من سوء الخلق فهو من ابنه الجانّ و منها ما رواه ابو بکر الحضرمی عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال: لی ما یقول الناس فی تزویج آدم ولده؟ قال: قلت یقولون: إنّ حوّاء کانت تلد لآدم فی کلّ بطن غلاما و جاریه، فتزوّج الغلام الجاریه التی من البطن الآخر الثّانی و تزوّج الجاریه الغلام الذی من البطن الاخر الثّانی حتی توالدوا، فقال أبو جعفر علیه السّلام: و لیس هذا کذاک، أیحجّکم المجوس، و لکنّه لمّا ولد آدم هبه اللّه و کبر سأل اللّه أن یزوّجه، فأنزل اللّه حوراء من الجنّه فزوّجها إیّاه فولدت له أربعه بنین، ثم ولد آدم ابنا آخر فلما کبر أمره فتزوّج إلی الجان فولد أربع بنات فتزوّج بنو هذا بنات هذا، فما کان من جمال فمن قبل الحور، و ما کان من حلم فمن قبل آدم، و ما کان من حقد فمن قبل الجان، فلما توالدوا صعد الحوراء إلی السّماء.

و منها ما رواه الصّدوق أیضا باسناده عن مسمع عن زراره قال: سئل أبو عبد اللّه علیه السّلام عن بدء النّسل من آدم کیف کان هو؟ و عن بدء النّسل من ذرّیه آدم فانّ أناسا عندنا یقولون: إنّ اللّه تبارک و تعالی أوحی إلی آدم أن یزوّج بناته بنیه و انّ هذا کلّه أصله من الاخوه و الأخوات، فقال ابو عبد اللّه علیه السّلام: تعالی اللّه عن ذلک علوّا کبیرا، یقول من قال هذا: بأنّ اللّه عزّ و جلّ خلق صفوه خلقه و أحبّائه و أنبیائه و رسله و المؤمنین و المؤمنات و المسلمین و المسلمات من حرام، و لم یکن له من القدره ما یخلقهم من حلال، و قد أخذ میثاقهم علی الحلال الطهر الطاهر الطیب، فو اللّه لقد نبئت (بینت خ) أن بعض البهائم تنکرت له اخته، فلما نزا علیها و نزل کشف له عنها، فعلم أنّها اخته أخرج عزموله ثمّ قبض علیه بأسنانه حتّی قطعه فخر میّتا، و آخر تنکرت له امّه ففعل هذا بعینه، فکیف الانسان فی فضله و علمه، غیر أنّ جیلا من

هذا الخلق الذى ترون رغبوا عن علم أهل بيوتات أنبيائهم و أخذوا من حيث لم يؤمروا بأخذه فصاروا إلى ما ترون من الضّلال و الجهل إلى أن قال عليه السّلام: و حقّا أقول:

ما أراد من يقول هذا و شبهه إلاّ تقويه حجج المجوس، فما لهم قاتلهم اللّه.

ثمّ أنشأ عليه السّلام يحدّثنا كيف بدء النسل من آدم و كيف كان بدء النّسل من ذريته، فقال: إنّ آدم صلوات اللّه عليه ولد له سبعون بطنا فى كلّ بطن غلام و جاريه إلى أن قتل هابيل، فلما قتل هابيل جزع آدم جزعا شديدا قطعه عن إتيان النّساء فبقى لا يستطيع أن يغشى حوّاء خمسمائه عام، ثم تجلى ما به من الجزع عليه فغشى حوّاء، فوهب اللّه شيثا وحده ليس معه ثان، و اسم شيث هبه اللّه، و هو أوّل ما أوصى إليه من الآدميّين فى الأرض، ثمّ ولد له من بعد شيث يافث ليس معه ثان، فلمّا أدركا و أراد اللّه أن يبلغ النّسل ما ترون و أن يكون ما جرى به القلم من تحريم ما حرم اللّه عزّ و جلّ من الاخوات على الاخوه، أنزل اللّه بعد العصر فى يوم الخميس حوراء من الجنّه اسمها نزله فأمر اللّه أن يزوّجها من شيث إلى آخر ما مرّ فى الحديث الأوّل.

و يمكن الجمع بين هذه الأخبار المختلفه ظاهرا بأن يكون ليافث زوجتان:

إحداهما حوراء، و الاخرى جنّيه، أو يكون الولد المتزوّج بالجنّيه غير شيث و يافث هذا.

و لم يستفد من الرّوايات أحوال بنات آدم فلا بدّ إمّا من بقائهن بلا زوج، و إمّا من جواز تزويج العمات دون الأخوات، و هو بعيد أيضا و اللّه العالم (و) كيف كان فانّ اللّه سبحانه لمّا أهبط آدم إلى دار الدّنيا و بدء بالنّسل و الأولاد (اصطفى من ولده أنبياء أخذ على الوحى ميثاقهم و على تبليغ الرّساله أمانتهم) أى أخذ منهم العهد و الميثاق على أداء الوحى اليهم من الاصول و الفروع، و أخذ الأمانه منهم على تبليغ الرّساله و نشر الشّرايع و الأحكام و ابلاغها إلى امتهم كما قال سبحانه:

«وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ »

«وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » - الآيه».

و توضيح هذا الأخذ ما رواه فى الكافى كالبحار من تفسير العياشى باسنادهما عن أبى حمزه الثّمالى عن أبى جعفر عليه السّلام قال لمّا أكل آدم من الشّجره اهبط إلى الأرض فولد له هابيل و اخته توام، ثمّ إنّ آدم أمر هابيل و قابيل أن يقرّبا قربانا، و كان هابيل صاحب غنم و كان قابيل صاحب زرع، فقرّب هابيل كبشا من أفاضل غنمه، و قرّب قابيل من زرعه ما لم ينق، فتقبل قربان هابيل و لم يتقبل قربان قابيل و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ اتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبا قُرْباناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَ لَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ » - الآيه».

و كان القربان تأكله النّار، فعمد قابيل إلى النّار فبنى لها بيتا و هو أوّل من بنى بيوت النّار، فقال: لأعبدنّ هذه النّار حتّى يتقبل منّى قربانى، ثمّ إنّ ابليس لعنه اللّه أتاه و هو يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى العروق، فقال له: يا قابيل قد تقبل قربان هابيل و لم يتقبل قربانك، و إنك إن تركته يكون له عقب يفتخرون على عقبك و يقولون نحن أبناء الذى تقبل قربانه، و أنتم أبناء الذى ترك قربانه، فاقتله كيلا يكون له عقب يفتخرون على عقبك، فقتله، فلما رجع قابيل إلى آدم عليه السّلام قال له:

يا قابيل أين هابيل؟ قال: اطلب (اطلبوه خ ل) حيث قرّبنا القربان، فانطلق آدم فوجد هابيل مقتولا، فقال آدم: لعنت من أرض(۱) كما قبلت دم هابيل و بكى آدم صلى اللّه عليه على هابيل أربعين ليله، ثمّ إنّ آدم سأل ربّه ولدا فولد له غلام فسمّاه هبه اللّه لأنّ اللّه عزّ و جلّ وهبه له، و اخته(۲) توأم فلما انقضت نبوه آدم و استكمل أيّامه أوحى اللّه عزّ و جلّ



---

۱- (۱) اقول و من ذلک ان الارض لا تقبل الدم منذ الى الان منه

۲- (۲) قوله و اخته توام لا يخفى ان هذا مناف لما مر فى روايه الصدوق عن ابى عبد اللّه عليه السّلام من قوله فوهب اللّه له شيئا وحده ليس له ثان فلابد من التامل فى وجه الجمع منه

إليه يا آدم قد قضيت نبوتك و استكملت أيّامك فاجعل العلم الذى عندك و الايمان و الاسم الأكبر و ميراث العلم و آثار علم النبوه فى العقب من ذرّيتك عند هبه اللّه ابنك، فانى لم أقطع العلم و الايمان و الاسم الأكبر و آثار علم النّبوه من العقب من ذرّيتك إلى يوم القيامه و لن أدع الأرض إلّا و فيها عالم يعرف به دينى و يعرف به طاعتى، و يكون نجاه لما يولد فيما بينك و بين نوح.

و بشر آدم بنوح، و قال: إنّ اللّه تبارك و تعالى باعث نبيّا اسمه نوح و أنّه يدعو إلى اللّه عزّ ذكره، و يكذبه قومه، فيهلكهم اللّه بالطوفان، و كان بين آدم و بين نوح عشره آباء أنبياء و أوصياء كلهم، و أوصى آدم إلى هبه اللّه أن من أدركه منكم فليؤمن به و ليتبعه و ليصدق به فانّه ينجو من الغرق.

ثمّ إنّ آدم مرض المرضه التى مات فيها فأرسل هبه اللّه، و قال له إن لقيت جبرئيل أو من لقيت من الملائكه فاقرأه منى السّلام و قل له: يا جبرئيل إنّ أبى يستهديك من ثمار الجنّه، فقال له جبرئيل: يا هبه اللّه إن أباك قد قبض و إنا نزلنا للصلاه عليه «و ما نزلنا الا للصلاه عليه خ»، فارجع، فرجع فوجد آدم قد قبض فأراه جبرئيل كيف يغسله حتّى إذا بلغ للصّلاه قال هبه اللّه: يا جبرئيل تقدّم فصلّ على آدم، فقال له جبرئيل:

إن اللّه عزّ و جلّ أمرنا أن نسجد لابيك آدم و هو فى الجنّه فليس لنا أن نؤمّ شيئا من ولده فتقدم هبه اللّه و صلى على أبيه و جبرئيل خلفه و جنود الملائكه، و كبر عليه ثلاثين تكبيره، فأمره جبرئيل فرفع من ذلك خمسا و عشرين تكبيره و السنه اليوم فينا خمس تكبيرات، و قد كان يكبر على أهل بدر تسعا و سبعا.

ثمّ إن هبه اللّه لمّا دفن آدم أتاه قابيل فقال: يا هبه اللّه إنّى قد رأيت أبى آدم قد خصّك من العلم بما لم اخصّ به أنا، و هو العلم الذى دعا به أخوك هابيل فتقبل به قربانه، و إنّما قتلته لكيلا يكون له عقب فيفتخرون على عقبى فيقولون نحن أبناء الذى تقبّل منه قربانه و أنتم أبناء الذى ترك قربانه، و إنّك إن أظهرت من العلم الذى اختصك به أبوك شيئا قتلتك كما قتلت أخاك هابيل.

فلبث هبه اللّه و العقب من بعده مستخفين بما عندهم من العلم و الايمان و الاسم الاكبر و ميراث النّبوه و آثار علم النّبوه حتّى بعث اللّه نوحا، و ظهرت وصيه هبه اللّه حين نظروا فى وصيّه آدم، فوجدوا نوحا نبيّا قد بشّر به أبوهم آدم، فآمنوا به و اتّبعوه و صدّقوه، و قد كان آدم أوصى إلى هبه اللّه أن يتعاهد هذه الوصيه عند رأس كل سنه فيكون يوم عيدهم فيتعاهدون بعث نوح و زمانه الذى يخرج فيه، و كذلك فى وصيه كلّ نبيّ حتّى بعث اللّه محمّدا صلّى اللّه عليه و آله، و إنّما عرفوا نوحا بالعلم الذى عندهم، و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ لَقَدْ أَرْسَلْنا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ » - الآيه» و كان من بين آدم و نوح من الأنبياء مستخفين، و لذلك خفى ذكرهم فى القرآن فلم يسمّوا كما سمّى من استعلن من الأنبياء صلوات اللّه عليهم أجمعين، و هو قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْناهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ » يعنى لم اسم المستخفين كما سمّيت المستعلنين من الأنبياء عليهم السّلام، فمكث نوح صلّى اللّه عليه فى قومه ألف سنه إلاّ خمسين عاما لم يشاركه فى نبوّته أحد، و لكنه قدم على قوم مكذّبين للأنبياء عليهم السّلام الذين كانوا بينه و بين آدم صلى اللّه عليه و ذلك قول اللّه عزّ و جلّ:

«كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ » يعنى من كان بينه و بين آدم إلى أن انتهى إلى قوله عزّ و جل:

«وَ إِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ثمّ إنّ نوحا لما انقضت نبوّته و استكمل أيّامه، أوحى اللّه عزّ و جلّ إليه أن يا نوح قد قضيت نبوّتك و استكملت أيّامك فاجعل العلم الذى عندك و الايمان و الاسم الاكبر و ميراث العلم و آثار علم النبوّه فى العقب من ذريتك، فانّى لن أقطعها كما

ص:١٣٩

لم أقطعها من بيوتات الأنبياء صلوات اللّه عليهم التى بينك و بين آدم عليه السّلام و لن أدع الأرض إلّا و فيها عالم يعرف به دينى و يعرف به طاعتى و يكون نجاه لمن يولد فيها بين قبض النّبىّ إلى خروج النبىّ الآخر.

و بشّر نوح ساما بهود، فكان فيما بين نوح و هود من الأنبياء عليهم السّلام و قال نوح: إنّ اللّه باعث نبيا يقال له: هود و انّه يدعو قومه الى اللّه عزّ و جل فيكذّبونه و اللّه عزّ و جلّ مهلكهم بالرّيح، فمن أدركه منكم فليؤمن به و ليتبعه فان اللّه عزّ و جلّ ينجيه من عذاب الرّيح. و أمر نوح عليه السّلام ابنه ساما أن يتعاهد هذه الوصيّه عند رأس كلّ سنه، فيكون يومئذ عيدا لهم فيتعاهدون و فيه ما عندهم من العلم و الايمان و الاسم الأكبر و مواريث العلم و آثار علم النّبوه، فوجدوا هودا نبيا و قد بشّر به أبوهم نوح عليه السّلام فآمنوا به و اتّبعوه و صدّقوه فنجوا من عذاب الرّيح، و هو قول اللّه عزّ و جلّ.

«وَ إِلى عادٍ أَخاهُمْ هُوداً » و قوله عزّ و جلّ: «كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَ لا تَتَّقُونَ » و قال تبارک و تعالى: «وَ وَصّى بِها إِبْراهِيمُ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبُ » و قوله: «وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنا » لنجعلها فى أهل بيته «وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ » لنجعلها فى أهل بيته.

و أمر العقب من ذرّيته الأنبياء عليهم السّلام من كان قبل ابراهيم لابراهيم عليه السّلام، فكان بين إبراهيم و هود من الأنبياء صلوات اللّه عليهم و هو قول اللّه عزّ و جلّ.

«وَ ما قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ » و قوله عز ذكره: «فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَ قالَ إِنِّى مُهاجِرٌ إِلى رَبِّى » و قوله عزّ و جلّ: «وَ إِبْراهِيمَ إِذْ قالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللّهَ وَ اتَّقُوهُ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ »

ص:۱۴۰

فجرى بين كلّ نبيّين عشره أنبياء و تسعه و ثمانيه أنبياء كلهم أنبياء، و جرى لكل نبىّ كما جرى لنوح عليه السّلام، و كما جرى لآدم و هود و صالح و شعيب و ابراهيم صلوات اللّه عليهم.

حتّى انتهت إلى يوسف بن يعقوب عليه السّلام، ثم صارت من بعد يوسف فى أسباط اخوته.

حتّى انتهت إلى موسى عليه السّلام فكان بين يوسف و بين موسى من الأنبياء، فأرسل اللّه موسى و هارون الى فرعون و هامان و قارون، ثم ارسل الرّسل:

«تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ » و كانت بنو إسرائيل يقتل نبىّ... اثنان قائمان و يقتلون اثنين و أربعه قيام، حتّى أنّه كان ربّما قتلوا فى اليوم الواحد سبعين نبيّا، و يقوم سوق قتلهم آخر النهار، فلمّا نزلت التّوراه على موسى عليه السّلام، بشّر بمحمد صلّى اللّه عليه و آله، و كان بين يوسف و موسى من الأنبياء، و كان وصىّ موسى يوشع بن نون عليهما السّلام، و هو فتاه الذى ذكره اللّه فى كتابه.

فلم تزل الأنبياء تبشّر بمحمد صلّى اللّه عليه و آله، حتّى بعث اللّه تبارك و تعالى المسيح عيسى بن مريم فبشر بمحمد صلّى اللّه عليه و آله، و ذلك قوله تعالى «يجدونه» يعنى اليهود و النّصارى «مكتوبا» يعنى صفه محمّد صلّى اللّه عليه و آله «عندهم» يعنى فى التّوراه و الإنجيل «يأمرهم بالمعروف و ينهيهم عن المنكر» و هو قول اللّه عزّ و جلّ يخبر عن عيسى عليه السّلام: «وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » و بشّر موسى و عيسى بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله، كما بشّر الأنبياء بعضهم ببعض، حتّى بلغت محمّدا.

فلما قضی محمّد صلّی اللّه علیه و آله نبوّته و استکمل أیامه أوحی اللّه تبارک و تعالی إلیه أن یا محمّد قد قضیت نبوتک و استکملت أیّامک، فاجعل العلم الذی عندک و الایمان و الاسم الأکبر و میراث العلم و آثار علم النّبوه فی أهل بیتک، عند علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فانّی لم أقطع العلم و الایمان و الاسم الأکبر و میراث العلم و آثار علم النّبوه من العقب من ذریّتک، کما لم أقطعها من بیوتات الأنبیاء الذین کانوا بینک و بین أبیک آدم، و ذلک قول اللّه تعالی:

«إِنَّ اللّهَ اصْطَفی آدَمَ وَ نُوحاً وَ آلَ إِبْراهِیمَ وَ آلَ عِمْرانَ عَلَی الْعالَمِینَ ذُرِّیَّهً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَ اللّهُ سَمِیعٌ عَلِیمٌ » و انّ اللّه تبارک و تعالی لم یجعل العلم جهلا، و لم یکل أمره إلی أحد من خلقه، لا إلی ملک مقرّب و لا إلی نبیّ مرسل، و لکنّه أرسل رسولا من ملائکته، فقال له: قل کذا و کذا، فأمرهم بما یحبّ و نهیهم عمّا یکره، فقص علیهم امر خلقه بعلم، فعلم ذلک العلم و علم أنبیائه و أصفیائه من الأنبیاء و الأخوان و الذّریه التی بعضها من بعض، فذلک قوله عزّ و جل:

«فَقَدْ آتَیْنا آلَ إِبْراهِیمَ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ وَ آتَیْناهُمْ مُلْکاً عَظِیماً » فأمّا الکتاب فهو النّبوه، و أمّا الحکمه فهم الحکماء من الأنبیاء من الصفوه و أمّا الملک العظیم فهم الأئمه من الصّفوه، و کلّ هؤلاء من الذریه التی بعضها من بعض، و العلماء الذین جعل فیهم البقیه و فیهم الباقیه و حفظ المیثاق حتّی تنقضی الدّنیا، و العلماء و لولاه الامر استنباط العلم و للهداه فهذا شأن الفضل من الصفوه و الرسل و الأنبیاء و الحکماء و أئمه الهدی و الخلفاء الذین هم ولاه أمر اللّه عز و جل، و استنباط علم اللّه و أهل آثار علم اللّه من الذّریّه التی بعضها من بعض من الصّفوه بعد الأنبیاء علیهم السّلام من الآباء و الاخوان و الذّریّه من الأنبیاء.

ص:۱۴۲

فمن اعتصم بالفضل انتهى بعلمهم و نجا بنصرتهم، و من وضع ولاه أمر اللّه تبارک و تعالى فى غير الصّفوه من بيوتات الأنبياء صلوات اللّه عليهم، فقد خالف أمر اللّه جلّ و عزّ و جعل الجهّال ولاه أمر اللّه و المتكلّفين بغير هدى من اللّه عزّ و جلّ، و زعموا أنّهم أهل استنباط علم اللّه، فقد كذّبوا على اللّه تبارک و تعالى و رسوله، و رغبوا عن وصيّته و طاعته، و لم يضعوا فضل اللّه حيث وضعه اللّه تبارک و تعالى، فضلّوا و أضلّوا أتباعهم و لم يكن لهم حجّه يوم القيامه إنّما الحجّه فى آل إبراهيم عليه السّلام، لقول اللّه عزّ ذكره:

«فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً » فالحجّه الأنبياء صلوات اللّه عليهم و أهل بيوتات الأنبياء عليهم السّلام حتّى يقوم السّاعه، لأنّ كتاب اللّه ينطق بذلک وصيّه اللّه بعضها من بعض الذى وضعها على النّاس، فقال جلّ و عزّ:

«فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ » و هى بيوت الأنبياء و الرّسل و الحكماء و أئمه الهدى، فهذا بيان عروه الايمان التى نجا بها من نجا قبلكم و بها ينجو من يتبع الأئمه، و قال اللّه عزّ و جلّ فى كتابه:

«وَ نُوحاً هَدَيْنا مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ داوُدَ وَ سُلَيْمانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُوسُفَ وَ مُوسى وَ هارُونَ وَ كَذلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ وَ زَكَرِيّا وَ يَحْيى وَ عِيسى وَ إِلْياسَ كُلٌّ مِنَ الصّالِحِينَ وَ إِسْماعِيلَ وَ الْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطاً وَ كلاًّ فَضَّلْنا عَلَى الْعالَمِينَ وَ مِنْ آبائِهِمْ وَ ذُرِّيّاتِهِمْ وَ إِخْوانِهِمْ وَ اجْتَبَيْناهُمْ وَ هَدَيْناهُمْ إِلى صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ »...، «أُولئِكَ الَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ وَ الْحُكْمَ »

«وَ النُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِها هؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنا بِها قَوْماً لَيْسُوا بِها بِكافِرِينَ » فانّه و کل بالفضل من أهل بيته و الأخوان و الذّريه، و هو قول اللّه تبارک و تعالى: إن يكفر به امّتک فقد وكلنا أهل بيتک بالايمان الذى أرسلتک به، فلا يكفرون به أبدا و لا اضيع الايمان الذى أرسلتک به من أهل بيتک من بعدک علماء امّتک و ولاه امرى بعدک و أهل استنباط العلم الذى ليس فيه كذب و لا إثم و لا زور و لا بطر و لا رياء، فهذا بيان ما ينتهى إليه أمر هذه الامه إنّ اللّه عزّ و جلّ طهر أهل بيت نبيه صلّى اللّه عليه و آله و سألهم أجر الموده و أجرى لهم الولايه و جعلهم أوصيائه و أحبائه ثانيه بعده فى امّته، فاعتبروا أيّها النّاس فيما قلت: حيث وضع اللّه عزّ و جل ولايته و طاعته و مودته و استنباط علمه و حججه، فايّاه فتقبلوا به، و به فاستمسكوا تنجوا به، و يكون لهم الحجّه يوم القيامه و طريق ربّكم جلّ و عز، لا يصل ولايه إلى اللّه عزّ و جلّ إلا بهم، فمن فعل ذلک كان حقا على اللّه أن يكرمه و لا يعذّبه، و من يأت اللّه عزّ و جلّ بغير ما أمره كان حقّا على اللّه عزّ و جلّ أن يذله و أن يعذّبه.

أقول: لا يخفى على الفطن العارف ما فى هذه الرّوايه الشريفه من النّكات الرّايقه و الأسرار الفايقه و المطالب المهمه و المسائل المعظمه، و بالغور فيها يمكن استخراج بعض ما تضمنته من كنوز الاسرار، و بالتّوسل بها يمكن الوصول إلى رموز المعارف و حقائق الأنوار، و إنّما ذلک فى حقّ من امتحن قلبه بنور العرفان و الايمان، و صفى ذهنه من كدورات الشبهات و ظلمات الأوهام، و ذلک فضل اللّه يؤتيه من يشاء و اللّه ذو الفضل العظيم و قوله عليه السّلام (لما بدّل أكثر خلقه عهد اللّه اليهم) يعنى إذ بدّل أكثر الخلق عهد اللّه و ميثاقه الماخوذ عليهم فى باب التوحيد و المعرفه و النّبوه و الولايه حسبما اشير إليه فى الايه الشريفه و الأخبار المتواتره قال سبحانه:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنّا كُنّا عَنْ هذا غافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَکَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَ كُنّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَ فَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ».

قال أكثر المفسّرين و أهل الأثر: إنّ اللّه أخرج ذريّه آدم من صلبه كهيئه الذّر(۱) فعرضهم على آدم و قال: إنّى آخذ على ذريّتک ميثاقهم أن يعبدونى و لا يشركوا بى شيئا و علىّ أرزاقهم، ثمّ قال: أ لست بربّكم قالوا: بلى شهدنا أنّک ربّنا، فقال للملائكه: اشهدوا، فقالوا: شهدنا.

و قيل: إنّ اللّه جعلهم فهماء عقلاء يسمعون خطابه و يفهمونه، ثمّ ردّهم إلى صلب آدم و النّاس محبوسون بأجمعهم حتّى يخرج كلّ من أخرجه فى ذلک الوقت و كلّ من ثبت على الإسلام فهو على الفطره الأولى، و من كفر و جحد فقد تغيّر على الفطره الأولى.

و ردّ المحقّقون هذا التّفسير بوجوه(۲) كثيره تنيف على عشره.

و منهم المرتضى رضى اللّه عنه، و قد شدد النكير على ذلک فى كتاب الغرر و الدّرر، قال بعد ذكر الآيه: و قد ظن بعض من لا بصيره له و لا فطنه عنده أنّ تأويل هذه الآيه أن اللّه استخرج من ظهر آدم عليه السّلام جميع ذريته و هم فى خلق الذّر، فقرّرهم بمعرفته و أشهدهم على أنفسهم، و هذا التّأويل مع أنّ العقل يبطله و يحيله، ممّا يشهد ظاهر القرآن بخلافه، لأنّ اللّه قال:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِى آدَمَ ».

و لم یقـل من آدم، و قال «مِنْ ظُهُورِهِمْ » و لم یقل من ظهره و قال: «ذُرِّیَّتَهُمْ » و لم یقل ذریّته، ثمّ أخبر تعالی بأنّه فعل ذلک لئلاّ یقولوا یوم القیامه إنّهم کانوا

ص:۱۴۴

---

۱- (۱) الذر صغار النمل، مصباح.

۲- (۲) بعضـها راجع الی عدم مطابقه ذلک التفسـیر لظاهر الایه، و بعضـها راجع الی اسـتحاله اصل القضیه کما ستعرفه فی کلام المرتضی رضی اللّه عنه و قد ذکر الفخر الرازی فی التفسیر الکبیر اثنی عشر وجها علی ما ببالی، منه.

عن هـذا غافلين أو يعتذروا بشـرك آبائهم و أنّهم نشأوا على دينهم و سنّتهم و هذا يقتضـى أنّ الآيه لم تتناول ولد آدم لصـلبه و أنّها تناولت من كان له آباء مشركون، و هذا يدلّ على اختصاصها ببعض ذريّه آدم، فهذا شهاده الظاهر ببطلان تأويلهم.

فأمّا شـهاده العقـل فمن حيث لاـ تخلو هـذه الـذريّه الـتّى اسـتخرجت من ظهر آدم فخوطبت و قرّرت من أن تكون كـامله العقل مستوفيه الشروط أو لا تكون كذلك.

فان كانت بالصّفه الاولى وجب أن يـذكر هؤلاء بعد خلقهم و إنشائهم و إكمال عقولهم ما كانوا عليه فى تلك الحال و ما قرّروا به و استشـهدوا عليه لأنّ العاقل لا ينسـى ما جرى هـذا المجرى و إن بعد العهد و طال الزّمان، و لهذا لا يجوز أن يتصـرف أحدنا فى بلـد من البلـدان و هو عاقل كامل، فينسـى مع بعد العهد جميع تصـرّفه المتقدم و ساير أحواله، و ليس أيضا لتخلّل الموت بين الحالين تأثير لأنّه لو كان تخلّل الموت يزيل الذكر لكان تخلّل النّوم و السّكر و الجنون و الاغماء بين أحوال العقلاء يزيل الذكر، لمـا مضـى من أحوالهم، لأن ساير ما عـددناه ممّا ينفى العلوم يجرى مجرى الموت فى هـذا الباب، و ليس لهم أن يقولوا إذا جاز فى العاقل الكامل أن ينسى ما كان عليه فى حال الطفوليّه جاز ما ذكرناه، و ذلك انّا إنّما أوجبنا ذكر العقلاء لما ادعوه إذا كملت عقولهم من حيث جرى عليهم و هم كاملوا العقل، و لو كانوا بصـفه الأطفال فى تلك الحال لم نوجب عليهم ما أوجبناه، على أنّ تجويز النّسيان عليهم ينقض الغرض فى الآيه، و ذلك إنّ اللّه تعالى أخبر بأنّه إنّما قرّرهم و أشهدهم لئلّا يدّعوا يوم القيامه الغفله عن ذلك، و سقوط الحجّه عنهم فيه، فاذا جاز نسيانهم له عاد الأمر إلى سقوط الحجّه عنهم و زوالها.

و إن كانوا على الصّفه الثّانيه من فقـد العلم «العقل خ» و شـرايط التّكليف قبح خطابهم و تقريرهم و إشـهادهم و صار ذلك عبثا قبيحا تعالى اللّه عنه.

ثمّ قال: فان قيل: قد أبطلتم تأويل مخالفيكم فما تأويلها الصّحيح عندكم؟

قلنا فى الايه وجهان أحدهما أن يكون تعالى إنّما عنى بها جماعه من ذريّه بنى آدم خلقهم و بلغهم و أكمل عقولهم و قرّرهم على ألسن رسله بمعرفته و ما يجب من طاعته، فأقرّوا بذلك و أشهدهم على أنفسهم به لئلا يقولوا يوم القيامه إنا كنا عن هذا غافلين، أو يعتذروا بشرك آبائهم إلى أن قال:

و الجواب الثّانى و هو أحسن أنّه تعالى لما خلقهم و ركبهم تركيبا يدلّ على معرفته و يشهد بقدرته و وجوب عبادته، و أراهم العبر و الايات و الدلايل فى غيرهم و فى أنفسهم، كان بمنزله المستشهد لهم على أنفسهم و كانوا فى مشاهده ذلك و معرفته و ظهوره على الوجه الذى أراد اللّه تعالى و تعذّر امتناعهم منه و انفكاكهم من دلالته بمنزله المقرّ المعترف، و إن لم يكن هناك شهاده و لا اعتراف على الحقيقه إلى آخر ما ذكره، و قد وافقه على الجواب الأخير الزّمخشرى فى الكشّاف و غيره من المفسّرين.

و اقول: أمّا ما ذكره السّيد (ره) من عدم انطباق ظاهر الايه بما حملوها عليه من وجود عالم أخذ الميثاق و إخراج ذريّه آدم من صلبه كالذر فمسلّم، لكن يتوجّه عليه أنّ ما ذكره من الوجهين فى تأويل الايه أيضا كذلك، بل مخالفه الظاهر فيهما أزيد منها فى الوجه الذى ذكروه مع عدم شاهد على واحد منهما فى شيء من الأخبار.

و أمّا إنكار أصل هذه القضيّه و الحكم باستحالته بما ذكره من دليل العقل، فلا وجه له و لا يعبأ بالدّليل المذكور قبال الأخبار المتواتره المفيده لوجود ذلك العالم، بل قد وقع فى الأخبار الكثيره تفسير الايه به أيضا، و الاستقصاء فيها موجب للاطناب الممل إلاّ أنّا نذكر شطرا منها تبركا و توضيحا و استشهادا.

منها ما رواه علىّ بن إبراهيم القمى فى تفسيره عن ابن مسكان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله: و إذ أخذ ربّك، إلى قوله: قالوا بلى، قلت: معاينه كان هذا؟ قال: نعم، فثبتت المعرفه و نسوا الموقف و سيذكرونه فلولا ذلك لم يدر أحد من خالقه و رازقه، فمنهم من أقرّ بلسانه فى الذّرّ و لم يؤمن بقلبه، فقال اللّه:

«فَما كـانُوا لِيُؤْمِنُوا بِما كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ » و منهـا مـا رواه أيضا عنه عليه السّـلام، قال: كان الميثاق مأخوذا عليهم للّه بالرّبوبيه و لرسوله بـالنّبوه و لاـمير المؤمنين و الأـئمه عليهم السّـلام بالامـامه، فقـال: أ لست بربّكم، و محمّـد نبيّكم، و علىّ امامكم، و الائمه الهادون أئمتكم؟ فقالوا: بلى.

و منها ما فى البحار عن أمالى الشّيخ عن المفيـد باسـناده عن جابر عن أبى جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم السّـلام، أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال لعلىّ عليه السّـلام: أنت الـذى احتـجّ اللّه بك فى ابتـدائه الخلق حيث أقامهم أشـباحا، فقال لهم: أ لسـت بربّكم؟ قـالوا: بلى، قـال: و محمّـد رسـول اللّه؟ قـالوا: بلى، قـال: و علىّ أمير المـؤمنين؟ فـأبى الخلـق جميعـا اسـتكبارا و عتوّا عن ولايتك إلّا نفر قليل، و هم أقلّ القليل و هم أصحاب اليمين.

و منها ما فيه أيضا من بصائر الـدّرجات باسـناده عن عبـد الرّحمان بن كثير عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام فى قوله عزّ و جلّ: و إذ اخذ ربك من بنى آدم الايه، قال: أخرج اللّه من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامه كالذّر فعرفهم نفسه، و لولا ذلك لم يعرف أحد ربّه و قـال: أ لست بربّكم؟ قـالوا: بلى و أنّ محمّـدا رسول اللّه و عليـا أمير المؤمنين و منها ما فيه أيضا من كشف الغمه من كتاب الامامه عن الحسن بن الحسين الأنصارى عن يحيى بن العلا عن معروف بن خربوز المكى عن أبى جعفر عليه السّلام، قال:

لو يعلم النّاس متى سمّى علىّ أمير المؤمنين لم ينكروا حقّه، فقيل له: متى سمّى؟ فقرأ:

و إذ أخذ ربّك إلى قوله أ لست بربّكم قالوا: بلى قال: محمّد رسول اللّه و علىّ أمير المؤمنين.

و منها ما فيه أيضا من تفسير فرات بن إبراهيم عن ابن القاسم معنعنا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى قوله تعالى: و إذ اخذ ربّك من بنى آدم إلى آخر الآيه، قال:

أخرج اللّه من ظهر آدم ذريّته إلى يوم القيامه فخرجوا كالـذّر و عرّفهم نفسه و أراهم نفسه، و لولا ذلك لم يعرف أحد ربّه، قال: أ لست بربكم؟ قالوا: بلى، قال: فانّ محمّدا

عبدی و رسولی و أنّ علیّا أمیر المؤمنین خلیفتی و أمینی، و قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله: کل مولود یولد علی المعرفه بأنّ اللّه تعالی خالقه، و ذلک قوله تعالی:

«وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللّهُ » إلی غیر هـذه من الأخبار الکثیره، و قد عقد المجلسی طاب ثراه بابا فیها فی مجلّد الامامه من البحار.

و بالجمله فقد تلخص ممّا ذکرنا أنّ المراد من العهد المأخوذ عن الخلق الذی بدّلوه هو المیثاق المأخوذ علیهم للّه بالرّبوبیه و لرسوله صلّی اللّه علیه و آله بالنبوه و للائمه علیهم السّلام بالولایه، و کذلک المراد بالحق فی قوله علیه السّلام (فجهلوا حقّه) هو الحق اللازم علی العباد من المعرفه و التّوحید کما یشهد به روایه معاذ بن جبل التی مضت فی ثانی التّذنیبات من رابع فصول الخطبه، قال کنت رفقت النبیّ صلّی اللّه علیه و آله، فقال یا معاذ هل تدری ما حق اللّه علی العباد؟ یقولها ثلاثا، قلت: اللّه و رسوله أعلم، فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله حق اللّه عزّ و جل علی العباد أن لا یشرکوا به شیئا إلی آخر ما مرّ هناک، و یحتمل أن یکون المراد به(۱) الاعمّ ممّا ذکرنا و من الفروعات، و یشعر به ثالث الجملات المعطوفه(۲) من قوله:(و اتخذوا الانداد) أی الأمثال (معه و اجتالتهم) أی أدارتهم و صرفتهم (الشّیاطین عن معرفته، و اقتطعتهم عن عبادته) أی أقطعتهم کما فی بعض النّسخ کذلک، فهم قطاع طریق العباد عن عباده اللّه سبحانه و تعالی (ف) لمّا کان الحال بهذا المنوال (بعث فیهم) أی أرسل إلیهم (رسله، و واتر الیهم أنبیائه) أی أرسلهم متواترا و بین کلّ نبیّین فتره، قال سبحانه:

«ثُمَّ أَرْسَلْنا رُسُلَنا تَتْرا كُلَّ ما جاءَ أُمَّةً رَسُولُها كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنا بَعْضَهُمْ بَعْضاً »(۳) «وَ جَعَلْناهُمْ أَحادِيثَ فَبُعْداً لِقَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ »

ص:۱۴۹

---

۱- (۱) ای بالحق منه

۲- (۲) و هو قوله و اقتطعتهم عن عبادته فافهم منه

۳- (۳) ای فی الاهلاک ای اهلکنا بعضهم فی اثر بعض مجمع البیان.

قال الطبرسی فی تفسیر الایه أی متواتره تتبع بعضهم بعضا، عن ابن عبّاس و مجاهد، و قیل متقاربه الأوقات، و أصله الاتّصال و منه الوتر لاتّصاله بمكانه من القوس و منه الوتر، و هو الفرد عن الجمع المتّصل، قال الأصمعی یقال: و اترت الخبر أتبعت بعضه بعضا و بین الخبرین هنیهه انتهی، و قوله:(لیستأدوهم میثاق فطرته) إلی قوله: و یروهم آیات المقدره إشاره إلی الغایه من بعث الرّسل و الثمره المترتبه علی ذلک، و هی علی ما ذكره علیه السّلام خمس، و المراد من میثاق الفطره هو میثاق التّوحید و النّبوه و الولایه.

كما یشهد به ما رواه الصّدوق فی التّوحید باسناده عن عبد الرّحمان بن كثیر مولی أبی جعفر علیه السّلام عن أبی عبد اللّه علیه السّلام فی قول اللّه عزّ و جلّ:

«فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها » قال: التّوحید و محمّد رسول اللّه و علیّ أمیر المؤمنین.

و عن ابن مسكان عن زراره قال: قلت لأبی جعفر علیه السّلام أصلحك اللّه، قول اللّه عزّ و جلّ فی كتابه:

«فِطْرَتَ اللّهِ الَّتِی فَطَرَ النّاسَ عَلَیْها » قال: فطرهم علی التّوحید عند المیثاق علی معرفته أنّه ربّهم، قلت: و خاطبوه؟ قال:

فطأطأ رأسه ثم قال: لو لا ذلك لم یعلموا من ربّهم و لا من رازقهم.

و عن عبد اللّه بن سنان عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: سألته عن قول اللّه عزّ و جلّ:

فطره اللّه التی فطر النّاس علیها، ما تلك الفطره؟ قال: هی الاسلام، فطرهم اللّه حین أخذ میثاقهم علی التّوحید فقال: أ لست بربّكم و فیهم المؤمن و الكافر، و المراد بالنّعمه فی قوله علیه السّلام:(و یذكروهم منسیّ نعمته) إمّا النّعمه التی من بها علی العباد فی عالم الذّرّ و المیثاق حسبما مرّ، أو جمیع النّعم المغفول عنها، و الأوّل هو الظاهر نظرا إلی ظاهر لفظ النّسیان (و یحتجّوا علیهم) أی فی یوم القیامه (بالتّبلیغ) أی تبلیغ الأحكام و نشر الشّرایع و الأدیان:

ص:۱۵۰

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ »، وَ «لِئَلّا يَكُونَ لِلنّاسِ عَلَى اللّهِ حُجَّهٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كانَ اللّهُ عَزِيزاً حَكِيماً » (و يثيروا) أى يهيجوا (لهم دفائن العقول) من شواهد التّوحيد و أدله الرّبوبيّه كما قال سبحانه:

«إِنَّ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَ النَّهارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاسَ وَ ما أَنْزَلَ اللّهُ مِنَ السَّماءِ مِنْ ماءٍ فَأَحْيا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَ بَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دابَّهٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّياحِ وَ السَّحابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّماءِ وَ الْأَرْضِ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ » (و يروهم آيات المقدره) أى علامات القدره و شواهدها حتّى ينظروا إليها بنظر الدّقه و الاعتبار و إلاّ فالامارات المذكوره ممّا هى بمرئى و مسمع من كلّ أحد لا حاجه فيها إلى الارائه كما هو ظاهر.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى ستّ آيات من تلك الآيات و بيّنها بقوله:(من سقف فوقهم مرفوع، و مهاد تحتهم موضوع) كما قال سبحانه:

«وَ السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ » و قال: «أَ لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهاداً وَ الْجِبالَ أَوْتاداً » إلى أن قال: «وَ بَنَيْنا فَوْقَكُمْ سَبْعاً شِداداً » و قد مضى فى التّذييل الثّانى من تذييلات الفصل الثّامن من فصول هذه الخطبه ما يوجب زياده البصيره فى المقام فتذكر(و معايش تحييهم، و آجال تفنيهم، و أوصاب تهرمهم)نسبه الاحياء إلى المعايش أى المطعومات و المشروبات التى بها قوام الحياه، و الافناء إلى الآجال، و الاهرام إلى الأوصاب و الامراض من قبيل الاسناد إلى السبب مجازا على حدّ أنبت الرّبيع البقل (و أحداث) أى نوائب حادثه و مصائب

متجدّده (تتتابع علیهم) و فی کلّ واحده من الآیات المذکوره دلاله علی أنّ للعالم صانعا قادرا یفعل فیه ما یشاء و یحکم ما یرید، لا رادّ لقضائه و لا دافع عن بلائه.

**الترجمه**

پس فرو فرستاد او را بسرای محنت و امتحان و بخانهٔ تناسل نسل و زائیدن اولاد، و برگزید او سبحانه از اولاد او پیغمبران را در حالتی که اخذ فرمود بر ابلاغ وحی عهد و پیمان ایشان را، و بر رساندن رسالت أمانت آنها را در حینی که تبدیل کردند بیشتر خلایق پیمان خدا را که بسوی ایشان است، پس جاهل و نادان شدند حقّ او را و فرا گرفتند شریکان و أمثال مر او را، و برگردانیدند ایشان را شیاطین از شناخت او، و بریدند ایشان را از پرستش او، پس مبعوث و برانگیخته فرمود در میان ایشان فرستادگان خود را، و پی در پی فرستاد بسوی ایشان پیغمبران خود را، تا طلب أدا کنند از ایشان عهد فطرت و پیمان خلقت خود را که مخلوق شده بودند بر آن که عبارتست از توحید و معرفت، و تا این که یاد آوری نمایند ایشان را نعمتهای فراموش شدهٔ او را و اتمام حجت بکنند بر ایشان با تبلیغ و رساندن أحکام، و برانگیزانند از برای ایشان دفینه های عقلها و خزاین فهمها، و بنمایند ایشان را علامات قدرت خداوندی را که آن امارات قدرت عبارتست از آسمانی که در بالای ایشان برافراشته و فراشی است که در زیر آنها نگاهداشته، و معیشتهائی است که زنده می دارد ایشان را، و اجلهائی که فانی می سازد ایشان را، و بیماریهائی که پیر فانی می گرداند ایشان را، و مصیبتهائیکه پی در پی می آید بر ایشان.

ص:۱۵۲

## الفصل الخامس عشر

### اشاره

و لم يخل اللّه سبحانه خلقه من نبىّ مرسل، أو كتاب منزل، أو حجّه لازمه، أو محجّه قائمه، رسل لا يقصّر بهم قلّه عددهم، و لا كثره المكذّبين لهم من سابق سمّى له من بعده، أو غابر عرّفه من قبله.

### اللغه

(النّبىّ) فعيل بمعنى الفاعل و هو مشتقّ من النّبأ و هو الخبر و نبأ و نبّأ و أنبأ كلّها بمعنى أخبر، و النّبىّ مخبر عن اللّه تعالى، و قلبوا فيه الهمزه كما فى الذريّه حسبما مرّ فى الفصل السّابق.

و عن شارح المقاصد النّبوه هو كون الانسان مبعوثا من الحقّ إلى الخلق، فان كان النّبىّ مأخوذا من النّباوه و هو الارتفاع لعلوّ شأنه و ارتفاع مكانه، أو من النبىّ بمعنى الطريق لكونه وسيله إلى الحقّ، فالنبوّه على الأصل كالابوّه، و إن كان من النّبأ بمعنى الخبر لانبائه عن اللّه تعالى فعلى قلب الهمزه واوا ثمّ الادغام كالمروّه.

و قال فى المحكىّ عنه: النّبىّ هو إنسان بعثه اللّه لتبليغ ما أوحى إليه، و كذا الرّسول، و قد يخصّ بمن له شريعه و كتاب فيكون أخصّ من النّبىّ، و اعترض عليه بزياده عدد الرّسل على الكتب، و ربّما يفرق بأنّ الرّسول من له كتاب أو نسخ لبعض أحكام الشّريعه السّابقه، و النّبى قد يخلو عن ذلک كيوشع عليه السّلام.

و فى كلام بعض المعتزله أنّ الرّسول صاحب الوحى بواسطه الملک، و النّبى هو المخبر عن اللّه بكتاب أو الهام أو تنبيه فى منام، و التّفصيل فى ذلک المقام موكول إلى الكتب الكلاميّه، و من أراد اقتباس النّور فى هذا الباب من كلام الأئمه فعليه بالرّجوع إلى باب الفرق بين الرّسول و النّبى و المحدّث، و هو ثالث أبواب كتاب الحجّه من الكافى و (الحجّه) بالضمّ ما يحتجّ به الانسان غيره أى يغلب به و (المحجه)

ص:۱۵۳

بفتح المیم جادّه الطریق و (الغابر) هو الباقی و قد یطلق علی الماضی فهو من الأضداد.

### الاعراب

الظاهر أنّ کلمه أو فی قوله علیه السّلام أو کتاب أو حجّه أو محجّه لمنع الخلوّ إذ الانفصال الحقیقی کمنع الجمع لا یمکن إرادته، و سیاق الکلام هو منع الخلو کما یدلّ علیه قوله: و لم یخل اللّه صریحا، و یمکن جعلها بمعنی الواو نظرا إلی دلاله و لم یخل صراحه علی منع الخلوّ، فلا حاجه إلی جعلها لذلک فافهم، و (رسل) مرفوع علی الخبریّه، یعنی أنّهم رسل، و الجمله هذه لا محلّ لها من الاعراب، لکونها مستأنفه فکأنّه قیل هؤلاء المرسلون الذین لم یخل الخلق منهم هل بلّغوا ما أرسلوا به أم قصّروا فیه لوجود التّقیه، فقال علیه السّلام: إنّهم رسل لا یقصّر اه، فهی من قبیل الاستیناف البیانی، و متعلق لا یقصّر محذوف، أی لا یقصّر بهم عن أداء الرّساله و إبلاغ التکلیف و کلمه (من) فی قوله علیه السّلام من سابق بیان للرّسل و تفصیل لهم.

### المعنی

اعلم أنّه علیه السّلام بعد ما نبّه بخلقه آدم علیه السّلام و تفصیل ما جری علیه من إسجاد الملائکه له و إسکانه فی الجنّه و اجتنائه من الثمره المنهیّه و إهباطه إلی الأرض و اصطفاء الأنبیاء من ولده لارشاد الخلق و هدایه الأنام، أشار علیه السّلام إلی العنایه الکامله للّه سبحانه بالخلق من عدم إخلائه أمّه منهم من نبیّ هاد لهم إلی المصالح و رادع لهم عن المفاسد، أو کتاب مرشد إلی الخیرات و الحسنات و مانع عن الشّرور و السّیئات، و ذلک کلّه لاکمال اللطف و إتمام العنایه فقال علیه السّلام:(و لم یخل اللّه سبحانه خلقه من نبیّ مرسل أو کتاب منزل) و هذا ممّا لا ریب فیه، و لا بدّ من بیان الحاجه إلی بعث الرّسل و إقامه البرهان علی اضطرار النّاس إلیه و أنّه لا بدّ فی کلّ زمان من حجه معصوم عالم بما یحتاج إلیه الخلق، و قد دللوا علی ذلک فی الکتب الکلامیّه بالبراهین العقلیه و النقلیه و نحن نذکر منها هنا وجها واحدا

لاقتضاء المقام، و ذلک موقوف على رسم مقدمات.

الاولى انّ لنا خالقا صانعا قادرا على كلّ شيء.

الثانيه أنّه سبحانه منزّه عن التجسّم و التعلّق بالموادّ و الأجسام و عن أن يكون مبصرا أو محسوسا باحدى الحواس.

الثّالثه أنّه تعالى حكيم عالم بوجوه الخير و المنفعه فى النظام و سبيل المصلحه للخلايق فى المعيشه و القوام و البقاء و الدّوام الرّابعه أنّ النّاس على كثرتهم محتاجون فى معاشهم و معادهم إلى من يدبّر أمورهم و يعلمهم طريق المعيشه فى الدّنيا و النّجاه من العذاب فى العقبى، و ذلک لأنّ من المعلوم أنّ نوع الانسان مدنى بالطبع، بمعنى أنّه لا بدّ فى بقاء النوع إلى اجتماع كلّ واحد من الأفراد مع الآخر يستغنى به فيما يحتاج إليه من المآكل و المشارب و الملابس و المساكن و نحوها، فيكون هذا يطحن لهذا، و ذلک يبنى لذلک، و ذلک يخيط لآخر، و هكذا، فمن ذلک احتاجوا إلى بناء البلاد و اجتماع الآحاد، و اضطرّوا إلى عقد المعاملات.

و بالجمله لا بدّ فى بقاء الانسان من الاجتماع و المعاونه، و التّعاون لا يتمّ إلّا بالمعامله و لا بدّ فى المعامله من قانون عدل، إذ لو ترک النّاس و آراؤهم فى ذلک لاختلفوا فيه، فيرى كلّ أحد منهم ماله عدلا ما عليه ظلما و جورا نظرا إلى أنّ كلّ أحد بالذّات و الطبع طالب لجلب المنفعه لنفسه و دفع المضرّه عن نفسه كما هو واضح، فعلم وجه الحاجه فى المعاملات إلى القانون العدل.

و لا بدّ لذلک القانون من مقنّن و معدّل و لا يجوز أن يكون ذلک المعدّل ملكا، بل لا بدّ و أن يكون بشرا، ضروره أنّ الملک لا- يمكن رؤيه اكثر النّاس له لأنّ قواهم لا يقوى على رؤيه الملک على صورته الأصليه، و إنّما رآهم الأفراد من الانبياء بقوتهم القدسيّه، و لو فرض أن يتشكّل بحيث يراه جميع الخلق كان ملتبسا عليهم كالبشر كجبرئيل فى صوره دحيه، و لذلک قال سبحانه:

«وَ لَوْ جَعَلْناهُ مَلَكاً لَجَعَلْناهُ رَجُلاً وَ لَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ ما يَلْبِسُونَ » و لا بدّ أن يكون المعدّل له خصوصيّه ليست لساير النّاس حتّى يستشعر النّاس فيه أمرا لا يوجد لهم فيتميز به منهم، فيكون له المعجزات التى أخبرنا بها، و الحاجه إلى هذا الانسان فى بقاء نوع البشر أشدّ من كثير من المنافع التى لا ضروره فيها للبقاء، كانبات الشّعر على الحاجبين و تقعير الأخمص للقدمين و ما يجرى مجراهما من منافع الأعضاء التى بعضها للزّينه و بعضها للسّهوله فى الأفعال و الحركات، و وجود هذا الانسان الصّالح لأن يشرع و يعدل ممكن، و تأييده بالمعجزات الموجبه لاذعان الخلق له أيضا ممكن، فلا يجوز أن تكون العنايه الاولى تقتضى تلك المنافع و لا تقتضى هذه التى هى أصلها و عمدتها.

فاذا تمهدت هذه المقدّمات فثبت و تبين أنّه واجب أن يوجد نبىّ و أن يكون إنسانا و أن يكون له خصوصيه ليست لساير النّاس، و هى الامور الخارقه للعادات، و يجب أن يسنّ للناس سننا باذن اللّه و أمره و وحيه و إنزال الملك اليه، و يكون الأصل الأول فيما يسنّه تعريفه إيّاهم أنّ لهم صانعا قادرا واحدا لا شريك له، و أنّ النبىّ عبده و رسوله، و أنّه عالم بالسّر و العلانيه، و أنّه من حقّه أن يطاع أمره، و أنّه قد أعدّ للمطيعين الجنّه و للعاصين النّار حتّى يتلقى الجمهور أحكامه المنزله على لسانه من اللّه و الملائكه بالسّمع و الطاعه.

و الى هذا البرهان أشار الصّادق عليه السّلام فيما رواه فى الكافى باسناده عن هشام بن الحكم عنه عليه السّلام أنّه قال للزّنديق الذى سأله من أين اثبت الأنبياء و الرّسل؟ قال:

إنّا لما أثبتنا أنّ لنا خالقا صانعا متعاليا عنّا و عن جميع ما خلق، و كان ذلك الصّانع حكيما متعاليا لم يجز أن يشاهده خلقه و لا يلامسوه فيباشرهم و يباشرونه و يحاجوهم و يحاجونه، ثبت أنّ له سفراء فى خلقه يعبرون عنه إلى خلقه و عباده، و يدلّونهم على مصالحهم و ما به بقاؤهم، و فى تركه فناؤهم، فثبت الآمرون و الناهون عن الحكيم العليم فى خلقه، و المعبّرون عنه جلّ و عزّهم الأنبياء و صفوته من

خلقه حکماء مؤدّین بالحکمه مبعوثین بها غیر مشارکتهم لهم فی الخلق و الترکیب فی شیء[(۱)](#footnote-1) من أحوالهم، مؤیّدین عند الحکیم العلیم بالحکمه، ثمّ ثبت ذلک فی کلّ دهر و زمان ممّا أتت به الرّسل و الأنبیاء من الدّلائل و البراهین لکیلا یخلو أرض اللّه من حجه یکون معه علم یدلّ علی صدق مقالته و جواز عدالته هذا.

و قال بعض شرّاح الکافی فی شرح قوله علیه السّلام: ثمّ ثبت ذلک فی کلّ دهر و زمان ممّا أتت به الرّسل و الأنبیاء من الدلائل و البراهین: یعنی أنّه ثبت وجود النبیّ فی کلّ وقت من جهه ما أتوابه من المعجزات و خوارق العادات، کأنّ قائلا یقول: إنّ الذی ذکرته من البرهان قد دلّ علی حاجه النّاس فی کلّ زمان بوجود النبیّ، و أنّه یجب من اللّه بعثه الرّسل و الأنبیاء و إرسالهم، و لکن من أی سبیل تعلم النّاس النبی و یصدق بنبوّته و رسالته، فأجیب بأنّه ثبت ذلک علیهم بمشاهده ما أتت به الرّسل و النّبیون من الدّلائل و البراهین، یعنی المعجزات الظاهره منهم، و هی المراد هاهنا بالدّلائل و البراهین إذ النّاس لا یذعنون إلاّ بما یشاهدونه و قوله علیه السّلام: لکیلا یخلو أرض اللّه من حجه یکون معه علم یدلّ علی صدق مقالته و جواز عدالته تعلیل متعلق بقوله: ثمّ ثبت ذلک فیکلّ دهر، و وجه التعلیل أنّ ما دامت الأرض باقیه و النّاس موجودون فیها فلا بدّ لهم من حجّه للّه علیهم یقوم بأمرهم و یهدیهم إلی سبیل الرّشاد و حسن المعاد، و هو الحجه الظاهره و لا بدّ أن یکون معه علم باللّه و آیاته یدل علی صدق مقالته و دعوته للنّاس و علی جریان حکمه علیهم و جواز عدالته فیهم، و هو الحجه الباطنه انتهی.

و به ظهر الوجه فی عدم إخلائه سبحانه خلقه من نبیّ مرسل علی ما صرّح به الامام علیه السّلام، کما ظهر وجه قوله علیه السّلام: (أو حجّه لازمه) أی لازمه علی الخلق (أو محجّه قائمه) أی طریقه عدل یقفون علیها و لا یمیلون عنها یمینا و یسارا، و المراد بها هنا هی الشریعه کما قال سبحانه:



---

۱- (۱) متعلق بمشارکین.

«لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهاجاً » و قال: «شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّى بِهِ نُوحاً » ثمّ إنّ الحجه قد تطلق و يراد بها الكتاب، و قد تطلق على الامام المعصوم الذى يكون مقتدى للخلائق يأتمّون به و يتعلّمون منه سبيل الهدى و طريق التقوى، نبيّا كان أو وصيّا، و هو المراد منها فيما رواه فى الكافى باسناده عن أبى اسحاق عمّن يثق به من أصحاب أمير المؤمنين، أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال: اللّهمّ إنّك لا تخلى أرضك من حجّه لك على خلقك، يعنى أنّك بلطفك و جودك على عبادك لا تخلى أرضك من حجّه لك عليهم ليهتدوا به سبيلك، و يسلكوا به سبيل قربك و رحمتك، و ينجو به عن معصيتك و عقابك.

و قد تطلق و يراد بها العقل، فانّه حجه للّه على النّاس فى الباطن كما أن النبى و الامام حجه فى الظاهر، و قد وردت به الأخبار المستفيضه عن أئمّتنا عليهم السلام.

إذا عرفت ذلك فنقول: الظاهر بل المتعين أنّ المراد بهاهنا هو الامام المعصوم أعنى الوصىّ بخصوصه، لعدم إمكان إراده النبىّ و الكتاب لسبق ذكرهما و عدم امكان إراده العقل لأنّ حجّيته منحصره فى المستقلّات العقليّه لا مجال له فى غيرها، فلا يعرف الحقّ من الباطل فى الامور الّتى عجزت عن إدراكها عقول البشر بأفكارها، و إنّما يعرفها الامام بنور الالهام فلا يتمّ اللّطف منه تعالى على خلقه بعد النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله إلّا بوجوده عليه السّلام فيهم.

و بذلك ظهر فساد ما توهّمه الشّارح المعتزلى من جعله الحجه فى العباره حجه العقل حيث قال: و منها أن يقال إلى ما ذا يشير عليه السّلام بقوله أو حجّه لازمه، هل هو إشاره إلى ما يقوله الاماميّه من أنّه لا بدّ فى كلّ زمان من وجود إمام معصوم، الجواب أنهم يفسرون هذه اللّفظه بذلك، و يمكن أن يكون المراد بها حجه العقل انتهى.

وجه الفساد ما ذكرنا، و نزيد توضيحا و نقول: إنّ للّه سبحانه حجّتين:

داخليّه و خارجيّه، و النّاس إمّا أهل بصيره عقليه أم أهل حجاب، فالحجّه على أهل البصيره إنّما هى عقولهم الكليه العارفين بها بالمصالح و المفاسد الكامنه الواقعيه، فلا حاجه لهم إلى اتباع الحجه الخارجيه، بل حجّه اللّه عليهم بصيرتهم و نور عقلهم و هداهم، و أما أهل الحجاب و ذو العقول الناقصه فالحجّه عليهم إنّما هى الخارجيّه، لعدم إحاطه عقولهم بالجهات المحسّنه و المقبحه، فلا يكمل اللّطف فى حقهم إلاّ بقائد خارجىّ يتبعون به، إذ الأعمى يحتاج فى قطع السّبيل إلى قائد خارجى يتبعه تقليدا فى كل قدم و هو واضح.

فقد تحصّل ممّا ذكرنا أنّ المراد بالحجّه فى كلامه عليه السّلام هو الامام المعصوم كما قد ظهر ممّا بيّناه هنا و فيما سبق فى شرح قوله من نبىّ مرسل: لزوم وجود الحجّه فى الخلق، لمكان الحاجه، و ملخّص ما ذكرناه هنا و سابقا أنّ نظام الدّنيا و الدّين لا يحصل إلاّ بوجود إمام يقتدى به النّاس و يأتمّون به و يتعلّمون منه سبيل هداهم و تقواهم، و الحاجه إليه فى كلّ عصر و زمان أعظم و أهمّ من الحاجه إلى غذاهم و كساهم و ما يجرى مجراهما من المنافع و الضرورات، فوجب فى العنايه الرّبانيه أن لا يترك الأرض و لا يدع الخلق بغير إمام نبيّا كان أو وصيّا، و إلاّ لزم أحد الامور الثّلاثه: إمّا الجهل و عدم العلم بتلك الحاجه، أو النّقص و عدم القدره على خلقه، أو البخل و الضّنه بوجوده و الكلّ محال على اللّه سبحانه هذا، و يطابق كلام الامام عليه السّلام ما رواه فى الكافى عن علىّ بن إبراهيم عن محمّد ابن عيسى عن محمّد بن الفضيل عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السّلام قال: و اللّه ما ترك اللّه أرضا منذ قبض اللّه آدم إلا فيها إمام يهتدى به إلى اللّه، و هو حجّه على عباده و لا تبقى الأرض بغير امام حجّه للّه على عباده، و عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: إنّ اللّه أجلّ و أعظم من أن يترك الأرض بغير إمام عادل.

ص:۱۵۹

و أيضا عن أبى بصير عن أحدهما عليه السّلام، قال: إنّ اللّه لم يدع الأرض بغير عالم، و لو لا ذلك لم يعرف الحقّ من الباطل، يعنى فى الامور التى تعجز عن إدراكها العقول حسبما مرّ سابقا.

و فى الأخبار الكثيره المستفيضه بل القريبه من التواتر المعنوى المرويّه فى الكافى و علل الشّرايع و إكمال الدّين و رجال الكشى و غيرها أنّ الأرض لو بقيت بغير إمام لساخت، يقال: ساخت الأرض بهم انخسفت، و المراد به فى الأخبار إمّا غوصها فى الماء حقيقه أو كنايه عن هلاك البشر و ذهاب نظامها كما نبّه عليه المحدّث المجلسى طاب ثراه فى مرآه العقول ثمّ إنّه عليه السّلام وصف المرسلين بأنّهم رسل (لا يقصر(۱) بهم قلّه عددهم) أى عن نشر التكليف و حمل إعباء الرّساله (و لا كثره المكذّبين لهم) أى عن تبليغ الأحكام و اداء الامانه، و هذا الكلام صريح فى عدم جواز التقيّه على الأنبياء.

و منه يظهر فساد ما نسبه الفخر الرّازى إلى الاماميّه من تجويزهم الكفر على الأنبياء تقيه حسبما مرّ فى تذييلات الفصل الثّانى عشر فى باب عصمه الأنبياء عليهم السّلام، ضروره أنّ اقتداء الاماميّه رضوان اللّه عليهم إنّما هو على إمامهم عليه السّلام، و مع تصريحه عليه السّلام بما ذكر كيف يمكن لهم المصير إلى خلاف قوله عليه السّلام هذا.

مضافا إلى ما أوردناه عليه سابقا بل و مع الغضّ عن تصريحه عليه السّلام، بذلك أيضا نقول: كيف يمكن أن يتفوّه ذو عقل بصدور كلمه الكفر عن نبىّ مع أنّ بعث النبى ليس إلاّ لحسم ماده الكفر، نعوذ باللّه من هذه الفريه البيّنه و ذلك البهتان العظيم، ثم إنّه عليه السّلام بين الرّسل و ميّزهم بقوله:(من سابق سمّى له من بعده أو غابر) أى لاحق (عرفه من قبله) يعنى أنّهم بين سابق سمى(۲) لنفسه من بعده، بمعنى أنّه عين من يقوم مقامه من بعده، أو أنّ السّابق(۳) سمّى اللّه له من يأتى



---

۱- (۱) من القصور او التقصير و الاول اظهر، منه.

۲- (۲) هذا على بناء سمى للفاعل على ما فى بعض النسخ، منه

۳- (۳) هذا على البناء للمفعول، منه ج (۱۰)

بعده و اطلعه علیه، و بین لاحق عرّفه من قبله و بشّر به، کتعریف عیسی علیه السّلام و بشارته بالنبیّ صلّی اللّه علیه و آله کما قال سبحانه حکایه عنه:

«وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ یَأْتِی مِنْ بَعْدِی اسْمُهُ أَحْمَدُ ».

و قد مرّ فی حدیث الکافی عند شرح قوله: و اصطفی من ولده أنبیاء اه، تفصیل بشاره الأنبیاء السّلف للخلف سلام اللّه علیهم أجمعین فتذکر.

### الترجمه

و خالی نگذاشت حق سبحانه و تعالی مخلوقان خود را از پیغمبر مرسلی یا از کتاب منزلی یا برهانی لازم که عبارتست از امام معصوم یا طریقهٔ مستقیمهٔ که عبارتست از شریعت قویمه آنها، رسولانی هستند که قاصر نمی کند یا مقصر نمی کند آنها را کمی عدد ایشان از تبلیغ رسالت، و نه بسیاری تکذیب کنندگان ایشان از اداء وحی و امانت، طایفه از ایشان سابق بودند که نام می برند بجهت خود آن کسی را که بعد از اوست، یا این که خداوند عالم نام برد آن کسی را که بعد از او بود، و طایفه دیگر لاحق بودند که تعریف کرده بود او را آن کسی که پیش از او بود

## الفصل السادس عشر

### اشاره

علی ذلک نسلت القرون، و مضت الدّهور، و سلفت الآباء، و خلفت الأبناء، إلی أن بعث اللّه محمّدا صلّی اللّه علیه و آله لإنجاز عدته، و إتمام نبوّته، مأخوذا علی النّبیّین میثاقه، مشهوره سماته، کریما میلاده، و أهل الأرض یومئذ ملل متفرّقه، و أهواء منتشره، و طرائق متشتّته، بین مشبّه للّه بخلقه، أو ملحد فی اسمه، أو مشیر إلی غیره، فهدیهم به من الضّلاله، و أنقذهم بمکانه من الجهاله.

ص:۱۶۱

## اللغه

(نسل) نسـلا من باب ضـرب كثر نسـله، و يتعدّى إلى مفعول يقال: نسلته أى ولدته و نسل الماشى ينسل بالضّم و بالكسر نسلا و نسـلا و نسـلانا أسرع، و نسلت القرون أى ولدت أو أسرعت و (سلف) سلوفا من باب قعد مضى و انقضى و (خلفته) جئت بعده، و الخلف بالتّحريـك الولـد الصالـح، فاذا كان فاسـدا أسـكنت اللاّم و ربّما اسـتعمل كلّ منهما مكان الآخر و (الميثاق) و الموثق كمجلس العهد و (السّـمات) جمع السّـمه و هى العلامه و (الميلاد) كالمولد وقت الولاده، و لم يسـتعمل فى الموضع كما توهّمه الشـارح البحرانى بـل مختص بالزّمـان، و المولـد يطلق على الوقت و الموضع كمـا صـرّح به الفيومى (و الملـل) جمع الملّه و هى الشـريعه و الدّين (و الأهواء) جمع هوا بالقصر إراده النّفس (و طرائق متشتّته) أى متفرقه و (الملحد) من الالحاد يقال الحد و لحد إذا حاد عن الطريق و عدل عنه و (الانقاذ) كالنّقذ و الاستنقاذ التّخليص و (المكان) مصدر بمعنى الكون.

## الاعراب

قوله عليه السّـلام: على ذلك متعلّق بالفعل الذى يليه، و اللاّم فى قوله لانجاز عدته تعليل للبعث متعلّق به، و مأخوذا و مشـهوره و كريمـا منصوبـات على الحـاليه من محمّـد صلّى اللّه عليه و آله، كمـا أنّ محلّ الجمله أعنى قوله عليه السّـلام: و أهل الارض اه، كـذلك،وملـل وأهواءوطرائقمرفوعات على الخبريّه من أهل الأرض، و إسـنادها إليه من باب التّوسّع، و الأصل ذو ملل متفرقه، و قيـل: إنّ المبتـدأ محـذوف أى مللهم ملـل متفرقه، و أهواؤهـم أهواء منتشـره، و طرائقهم طرائق متشـتّته، و بين ظرف متعلّق بقوله: متشـتّته، و هو من الظروف المبهمه لاـ يتبيّن معناه إلاّ بالاضافه إلى اثنين فصاعـدا أو ما يقوم مقامه كقوله تعالى: عوان بين ذلك، قال الفيومى فى المصباح: و المشهور فى العطف بعدها أن يكون بالواو، لأنّها للجمع المطلق، نحو المال بين زيد و عمرو، و أجاز بعضهم بالفاء مستدلاّ بقول امرء القيس: بين الدّخول فحومل، و أجيب بأن الدّخول اسم لمواضع شتى،

ص:۱۶۲

فهو بمنزله قولک المال بين القوم و بها يتمّ المعنى انتهى.

إذا عرفت ذلک فأقول: الظاهر أنّ کلمه أو فى قوله: أو ملحد، أو مشير، بمعنى الواو إجراء للفظ بين على ما هو الأصل فيه، مضافا إلى عدم معنى الانفصال هاهنا، و قول الشارح البحرانى، إنّ الانفصال هنا لمنع الخلوّ فاسد، ضروره أنّ بعض أهل الأرض عند بعثه النبىّ صلّى اللّه عليه و آله کان من أهل التّوحيد حسبما تعرفه و هؤلاء ليس داخلا فى أحد الأصناف الثلاثه فافهم جيّدا، و الباء فى بمکانه سببيّه، أى أنقذهم بسبب کونه و وجوده صلّى اللّه عليه و آله من الجهاله.

## المعنى

اعلم أنّه عليه السّلام ساق هذه الخطبه بما اقتضاه التّرتيب الطبيعى، أى من لدن آدم عليه السّلام إلى بعث محمّد صلّى اللّه عليه و آله و هدايه الخلق به و اقتباسهم من أنوار وجوده الذى هو المقصود العمده فى باب البعثه، فقال عليه السّلام (على ذلک) يعنى على هذا الاسلوب الذى ذکرناه من عدم إخلاء الارض و الخلق من الأنبياء و الحجج(نسلت القرون)و ولدت أو أسرعت، و هو کنايه عن انقضائها (و مضت الدّهور، و سلفت الآباء) أى تقدّموا و انقضوا (و خلفت الأبناء) أى جاءوا بعد آبائهم و صاروا خليفه لهم (إلى أن بعث اللّه) النّبىّ الأمّىّ العربىّ القرشىّ الهاشمىّ الابطحىّ التّهامىّ المصطفى من دوحه الرّساله، و المرتضى من شجره الولايه (محمّدا صلّى اللّه عليه و آله لانجاز عدته) التى وعدها لخلقه على ألسنه رسله السّابقين بوجوده عليه السّلام (و لاتمام نبوّته) الظاهر رجوع الضمير فيه الى اللّه سبحانه، و قيل: برجوعه إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله و لا يخلو عن بعد.

و ينبغى الاشاره إلى الحجج الذين لم يخل اللّه سبحانه خلقه منهم من لدن آدم عليه السّلام إلى بعث نبيّنا صلوات اللّه عليهم أجمعين فنقول:

روى الصّدوق فى الأمالى عن ابن المتوکل عن الحميرى عن ابن عيسى عن الحسن بن محبوب عن مقاتل بن سليمان عن أبى عبد اللّه الصّادق عليه السّلام، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: أنا سيّد النّبيّين، و وصيّى سيد الوصيّين، و أوصيائى ساده الأوصياء، إنّ آدم سأل اللّه عزّ و جلّ ان يجعل له وصيّا صالحا، فاوحى اللّه عزّ و جلّ إليه إنى أکرمت الأنبياء

بالنّبوه ثمّ اخترت خلقا (خلقی خ ل) و جعلت خیارهم الأوصیاء، فقال آدم: یا ربّ اجعل وصیّی خیر الأوصیاء، فأوحی اللّه عزّ و جلّ إلیه یا آدم اوص إلی شیث و هو هبه اللّه بن آدم، و أوصی شیث إلی ابنه شبان(۱) ، و هو ابن نزله الحوراء التی أنزلها اللّه علی آدم من الجنّه فزوّجها ابنه شیثا، و أوصی شبان إلی محلث،(۲) و أوصی محلث إلی محوق(۳) و أوصی محوق إلی عثمیا(۴) ، و أوصی عثمیا إلی اخنوخ و هو إدریس النّبیّ، و أوصی إدریس إلی ناخور(۵) و دفعها ناخور إلی نوح النّبیّ و أوصی نوح إلی سام، و أوصی سام إلی عثامر(۶) و اوصی عثامر إلی برغیثاشا(۷) ، و أوصی برغیثاشا إلی یافث، و أوصی یافث إلی بره، و أوصی بره إلی جفشیه(۸) ، و أوصی جفشیه إلی عمران، و دفعها عمران إلی ابراهیم الخلیل علیه السّلام، و أوصی ابراهیم إلی ابنه اسماعیل، و أوصی اسماعیل إلی إسحاق، و أوصی إسحاق إلی یعقوب، و أوصی یعقوب إلی یوسف، و أوصی یوسف إلی بریثا، و أوصی بریثا إلی شعیب، و دفعها شعیب إلی موسی بن عمران، و أوصی موسی بن عمران إلی یوشع بن نون، و أوصی یوشع بن نون إلی داود، و أوصی داود إلی سلیمان، و أوصی سلیمان إلی آصف بن برخیا و أوصی آصف بن برخیا إلی زکریا، و أوصی (دفعها خ ل) زکریّا إلی عیسی بن مریم و أوصی عیسی بن مریم إلی شمعون بن حمون الصّفا، و أوصی شمعون إلی یحیی(۹)



---

۱- (۱) بالشین المثلثه و الباء الموحده م

۲- (۲) بالحاء المهمله و الثاء المثلثه

۳- (۳) بالحاء المهمله و القاف م

۴- (۴) بالثاء المثلثه و المیم بعده الیاء م

۵- (۵) بالنون و الخاء المعجمه و فی بعض النسخ بالحاء المهمله

۶- (۶) بالعین المهمله و الثاء المثلثه و الراء اخیرا م

۷- (۷) بالغین المعجمه بعدها یاء تحتانیه و بعد الیاء ثاء مثلثه و آخر الحروف الف قبلها شین مثلثه، انوار

۸- (۸) بالجیم و الفاء و الشین المعجمه بعدها یاء تحتانیه، انوار

۹- (۹) الخبر یدل علی بقاء یحیی بن زکریا «علیه السلام» خلافا للمشهور و ینافی بعض الاخبار الداله علی نبوه یحیی قبل عیسی «علیه السلام» و ربما قیل بتعدد یحیی من زکریا و لا یخفی بعده، بحار الانوار

ابن زكريا، و أوصى يحيى بن زكريّا إلى منذر، و أوصى منذر إلى سليمه، و أوصى سليمه إلى برده.

ثمّ قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: و دفعها إليّ برده، و أنا أدفعها إليك يا عليّ، و أنت تدفعها إلى وصيّك، و يدفعها وصيّك إلى أوصيائك من ولدك واحدا بعد واحد حتى تدفع إلى خير أهل الأرض بعدك، و لتكفرنّ بك الامّه، و لتختلفن عليك اختلافا شديدا الثّابت عليك كالمقيم، و الشّاذ عنك فى النّار، و النّار مثوى للكافرين.

و قد مضى فى شرح قوله عليه السّلام: و اصطفى من ولده أنبياء أخذ على الوحى ميثاقهم، ما يوجب ازدياد البصيره فى المقام فراجعه و قوله عليه السّلام:(مأخوذا على النبيّين ميثاقه).

أقول: قد عرفت فى الفصل الرّابع عشر عند شرح قوله عليه السّلام: لمّا بدّل أكثر خلقه عهد اللّه إليهم، ما دلّ على أخذ ميثاق جميع الخلق على توحيد اللّه تعالى و نبوّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله و إمامه الأئمه عليهم السّلام فى عالم الميثاق.

و ينبغى أن نذكر هنا بعض ما يفيد أخذ ميثاق النبيّين بخصوصهم سلام اللّه عليهم، فأقول: قال سبحانه فى سوره آل عمران:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ النَّبِيِّينَ لَما آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتابٍ وَ حِكْمَهٍ ثُمَّ جاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلى ذلِكُمْ إِصْرِى قالُوا أَقْرَرْنا قالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشّاهِدِينَ ».

قال الطبرسىّ عند تفسير الآيه: و روى عن أمير المؤمنين عليه السّلام و ابن عبّاس و قتاده أنّ اللّه أخذ الميثاق على الأنبياء قبل نبيّنا صلّى اللّه عليه و آله أن يخبروا أممهم بمبعثه و رفعته، و يبشّروهم به و يأمروهم بتصديقه.

و قال أيضا: و قد روى عن علىّ عليه السّلام أنّه قال، لم يبعث اللّه نبيّا آدم و من

بعده إلّا أخذ علیه العهد لئن بعث اللّه محمّدا و هو حیّ لیؤمننّ به و لینصرنّه، و أمره بأن أخذ العهد بذلک علی قوله و فی تفسیر علیّ بن ابراهیم القمیّ قال الصّادق علیه السّلام فی قوله:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ » - الآیه» کان المیثاق مأخوذا علیهم بالرّبوبیّه و لرسوله صلّی اللّه علیه و آله بالنّبوّه و لأمیر المؤمنین و الأئمه علیهم السّلام بالامامه فقال «أ لست بربّکم» و محمّد نبیّکم و علیّ إمامکم و الأئمه الهادون أئمتکم؟ فقالوا: بلی، فقال اللّه تعالی.

«أَنْ تَقُولُوا یَوْمَ الْقِیامَهِ » أی لئلاّ تقولوا یوم القیامه «إِنّا کُنّا عَنْ هذا غافِلِینَ » فأوّل ما أخذ اللّه عزّ و جلّ المیثاق علی الأنبیاء بالرّبوبیّه و هو قوله: «وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِیِّینَ مِیثاقَهُمْ » فذکر جمله الأنبیاء ثمّ أبرز أفضلهم بالأسامی فقال: «وَ مِنْکَ » یا محمّد فقدّم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأنّه أفضلهم «وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِیمَ وَ مُوسی وَ عِیسَی ابْنِ مَرْیَمَ » فهؤلاء الخمسه أفضل الأنبیاء، و رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أفضلهم، ثم أخذ بعد ذلک میثاق رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی الأنبیاء بالایمان به و علی أن ینصروا أمیر المؤمنین، فقال:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللّهُ مِیثاقَ النَّبِیِّینَ لَما آتَیْتُکُمْ مِنْ کِتابٍ وَ حِکْمَهٍ ثُمَّ جاءَکُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِما مَعَکُمْ » یعنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله «لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ » یعنی أمیر المؤمنین علیه السّلام تخبروا اممکم بخبره و خبر ولیّه من الأئمه.

و فی البحار عن کشف الغمّه من کتاب بکر بن محمّد الشّامی باسناده عن أبی الصّباح الکنانی عن جعفر بن محمّد علیهما السّلام قال: أتی رجل أمیر المؤمنین علیه السّلام و هو فی مسجد الکوفه قد احتبی بسیفه، قال: یا أمیر المؤمنین إنّ فی القرآن آیه قد أفسدت قلبی و شککتنی فی دینی، قال علیه السّلام له: و ما هی؟ قال: قوله عزّ و جلّ:

«وَ سْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رُسُلِنا » هل کان فی ذلک الزّمان نبیا غیره صلّی اللّه علیه و آله یسأله؟ فقال له علیّ علیه السّلام: اجلس اخبرک إنشاء اللّه إنّ اللّه عزّ و جلّ یقول فی کتابه:

«سُبْحانَ الَّذِی أَسْری بِعَبْدِهِ لَیْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَی الْمَسْجِدِ الْأَقْصَی الَّذِی بارَکْنا حَوْلَهُ لِنُرِیَهُ مِنْ آیاتِنا » فکان من آیات اللّه عزّ و جلّ التی أراها محمّدا صلّی اللّه علیه و آله أنّه أتاه جبرئیل فاحتمله من مکه فوافی به بیت المقدّس فی ساعه من اللّیل، ثمّ أتاه بالبراق فرفعه إلی السّماء، ثم إلی البیت المعمور، فتوضّأ جبرئیل و توضّأ النّبی صلّی اللّه علیه و آله کوضوئه، و أذّن جبرئیل و أقام مثنی مثنی، و قال للنّبیّ: تقدم فصلّ و اجهر بصلاتک فانّ خلفک افقا من الملائکه لا یعلم عددهم الاّ اللّه، و فی الصّف الأوّل أبوک آدم و نوح و هود و ابراهیم و موسی و کلّ نبیّ أرسله اللّه منذ خلق السّماوات و الأرض إلی أن بعثک یا محمّد، فتقدّم النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فصلّی بهم غیر هائب و لا محتشم رکعتین، فلمّا انصرف من صلاته أوحی اللّه إلیه اسأل من أرسلنا من قبلک من رسلنا الایه، فالتفت إلیهم النبی صلّی اللّه علیه و آله، فقال بم تشهدون؟ قالوا: نشهد أن لا إله الا اللّه وحده لا شریک له، و أنّک رسول اللّه، و أنّ علیّا أمیر المؤمنین و وصیّک و کلّ نبیّ مات خلّف وصیّا من عصبته غیر هذا، و أشاروا إلی عیسی بن مریم، فانّه لا عصبه له، و کان وصیّه شمعون الصّفا ابن حمون بن عمامه، و نشهد أنّک رسول اللّه سیّد النّبیّین، و أنّ علیّ بن ابی طالب علیه السّلام سیّد الوصیّین، اخذت علی ذلک مواثیقنا لکما بالشّهاده، فقال الرّجل أحییت قلبی و فرّجت عنّی یا أمیر المؤمنین.

و فیه أیضا عن بصائر الدّرجات باسناده عن حمران عن أبی جعفر علیه السّلام، قال: إنّ اللّه تبارک و تعالی أخذ المیثاق علی اولی العزم أنّی ربّکم و محمّد رسولی و علیّ أمیر المؤمنین و أوصیاؤه من بعده ولاه أمری و خزّان علمی، و أنّ المهدیّ

أنتصر به لدينى.

إلى غير هذه مما يطلع عليه المتتبع (مشهوره سماته) إى صفاته و علاماته فى الكتب المنزله و الصّحف السّماويه من التّوراه و الزّبور و الانجيل و صحف ابراهيم و دانيال و كتاب زكريا و شعيا و غيرها، قال سبحانه فى سوره البقره:

«اَلَّذِينَ آتَيْناهُمُ الْكِتابَ يَعْرِفُونَهُ كَما يَعْرِفُونَ أَبْناءَهُمْ » يعنى يعرفون محمّدا صلّى اللّه عليه و آله بنعته و صفته و مبعثه و مهاجره و صفه أصحابه كما يعرفون أبنائهم فى منازلهم، و قال أيضا فى سوره الأعراف:

«اَلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْراةِ وَ الْإِنْجِيلِ » روى العياشى عن الباقر عليه السّلام يعنى اليهود و النّصارى صفه محمّد و اسمه.

و فى الصّافى عن المجالس عن أمير المؤمنين عليه السّلام فى حديث قال يهودى لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّى قرأت نعتك فى التّوراه محمّد بن عبد اللّه، مولده بمكه، و مهاجره بطيبه ليس بفظّ و لا غليظ و لا سخاب(۱) و لا مترنن(۲) بالفحش و لا قول الخنا، و أنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه و أنّك رسول اللّه، هذا مالى فاحكم فيه بما انزل اللّه.

و فى الكافى عن الباقر عليه السّلام لما انزلت التّوراه على موسى بشّر بمحمد صلّى اللّه عليه و آله، قال: فلم تزل الأنبياء تبشّر به حتّى بعث اللّه المسيح عيسى بن مريم عليه السّلام فبشّر بمحمد صلّى اللّه عليه و آله، و ذلك قوله: يجدونه، يعنى اليهود و النّصارى، مكتوبا، يعنى صفه محمّد عندهم، يعنى فى التّوراه و الانجيل، و هو قول اللّه عزّ و جلّ يخبر عن عيسى:

«وَ مُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » و قد مضى تمامه عند شرح قوله عليه السّلام: و اصطفى من ولده أنبياء، أخذ على الوحى ميثاقهم اه.

ص:۱۶۸

---

۱- (۱) السحب محركه الصخب و الصخب شده الصوت قاموس

۲- (۲) الترنن هو التصوت لغه

و فی الکافی أیضا مرفوعا أنّ موسی علیه السّلام ناجاه ربّه تبارک و تعالی، فقال فی مناجاته: اوصیک یا موسی وصیّه الشّفیق المشفق بابن البتول عیسی بن مریم، و من بعده بصاحب الجمل الأحمر الطیب الطاهر المطهّر، فمثله فی کتابک أنّه مهیمن(۱) علی الکتب کلّها، و أنّه راکع ساجد راغب راهب(۲) ، إخوانه المساکین و أنصاره قوم آخرون (کریما میلاده) أی وقت ولادته صلّی اللّه علیه و آله، فقد تولد و کان طالع ولادته علی ما حکاه المجلسی قده عن أبی معشر: الدّرجه العشرون من جدی، و کان زحل و المشتری فی العقرب، و المریخ فی بیته فی الحمل، و الشمس فی الحمل فی الشّرف، و الزهره فی الحوت فی الشّرف، و العطارد أیضا فی الحوت، و القمر فی أوّل المیزان، و الرّأس فی الجوزاء، و الذّنب فی القوس.

و روی أیضا اتّفاق الحکماء علی أنّ طالعه صلّی اللّه علیه و آله المشتری و العطارد و الزّهره و المرّیخ، و قالوا إنّ نظر المشتری علامه العلم و الحکمه و الفطنه و الکیاسه و الرّیاسه له صلّی اللّه علیه و آله، و إنّ نظر العطارد کان آیه لطافته و ظرافته و ملاحته و فصاحته و حلاوته صلّی اللّه علیه و آله، و إنّ نظر الزّهره دلیل صباحته و سروره و بشاشته و حسنه و طیبه و بهائه و جماله و دلاله صلّی اللّه علیه و آله، و إنّ نظر المرّیخ علامه شجاعته و جلادته و محاربته و قتاله و قهره و غلبته.

و أمّا تاریخ ولادته صلّی اللّه علیه و آله فقد قال فی الکافی: إنّه ولد صلّی اللّه علیه و آله لاثنتی عشره لیله مضت من شهر ربیع الأوّل فی عام الفیل(۳) یوم الجمعه مع الزّوال.

و روی أیضا عند طلوع الفجر قبل أن یبعث بأربعین سنه، و حملت به أمّه أیّام التّشریق عند الجمره الوسطی، و کانت فی منزله عبد اللّه بن عبد المطلب و ولدته



---

۱- (۱) المهیمن هو المؤتمن و قیل الشاهد و قیل الرقیب منه

۲- (۲) الرهبه هو الخوف

۳- (۳) ای فی عام هجوم اصحاب الفیل علی مکه و قیل ان ولادته کانت بعد هلاک اصحاب الفیل بخمسه و خمسین یوما و قیل بخمسه و اربعین و قیل بعده بثلاثین سنه و قیل تولد فی یوم هلاکهم و اللّه العالم، منه

فی شعب أبی طالب فی دار(۱) محمّد بن یوسف فی الزّاویه القصوی عن یسارک و انت داخل فی الدّار، و قد اخرجت الخیزران ذلک البیت فصیّروه مسجدا یصلّی النّاس فیه، انتهی کلامه رفع مقامه.

أقول: أمّا ما ذکره من کون تولّده فی ثانی عشر من شهر ربیع الأوّل فهو المشهور بین الجمهور و لعلّه (ره) و افقهم علی ذلک تقیّه، و لبعض العامّه قول بکونه فی ثامن ذلک الشّهر، و قول آخر بأنّه فی عاشره و قول شاذّ بکونه فی شهر رمضان.

و المشهور فی أخبارنا و بین أصحابنا بل المدّعی علیه إجماعنا فی جمله من العبایر أنّ تولّده صلّی اللّه علیه و آله فی السّابع عشر.

و أمّا ما ذکره من أنّ أمّه حملت به فی أیام التّشریق عند الجمره الوسطی یستلزم بقائه فی بطن أمّه إمّا ثلاثه أشهر أو سنه و ثلاثه أشهر مع أنّه خلاف ما اتّفق علیه أصحابنا من کون أقلّ مدّه الحمل ستّه أشهر و أکثرها تسعه، و لم یقل أحد أیضا بکون ذلک من خصائصه و لا وردت علیه روایه.

و أجاب عنه جمع من الأصحاب کالمجلسی (ره) و المحدّث الجزایری (ره) و غیرهما بأنّه مبنیّ علی النسیء المراد بقوله:

«إِنَّمَا النَّسِیءُ زِیادَهٌ فِی الْکُفْرِ » و ذلک أنّ المشرکین کانوا یؤخّرون موسم الحجّ، فمرّه کانوا یحجّون فی صفر و اخری فی محرّم و هکذا، تبعا لاعتدال الوقت و الهواء و کان حجّهم فی سنه تولّده فی جمادی الآخره.

قال الجزائری و یؤیّده ما رواه ابن طاوس فی کتاب الاقبال أنه صلّی اللّه علیه و آله حملت به امّه فی ثمان عشر مضت من جمادی الآخره، و لمّا فتح النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله مکّه کان



---

۱- (۱) لا یخفی ان تولده کان فی بیته صلّی اللّه علیه و آله و اعطی ذلک البیت لعقیل بن ابی طالب و باعه عقیل لمحمد بن یوسف الثقفی اخ الحجاج فادخله فی بیته و قد اخرجت الخیزران ام هارون لعنه اللّه فی ایام خلافته ذلک البیت من بیت محمد بن یوسف فصیرته مسجدا و الان باق علی المسجدیه منه،

حجّهم فی شهر ذی الحجّه فقال الآن دار الزّمان کما کان فلا یجوز لأحد تغییره و لا تبدیله انتهی.

و کیف کان فقد کان مولده علی مذهب الشّیعه الیوم السّابع عشر من شهر ربیع الأوّل و بعث للرّساله یوم السّابع و العشرین من رجب و له حینئذ أربعون سنه (و) قد کان (أهل الأرض یومئذ) أی یوم بعثه و تصدیعه بالرّساله ذی (ملل) و شرایع (متفرّقه و أهواء) أی آراء (منتشره و طرائق) أی مسالک (متشتته) و متفرّقه و مذاهب مختلفه (بین مشبّه للّه بخلقه، او ملحد فی اسمه، أو مشیر إلی غیره).

قال الشّارح المعتزلی: إنّ العلماء یذکرون أنّ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله بعث و النّاس أصناف شتّی فی أدیانهم، یهود و نصاری و مجوس و صابئون و عبده أصنام و فلاسفه و زنادقه، فأمّا الامه التی بعث فیها محمّد صلّی اللّه علیه و آله فهم العرب و کانوا أصنافا شتی، فمنهم معطله، و منهم غیر معطله، فأمّا المعطله منهم فبعضهم أنکر الخالق و البعث و الاعاده و قالوا: ما قال القرآن العزیز منهم:

«ما هِیَ إِلاّ حَیاتُنَا الدُّنْیا نَمُوتُ وَ نَحْیا وَ ما یُهْلِکُنا إِلاَّ الدَّهْرُ » فجعلوا الجامع لهم الطبع و المهلک الدّهر، و بعضهم اعترف بالخالق سبحانه و أنکر البعث، و هم الذین أخبر سبحانه عنهم بقوله:

«قالَ مَنْ یُحْیِ الْعِظامَ وَ هِیَ رَمِیمٌ » و منهم من أقرّوا بالخالق و نوع من الاعاده، و أنکروا الرّسل و عبدوا الأصنام و زعموا أنّها شفعاء عند اللّه فی الآخره و حجّوا لها و نحروا لها الهدی و قرّبوا لها القربان و حلّلوا و حرّموا، و هم جمهور العرب، و هم الذین قال اللّه تعالی عنهم:

«وَ قالُوا ما لِهذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعامَ وَ یَمْشِی فِی الْأَسْواقِ » و کانوا فی عباده الأصنام مختلفین، فمنهم من یجعلها مشارکه للباری جلّ اسمه و یطلق علیها لفظ الشّریک، و منهم من لا یطلق علیها لفظ الشّریک و یجعلها وسائل

و ذرایع إلی الخالق سبحانه و هم الذین قالوا:

«إِنَّما نَعْبُدُهُمْ «لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللّهِ زُلْفى » و کان فی العرب مشبّهه و مجسّمه، و کان جمهورهم عبده الأصنام فکان ودّ لکلب بدومه(۱) الجندل، و سواع(۲) لهذیل و نسر لحمیر، و یغوث لهمدان، و اللّات لسقیف بالطایف، و العزّی لکنانه و قریش و بعض بنی سلیم، و مناه لغسان و الأوس و الخزرج، و کان هبل لقریش خاصّه علی ظهر الکعبه، و اساف(۳) و نائله علی الصّفا و المروه، و کان فی العرب من یمیل إلی الیهودیّه، منهم جماعه من التّبابعه(۴) و بلوک الیمن، و منهم نصاری کبنی تغلب و العبادیین رهط عدیّ بن زید و نصاری نجران، و منهم من کان یمیل إلی الصّابئه(۵) و یقول بالنجوم و الانواء(۶) ، فامّا الّذین لیسوا بمعطله من العرب فالقلیل منهم و هم المتألهون أصحاب الورع و التّحرج عن القبایح، کعبد اللّه و عبد المطلب و ابی طالب و زید بن عمرو بن نفیل و قس بن ساعده الأیادی، و جماعه غیر هؤلاء، انتهی باختصار منّا.



---

۱- (۱) دومه الجندل حصن بین المدینه و الشام و هو اقرب الی الشام من المدینه

۲- (۲) سواع اسم صنم کان یعبد فی زمن نوح ثم صار لهذیل

۳- (۳) اساف ککتاب و سحاب اسم صنم وضعها عمرو بن یحیی علی الصفا و نائله علی المروه و کان یذبح علیهما تجاه الکعبه و هما اساف بن عمرو و نائله بنت سهل کانا شخصین من جرهم ففجرا فی الکعبه فسخا حجرین فعبدتهما قریش و قالوا لولا ان اللّه رضی ان یعبد هذان معه ما حولهما عن حالهما مجمع البحرین.

۴- (۴) جمع تبع کسکر من بلوک حمیر

۵- (۵) الصابئه من صبأ فلان خرج من دینه الی دین آخر و صبات النجوم خرجت من مطالعها قیل اصل دینهم دین نوح فمالوا عنه و قیل الصابئون لقب لقب به طائفه من الکفار یقال انها تعبد الکواکب فی الباطن، مجمع البحرین.

۶- (۶) جمع نوء و هو النجم، طریحی

إذا عرفت هـذا فأقول: قوله عليه السّلام بين مشبّه للّه بخلقه، إشاره إلى بعض هذه الفرق، و هم المشبّهه الذين شبّهوا اللّه تعالى بالمخلوقات و مثلوه بالحادثات و أثبتوا له صفات الجسم.

فمنهم مشبّهه الحشويّه، قالوا: هو جسم لا ـ كالأجسام، و مركب من لحم و دم لا كاللّحوم و الدّماء، و له الأعضاء و الجوارح، و يجوز عليه الملامسه و المعانقه و المصافحه للمخلصين.

و منهم الذين قالوا: إنّ اللّه على العرش من جهه العلوّ مماسّ له من الصّفحه العليا، و يجوز عليه الحركه و الانتقال، قال اميّه بن ابى الصلت:

من فوق عرش جالس قد حطّ رجليه على كرسيّه المنصوب.

و منهم اليهود و النّصارى الذين قالوا:

«نَحْنُ أَبْناءُ اللّهِ وَ أَحِبّاؤُهُ »، وَ «قالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللّهِ وَ قالَتِ النَّصارى الْمَسِيحُ ابْنُ اللّهِ » و قالت اليهود: «يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ ».

و قد أثبتوا له سبحانه يدا و ولدا إلى غير هؤلاء من المشبّهه و المجسّمه.

و قوله عليه السّلام: أو ملحد فى اسمه اشاره إلى فرقه اخرى من هذه، و هم الذين يعدلون بأسماء اللّه تعالى عمّا هى عنه فيسمّون بها أصنامهم، و يغيّرونها بالزّياده و النّقصان، فاشتقّوا اللاّت من اللّه، و العزّى من العزيز، و مناه من المنان و هذا المعنى حكاه الطبرسى عن ابن عبّاس و مجاهد فى تفسير قوله تعالى:

«وَ لِلّهِ الْأَسْماءُ الْحُسْنى فَادْعُوهُ بِها وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمائِهِ » ثم قال: و قيل: إنّ معنى يلحدون فى أسمائه يصفونه بما لا يليق به، و يسمّونه بما لا يجوز تسميته به، و هذا الوجه أعمّ فائده، و يدخل فيه قول الجبائى: أراد تسميتهم المسيح بأنّه ابن اللّه، ثمّ قال و فى هذا دلاله على أنّه لا يجوز أن يسمّى اللّه إلاّ بما سمّى به نفسه.

ص:١٧٣

و قوله عليه السّلام: أو مشير إلى غيره إشاره إلى الدّهريّه و بعض عبده الأصنام ممّن لم يدخل فى القسمين السّابقين.

و الحاصل أنّ النّاس عند بعث النبىّ صلّى اللّه عليه و آله كانوا على مذاهب مختلفه، و آراء متفرّقه من اليهوديّه و النّصرانيّه و المجوسيّه و الدّهريّه و عبده الأصنام و غيرهم (فهداهم اللّه) سبحانه (به) صلّى اللّه عليه و آله أى بنور وجوده (من الضّلاله) و الغوايه (و أنقذهم بمكانه) أى خلصهم و أنجاهم بكونه و وجوده (من) ظلمه (الجهاله) فانجلى به عين قلوب العارفين، و اضمحلّ باطل الشّيطان بما جاء به من الحقّ اليقين.

### الترجمه

پس بر اين منوال منقضى مى شد قرنها و مى گذشت روزگارها، و از پيش رفتند پدران و از پس در آمدند و خليفه شدند پسران، تا اين كه برانگيخت خداوند عالم محمّد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و آله را بجهت روا كردن وعدهٔ خود كه بانبياء گذشته داده بود، و بجهت تمام فرمودن نبوّت خود در حالتى كه فرا گرفته بود بر پيغمبران عهد و پيمان او را در حالتى كه مشهور و معروف بود علامات و صفات او در كتب سماويّه و صحف منزله، و در حالتى كه شريف و عزيز بود وقت ولادت او و حال آنكه اهل زمين در روز بعثت او صاحبان ملل و مذاهب متفرقه بودند، و خداوندان هواها و رأيهاى پراكنده و صاحبان راههاى مختلف در ميان، تشبيه كنندهٔ حق تعالى بمخلوقات خود و عدول كننده در اسماء حسناى او و إشاره كننده بر غير او، پس هدايت و راهنمائى فرمود ايشان را بنور وجود او از گمراهى، و خلاص فرمود آنها را بجهت هستى او از جهالت و نادانى.

## الفصل السابع عشر

### اشاره

ثمّ اختار سبحانه لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله لقائه، و رضى له ما عنده فأكرمه عن دار الدّنيا، و رغب به عن مقارنه (مقام خ ل) البلوى، فقبضه إليه

ص:۱۷۴

کریما صلّی اللّه علیه و آله، و خلّف فیکم ما خلّفت الانبیاء فی أممها، إذ لم یترکوهم هملا بغیر طریق واضح، و لا علم قائم، کتاب ربّکم مبیّنا حلاله و حرامه، و فضائله و فرائضه، و ناسخه و منسوخه، و رخصه و عزائمه، و خاصّه و عامّه، و عبره و أمثاله، و مرسله و محدوده، و محکمه و متشابهه، مفسّرا جمله، و مبیّنا غوامضه، بین مأخوذ میثاق علمه، و موسّع علی العباد فی جهله، و بین مثبت فی الکتاب فرضه، و معلوم فی السّنّه نسخه، و واجب فی السّنّه أخذه، و مرخّص فی الکتاب ترکه، و بین واجب لوقته، و زایل فی مستقبله، و مباین بین محارمه، من کبیر أوعد علیه نیرانه، أو صغیر أرصد له غفرانه، و بین مقبول فی أدناه، و موسّع فی أقصاه.

### اللغه

(رغب) بالکسر من باب تعب إذا تعدی بکلمه فی فبمعنی الاراده و المیل، و إذا عدّی بعن فبمعنی الاعراض و العدول، یقال: رغب فیه رغبا و رغبه إذا أراده و رغب عنه إذا لم یرده و أعرض عنه و (البلوی) و البلاء بمعنی واحد و (خلّفوا) أثقالهم تخلیفا خلّوها وراء ظهورهم و (الهمل) محرکه مصدر همل کضرب یقال: ترکت الابل و الغنم و نحوهما هملا، أی سدی یرعی بعیر راع لیلا و نهارا، و الهمل أیضا جمع هامل مثل همّل و همال و زان رکع و کتاب، یقال: بغیر هامل أی راع و لا راعی له و (العلم) هو العلامه و ما ینصب فی الطریق لاهتداء النّاس به من المیل و المنار و (الفضایل) جمع الفضیله و هو الخیر، و هو خلاف النقیصه و (الفرائض) جمع الفریضه بمعنی المفروضه، و هی الأحکام الواجبه یقال: فرض اللّه الأحکام أی أوجبها و (النّسخ)

إزاله مـا كـان ثابتـا و (الرّخص) جمع الرّخصه كغرف و غرفه و هو التّسـهيل فى الأـمر و التّيسـير يقال: رخص الشّرع لنا فى كـذا ترخيصـا و ارخص إرخاصـا إذا يسّـره و سـهله و (العزائـم) جمـع العزيمه و فسـرها أهـل اللغه بـالفريضه و الظـاهر بقرينه المقـابله بـالرّخص إراده الفرائض المشـتمله على الجـدّ و الضّـيق و (العبر) جمع عبره و هو الاعتبـار و الاتعـاظ بما مضـى و (المحكم) من اللّفـظ ما اتّضـح دلالته و (المتشابه) خلافه و (غمض) الحقّ غموضا من باب قعـد خفى و نسب غامض لا يعرف و (المباين) بفتح الياء مفعول من باين بمعنى المفاصل و (ارصد له) أى أعدله.

## الاعراب

كريمـا حـال من مفعول قبضه،و كلمهمـامفعول لقوله خلف مجـازا، و الاصـل مثـل مـا خلّفت، و إذ لـم يـتركوهم تعليـل لتخليف الأنبيـاء، و كتـاب منصوب على أنّه عطف بيـان لمـا، و مبيّنـا حـال من فاعـل خلّف، و هو العامـل فيه، و مفسّـرا حال بعـد حال، و الضّـماير كلها راجعه إلى الكتاب المشـتمل على الأحكام المـذكوره، و بين مأخوذ متعلق بمقدّر حال من الكتاب، أى حال كون ذلك الكتاب دائرا بين مأخوذ، و مباين بالجرّ عطف على سابقه أى بين مباين بين محارمه.

و مـا توهّمه الشّـارح المعتزلى و تبعه غيره من أنّ الواجب كونه بـالرّفع لاـ بالجرّ نظرا إلى أنّه ليس معطوفا على ما قبله، بـدليل أنّ جميع مـا قبله يستدعى الشـيء و ضـدّه، أو الشـيء و نقيضه و قوله و مبـاين بين محـارمه لا نقيض و لا ضـدّ له، لأنّه ليس القرآن العزيز على قسـمين أحـدهما مبـاين بين محارمه، و الآخر غير مباين، فانّ ذلك لا يجوز، فوجب رفع مباين و أن يكون خبر مبتـدأ محـذوف فيه أنّه إن أراد أنّ كلمه بين يسـتدعى الاضـافه إلى اثنين فصاعـدا نقيضـا كان أحـدهما للآخر أو ضـدّا نظرا إلى عـدم تماميّه المعنى بـدونهما، ففيه منع ذلك، لما قـد عرفت فى الفصل السّابق من تجويزهم إضافته إلى شـيء واحد يقوم مقام شـيئين كما فى قوله تعالى: عوان بين ذلك، و قول امرء القيس: بين الدّخول فحومل، حيث

ردّوا من جوّز العطف بعدها بالفاء، استدلالا بالبيت المذكور بأنّ الدّخول اسم لمواضع شتى.

و إن أراد أنّ جميع ما ذكره عليه السّلام قبل قوله و مباين ممّا اقحم فيه كلمه بين قد ذكر عليه السّلام فيه الشيء و ضدّه أو الشيء و نقيضه، و مباين لو كان مجرورا بالعطف للزم أن يذكر له ضدّا و نقيض و ليس فليس، ففيه أنّ كون ما قبله على النّسق المذكور لا يستدعى كون ذلك على ذلك النّسق أيضا، ألا ترى إلى قوله عليه السّلام بعد ذلك بين محارمه حيث لم يذكر له ضدّ و لا نقيض فان قلت: إنّ المحارم لما لم تكن شيئا واحدا بل بعضها من قبيل الكبائر و بعضها من قبيل الصّغائر كما بينها بقوله عليه السّلام: من كبير أوعد عليه نيرانه أو صغيراه لا جرم حسن الاكتفاء بها فى مقام الاضافه قلت: أوّلا إنّ هذا هدم لما أسّسته، و ثانيا أنّ المباين ليس أيضا شيئا واحدا شخصيّا، بل هو مثل المحارم، و بعباره اخرى الحرمه المباينه بين المحارم تابعه للمحارم فى تعدّد الأفراد فافهم جيّدا و أمّا قوله: لأنّ القرآن العزيز ليس على قسمين، أحدهما مباين، و الآخر غير مباين، ففيه ان ذلك مما تضحك منه الثكلى، ضروره أنّ الكتاب ليس منحصرا فى المباين، بل بعضه جدل و بعضه قصص و بعضه مثل و بعضه أحكام و بعضه ترغيب و بعضه ترهيب، كما أنّ بعضه مباين بين محارمه إلى غير ذلك ممّا اشتمل عليه، و بالجمله فقد تلخص ممّا ذكرنا كله أنّ مباين مجرور معطوف على ما قبله و ليس بمرفوع على أنّه خبر مبتدأ محذوف، مضافا إلى أن جعله مرفوعا خلاف ما يستفاد(۱) من سياق كلامه عليه السّلام سابقا و لاحقا.



---

۱- (۱) يعنى ان توسط قوله و مباين بين قوله عليه السّلام بين مأخوذ ميثاق علمه الى قوله و زايل فى مستقبله و بين قوله عليه السّلام و بين مقبول فى ادناه اه يفيد كونه جاريا على ذلك النّسق بان يكون مجرورا بكلمه بين أيضا جريا للكلام على نسق واحد، منه

## المعنی

## اشاره

(ثمّ) إنّ محمّدا صلّى اللّه عليه و آله لمّا بلّغ الرّساله و أدّى الأمانه و أكمل الدّين و أتمّ النّعمه و هدى الأمّه من الضّلاله و أنقذها من الجهاله (اختار) اللّه (سبحانه) عند ذلك له أى (لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله لقائه، و رضى له ما عنده) ممّا لا عين رأت و لا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر (فأكرمه) و أعزّه (عن) اللبث و البقاء فى (دار الدّنيا، و رغب به) و صرفه (عن) اقامه (مقام) المحنه و (البلوى فقبضه) أى قبض روحه الشّريف (إليه) أى إلى قربه الروحانى حالكونه (كريما) شريفا (صلّى اللّه عليه و آله) و كان قبضه صلّى اللّه عليه و آله لاثنتى عشره ليله مضت من ربيع الأوّل يوم الاثنين، و هو ابن ثلاث و ستّين سنه على ما فى الكافى، و الاشهر أنّه لليلتين بقيتا من صفر، و لم يمض صلّى اللّه عليه و آله حتّى بين للناس معالم دينهم، و أوضح لهم سبيلهم، و لم يتركهم بعده سدى و هملا، بل خلف فيهم الثقلين على ما دلّ عليه الحديث المتواتر بين الفريقين و يأتى إنشاء اللّه فى شرح المختار السّادس و الثّمانين و غيره من المقام اللايق و المناسب و من جمله طرقه الصّدوق: قال: حدّثنا أحمد بن الحسن القطان، قال: حدثنا الحسن بن علىّ بن الحسين السكرى عن محمّد بن زكريا الجوهرى عن جعفر بن محمّد ابن عماره عن أبيه عن الصّادق جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن على عن أبيه علىّ بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه علىّ بن أبى طالب سلام اللّه عليهم، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّى مخلف فيكم الثقلين: كتاب اللّه و عترتى أهل بيتى، و أنّهما لن يفترقا حتّى يردا علىّ الحوض كهاتين، و ضمّ بين سبّابتيه، فقام إليه جابر بن عبد اللّه، فقال: يا رسول اللّه من عترتك؟ قال صلّى اللّه عليه و آله: علىّ و الحسن و الحسين و الأئمه من ولد الحسين عليهم السّلام إلى يوم القيامه.

و إلى ذلك المعنى أشار عليه السّلام بقوله:(و خلف فيكم) أى خلّى وراء ظهره مثل (ما خلفت الأنبياء) السّابقه و الرّسل السّالفه (فى اممها) من آثار النّبوه و اعلام الرّساله (إذ لم يتركوهم هملا) أى لم يتركوا اممهم يفعلون ما يشاءون كالابل التى رعت حيث تشاء و لا راعى لها ليلا و نهارا، و يحتمل الجمع على ما مرّ أى لم

يتركوهم هاملين (بغير طريق واضح) يوصل إلى مقام القرب و الزلفى (و لا علم قائم) بينهم ينجى بهم عن ورطه الهلاكه و الرّدى أقول: قد عرفت فى الفصل السّادس عشر أنّ بعث الأنبياء و الحجج عليهم السّلام إنّما هو لأن يدعوا الخلق إلى الحقّ بالحكمه و الموعظه الحسنه، و ليكونوا سببا لانتظام أمر معاشهم و معادهم، لمكان ما جاءوا به من القانون العدل و الشّرع السّواء، و لأجل ذلك مست الحاجه على أن يأتوا من عنده سبحانه بكتاب باق و علم قائم بعد انقراض قرن النبى المبعوث إلى زمن مجيء بعث النبىّ الاخر، ليكون تذكره لهم، وكيلا يندرس آثار النبوّه من الأرض و لا تنقطع بفقدانهم، و لا يكون الخلق ينسون ما ذكروا به و غافلين و كالهمل من الحيوان يعملون ما يشتهون، أو كالهمج الرّعاع لكلّ ناعق يصغون، و لمّا كان شرع نبينا صلّى اللّه عليه و آله مستمرّا إلى يوم القيامه وجب له أن يخلّف لمن يليه ما يكون ذكرى و تذكره فى هذه المدّه المتطاوله و قد خلّف الثقل الأكبر مضافا إلى الثقل الاصغر و هو حبل ممدود من السماء إلى الارض ينجى به من المهالك و من فارقه فهالك و بيّن فيه الحلال و الحرام و الحدود و الأحكام و جميع ما يحتاج إليه النّاس كملا، و كما جعله اللّه سبحانه خاتما للأنبياء فقد جعل كتابه خاتما للكتب، فلا كتاب بعده أحلّ فيه حلالا و حرّم حراما، فحلاله حلال إلى يوم القيامه و حرامه حرام إلى يوم القيامه فيه شرعكم و خبر من قبلكم و خبر من بعدكم و هو (كتاب ربّكم) و جعله النبى صلّى اللّه عليه و آله علما باقيا و طريقا قائما بين امّته حالكونه (مبيّنا حلاله و حرامه) كما قال تعالى:

«أَحَلَّ اللّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبا » و قد يجعل الحلال أعمّ من المباح و المكروه ليكون ذلك مع قوله عليه السّلام:(و فضائله و فرائضه) إشاره إلى الأحكام الخمسه التى عليها مدار الفقه، ليكون الفضائل إشاره إلى المندوبات، و الفرائض إشاره إلى الواجبات، و ذلك مثل قوله سبحانه:

«فَإِذا قَضَيْتُمُ الصَّلاةَ فَاذْكُرُوا اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِكُمْ »

«فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ كانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتاباً مَوْقُوتاً » فانّ ذكر اللّه سبحانه بعد قضاء الصّلاه و فعلها داخل فى المندوبات، و إقامه الصّلاه بعد الاطمينان موقوته مفروضه (و ناسخه و منسوخه) و المراد بالأوّل الحكم الرّافع للحكم الثّابت بالنصّ المتقدّم، و يسمّى الثّانى و هو الحكم المرفوع منسوخا، و مثال ذلك قوله تعالى:

«وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ »(۱) فانّه منسوخ بقوله تعالى:

«وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ » و بقوله: «وَ لا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوافِرِ » كما يدلّ عليه ما رواه فى الكافى عن الحسن بن الجهم قال: قال لى أبو الحسن الرّضا عليه السّلام: يا با محمّد ما تقول فى رجل يتزوّج نصرانيّه على مسلمه؟ قلت جعلت فداك و ما قولى بين يدك، قال: لتقولنّ فانّ ذلك تعلم به قولى، قلت: لا يجوز تزويج نصرانيه على مسلمه و لا على غير مسلمه، قال: و لم؟ قلت: يقول اللّه عزّ و جلّ «وَ لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكاتِ حَتّى يُؤْمِنَّ » قال: فما تقول فى هذه الآيه «وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الْمُؤْمِناتِ وَ الْمُحْصَناتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ » قلت: فقوله: و لا تنكحوا المشركات نسخت هذه الآيه فتبسّم عليه السّلام ثمّ سكت (و رخصه و عزائمه) الظاهر أنّ المراد بالعزائم الاحكام التى لا يجوز مخالفتها بحال من الأحوال، مثل وجوب الاعتقاد و الاقرار بالتّوحيد كما قال تعالى:



---

۱- (۱) اى احل لكم العقد على المحصنات كما يدل عليه سابق الايه و هو قوله احل لكم الطيبات و طعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم و طعامكم حل لهم و المحصنات من المؤمنات و المحصنات من الذين الايه منه،

«فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللّهُ » و بالرّخص ما يجوز مخالفته و اذن فى تركه فى بعض الأحيان لقيام الـدّاعى إلى المخالفه كأكل الميته فى حال المخمصه على ما يدلّ عليه الآيه الشّـريفه «إِنَّما حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَهَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ ما أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللّهِ فَمَنِ اضْـطُرَّ غَيْرَ بـاغٍ وَ لاـ عـادٍ فَلاـ إِثْمَ عَلَيْهِ » و قريب منه ما قيل: من انّ الرّخص ما اذن فى فعله مع قيام السّـبب المحرّم لضـروره أو غيرها، و العزائم ما كان من الاحكام الشّـرعيّه جاريا على وفق سـببه الشّـرعى أقول: و ذلك مثل صوم شـهر رمضان، فانّه رخصه بمعنى أنّه يجوز تركه فى حقّ الحامل المقرب و المرضـعه القليله اللّبن و الشـيخ و الشيخه، و يجب تركه فى حقّ المريض و المسافر، فيكون الافطار عزيمه لهما و «الصوم ظ» عزيمه فى حقّ غيرهم من الجامعين لشرائط الوجوب، قال تعالى:

«يـا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيّاماً مَعْـدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّهٌ مِنْ أَيّامٍ أُخَرَ وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَهٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ » فـانّ الصّـِيام عزيمه فى حقّ المؤمنين، و رخص فى تركه لمن كـان مريضـا أو على سـفر فيجب له الافطـار كمـا رخص جوازا فى حقّ الـذين لهم طـاقه و ليس لهم وسع من الحامـل المقرب و نحوهـا ممّن ذكرنـاه، و إليه الاشـاره بقوله: و على الـذين يطيقونه، فانهم مرخّصون فى الافطار مخيرون بين الصّوم و الفديه و ان يصوموا خير لهم إن كانوا يعلمون (و خاصّه و عامّه) العام هو اللّفظ الموضوع للدلاله على استغراق أجزائه أو جزئياته، و الخاص خلافه و الأوّل مثل قوله تعالى:

«أَقِيمُوا الصَّلاةَ وَ آتُوا الزَّكاةَ » و قوله: «أَحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّباتُ » و الثّانی مثل قوله: «وَ جاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَی الْمَدِينَهِ » و يحتمل أن يكون المراد بالعام ما لفظه موضوع للعموم و اريد منه ذلك أيضا:

كقوله تعالی: «وَ اللّهُ بِكُلِّ شَیْ ءٍ عَلِيمٌ » و بالخاص ما لم يرد به ذلك و إن كان اللفظ موضوعا له، مثل قوله تعالی حكايه عن بلقيس: «وَ أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَیْ ءٍ » فانّ لفظه عامّ و معناه خاصّ، لأنها لم تؤت شيئا كثيرا منها الذكر و اللحيه و قوله:

«يا بَنِی إِسْرائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِیَ الَّتِی أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّی فَضَّلْتُكُمْ عَلَی الْعالَمِينَ » لأنّ معناه خاصّ، لأنّهم إنّما فضلوا علی أهل زمانهم بأشياء خصّهم بها (و عبره و امثاله) العبر جمع العبره مأخوذه من العبور الذی هو انتقال الجسم من مكان إلی آخر، و معناها انتقال ذهن الانسان من شیء إلی آخر بسبب من الأسباب، كانتقاله من المصائب و الآلام الواقعه علی الغير إلی نفسه فيقدّرها كانّها نازله به، فيحصل له بذلك رغبه عن الدنيا و ميل إلی العقبی، قال تعالی:

«فَأَخَذَهُ اللّهُ نَكالَ الْآخِرَهِ وَ الْأُولی إِنَّ فِی ذلِكَ لَعِبْرَهً لِمَنْ يَخْشی »(۱) و هذا أكثر مواقع استعمالها، و قد يستعمل فی الانتقال من آثار الصّنع و القدره إلی وجود الصّانع و صفات كماله، قال سبحانه:

«يُقَلِّبُ اللّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ إِنَّ فِی ذلِكَ لَعِبْرَهً لِأُولِی الْأَبْصارِ »



---

۱- (۱) يعنی اخذ فرعون بعقوبه الاخره و الدنيا و فيه عبره لمن فی قلبه خوف و خشيه و لم يتغشاه غطاء و قساوه منه.

و قـال أيضـا: «وَ إِنَّ لَكَمْ فِى الْأَنْعـامِ لَعِبْرَهً نُسْقِيكَمْ مِمّـا فِى بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَم لَبَناً خالِصاً سائِغاً لِلشّـارِبِينَ » و أمّـا الأمثال فكقوله عزّ من قائـل: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْراهَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوها كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً » و قوله: «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّهٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَهٍ مِائَهُ حَبَّهٍ ».

(و مرسله و محدوده) المراد بالمرسل هو المطلق، و هو على مـا عرفه أكثر الأصوليّين اللفظ الـدّالّ على شايع فى جنسه، و فرق الشّهيد فى التّمهيد بينه و بين العام، بأن المطلق هو الماهيّه لا بشرط شىء و العام هو الماهيّه بشرط الكثره المستغرقه، و التّفصيل فى ذلك موكول إلى الأصول، و المراد بالمحدود هو المقيد مثال الأوّل قوله تعالى:

«وَ إِذْ قالَ مُوسى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَهً » و مثال الثّانى قوله: «قالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّها بَقَرَهٌ لا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لا تَسْقِى الْحَرْثَ مُسَلَّمَهٌ لا شِيَهَ فِيها » - الآيه» (و محكمه و متشابهه)قال تعالى:

«هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَهِ وَ ابْتِغاءَ تَأْوِيلِهِ » و المحكم مأخوذ من حاكمت و أحكمت بمعنى رددت و منعت، و الحاكم يمنع

الظّالم من الظلم، و بناء محكم أى وثيق يمنع من تعرّض له، و سمّيت الحكمه حكمه لمنعها عمّا لا ينبغى، و التّشابه أن يكون أحد الشّيئين شبيها بالاخر بحيث يعجز الذّهن عن التّميز بينهما، قال تعالى:

«إِنَّ الْبَقَرَ تَشابَهَ عَلَيْنا » و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: حلال بيّن و حرام بيّن و شبهات بين ذلك، و لما كان من شأن المتشابهين عجز الانسان عن التّميز بينهما سمّى كلّ ما لا يهتدى الانسان إليه بالمتشابه إطلاقا لاسم السّبب على المسبّب هذا.

و عرّفهما المحقّقون من العامه و الخاصّه بأنّ اللفظ الموضوع لمعنى إمّا أن يحتمل غير ذلك أم لا، الثّانى النّص، و على الأوّل فإمّا أن يكون أحدهما راجحا و الآخر مرجوحا أم لا، بل يكون احتماله لهما على السّواء، فعلى الأوّل الرّاجح الظاهر، و المرجوح المأوّل، و الثّانى المشترك أو المجمل، و القدر المشترك بين النّص و الظاهر هو المحكم، و بين المجمل و المأوّل هو المتشابه.

فقد ظهر من ذلك أنّ المحكم ما اتّضح دلالته، و المتشابه خلافه و قد حقّقنا الكلام فيهما بما لا مزيد عليه فى حواشينا على القوانين مثال الأوّل قوله:

«إِنَّ اللّهَ لا يَظْلِمُ النّاسَ شَيْئاً »، وَ «لا يَظْلِمُ مِثْقالَ ذَرَّةٍ » و مثال المتشابه قوله: «وَ الْمُطَلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ » و قوله: «اَلرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى » و التشابه فى الاولى من جهه الاشتراك، و فى الثّانيه من تعذّر الحقيقه و اختفاء قرينه المجاز، و من المتشابه الحروف المقطعه فى أوائل السّور مثل الم و حم و طه و نحوها و قوله عليه السّلام (مفسرا جمله) المراد بالجمل الألفاظ المجمله المحتمله المحتاجه إلى التّفسير و البيان، مثل ثلاثه قروء فى الآيه السّابقه المردّده بين الطهر و الحيض، و منه على مذهب البعض قوله:

«حُرِّمَتْ عَلَيْكَمْ أَمَّهاتُكَمْ »، و «حُرِّمَتْ عَلَيْكَمُ الْمَيْتَهُ وَ الدَّمُ »، وَ «أَحِلَّتْ لَكَمْ بَهِيمَهُ الْأَنْعامِ » و أمثالها ممّا اضيف فيه التحليل و التّحريم إلى الأعيان(۱) فانّ إراده الحقيقه فيها غير ممكنه، و المجازات متعدّده، و اللفظ مجمل بالنّسبه إليها و محتمل لكلّ منها (و مبينا غوامضه) أى معضلاته و مشكلاته.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى تقسيم الكتاب بنحو آخر بقوله:(بين مأخوذ ميثاق علمه) أى على كلّ أحد لا يقبل العذر فيه، و ذلك مثل معرفه الصّانع و توحيده قال تعالى:

«وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّکَ مِنْ بَنِی آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَ لَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى » - الآيه» (و) بين (موسّع على العباد فى جهله) كالمتشابهات التى جعل علمها مخصوصا بالرّاسخين فى العلم، و غيرهم منها فى سعه كما قال:

«وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ » (و بين مثبت فى الكتاب فرضه، و معلوم فى السنه نسخه) هذا الكلام نصّ و صريح فى وقوع نسخ الكتاب بالسنّه المتواتره، فيدلّ على جوازه بطريق أولى، لأنّ الوقوع أخصّ من الامكان، و هو مذهب أصحابنا رضى اللّه عنهم و المتكلمين من المعتزله و الأشاعره، و إليه ذهب أصحاب أبى حنيفه و مالك، و خالف فيه الشافعى و أكثر الظاهريّه على المحكى عنهم فى النّهايه و الحنبلى فى إحدى الرّوايتين عنه، و المسأله معنونه فى الاصول و يشهد بوقوعه قوله:



---

۱- (۱) لا يخفى ان الايه الاولى اعنى قوله ثلثه قروء مثال لما كان الاجمال من جهه الاشتراك و تعدد المعانى الحقيقيه و الايات الاخيره امثله لما كان جهه الاجمال كثره المعانى المجازيه و تردد اللفظ بينها، منه.

«وَ اللاّـتِی یَأْتِینَ الْفاحِشَهَ مِنْ نِسائِکُمْ فَاسْتَشْـهِدُوا عَلَیْهِنَّ أَرْبَعَهً مِنْکُمْ فَإِنْ شَـهِدُوا فَأَمْسِـکُوهُنَّ فِی الْبُیُوتِ حَتّی یَتَوَفّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ یَجْعَـلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِیلاً ـ وَ الَّذانِ یَأْتِیانِها مِنْکُمْ فَآذُوهُمـا فَإِنْ تابا وَ أَصْـلَحا فَأَعْرِضُوا عَنْهُما إِنَّ اللّهَ کانَ تَوّاباً رَحِیماً » فانّ مفاد الآیه الاولی حبس الفواحش من النّساء فی البیوت إلی حین الممات، کما أنّ مفاد الثّانیه وجوب ایـذاء الآتین للفاحشه، ثمّ نسخ ذلک أی الحبس و الایذاء بالجلد الثابت لغیر المحصن و المحصنه بالکتاب أعنی قوله:

«اَلزّانِیَهُ وَ الزّانِی فَاجْلِـدُوا کُـلَّ واحِـدٍ مِنْهُمـا مِـائَهَ جَلْـدَهٍ » و بـالرّجم الثـابت لهمـا بالسـنه النبویّه و أمّـا ما قیل: من أنّ الآیه الاولی منسوخه بآیه الجلد و الرّجم الثّابت بالسـنه مضاف إلی الجلد زیاده و لیس نسـخا له، و أنّ الآیه الثانیه باقیه بحالها غیر منسوخه إذ الزّانی المستحق للحـدّ یـذمّ أوّلا و یعنف، ثمّ یحـدّ فلیست الآیتان منسوختین بالسـنه ففیه منع اضافه الجلد إلی الرّجم دائما کمنع إضافه الرّجم إلیه کذلک، بل بعض الفاحشات مسـتحقّه للجلد فقط و بعضـها للرّجم فقط و بعضها یجمع لها بین الحدّین علی ما فصـل فی الکتب الفقهیه و أمّـا ما قاله الشّارح البحرانی فی تقریر الاستشـهاد بهما علی المـدّعی: من أنّه کانت الثیب إذا زنت فی بـدء الاسـلام تمسـک فی البیوت إلی الممـات، و البکر تؤذی بالکلاـم و نحوه بمقتضـی هـاتین الآـیتین، ثمّ نسخ فی حقّ الثّیب بالرّجم و فی حقّ البکر بالجلـد و التعزیر بحکم السّـنه ففیه أوّلا أن الآیه الأولی غیر مختصّه بالثّیب بل شامله لها و للبکر، اللهمّ إلاّ أن یقال باستفاده الثّیبوبه من الاضافه، لأنّه سبحانه أضافهن إضافه زوجیّه إذ لو أراد غیر الزوجات لقال: من النّساء، و لم یقل: من نسائکم، فالبکر تکون خارجه عنها

و ثانیا أنّ السنّه لم تقم علی الرجم فی حقّ الثیب مطلقا بل فی حقّ المحصنه منها فاللازم تبدیل لفظ الثّیب فی قوله: ثمّ نسخ، فی حقّ الثّیب بالمحصنه و ثالثا أنّ ثبوت الجلد للبکر إنّما هو بالکتاب لا بحکم السنّه، لا یقال إنّ غایه ما یستفاد من الکتاب هو جلد الزّانیه مأئه جلده، و کون المراد بها هی البکر الغیر المحصنه ممّا استفید من السّنه، فثبوت الجلد فی حقّها قد کان بحکم السنّه فکان النّاسخ هو السنّه دون الکتاب، لأنا نقول: إنّ النّاسخ هو الکتاب، و السنّه بیان لما هو المراد بالنّاسخ فافهم و رابعا أنّ المستفاد من کلامه (ره) أنّ الآیه الاولی وارده فی حقّ الثیب و الآیه الثّانیه فی حقّ البکر و هو خلاف ما یستفاد من الأخبار، فانّ المستفاد منها أن الأولی وارده فی حقّ النّساء، و الثّانیه فی حقّ الرّجال قال علیّ بن إبراهیم القمیّ (ره) عند تفسیر الآیتین: فانّ فی الجاهلیّه إذا زنی الرّجل یؤذی و المرأه تحبس فی بیت إلی أن تموت، ثمّ نسخ ذلک بقوله: الزّانیه و الزّانی فاجلدوا کلّ واحد منهما مأئه جلده.

و روی فی الوسائل عن رساله المحکم و المتشابه للمرتضی، نقلا من تفسیر النّعمانی بإسناده عن إسماعیل بن جابر عن أبی عبد اللّه عن آبائه عن أمیر المؤمنین علیهم السّلام فی حدیث النّاسخ و المنسوخ، قال: کان من شریعتهم فی الجاهلیّه أنّ المرأه إذا زنت حبست فی البیت و اقیم بادوها حتّی یأتیها الموت، و إذا زنی الرّجل نفوه عن مجالسهم و شتموه و آذوه و عیّروه و لم یکونوا یعرفون غیر هذا، قال اللّه تعالی فی أوّل الاسلام و اللاّتی یأتین الفاحشه إلی آخر الآیتین، فلمّا کثر المسلمون و قوی الاسلام و استوحشوا امور الجاهلیّه أنزل اللّه تعالی: الزّانیه و الزّانی، الایه، فنسخت هذه آیه الحبس و الأذی أقول: و لعلّ مراده علیه السّلام نسخ هذه الآیه لتلک الآیتین فی حقّ غیر المحصن و المحصنه فلا ینافی ما قرّرناه فی مقام الاستشهاد کما لا یخفی (و) بین (واجب فی السنّه أخذه، و مرخّص فی الکتاب ترکه) هذا الکلام کسابقه صریح فی عکس

سابقه، و هو وقوع نسخ السنّه بالكتاب، فيدلّ على الجواز بالأولويّه حسبما مرّ و هو مذهب الاماميّه و الأشاعره و المعتزله و جميع فقهاء العامّه، و المخالف منحصر فى الشّافعى على ما حكى عنه، و الشّاهد على وقوعه أنّ التّوجّه إلى بيت المقدّس كان واجبا فى ابتداء الاسلام بالسنّه خاصّه، لعدم دليل فى الكتاب عليه ثمّ نسخ بقوله تعالى:

«فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ » و أنّ مباشره النّساء فى اللّيل كانت محرّمه على الصّائمين بالسنّه أيضا، و قد نسخ بقوله تعالى:

«فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا ما كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ » و أنّ صوم عاشوراء كان واجبا بالسنّه، ثمّ نسخ بصوم شهر رمضان بقوله:

«فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ » كما رواه فى الوسائل عن الحارث العطار، قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن صوم عاشوراء فقال صوم متروك بنزول شهر رمضان، و المتروك بدعه، و فيه أيضا عن زراره بن أعين و محمّد بن مسلم جميعا أنّهما سألا أبا جعفر الباقر عليه السّلام عن صوم يوم عاشور، فقال:

كان صومه قبل شهر رمضان، فلمّا نزل شهر رمضان ترك (و بين واجب لوقته و زايل فى مستقبله) كالنّذر و العهد و اليمين الموقت بوقت معيّن، قال تعالى:

«وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كانَ مَسْؤُلاً » و قال أيضا: «وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ وَ لا تَنْقُضُوا الْأَيْمانَ بَعْدَ تَوْكِيدِها وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً» و تمثيل الشّارح البحرانى له بالحجّ الواجب فى العمر مرّه لا معنى له، إذ الحجّ و إن كان واجبا فى العمر مرّه إلاّ أنّه لا يزول وجوبه فى المستقبل، مع عدم الاتيان،

بل يجب فى العام القابل و يجب قضاؤه مع عدم الاتيان به دوام العمر فان قيل: لعلّ مراده عليه السّلام بقوله: و زايل فى مستقبله، هو زوال الوجوب بعد الاتيان بالواجب، و على ذلك فيصحّ التّمثيل قلت: لو بنى على ذلك لاستوى فيه جميع الواجبات سواء كان وجوبه فى العمر مرّه أو غير مرّه ضروره أنّ كلاّ منها مع الاتيان يوجب سقوط التكليف، فلا يبقى بعد الاتيان و الامتثال وجوب كما هو ظاهر لا يقال كيف يمكن إنكار الفرق بين الحجّ و بين صلاه الظهر و أمثالها من الواجبات المكرّره، مع أنّ الحجّ إذا اتى به مرّه يزول التكليف به بعده، بخلاف الظهر فان الاتيان به فى ذلك اليوم لا يوجب سقوط الوجوب فى الغد لأنّا نقول: إن أردت من عدم سقوط الوجوب فى الغد عدم سقوط وجوب الظهر المأتى به فى ذلك اليوم، ففيه انّه ساقط قطعا إذ لا معنى للامتثال عقيب الامتثال و إن أردت عدم سقوط وجوب الظهر الواجب عند زوال الغد، ففيه أنّه واجب مستقبل لا منافاه بين وجوبه و سقوط وجوب ظهر اليوم بعد الاتيان به فى وقته فافهم جيّدا و من العجب جعله الحجّ من الموقتات مع أنّه لا وقت له فلو بدّله بصلاه الجمعه و مثل بها كما فعله الشّارح المعتزلى لكان له وجه (و) بين حكم (مباين بين محارمه) جمع محرم كمقعد، و المراد بها المحرّمات التى هى محل الحرمه، و المراد بالحكم المباين أى المفاصل هو الحرمه، و المعنى و بين حرمه مفاصله بين محال الحرمه، اى مفرقه بين محرّمات الكتاب بالشدّه و الضّعف كما بيّنه بقوله:(من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه) فرّق بين الكبير و الصغير بأنّ الأوّل ما توعّد عليه بالنّيران، و الثانى ما اعدّ له الغفران و بهذا صرّح فى جمع من الأخبار، مثل ما رواه المفيد عن عباد بن كثير قال سألت أبا جعفر عليه السّلام عن الكبائر، فقال كلّ ما أوعد اللّه عليه النّار و فى الوسائل عن علىّ بن جعفر فى كتابه عن أخيه موسى بن جعفر عليهما السّلام قال: سألته عن الكبائر التى قال اللّه عزّ و جلّ:

«إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ » قال: التى أوجب اللّه عليه النار، و بمعناهما أخبار اخر و فى بعض الأخبار أنّها سبع، و هو ما رواه فى الكافى عن ابن محبوب، قال كتب معى بعض أصحابنا إلى أبى الحسن عليه السّلام يسأله عن الكبائر كم هى و ما هى؟ فكتب عليه السّلام: الكبائر من اجتنب ما أوعد اللّه عليه النّار كفّر عنه سيئاته إذا كان مؤمنا و السّبع الموجبات قتل النّفس الحرام و عقوق الوالدين و أكل الرّبوا و التعرب بعد الهجره و قذف المحصنه و أكل مال اليتيم و الفرار من الزّحف.

و مثله فى تعيين السّبع المذكور روايه ثواب الأعمال باسناده عن أحمد بن عمر الحلبى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، و زيد فى بعض الأخبار على السّبع، و نقص فى اخرى و اختلف الحاصر لها فى السّبع أيضا فى تعيينها، و بالجمله الأخبار كالأقوال فى المقام مختلفه جدّا و قد جمعوا بينها بحمل الكبيره على ما هو كذلك بالنسبه إلى ما هو أصغر منه و الصّغيره على ما هو كذلك بالنسبه إلى ما هو أكبر منه، فالقبله صغيره بالنسبه إلى الزّنا، و كبيره بالنسبه إلى النّظر و هكذا قال الصّدوق: الأخبار فى الكبائر ليست مختلفه، لأن كلّ ذنب بعد الشّرك كبير بالنّسبه ألى ما هو أصغر منه، و كلّ كبير صغير بالنّسبه إلى الشّرك باللّه و فى مجمع البيان عند تفسير قوله تعالى:

«إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبائِرَ ما تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئاتِكُمْ » قال: اختلف فى معنى الكبيره، فقيل: كلّ ما أعد اللّه عليه فى الاخره عقابا و أوجب عليه فى الدّنيا حدّا فهو كبيره، و هو المروىّ عن سعيد بن جبير و مجاهد، و قيل:

كلّ ما نهى اللّه عنه فهو كبيره، عن ابن عباس و إلى هذا ذهب أصحابنا، فانّهم قالوا:

المعاصى كلّها كبيره من حيث كانت قبايح لكن بعضها أكبر من بعض، و ليس فى الذّنوب صغيره و إنّما تكون بالاضافه إلى ما هو أكبر منه و يستحق العقاب عليه أكثر هذا و أكثر الأخبار جمعا و احتواء لها، ما رواه الصّدوق باسناده، و الطبرسى فى

مجمع البيان جميعا عن عبد العظيم بن عبد اللّه الحسنى، قال حدثنى أبو جعفر الثانى عليه السّلام قال سمعت أبى يقول: سمعت أبى موسى بن جعفر عليه السّلام يقول: دخل عمرو بن عبيد على أبى عبد اللّه عليه السّلام فلمّا سلم و جلس تلا هذه الآيه:

«الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الْإِثْمِ وَ الْفَواحِشَ » ثمّ امسك، فقال له أبو عبد اللّه عليه السّلام ما أسكتك؟ قال أحبّ أن أعرف الكبائر من كتاب اللّه، فقال عليه السّلام: نعم يا عمرو أكبر الكبائر الاشراك باللّه يقول اللّه:

«مَنْ يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّهَ » و بعده الاياس من روح اللّه، لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكافِرُونَ » ثمّ الأمن من مكر اللّه، لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ » و منها عقوق الوالدين، لأنّ اللّه سبحانه جعل العاق جبّارا شقيّا، و قتل النفس التى حرّم اللّه إلاّ بالحقّ لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها » إلى آخر الآيه، و قذف المحصنه لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«لُعِنُوا فِى الدُّنْيا وَ الْآخِرَهِ وَ لَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ » و أكل مال اليتيم، لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«إِنَّما يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً » و الفرار من الزحف، لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«وَ مَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاّ مُتَحَرِّفاً لِقِتالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلى فِئَهٍ »

«فَقَدْ باءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللّهِ وَ مَأْواهُ جَهَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ » و أكل الرّبوا لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«اَلَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلاّ كَما يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ » و السّحر لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ ما لَهُ فِى الْآخِرَهِ مِنْ خَلاقٍ » و الزّنا، لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«وَ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً » و اليمين الغموس الفاجره لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«اَلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَ أَيْمانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُولئِكَ لا خَلاقَ لَهُمْ فِى الْآخِرَهِ » و الغلول لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«وَ مَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِما غَلَّ يَوْمَ الْقِيامَهِ » و منع الزّكاه المفروضه، لأنّ اللّه عزّ و جل يقول:

«فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ » و شهاده الزّور و كتمان الشّهاده، لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«وَ مَنْ يَكْتُمْها فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ » و شرب الخمر، لأنّ اللّه عزّ و جلّ نهى عنها كما نهى عن عباده الأوثان، و ترك

الصّلاه متعمّدا أو شيئا ممّا فرض اللّه عزّ و جلّ، لأنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله قال: من ترک الصّلاه متعمّدا فقد برء من ذمه اللّه و ذمّه رسوله، و نقض العهد و قطيعه الرّحم لأنّ اللّه عزّ و جلّ يقول:

«لَهُمُ اللَّعْنَهُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدّارِ » قال: فخرج عمرو و له صراخ من بكائه و يقول: هلك من قال برأيه و نازعكم فى الفضل و العلم (و بين مقبول فى أدناه و موسّع فى أقصاه) كالقيام إلى صلاه اللّيل، فانّ قليله مقبول و الكثير منه موسّع، قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إِلاّ قَلِيلاً نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَ رَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا » و قال أيضا: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَ نِصْفَهُ وَ ثُلُثَهُ وَ طائِفَهٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَ اللّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَ النَّهارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ » أى صلّوا ما تيسّر من الصلاه فى اللّيل، عبّر عن الصّلاه بالقرآن، لأنّها تتضمّنه و كقرائه القرآن، فانّه مرغوب فيها و من القربات المستحبه قليلها مقبول و النّاس من الكثير منها فى سعه، و بها فسّرت الآيه الأخيره فى أحد التّفسيرين، و روى فى مجمع البيان عن الرّضا عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام قال: ما تيسّر منه أى من القرآن لكم فيه خشوع القلب و صفاء السّر هذا.

## و ينبغى تذييل هذا الفصل بامور مهمه مفيده

لزياده البصيره

### الاول

فى الاشاره إلى فائده إنزال القرآن و نعته بلسان الرّمز و الاشاره

و بيان

ص:١٩٣

جمله من القابه و أسمائه.

فاقول: اعلم هداك اللّه إلى الصّراط المستقيم، و ثبّتك على المنهج القويم، أنّ القرآن لما كان اصله مكتوبا:

«فِی کِتابٍ مَکْنُونٍ لا یَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ » بلا صحائف و لا أوراق، لكونه قبل وجود الأنفس و الآفاق، و كنا فى ابتداء وجودنا ضعفاء العقول، ضعفاء الأبصار و لم يكن تصل قوه أنظارنا إلى أطراف هذه الأرقام، و أكناف هذه الكلمات العظام، لتعاظم حروفها، و تعالى كلماتها، و تباعد أطرافها و حافاتها، لا جرم تضرعنا إليه سبحانه بلسان احتياجنا و استعدادنا، و قلنا: إلهنا ارحم على قصورنا، و لا تؤيسنا عن روحك و رحماتك، و اهدنا سبيلا إلى مطالعه كلماتك، و وصولا إلى رضوانك و جنّاتك، فتلطف سبحانه بنا بمقتضى عنايته الشّامله، و حكمته الكامله و رحمته الواسعه، و قدرته البالغه، فاعطى لنا نسخه مختصره من أسرار كتبه الجامعه، و أنموذجا وجيزا من معانى كلماته التّامه و هو القرآن الكريم و الصّراط المستقيم، و التّنزيل من العزيز الرّحيم، نزّله على النّبى الأمين، لانجاء العباد من سلاسل تعلّقات النّفس، و وساوس الشّيطان اللّعين، فلو كشف نقاب العزّه عن وجهه، و رفع جلباب العظمه و الكبرياء عن سرّه، لشفى كلّ عليل، و روى كلّ غليل، و داوى كلّ مريض القلب بعلل الأخلاق الذميمه، و أسقام الجهالات المهلكه، و أنجى المقيدين بسلاسل التعلّقات، و المزيّنين بحبّ الأهل و الأولاد و الشّهوات، و هو مع عظمه قدره و علوّ منزلته و سموّ مكانه، قد تلبّس بلباس الحروف و الأصوات، و اكتسى بكسوه الألفاظ و العبارات، رحمه منه سبحانه على العباد، و شفقه على خلقه و تقريبا إلى أفهامهم و مداراه معهم، و منازله إلى اذواقهم، و إلاّ فما للتّراب و ربّ الأرباب، ففى كلّ حرف منه ألف رمز و إشاره، و فيكلّ لفظ ألف سرّ و كنايه.

و لذلک قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فيما رواه فى الكافى باسناده إلى الصّادق عليه السّلام عن

آبـائه، عنه صـلّى اللّه علیه و آله: أیّها النّاس إنّکم فی دار هـدنه و أنتم علی ظهر سـفر(۱) و السّـیر بکم سـریع و قد رأیتم اللّیل و النّهار و الشّمس و القمر یبلیان(۲) کلّ جدید و یقربان کلّ بعید و یأتیان بکل موعود، فأعدّوا الجهاز(۳) لبعد المجاز قال:

فقام المقـداد بن الأسود، فقال یا رسول اللّه: و ما دار الهدنه؟ قال: دار بلاغ و انقطاع فاذا التبست علیکم الفتن کقطع اللّیل المظلم فعلیکم بالقرآن، فانّه شافع مشفّع و ماحل(۴) مصـدق من جعله أمامه قاده إلی الجنّه و من جعله خلفه ساقه إلی النار و هو الدّلیل یدلّ علی خیر سبیل و هو کتاب فیه تفصیل و بیان و تحصیل، و هو الفصل(۵) لیس(۶) بالهزل، و له ظهر و بطن، فظاهره حکم، و باطنه علم، ظاهره أنیق(۷) و بـاطنه عمیق له تخوم(۸) و علی تخـومه تخوم(۹) ، لا ـ تحصـی عجائبه، و لا تبلی غرائبه، فیه مصابیح الهـدی و منـار الحکمه، و دلیـل علی المعرفه لمن عرف الصّـفه، فلیجل(۱۰) جـال بصـره، و لیبلغ الصّـفه نظره، ینـج من عطب و یتخلص من نشب(۱۱) فانّ التفکر حیاه قلب البصیر کما یمشی المستنیر فی الظلمات بالنّور، فعلیکم بحسن التخلص و قله التربص هذا.

و لغایه عظمته و منتهی جلالته سمّی بأسماء مختلفه و لقّب بألقاب کثیره،



---

۱- (۱) التنکیر اشاره الی ما هو به و عظمته و هیبته

۲- (۲) ای یفنیان م

۳- (۳) جهاز السفرا هبه السفر و ما یحتاج إلیه فی قطع المسافه م

۴- (۴) قال الطریحی فی الحدیث من محل به القرآن یوم القیامه صدق ای سعی به یقال محل بفلان اذا قال علیه حولا یوقعه فی مکروه انتهی، فعلی هذا یکون قوله و ما حل اشاره الی سعایه القرآن فی یوم الحساب ممن ضیعه و نبذه وراء ظهره، منه

۵- (۵) ای الفاصله بین الحقّ و الباطل م

۶- (۶) ای لیس فیه من الهزلات الشعریه م ل

۷- (۷) ای حسن معجب م

۸- (۸) تخم الارض حده و الجمع تخوم کفلس و فلوس م

۹- (۹) و فی بعض النسخ له نجوم و علی نجومه نجوم و قد فسره المجلسی فی عین الحیوه بالائمه «علیهم السلام» م

۱۰- (۱۰) من جال یجول دار، م

۱۱- (۱۱) هو من قولهم نشب فی الشیء اذا وقع فیما لا مخلص منه، مجمع

لأنّ الشیء کلما ازداد جلاله و رفعه ازداد نعتا و وصفا:

فمنها الکتاب قال تعالی: «ذلِکَ الْکِتابُ لا رَیْبَ فِیهِ » و منها القرآن: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ کَرِیمٌ » و منها الفرقان لکونه فارقا بین الحقّ و الباطل، قال سبحانه:

«وَ بَیِّناتٍ مِنَ الْهُدی وَ الْفُرْقانِ » و منها النّور، لأنّه نور عقلیّ ینکشف به أحوال المبدأ و المعاد و یترا أی منه حقائق الأشیاء، و یهتدی به فی ظلمات برّ الاجسام و بحر النفوس و یظهر به للسالکین إلی الدار الاخری طریق الجنه و طریق النار، قال تعالی:

«قَدْ جاءَکُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَ کِتابٌ مُبِینٌ یَهْدِی بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ یُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَی النُّورِ ».

و منها الحکمه، قال تعالی: «وَ یُعَلِّمُهُمُ الْکِتابَ وَ الْحِکْمَهَ » و هی عباره عن أفضل علم بأحکم معلوم و لا یوصف بها إلاّ المتجرّدون عن جلباب البشریّه، و المنسلخون عن لباس هذا الوجود الکونی و لذلک قال سبحانه بعد قوله:

و یعلّمهم الکتاب و الحکمه:

«ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ یُؤْتِیهِ مَنْ یَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِیمِ » و منها الرّوح، قال تعالی: «یُلْقِی الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلی مَنْ یَشاءُ مِنْ عِبادِهِ لِیُنْذِرَ یَوْمَ التَّلاقِ » و منها الحقّ، لأنّه ثابت لا یتغیّر أبدا من حقّ الأمر إذا ثبت، و لأنّه صادق مطابق للواقع لا یعتریه شکّ و ریب، قال تعالی.

«بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّکَ لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أَتاهُمْ مِنْ نَذِیرٍ »

و منها الهدی، لأنّه یهدی إلی الصّراط المستقیم، قال تعالی:

«هُدیً لِلْمُتَّقِینَ »، و «ذلِکَ هُدَی اللّهِ یَهْدِی بِهِ مَنْ یَشاءُ » و منها الذّکر، «إِنَّهُ لَذِکْرٌ لَکَ وَ لِقَوْمِکَ وَ سَوْفَ تُسْئَلُونَ » سمّی به لأنّه یتذکر به امور الآخره و أحوال المبدأ و المعاد.

و منها النّبأ العظیم، لأنّه یخبر عن عالم الغیب و المغیبات، قال:

«قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِیمٌ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ » و منها الشّفاء، لأنّه یقع به الشّفاء علی الأمراض النّفسانیّه و الأسقام الباطنیه قال تعالی:

«قُلْ هُوَ لِلَّذِینَ آمَنُوا هُدیً وَ شِفاءٌ » و منها الرّحمه، قال تعالی: «وَ ما أَنْزَلْنا عَلَیْکَ الْکِتابَ إِلاّ لِتُبَیِّنَ لَهُمُ الَّذِی اخْتَلَفُوا فِیهِ وَ هُدیً وَ رَحْمَهً لِقَوْمٍ یُؤْمِنُونَ » و منها العلیّ الحکیم، قال تعالی: «وَ إِنَّهُ فِی أُمِّ الْکِتابِ لَدَیْنا لَعَلِیٌّ حَکِیمٌ » أمّا کونه علیّا فلأنّ أصله من العالم العلوی، و أمّا کونه حکیما فواضح.

و منها التّنزیل و منها البشیر النّذیر و منها العزیز و منها الموعظه الحسنه و منها المجید إلی غیر ذلک من الألقاب و الأسماء و لا شکّ أنّ کثره الأسامی و الأوصاف تدلّ علی عظم شأن المسمّی و الموصوف، و اللّه العالم بجلاله شأن کلامه و رفعه مرتبه کتابه و مقامه.

### الثانی

أنّه لا بدّ أن یعلم أنّ القرآن الذی نزل به الرّوح الأمین علی سیّد المرسلین

صلوات اللّه علیه و آله أجمعین هل هو ما بین الدّفتین و ما وصل إلینا و تناولته أیدینا

أم لا

، بل الواصل إلینا بعض القرآن و أنّ القرآن الأصیل الذی نزل به جبرئیل

قد حرّف و بدّل و زيد عليه و نقص عنه، اختلف فيه الأصحاب.

فالذى ذهب إليه أكثر الأخباريّين على ما حكى عنهم السّيد الجزايرى فى رساله منبع الحياه و كتاب الأنوار هو وقوع التحريف و الزّياده و النّقصان.

و إليه ذهب علىّ بن إبراهيم القمىّ، و تلميذه محمّد بن يعقوب الكلينى، و الشّيخ أحمد بن أبى طالب الطبرسى، و المحدّث العلامه المجلسى قدّس اللّه روحهم.

و ذهب المرتضى على ما حكى عنه، و الصدوق فى اعتقاداته، و الشّيخ فى التّبيان و الطبرسى فى مجمع البيان إلى عدمه، و عزى ذلك إلى جمهور المجتهدين بل الظاهر من الصّدوق قيام الاجماع عليه حيث قال فى اعتقاداته: إنّ اعتقادنا أنّ القرآن الذى أنزل اللّه على نبيّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله هو ما بين الدّفتين، و هو ما فى أيدى النّاس ليس بأكثر من ذلك إلى أن قال و من نسب إلينا انّا نقول: إنّه أكثر من ذلك فهو كاذب انتهى.

و مثله الشّيخ، حيث ادّعى قيامه على عدم الزّياده، قال فى محكى كلامه:

و أمّا الكلام فى زيادته و نقصانه فممّا لا يليق به، لأنّ الزّياده فيه مجمع على بطلانه، و أمّا النّقصان منه فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه، و هو الأليق بالصّحيح من مذهبنا، و هو الذى نصره المرتضى (ره)، و هو الظاهر من الرّوايات، غير أنّه رويت روايات كثيره من جهه الخاصّه و العامّه بنقصان كثير من آى القرآن طريقها الآحاد لا توجب علما، فالأولى الاعراض و ترك التشاغل بها، لأنّها يمكن تأويلها انتهى.

و مثله الطبرسى فى مجمع البيان حيث قال: فأمّا الزّياده فيه فمجمع على بطلانه و أمّا النّقصان فيه فقد روى جماعه من أصحابنا و جماعه من حشويّه العامه، أنّ فى القرآن تغييرا و نقصانا، و الصّحيح من مذهب أصحابنا خلافه.

قال: و هو الذى نصره المرتضى و استوفى الكلام فيه غايه الاستيفاء فى جواب المسائل الطرابلسيّات، و ذكر فى مواضع أنّ العلم بصحّه نقل القرآن كالعلم بالبلدان و الحوادث الكبار و الوقايع العظام و الكتب المشهوره و أشعار العرب

ص:۱۹۸

المسطوره، فانّ العنايه اشتدت و الدّواعی توفّرت علی نقله و حراسته، و بلغت إلی حدّ لم تبلغه فیما ذکرناه لأنّ القرآن معجزه النّبوه و مأخذ العلوم الشّرعیه، و الأحکام الدّینیّه، و علماء المسلمین قد بلغوا فی حفظه و حمایته الغایه، حتّی عرّفوا کلّ شیء اختلفوا فیه من إعرابه و قراءه حروفه و آیاته، فکیف یجوز أن یکون مغیّرا أو منقوصا مع العنایه الصادقه و الضّبط الشّدید.

و قال(۱) أیضا قدّس سرّه: و إنّ العلم بتفصیل القرآن و أبعاضه فی صحّه نقله کالعلم بجملته و جری ذلک مجری ما علم ضروره من الکتب المصنّفه، ککتاب سیبویه و المزنی فان أهل العنایه بهذا الشّان یعلمون من تفصیلهما ما یعلمونه من جملتهما حتّی لو أنّ مدخلا أدخل فی کتاب سیبویه بابا فی النّحو لیس من الکتاب لعرف و میّز و علم أنّه ملحق، و لیس من أصل الکتاب، و کذلک القول فی کتاب المزنی، و معلوم أنّ العنایه بنقل القرآن و ضبطه أضبط من العنایه بضبط کتاب سیبویه و دواوین الشّعراء.

ثم قال الطبرسیّ: و ذکر أی المرتضی أنّ من خالف فی ذلک من الامامیّه و الحشویّه لا یعتدّ بخلافهم، فانّ الخلاف فی ذلک مضاف إلی قوم من أصحاب الحدیث نقلوا أخبارا ضعیفه ظنوا صحتها لا یرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع علی صحته انتهی ما ذکره فی مجمع البیان.

و هذه العبارات منه و ممّن سبق ذکره کما تری مطبقه فی صحّه نقل ما بین الدّفتین و عدم وقوع تغیر فیه بوجه من الوجوه، و إنّما اختلفت فی دعوی الاجماع.

فالظاهر من الصّدوق کما عرفت قیامه علی عدم التغیر بوجه، حیث نسب ذلک إلی اعتقاد الامامیّه.

و عباره الشّیخ و الطبرسی حسبما حکیناها صریحه فی قیامه علی عدم الزّیاده و تبعهما علی ذلک من متأخری المتأخّرین السیّد المحقق الکاظمی فی شرح الوافیه



---

۱- (۱) الظاهر ان کلامه هذا اشاره الی نفی الزیاده فی القرآن کما ان ما ذکره قبل ذلک اشاره الی نفی مطلق التغییر، منه

حيث، قال: اتّفق الكلّ لا تمانع بينهم على عدم الزّياده، و نطقت به الأخبار، و المرتضـى رضى اللّه عنه و إن لم يدّع الاجماع عليه إلّا أنّه (ره) حسبما عرفت أشد نكيرا منهم لدعواه العلم الضّرورىّ به.

إذا عرفت ذلك فأقول: المختار عنـدى هو وقوع النّقصان فيه دون الزّياده، و لا بأس بـذكر أدلّه الطرفين و ما يمكن الاستدلال به عنهم حتّى يتّضح الحقّ من البين، و لنقدّم أدله النّافين لكون قولهم مطابقا للأصل، ثمّ نتبعها بأدله المثبتين فنقول:

## احتج النّافون القائلون بالعدم بوجوه

، بعضها دالّ على عدم التغيير مطلقا و بعضها مختص بنفى الزّياده.

## الاول الاجماع

المستفاد من كلام الصّدوق السّابق و المنقول فى كلام الشيخ و الطبرسى صريحا حسبما تقدم.

و فيه بعـد الغضّ عن حجّيه الاجمـاع المنقول فى نفسه أنّ حجيّته إنّمـا هو من جهه افـادته الظنّ و هو لا يكافؤ القطع الحاصل من الأخبار المتواتره المفيده للنقيصه حسبما تعرفها إنشاء اللّه، نعم هو حجّه على مدّعى الزّياده، لأنّ الظنّ الحاصل من أدلتها لا يقاوم الظنّ الحاصل منه.

## الثانى ما ظهر من كلام المرتضى من توفّر الدّواعى و اشتداد العنايات على

حفظه و ضبطه،

لكونه معجزه النّبوه و مأخذ العلوم الشّرعيّه و مدرك الأحكام الدّينيه.

و فيه منع توفر الدّواعى على الحفظ و الضبط لو لم يقم على التّضييع و التّحريف.

و ما استدلّ به عليه أولا من كونه متضمنا للتحدّى و الاعجاز، و ثانيا من كونه مدرك الأحكام الشّرعيّه لا ينهض على الاثبات:

أما الأول فلأنّه إنّما يتمّ لو انحصر طريق إثبات النّبوه فيه، كانحصار معجزه عيسى عليه السّلام فى الطب و إبراء الأكمه و الأبرص، و معجزه موسى عليه السّلام فى

العصا و اليد البيضاء، و أمّا مع عدم الانحصار فلا تتوفّر الدّواعى عليه، كأكثر معجزاته لم يتوافر بعد.

فان قلت: سلّمنا عدم انحصار معجزته فيه و لكنّه أظهر المعجزات و أقويها و آكدها فتوفّر الدّواعى عليه.

قلت: إنّ الاعجاز كما يحصل بالجميع كذلك يحصل بالبعض، إذ المناط فى الاعجاز هو الفصاحه و البلاغه و غرابه الاسلوب و حسن النّظم، و هى باقيه بحالها لم تتغيّر و لم تتبدّل، فلا يخرجه وقوع التّحريف فيه عن كونه دليلا للنّبوه و الرّساله، بل لو فرض و العياذ باللّه سقوط جميع آياته عن الاعجاز لكفانا فيه قوله:

«وَ أَوْحَيْنا إِلى أُمِّ مُوسى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَ لا تَخافِي وَ لا تَحْزَنِي إِنّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَ جاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ » فانّها مع اختصارها و وجازتها مشتمله على أمرين و نهيين و خبرين و بشارتين.

و حكى أن بعضهم سمع بدويّه تنشد أبياتا، فقال لها: للّه درّك ما أفصحك، فقالت:

الفصاحه للّه و ذكرت هذه الآيه، و قوله سبحانه:

(«وَ قِيلَ يا أَرْضُ ابْلَعِي ماءَكِ وَ يا سَماءُ أَقْلِعِي وَ غِيضَ الْماءُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ اسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ » - الآيه) لأنّها مشتمله على وجوه عديده(١) من الفصاحه يقطع معها بأنّها خارجه عن



---

١- (١) منها قوله و قيل فانه يدل على انه سبحانه فى الجلال و العلو و العظمه بحيث لا يتبادر الذهن من القائل الا اليه و لا يتوجه الفكر الا الى ان ذلك القائل هو هو و منها مخاطبه الارض و السماء بما يخاطب به العاقل فان فيه اشاره الى انهما مع كونهما جمادا فى مقام الخضوع و الانقياد و قبول الامر التكوينى مثل العقلاء فى قبول الامر التكليفى و ان حكمه نافذ فيهما و انهما مقهور ان مغلوبان تحت قدرته و قهره مع ما هما عليه من الشدّه و القوه و العظمه، و منها ما فى قوله و قضى الامر من الدلاله على ان كل ما قضى به و قدره سبحانه فى الازل فصار حتما و قدرا لازما لا محاله يكون واقعا و انه لا راد لقضائه و لا مانع من نفاذ حكمه فى ارضه و سمائه، و منها حسن تقابل الالفاظ و ايتلاف المعنى، و منها حسن البيان فى تصوير الحال، و منها الايجاز من غير اخلال الى غير هذه من الوجوه التى لا يخفى على المتدبر منه

وسع البشر.

و قد روى أنّ من تكلّم من قريش بكلام فصيح كان يعلّقه على الكعبه مباهاه و تفاخرا، فلمّا نزل الآيه هذه ذهبوا فى ظلام اللّيل و أخذوا ما علّقوه مخافه الفضاحه و الشّناعه.

و فى مجمع البيان يروى أن كفّار قريش أرادوا أن يتعاطوا معارضه القرآن، فعكفوا على لباب البرّ و لحوم الضأن و سلاف الخمر أربعين يوما لتصفو أذهانهم، فلما أخذوا فيما أرادوا و سمعوا هذه الآيه تركوا ما اخذوا فيه و افترقوا.

و كيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ وقوع التّحريف لا يخرجه عن الاعجاز حتّى تبقى النّبوه الخاصّه بلا دليل، لأنّ الفصاحه باقيه على حالها بل ساير وجوه الاعجاز أيضا موجوده فيه كالصّرفه و اشتماله على القصص و الحكايات، و الاخبار عن المغيبات و عدم الاختلاف فيه مع طوله إلى غير هذه من الجهات.

و أما الثانى فلأنّ المتيقّن الثّبوت من الأخبار الآتيه هو طروّ التّحريف على الآيات المشتمله على فضائل أهل البيت و فضايح أهل النّفاق، و أمّا طروّه على آيات الأحكام فهو بعد غير ثابت، فالأدله القطعيه الدّاله على جواز العمل بالظواهر و استنباط الأحكام الشّرعيه منها محكمه، و لم يثبت مانع منها، فلا يرفع اليد عن مقتضاها، و مجرّد احتمال وجود المانع لا يكفى فى رفع اليد عن اقتضاء المقتضى.

و بالجمله كون القرآن مدرك الأحكام الشّرعيّه إنّما يدلّ على عدم وقوع التّحريف و النّقصان فى آيات الأحكام، و يستلزم توفّر الدّواعى فيها فحسب لا مطلقا.

و هذا كلّه مبنىّ على التّنزل و المماشاه و إلاّ فنقول إنّ كونه مدركا للأحكام و إن كان مقتضيا لتوفر الدّواعى إلاّ أنّه إنّما يتمّ إذا لم يمنع منه مانع و لم يمنع المكلفون على أنفسهم اللطف إذ قد يتوفر الدّواعى على تضييعه و كتمانه أكثر منها على ضبطه و إعلانه، نظير الامام عليه السّلام، فانّ وصيّه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بحفظه و إعانته و كونه حجه اللّه على خلقه و بريّته و أصل أحكامه و شريعته، ممّا يوجب توفّر الدّواعى عليه مع

أنّ الدّواعی قد توفّرت علی حجبه و غیبته، و نعم ما قال فی التّجرید: وجوده لطف و تصرفه لطف آخر، و عدمه منّا.

و بالجمله وقوع التّحریف و النّقصان فی آیات الأحکام علی فرض ثبوته لیس بأبعد من غیبه الامام، فکما أنّ المکلفین صاروا سببا لاختفائه و غیبته، و مانعا عن تبلیغه و الرّجوع إلیه مع کونه أساس الأحکام و عماد الاسلام، فکذلک صاروا مانعا عن استنباط الأحکام من القرآن بسبب ما فعلوه فیه من التّحریف و أحدثوه فیه من النّقصان.

**الثالث قوله تعالی:**

(«وَ إِنَّهُ لَکِتابٌ عَزِیزٌ لا یَأْتِیهِ الْباطِلُ مِنْ بَیْنِ یَدَیْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ »)

فانّ ورود التّحریف علیه إتیان الباطل من خلفه، و قد أخبر اللّه سبحانه بعدمه فلابدّ أن یکون سالما محفوظا.

و فیه أنّ المراد بالآیه أنّه لیس فی إخباره عمّا مضی باطل، و لا فی إخباره عمّا یکون فی المستقبل باطل، بل أخباره کلّها موافقه لمخبراتها، رواه الطبرسیّ فی مجمع البیان عن أبی جعفر و أبی عبد اللّه علیهما السّلام، و فی تفسیر القمی عن أبی الجارود عن أبی جعفر علیه السّلام قال: لا یأتیه الباطل من قبل التّوراه و لا من قبل الانجیل و الزّبور، و لا من خلفه لا یأتیه من بعده کتاب یبطله

**الرابع قوله تعالی:**

(«إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّکْرَ وَ إِنّا لَهُ لَحافِظُونَ »)

فانّ اللّه سبحانه قد أخبر بکونه حافظا للقرآن فلا بدّ من کونه محفوظا عن تطرق التغییر، قال الفخر الرّازی فی الآیه دلاله قویّه علی کون التسمیه آیه من کلّ سوره، لأنّ اللّه قد وعد بحفظ القرآن و الحفظ لا معنی له إلاّ أن یبقی مصونا من الزّیاده و النّقصان، فلو لم تکن التّسمیه من القرآن لما کان القرآن مصونا من التّغییر،

و لما كان محفوظا عن الزّياده.

و فيه أنّ كون أصل القرآن الذى نزل به الرّوح الأمين على خاتم النّبيين صلّى اللّه عليه و آله محفوظا عند الأئمه الذين هم خزّان علم اللّه و كهوف كتبه، يكفى فى صدق الآيه و لا دلاله فيها على كون ما بأيدينا محفوظا كما لا يخفى، مضافا إلى احتمال أن يكون المراد أنّه سبحانه يحفظه إلى آخر الدّهر بأن بعث جماعه يحفظونه و يدرسونه و يشتهرونه بين الخلق، فتحفظه الامه و تناولته الأيدى قرنا بعد قرن إلى يوم القيامه لقيام الحجّه به على الخلق و كونه معجزه النّبوه.

هذا كله بعد الغضّ عن رجوع الضّمير فى له إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و إلّا كما ذهب إليه الفرّاء فيسقط الاستدلال رأسا، قال ابن الانبارى لما ذكر اللّه الانزال و المنزل و المنزل دلّ ذلك على المنزل عليه، فحسنت الكنايه عنه لكونه أمرا معلوما كما فى قوله:

«إِنّا أَنْزَلْناهُ فِى لَيْلَهِ الْقَدْرِ » فانّ عود الضّمير إلى القرآن مع عدم تقدّم ذكره لكونه معلوما من المقام

## الخامس الأخبار الدّاله على وجوب التّمسّک بالقرآن و الآمره بالرّجوع

إليه

كحديث الثقلين المتواتر بين الفريقين و نحوه، و الأخبار المفيده بعرض الأخبار المتعارضه عليه، مثل مقبوله عمر بن حنظله و فيها: فما وافق حكمه حكم الكتاب و السّنه و خالف العامه فيؤخذ به و يترك ما خالف حكمه حكم الكتاب و السنّه و وافق العامه.

و ما رواه السّكونى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ على كلّ حقّ حقيقه و على كلّ صواب نورا فما وافق كتاب اللّه فخذوه و ما خالف كتاب اللّه فدعوه.

و ما رواه عبد الرّحمن بن أبى عبد اللّه، قال: قال الصّادق عليه السّلام: إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب اللّه، فما وافق كتاب اللّه فخذوه، و ما خالف كتاب اللّه فردّوه إلى غير هذه ممّا هى قريبه من التواتر أو متواتره.

ص:۲۰۴

تقریب الاستدلال أنّ المراد بالکتاب الذی امرنا بالتمسک به و الرّجوع إلیه و عرض الأخبار المتعارضه علیه إن کان هو الکتاب المنزل المحفوظ عن تطرّق السّوانح و طرو الزّیاده و النّقصان الذی هو موجود عند الأئمه علیهم السّلام علی قول المدّعین للتّحریف، ففیه أنّ التمسّک به و الرّجوع إلیه ممّا لا یستطاع.

و ان کان المراد به المحرّف المبدّل، فلا وجه له، لأنّه لم یبق فیه حجیه و لیس به وثوق و اطمینان فلا بدّ أن یکون الموجود بأیدینا سالما محفوظا.

قال الشّیخ فی محکی کلامه: و روایاتنا متناصره بالحثّ علی قراءته و التمسک بما فیه و ردّ ما یرد من اختلاف الأخبار فی الفروع إلیه و عرضها علیه، فما وافقه عمل علیه و ما خالفه یجنب و لم یلتفت إلیه.

و قد ورد عن النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله روایه لا یدفعها أحد انّه قال انّی مخلّف فیکم الثّقلین ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا: کتاب اللّه، و عترتی أهل بیتی، و أنّهما لن یفترقا حتّی یردا علیّ الحوض، و هذا ممّا یدل علی أنّه موجود فی کلّ عصر، فانّه لا یجوز أن یأمرنا بالتمسّک بما لا نقدر علی التمسّک به، کما أنّ أهل البیت و من یجب اتّباع قوله حاصل فی کلّ وقت انتهی کلامه.

و ملخّصه أنّ ظاهر هذه الأخبار أنّه لم یتطرّق علی هذا القرآن الموجود بأیدینا تحریف و تغییر، لأنّ المستفاد منها وجوب الرّجوع إلیه إذ الرّجوع إلی غیره غیر مقدور، فلا بدّ من کونه محفوظا من الخلل و النّقصان، و إلاّ لم یبق به وثوق و اطمینان، فلا یکون وجه للأمر بالرّجوع إلیه.

و فیه أوّلا أنّ الأخبار المذکوره إمّا نبویّه کخبر الثّقلین و بعض أخبار العرض، و إمّا مرویّه عن الأئمه علیهم السّلام.

أمّا الطائفه الأولی فلا دلاله فیها علی المدّعی أصلا، لأنّه صلّی اللّه علیه و آله قد کان امرنا بالاتباع بالکتاب و العرض علیه و لم یتطرّق علیه تحریف یومئذ، کما امرنا باتباع أهل بیته و عترته و أخذ الأحکام عنهم و الاقتباس من أنوارهم، و إنّما طرئت السوانح

بعد ما اختار اللّه سبحانه له صلّى اللّه علیه و آله، لقائه فمنع المکلفون علی أنفسهم اللّطف بسوء اختیارهم، و غیّروا کتاب اللّه و نبذوه وراء ظهورهم کما ترکوا العتره و صاروا سببا لاعتزالهم و تشریدهم إلی أن انتهی الأمر إلی الغیبه الکبری، فکما أنّ غیبه الامام علیه السّلام و اعتزال الأئمه و قصور الید عن التمسّک بهم و أخذ الأحکام عنهم النّاشی من سوء فعل المکلفین لا منافاه له مع أمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله بالتمسّک، فکذلک قصور الید عن اتّباع القرآن المنزل علی ما هو علیه لا ینافی أمر النّبی صلّی اللّه علیه و آله باتّباعه و التّمسک به، بل نقول: إنّ أمره صلّی اللّه علیه و آله لم یکن إلاّ لأجل أن لا یفعلوا فی کتاب اللّه ما فعلوه، و أن لا یقصروا فی حقّ الآل علی ما قصّروا.

و أمّا الطائفه الثّانیه فلا دلاله فیها أیضا، لأنا نقول: إنّ الأئمه علیهم السّلام إنّما أمرونا بالرّجوع إلی هذا الکتاب الموجود بأیدینا مع ما هو علیه من التّحریف و النّقصان لأجل التقیه و الخوف علی أنفسهم و شیعتهم، فیکون ما استفدناه حکما ظاهریا بالنسبه الینا فافهم(۱) و ثانیا أن یجاب عنه بما ذکره فی الصّافی، فانّه بعد نقله کلام الشّیخ الذی حکیناه قال: أقول: یکفی فی وجوده فی کلّ عصر وجوده جمیعا کما أنزل اللّه محفوظا عند اللّه و وجود ما احتجنا إلیه منه عندنا و إن لم نقدر علی الباقی، کما أن الامام کذلک فان الثقلین سیان فی ذلک انتهی.

و أورد علیه المحقّق الکاظمی (ره) بأنّ التمسّک بهم عباره عن موالاتهم و سلوک طریقتهم، و ذلک ممکن مع الغیبه للعلم بهم، و هذا بخلاف التمسّک بالقرآن فانّه إنّما یتحقّق بالأخذ و الاطلاع علیه، فقد بان الفرق و اتّضح الأمر انتهی أقول: و الانصاف أنّه إن ارید بلفظ تمسّکتم فی الرّوایه، التمسّک التّفصیلی بأن یتمکن من الرّجوع الی المتمسّک به و یؤخذ عنه الأحکام مهما ارید، فهو غیر ممکن فی حال الغیبه الکبری، لظهور انسداد باب العلم فیه، مع أنّ انفتاحه فی



---

۱- (۱) اشاره الی ان حمل الاخبار علی الورود علی عنوان التقیه بعید فی الغایه عن سیاق اخبار العرض و انما یتمشی فی اخبار التمسک و الاتباع فتدبر، منه

حال ظهور الأئمه عليهم السّلام أيضا محلّ كلام حسبما قرّرناه فى الاصول، و إن اريد به التمسّک الاجمالی بأن نرجع إليه بقدر الامكان و مع عدم التمكن و القدره نكون فى مقام التّسليم و الاذعان و العزم على الرجوع مع التمكن و التّوفيق، فالحقّ أنّ الثقلين سيان فيه.

و بالجمله هما فى حال الغيبه الكبرى سيّان فى عدم امكان التمسّک بهما تفصيلا و فى امكانه إجمالا، بأن يصدّقا و يسلّما و يؤخذ عنهما الأحكام بقدر الوسع و الطاقه، و التّفرقه بينهما بحمل التمسّک بالثّقل الأصغر على التمسّک التّفصيلى و التمسّک بالأكبر على التمسّک الاجمالى ممّا لا وجه له.

و ثالثا أنّا نقول: إنّ أهل بيت العصمه سلام اللّه عليهم لعلمهم بعدم طرو التّحريف على آيات الأحكام رخصونا فى الرّجوع و العرض، فبملاحظه ترخيصهم يحصل لنا القطع بكونها محفوظه عن الخلل أو أنهم رخّصونا فى ذلک، لعلمهم بانّه ليس فى السّاقط ما يرجع إليه أو يعرض عليه إلاّ و فى الثّابت ما يقوم مقامه.

هذا تمام الكلام فى أدله النّافين، و قد عرفت أنّها غير ناهضه على إثبات المدّعى كما لا يخفى.

## و حجه القائلين بالتّحريف أيضا وجوه كثيره

بعضها مثبت لوقوع مطلق التّحريف، و بعضها مختص باثبات الزّياده و النقيصه، و بعضها دالّ على النّقصان فقط فالأدله فى المقام على ثلاثه أقسام.

### القسم الاول الأدله الدّاله على مطلق التّحريف و التغيير فيه

#### اولها ما ذكره السيّد الجزائرى من أنّ القرآن كان ينزل منجما على حسب

المصالح و الوقايع،

و كتّاب الوحى كانوا أربعه عشر رجلا من الصّحابه، و كان رئيسهم أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد كانوا فى الأغلب ما يكتبون إلاّ ما يتعلّق بالاحكام و إلاّ ما يوحى إليه صلّى اللّه عليه و آله فى المحافل و المجامع، و أمّا الذى كان يكتب ما ينزل عليه فى خلواته و منازله فليس هو إلاّ أمير المؤمنين عليه السّلام، لأنّه كان يدور معه

كيفما دار، فكان مصحفه أجمع من غيره من المصاحف، فلما مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، إلى لقاء حبيبه و تفرّقت الأهواء بعده، جمع أمير المؤمنين عليه السّلام القرآن كما انزل، و شدّه بردائه و أتى به إلى المسجد، فقال لهم: هذا كتاب ربّكم كما انزل، فقال عمر: ليس لنافيه حاجه هذا عندنا مصحف عثمان، فقال عليه السّلام لن تروه و لن يراه أحد حتّى يظهر القائم عليه السّلام.

أقول: أمّا قوله: فكان مصحفه أجمع من غيره من المصاحف فيشهد به:

ما رواه فى الكافى باسناده عن جابر عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: سمعته يقول:

ما ادّعى أحد أنّه جمع القرآن كلّه كما انزل إلّا كذاب، و ما جمعه و حفظه كما أنزله اللّه إلّا علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و الأئمه من بعده.

و أمّا ما ذكره من اتيان أمير المؤمنين عليه السّلام بالكتاب إلى المسجد فيدلّ عليه ما رواه الطبرسىّ فى الاحتجاج عن أبى ذر الغفارى أنّه لمّا توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله جمع علىّ عليه السّلام القرآن و جاء به إلى المهاجرين و الأنصار و عرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فلما فتحه ابو بكر خرج فى أوّل صفحه فتحها فضايح القوم، فوثب عمر و قال: يا على اردده لا حاجه لنا فيه، فأخذه علىّ عليه السّلام و انصرف، ثمّ أحضر زيد بن ثابت و كان قاريا للقرآن، فقال له عمر: انّ عليّا جاءنا بالقرآن و فيه فضايح المهاجرين و الأنصار، و قد أردنا ان تؤلف لنا القرآن و تسقط منه ما كان فيه فضيحه و هتك المهاجرين و الأنصار، فأجابه زيد إلى ذلك، ثم قال: فان أنا فرغت من القرآن على ما سألتم و أظهر علىّ عليه السّلام القرآن الذى ألفه أليس قد بطل كلّ ما عملتم؟ قال عمر: فما الحيله؟ قال زيد: أنت أعلم بالحيله، فقال عمر: ما الحيله دون أن نقتله و نستريح منه، فدبّر فى قتله على يد خالد بن الوليد فلم يقدر على ذلك، فلما استخلف عمر سأل عليّا أن يدفع إليهم فيحرّفوه فيما بينهم، فقال يا أبا الحسن: إن كنت جئت به إلى أبى بكر فائت به إلينا حتّى نجتمع عليه، فقال علىّ عليه السّلام هيهات (ج ١٣)

ص:٢٠٨

ليس إلى ذلك سبيل إنّما جئت به إلى أبى بكر لتقوم الحجّه عليكم و لا تقولوا يوم القيامه إنّا كنّا عن هذا غافلين، أو تقولوا ما جئتنا به، إنّ القرآن الذى عندى لا يمسّه إلاّ المطهّرون و الأوصياء من ولدى، فقال عمر: فهل وقت لاظهاره معلوم؟ قال: نعم إذا قام القائم من ولدى يظهره و يحمل النّاس عليه فتجرى السنّه به صلوات اللّه عليه.

## الثانى ما رواه الطبرسىّ فى الاحتجاج عن أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه

فى جواب سؤال الزّنديق حيث سأله عن تصريح اللّه سبحانه بهفوات الأنبياء و زلاّتهم مثل قوله:

«وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى » و نحوه، و توريته أسماء من اغترّ و فتن خلقه و ضلّ و أضلّ و تعبيره عنهم بالكنايه مثل قوله:

«يَوْمَ يَعَضُّ الظّالِمُ عَلى يَدَيْهِ » و نحوه، فقال عليه السّلام: إنّ الكنايه عن أسماء ذو الجرائر العظيمه من المنافقين فى القرآن ليست من فعله تعالى، و إنّها من فعل المغيرين و المبدّلين الذين جعلوا القرآن عضين(۱) ، و اعتاضوا الدّنيا من الدّين، و قد بيّن اللّه قصص المغيرين بقوله:

«لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِنْدِ اللّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً » و بقوله: «وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقاً يَلْوُونَ »(۲) «أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتابِ » و بقوله: «إِذْ يُبَيِّتُونَ ما لا يَرْضى مِنَ الْقَوْلِ »(۳)



---

۱- (۱) اى اجزاء متفرقه من العضه، منه.

۲- (۲) اى يحرفون و يعدلون به عن القصد قال الطريحى قيل يكتب بواو واحد و ان كان لفظها بواوين و هى كذلك فى المصاحف القديمه و آخر الايه لتحسبوه من الكتاب و ما هو من الكتاب و يقولون هو من عند اللّه و ما هو من عند اللّه و يقولون على اللّه الكذب و هم يعلمون، منه

۳- (۳) آخر الايه و كان اللّه بما يعملون محيطا م

بعد فقد الرّسول صلّى اللّه عليه و آله، و ما يقيمون(١) به اود باطلهم حسب ما فعلته اليهود و النصارى بعد فقد موسى و عيسى عليه السّلام من تغيير التّوراه و الانجيل و تحريف الكلم عن مواضعه و بقوله:

«يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ »... «وَ يَأْبَى اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ » يعنى أنّهم أثبتوا فى الكتاب ما لم يقله اللّه ليلبسوا على الخليقه فأعمى اللّه قلوبهم حتّى تركوا فيه ما دلّ على ما أحدثوه فيه و حرفوا منه، و بيّن عن افكهم و تلبيسهم و كتمان ما علموه منه، و لذلك قال لهم:

«لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْباطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ » و ضرب مثلهم بقوله:

«فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً »(٢) «وَ أَمّا ما يَنْفَعُ النّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ » فالزّبد فى هذا الموضع كلام الملحدين الذين أثبتوه فى القرآن، فهو يضمحلّ و يبطل و يتلاشى عند التّحصيل، و الذى ينفع الناس منه فالتّنزيل الحقيقى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و القلوب تقبله و الأرض فى هذا الموضع هى محلّ العلم و قراره، و ليس يسوغ مع عموم التقيه التّصريح بأسماء المبدّلين، و لا الزّياده فى آياته على ما أنبتوه من تلقائهم فى الكتاب لما فى ذلك من تقويه حجج أهل التعطيل و الكفر و الملل المنحرفه من قبلتنا و إبطال هذا العلم الظاهرى الذى قد استكان له الموافق و المخالف بوقوع الاصطلاح على الايتمار(٣) لهم و الرّضا بهم، و لأنّ أهل الباطل فى القديم و الحديث أكثر عددا من أهل الحقّ، و لأن الصّبر على ولاه



---

١- (١) الظاهر انه عطف على قوله سبحانه ما لا يرضى فكان كلامه «عليه السلام» متم كلام اللّه سبحانه فيكون المعنى انهم يدبرون فى الليل بعد فقد الرسول «صلّى اللّه عليه و آله» ما يقيمون و يصلحون به اعوجاج باطلهم و الاود الاعوجاج يقال قام اوده اى اعوجاجه، منه

٢- (٢) بالضم و المد الباطل، لغه

٣- (٣) ايتمر الامر امتثله منه،

الأمر مفروض بقول اللّه تعالى لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله:

«فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ » و ايجابه مثل ذلك على أوليائه و اهل طاعته بقوله:

«لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ » ثم، قال عليه السّلام فحسبك من الجواب عن هذا الموضع ما سمعت، فانّ شريعه التقيه نحظر بأكثر منه.

## الثالث ما رواه عليّ بن إبراهيم القميّ عن الصّادق عليه السّلام

فى قوله تعالى:

«لَهُ مُعَقِّباتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ » انه قال: كيف يحفظ الشّيء من أمر اللّه و كيف يكون العقب من بين يديه؟ فقيل له كيف ذلك يابن رسول اللّه؟ فقال: إنّما انزلت له معقّبات من خلفه و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر اللّه.

## الرابع ما رواه عنه عليه السّلام أيضا

فى قوله:

«لَقَدْ تابَ اللّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَ الْمُهاجِرِينَ وَ الْأَنْصارِ » أنّ الآيه هكذا نزلت لقد تاب اللّه بالنّبيّ على المهاجرين.

## الخامس ما رواه أيضا

قال: إنّه قرء على أبى عبد اللّه عليه السّلام:

«اَلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنا هَبْ لَنا مِنْ أَزْواجِنا وَ ذُرِّيّاتِنا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَ اجْعَلْنا لِلْمُتَّقِينَ إِماماً » فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: لقد سألوا اللّه عظيما أن يجعلهم للمتقين اماما، فقيل يابن رسول اللّه كيف ذلك؟ فقال عليه السّلام: إنّما نزلت و اجعل لنا من المتّقين إماما.

## السادس ما رواه أيضا عن ابن أبى عمير عن ابن سنان

قال قرأت على أبى عبد اللّه عليه السّلام:

«كُنْتُمْ خَيْرَ أَمَّهٍ أَخْرِجَتْ لِلنّاسِ » فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام خير امّه يقتلون أمير المؤمنين و الحسن و الحسين ابنى علىّ عليهم السّلام، فقال القارى: جعلت فداك كيف نزلت؟ فقال عليه السّلام نزلت خير أئمه اخرجت للنّاس، أ لا ترى مدح اللّه لهم فى آخر الآيه:

«تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ »

**السابع ما رواه السيّد المعتمد السيّد هاشم البحرانى عن المفيد فى كتاب**

الاختصاص

، قال: و روى عن جابر الجعفى قال: كنت ليله من بعض اللّيالى عند أبى جعفر عليه السّلام فقرأت هذه الآيه:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذا نُودِيَ لِلصَّلاهِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَهِ فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللّهِ » فقال: مه يا جابر كيف قرأت، يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصّلاه من يوم الجمعه فاسعوا إلى ذكر اللّه، قال: قال: قلت فكيف أقرء جعلنى اللّه فداك؟ قال: هذا تحريف يا جابر، قال: فقال عليه السّلام: يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصّلاه فامضوا إلى ذكر اللّه هكذا نزلت يا جابر، لقد كان يكره أن يعدو الرّجل إلى الصّلاه يا جابر لم سمّيت الجمعه يوم الجمعه؟ قال: قلت: تخبرنى جعلنى اللّه فداك، قال: أفلا أخبرك بتأويله الأعظم؟ قال: قلت: بلى جعلنى اللّه فداك، قال: فقال: يا جابر سمّى اللّه الجمعه جمعه لأنّ اللّه عزّ و جلّ جمع فى ذلك الأولين و الآخرين و جميع ما خلق اللّه من الجنّ و الانس و كلّ شىء خلق ربّنا و السّماوات و الارضين و البحار و الجنّه و النّار و كلّ شىء خلق اللّه فى الميثاق فأخذ الميثاق منهم له بالرّبوبيّه و لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله بالنّبوه و لعلىّ عليه السّلام بالولايه، و فى ذلك اليوم قال اللّه للسّماوات و الأرض:

«اِئْتِيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قالَتا أَتَيْنا طائِعِينَ » فسمّى اللّه ذلك اليوم الجمعه، لجمعه فيه الأولين و الآخرين، ثمّ قال عزّ و جلّ يا أيّها الذين آمنوا إذا نودى للصّلاه من يوم الجمعه من يومكم هذا الذى جمعكم فيه

ص:۲۱۲

و الصّلاه أمير المؤمنين عليه السّلام، يعنى بالصّلاه الولايه، و هى الولايه الكبرى ففى ذلك اليوم أتت الرّسل و الأنبياء و الملائكه و كلّ شىء خلق اللّه و الثقلان الجنّ و الانس و السّماوات و الأرضون و المؤمنون بالتلبيه للّه عزّ و جلّ، فامضوا إلى ذكر اللّه و ذكر اللّه أمير المؤمنين عليه السّلام، و ذروا البيع، يعنى الأوّل، ذلكم، يعنى بيعه أمير المؤمنين و خلافته، خير لكم من بيعه الأوّل و ولايته، ان كنتم تعلمون، فاذا قضيت الصّلاه يعنى بيعه أمير المؤمنين، فانتشروا فى الأرض يعنى بالأرض الأوصياء أمر اللّه بطاعتهم و ولايتهم، كما أمر بطاعه الرّسول و طاعه أمير المؤمنين كنى اللّه فى ذلك من أسمائهم فسمّاهم بالأرض، و ابتغوا من فضل اللّه، قال جابر: و ابتغوا من فضل اللّه، قال:

تحريف هكذا نزلت و ابتغوا من فضل اللّه على الأوصياء و اذكروا اللّه كثيرا لعلكم تفلحون، ثمّ خاطب اللّه عزّ و جلّ فى ذلك الموقف محمّدا صلّى اللّه عليه و آله، فقال يا محمّد: فاذا رأوا الشّكاك و الجاحدون تجاره، يعنى الأوّل أو لهوا، يعنى الثّانى، انصرفوا إليها، قال:

قلت انفضّوا إليها قال: تحريف هكذا نزلت، و تركوك، مع علىّ قائما، قل يا محمّد ما عند اللّه، من ولايه علىّ و الأوصياء، خير من اللّهو و التجاره، يعنى بيعه الأوّل و الثّانى للّذين اتقوا، قال: قلت: ليس فيها للّذين اتّقوا، قال: فقال: بلى هكذا نزلت الآيه، و أنتم هم الذين اتّقوا، و اللّه خير الرّازقين.

### الثامن ما رواه الصّدوق فى التوحيد

باسناده عن علىّ بن الحسن بن علىّ بن فضّال عن أبيه عن الرّضا علىّ بن موسى عليهما السّلام قال سألته عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«هَلْ يَنْظُرُونَ إِلاّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمامِ وَ الْمَلائِكَهُ » قال: يقول: هل ينظرون إلاّ أن يأتيهم اللّه بالملائكه فى ظلل من الغمام، و هكذا نزلت، و العجب من الصّدوق مع روايته ذلك كيف أنكر وقوع التّحريف فيه.

### القسم الثانى الأدله الداله على وجود الزياده و النّقصان

اولها ما رواه فى الصافى عن العياشى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: لو لا أنّه زيد فى كتاب اللّه و نقص ما خفى حقّنا على ذى حجى الثانى ما رواه العيّاشى عنه عليه السّلام أيضا أنّ القرآن قد طرحت منه آى كثيره

و لم يزد فيه إلاّ حروف أخطأت به الكتبه و توهّمتها الرّجال.

الثالث ما فى تفسير علىّ بن ابراهيم فى قوله:

«وَ إِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْراهِيمَ وَ مُوسى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ » قال: هذه الواو زياده فى قوله و منك، و إنّما هو منك و من نوح.

## القسم الثالث الأدله الدّاله على وجود النّقصان فقط،

و هى كثيره.

اولها ما رواه فى الكافى عن هشام بن سالم عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: إنّ القرآن الذى جاء به جبرئيل إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله سبعه عشر ألف آيه، و وجه دلالته أنّ الموجود بأيدينا من القرآن لا يزيد على سبعه آلاف آيه، و على ما ضبطه الشّيخ الطبرسى ستّه آلاف و مأتا آيه و ستّه و ثلاثون آيه.

الثانى ما رواه الطبرسى فى الاحتجاج عن علىّ عليه السّلام فى جواب الزّنديق الذى احتجّ عليه بتناقض ظواهر بعض الآيات أنّه عليه السّلام قال: و أمّا ظهورک على تناكر قوله:

«وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلاّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتامى فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ » و ليس يشبه القسط فى اليتامى نكاح النّساء و لا كلّ النّساء أيتام، فهو ممّا قدّمت ذكره من إسقاط المنافقين فى القرآن بين القول فى اليتامى و بين نكاح النساء من الخطاب و القصص أكثر من ثلث القرآن، و هذا و ما أشبهه ممّا أظهرت حوادث المنافقين فيه لأهل النّظر و التّأمل و وجد المعطلون و أهل الملل المخالفه للاسلام مساغا إلى القدح فى القرآن، و لو شرحت لک كلما اسقط و حرّف و بدّل ممّا يجرى هذا المجرى لطال و ظهر ما يحظر التّقيه إظهاره من مناقب الأولياء و مثالب الأعداء.

ص:۲۱۴

الثالث ما رواه فى الكافى عن أحمد بن محمّد بن أبى نصر، قال دفع إلىّ أبو الحسن عليه السّلام مصحفا، فقال: لا تنظر فيه، ففتحته و قرأت فيه: لم يكن الذين كفروا، فوجدت فيها اسم سبعين من قريش بأسمائهم و أسماء آبائهم، قال فبعث إلىّ ابعث إلىّ بالمصحف.

الرابع ما رواه أبو عبيده بسنده عن ابن عمر قال: لا يقولنّ أحدكم قد اخذت القرآن كلّه و ما يدريه ما كلّه، قد ذهب منه قرآن كثير، و لكن ليقل قد أخذت منه ما ظهر.

و بسنده عن عايشه، قال: كانت سوره الأحزاب تقرء فى زمان الرّسول صلّى اللّه عليه و آله مأتى آيه، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلّا على ما هو الآن.

و بسنده عن زر بن حبيش، قال: قال لى أبىّ بن كعب: كم تعدّون سوره الأحزاب؟ قلت: اثنتين و ستين آيه أو ثلاثا و ستّين آيه، قال: ان كانت لتعدل سوره البقره.

و فى الكشاف عن زرّ مثله إلّا أنّ فيه قلت ثلاثا و سبعين آيه، قال فو الذى يحلف به أبىّ ابن كعب ان كانت لتعدل سوره البقره أو أطول و لقد قرأنا منها آيه الرّجم، الشّيخ و الشّيخه اذا زنيا فارجموهما البتّه نكالا من اللّه و اللّه عزيز حكيم.

الخامس ما رواه فى كتاب تذكره الأئمه عن تفسير الكازر، و المولى فتح اللّه عن مصحف ابن مسعود، و هو آيات كثيره فى سور متعدّده.

ففى المائده: («يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْکَ » فى شَأْنِ عَلِيٍّ «وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ ») و فى الرّعد و هو قوله تعالى: («إِنَّما أَنْتَ مُنْذِرٌ وَ » عَلِيٌّ «لِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ ») و فى الشّعراء: («وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا » آلَ مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ «أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »، و رواه القمى أيضا عن أبى عبد اللّه عليه السّلام.

و فى الصّافّات قوله: («وَ قِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ » فى وِلايَهِ عَلِيٍّ «ما لَكُمْ لا تَناصَرُونَ »).

و فى النّساء قوله تعالى: («أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ » وَ آلَ مُحَمَّدٍ «اَلْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً ») و فى الزّمر قوله: («فَإِمّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ » بِعَلِيِّ بْنِ أَبى طالِبٍ) و رواه الطّبرسى أيضا عن جابر بن عبد اللّه الأنصارى.

و فى طه قوله تعالى: («وَ لَقَدْ عَهِدْنا إِلى آدَمَ مِنْ قَبْلُ » كَلِماتٍ فى محمّد و علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين و التّسعه من ذرّيّه الحسين «فَنَسِيَ وَ لَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً ») و رواه أيضا فى الكافى عن الصّادق عليه السّلام إلاّ أنّ فى آخره و الأئمّه من ذرّيتهم بدل قوله و التّسعه، ثم قال هكذا و اللّه نزلت على محمّد صلّى اللّه عليه و آله و فى النّجم قوله تعالى: («فَأَوْحى إِلى عَبْدِهِ » فى علىّ لَيْلَهَ الْمِعْراجِ «ما أَوْحى ») و فى آيه الكرسى: («اَللّهُ لا إِلهَ إِلاّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لا تَأْخُذُهُ سِنَهٌ وَ لا نَوْمٌ لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَ ما فِي الْأَرْضِ » وَ ما تَحْتَ الثَّرى، عالِمُ الْغَيْبِ وَ الشّهادَهِ هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ «مَنْ ذَا الَّذِى يَشْفَعُ عِنْدَهُ ») و فى الأحزاب قوله: («وَ كَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ » بعلىّ بن أبى طالب «وَ كانَ اللّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً ») و منها سوره الولايه: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ يا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا آمِنُوا بِالنَّبِیِّ وَ الْوَلِیِّ اللذَیْنِ بَعَثْناهُما یَهْدِیانِکَمْ إلی صِراطٍ مُسْتَقِیم نَبِیٌّ وَ وَلِیٌّ بَعْضُهُما مِنْ بَعْضٍ، وَ أَنَا الْعَلِیمُ الْخَبِیرُ، إنَّ الَّذِینَ یُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ لَهُمْ جَنّاتُ النَّعِیم، فَالَّذِینَ إذا تُلِیَتْ عَلَیْهِمْ آیاتُنا کانُوا بِآیاتِنا مُکَذِّبِینَ، إنَّ لَهُمْ فی جَهَنَّمَ مَقامٌ عَظِیمٌ، نُودِیَ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیمَهِ أَیْنَ الضّالُّونَ الْمُکَذِّبُونَ لِلمُرْسَلِینَ، ما خَلَفَهُمُ الْمُرْسَلِینَ إلاّ بِالْحَقِّ، وَ ما کانَ اللّهُ لِیُنْظِرَهُمْ إلی أَجَلٍ قَرِیبٍ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ عَلِیٌّ مِنَ الشّاهِدِینَ) و منها سوره النّورین، ترکت ذکرها لکونها مع طولها مغلوطه لعدم وجود نسخه مصحّحه عندی یصحّ الرّکون إلیها.

السادس ما رواه علیّ بن إبراهیم القمیّ فی تفسیره و هو أیضا کثیر.

منها قوله تعالی: («وَ مَنْ یُطِعِ اللّهَ وَ رَسُولَهُ » فی ولایه علیّ و الأئمه من بعده «فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِیماً »).

و منها قوله تعالی: وَ «لکِنِ اللّهُ یَشْهَدُ بِما أَنْزَلَ إِلَیْکَ » فی علی «أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَ الْمَلائِکَهُ یَشْهَدُونَ ») و منها قوله تعالی: («إِنَّ الَّذِینَ کَفَرُوا وَ ظَلَمُوا » آل محمّد حقّهم «لَمْ یَکُنِ اللّهُ لِیَغْفِرَ لَهُمْ ») و منها («وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جاؤُکَ » یا علیّ «فَاسْتَغْفَرُوا اللّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ ») و منها قوله تعالی: («وَ لَوْ تَری إِذِ الظّالِمُونَ » آل محمّد حقّهم

«فِی غَمَراتِ الْمَوْتِ ») السابع ما رواه فی الصّافی عن العیّاشی عن الباقر علیه السّلام فی قوله:

«وَ إِذْ أَخَذَ اللّهُ مِیثاقَ النَّبِیِّینَ » أنّها نزلت و إذ أخذ اللّه میثاق أمم النّبیین.

الثامن ما فیه عنه فی قوله: فبدّل الذین اه أنّها نزلت فبدّل الذین ظلموا آل محمّد حقهم غیر الذی قیل لهم، فأنزلنا علی الذین ظلموا آل محمّد حقهم رجزا من السّماء بما کانوا یفسقون.

التاسع ما رواه فی الکافی(۱) عن أبی بصیر مقطوعا فی حدیث طویل، ثمّ أتی الوحی إلی النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله فقال:

(«سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ لِلْکافِرِینَ » بولایه علیّ «لَیْسَ لَهُ دافِعٌ مِنَ اللّهِ ذِی الْمَعارِجِ ») قال: قلت: جعلت فداک إنّا لا نقرئها هکذا، فقال: هکذا و اللّه نزل بها جبرئیل علی محمّد صلّی اللّه علیه و آله، و هکذا هو و اللّه مثبت فی مصحف فاطمه علیها السّلام، إلی غیر ذلک ممّا یقف علیه المتتبع المجدّ و أکثر التّفاسیر احتواء لذلک تفسیر القمیّ، و فیما ذکرناه کفایه لمن طلب الحقّ، لأنّها علی اختلاف مؤدّیاتها متفقه علی الدلاله علی النقیصه فی الکتاب فیحصل منها العلم الضّروری بها.

و المناقشه فیها بأنّ الزّیادات المذکوره فیها إنّما هی من قبیل الأحادیث القدسیه لا القرآن فبعیده جدّا کما أنّ احتمال أن یکون النّاقصات من قبیل التفاسیر و بیان المعانی کذلک، لما عرفت من التّصریح فی بعضها بأنّها هکذا نزلت، و فی بعضها هکذا و اللّه نزلت، و مع ذلک التّصریح کیف یمکن القول بکون المنقوصات من قبیل التفاسیر کما توهّمه الصّدوق.



---

۱- (۱) و رواه فی غایه المرام بسند آخر عن ابی بصیر عن أبی عبد اللّه «علیه السلام» منه

و الانصاف أنّ القول بعدم النّقص فيه ممّا يمكن إنكاره بعد ملاحظه الأدله و الأخبار التى قدّمناها، فانّها قد بلغت حدّ التّواتر، مضافا إلى أخبار ورود الامه على الحوض و قولهم بعد سؤال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله عنهم كيف خلّفتمونى فى الثقلين: أمّا الأكبر فحرقناه (فبدلناه خ ل) و أمّا الأصغر فقتلناه، و هذه الأخبار أيضا متواتره، و مع التّنزل عن بلوغها حدّ التواتر نقول: إنّه بانضمامها إلى الأخبار الاول لا محاله تكون متواتره مفيده للعلم بثبوت النّقصان، إذ لو كان القرآن الموجود بأيدينا اليوم بعينه القرآن المنزل من السّماء من دون أن يكون فيه تحريف و نقصان، فأىّ داع كان لهم على الطبخ و الاحراق الذى صار من أعظم المطاعن عليهم.

فان قلت: إذا ثبت وقوع التّغيير فى القرآن فكيف يجوز لنا قراءته؟ بل اللازم قراءته على نحو ما انزل فيما اطلعنا عليه.

قلت: إنّ الأئمه عليهم السلام رخّصونا على ما هو الموجود الآن و لم يأذنوا بقراءته على نحو ما انزل.

يدلّ على ذلك ما رواه فى الكافى مرسلا عن سهل بن زياد عن محمّد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبى الحسن عليه السّلام قال: قلت له: جعلت فداك إنا نسمع الآيات فى القرآن ليس هى عندنا كما نسمعها و لا نحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم؟ فقال عليه السّلام: لا، اقرءوا كما تعلّمتم فسيجيئكم من يعلّمكم.

و فيه أيضا باسناده إلى سالم بن سلمه، قال: قرء رجل على أبى عبد اللّه عليه السّلام و أنا أستمع حروفا من القرآن ليس على ما يقرئها النّاس، فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

مه كفّ عن هذه القرائه و اقرء كما يقرأ النّاس حتّى يقوم القائم عليه السّلام: فاذا قام قرء كتاب اللّه على حدّه و أخرج المصحف الذى كتبه علىّ عليه السّلام.

فان قلت: سلّمنا وجود التّحريف فيه فلم لم يصحّحه أمير المؤمنين عليه السّلام حيثما جلس على سرير الخلافه مع أنّه لم يكن منه مانع يومئذ.

قلت: إنّه عليه السّلام لم يتمكن منه لوجود التقيه المانعه من حيث كونه مستلزما

للتشنيع على من سبقه كما لم يتمكن من إبطال صلاه الضحى، و من إجراء متعتى الحجّ و النّساء، و من عزل شريح عن القضاوه، و معاويه عن الاماره، و قد صرّح بذلک فی روايه الاحتجاج السّابقه فی مكالمته عليه السّلام مع الزّنديق.

مضافا إلى اشتمال عدم التّصحيح على مصلحه لا تخفى، و هو أن يتمّ الحجه فی يوم القيامه على المحرّفين المغيّرين من هذه الجهه أيضا بحيث يظهر شناعه فعلهم لجميع أهل المحشر، و ذلک بأن يصدر الخطاب من مصدر الرّبوبيّه إلى امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله، و يقال لهم: كيف قرأتم كتابى الذى أنزلته إليكم؟ فيصدر عنهم الجواب، بأنّا قرأناه كذا و كذا، فيقال لهم: ما أنزلناه هكذا فلم ضيّعتموه و حرّفتموه و نقصتموه؟ فيجيبوا أن يا ربّنا ما قصّرنا فيه و لا ضيّعناه و لا فرطنا، بل هكذا وصل إلينا.

فيخاطب حمله الوحى و يقال لهم: أنتم قصّرتم فی تبليغ وحيى و أداء أمانتى؟ فيقولوا ربّنا ما فرطنا فی وحيک من شیء و إنّما فرط فيه فلان و فلان بعد مضىّ نبيّهم، فيظهر شناعه فعلهم و فضاحه عملهم لجميع أهل المحشر و يستحقّوا بذلک الخزى العظيم و العذاب الأليم مضافا إلى استحقاقهم للنّكال و العقاب بتفريطهم فی أمر الرّساله و تقصيرهم فی غصب الخلافه.

فان قلت: سلّمنا أنّ عليّا عليه السّلام لم يتمكن من تصحيحه و أنّ بقائه على التّحريف كان مشتملا على المصلحه التی ذكرتها، و لكن بقى هنا شیء و هو أنّ الأئمه لم لم يدفعوا ما عندهم من الكتاب المنظم المحفوظ السّالم عن التّحريف إلى الامّه و ما كان المانع لهم من ذلک؟ قلت: السّر فی عدم إظهارهم عليهم السلام له وجوه كثيره:

منها أنّه لو أظهر ذلک الكتاب مع بقاء هذا الكتاب المحرّف لوقع الاختلاف بين النّاس و يكون ذلک سببا لرجوع النّاس إلى كفرهم الأصلى و أعقابهم القهقرى.

و منها أنّ شوكه النّفاق يومئذ كان أكثر فلو أظهروه لأحدث المنافقون فيه مثل ما أحدثه رئيسهم قبلهم.

ص:۲۲۰

و منها أنّه مع إظهاره أيضا لا يكون له رواج، لمكان شهره ذلك المحرّف إلى غير هذه من الأسرار التى تستفاد من الأخبار.

و كيف كان فقد ظهر و تحقّق ممّا ذكرنا كله أنّ حدوث التّحريف و النّقصان فى القرآن ممّا لا غبار عليه.

و أمّا الزّياده ففيها تردّد و الأقوى العدم إذ الدّليل عليها ليس إلّا عدّه روايات و هى لا تقاوم الاجماعات التى ادّعاها الشّيخ و الصّدوق و الطبرسى و المحقّق الكاظمى.

فان قلت: قد ظهر من كلام الصّدوق الاجماع على عدم النقيصه أيضا، فان كان الاجماع المنقول حجّه فهو حجّه فى المقامين كليهما، و إلّا فلا يعبأ به فى شىء منهما و التّفرقه بينهما بالعمل به فى أحدهما دون الآخر شطط من الكلام.

قلت: الاجماع المنقول إنّما هو معتبر لأجل إفادته الظن، و هو لا يكافؤ القطع الحاصل من الأخبار المتواتره الدّاله على النّقيصه، و لكن لما كان الظنّ الحاصل منه أقوى من الظن الحاصل من أدله الزّياده لا جرم رجّحناه عليها.

هذا تمام الكلام فى المقام، و قد تكلّمنا فيه بمقتضى أفهامنا، و اللّه العالم بحقايق الامور.

## التذييل الثالث

اعلم أنّه قد تواترت الأخبار عن العتره الزّاكيه و أجمعت الأصحاب من الفرقه النّاجيه الاماميّه على أنّ قيم القرآن بعد النّبى صلّى اللّه عليه و آله أى العالم بتفسير محكماته و تأويل متشابهاته، و الحافظ لأسراره و آياته و أنوار بيّناته، هو علىّ و الطيّبون من أولاده عليهم السلام، و قد طابق العقل فى ذلك النّقل فكلاهما متطابقان فى علمهم بالقرآن.

أمّا العقل فلأنه قد علمت عند شرح قوله عليه السّلام: و لم يخل اللّه خلقه من نبىّ مرسل أو كتاب منزل أو حجّه لازمه، أنّ الأرض لا تبقى بلا حجّه من بعد النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، إذ الحاجه من الخلق ماسّه دائما إلى وجود من يقرّبهم إلى اللّه و يهديهم

ص:٢٢١

إلى سبيل ربّهم بالحكمه و الموعظه الحسنه، فلا بدّ أن يكون ذلك الحجّه عالما بجميع القرآن، إذ القرآن لا يكون بنفسه حجّه من دون قيّم، ضروره أن القرآن ليس كتابا يقوم بعلمه عامه أهل النّظر من الفضلاء، فضلا عن غيرهم كيف؟ و أكثر أرباب النظر عاجزون عن مطالعه كتب الحكماء و فهمها، ككتب أفلاطن و أرسطو فكيف يمكنهم أن يعلموا القرآن و يفهموه، و هو كتاب الهىّ و كلام ربّانىّ نسبته إلى ساير الكتب كنسبه الرّب تعالى إلى مصنّفى تلك الكتب، و هو مشتمل على رموز و بطون و أسرار و نكات، فلا يهتدى إلى نوره إلاّ بتأييد إلهىّ و إلهام ربانى و تعليم نبوىّ، و لم نجد أحدا يقال: إنّه علم القرآن كله، و إنّه قيمه إلاّ عليّا و أولاده المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين فهم قيّم القرآن و عارفوه.

و فى روايه الكافى عن منصور بن حازم، قال: قلت: لأبى عبد اللّه عليه السّلام إلى أن قال: و قلت للنّاس: تعلمون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان هو الحجه من اللّه على خلقه، قالوا: بلى، قلت: فحين مضى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من كان الحجه على خلقه؟ فقالوا: القرآن، فنظرت فاذا هو يخاصم فيه المرجئى و القدرى و الزّنديق الذى لا يؤمن به حتّى يغلب الرّجال بخصومته، فعرفت أن القرآن لا يكون حجه إلاّ بقيم، فما قال فيه من شىء كان حقّا، فقلت لهم: من قيم القرآن؟ فقالوا: ابن مسعود قد كان يعلم، و عمر يعلم، و حذيفه يعلم، قلت: كله؟ قالوا: لا فلم أجد أحدا يقال: إنه يعرف ذلك كله إلاّ عليّا صلوات اللّه عليه، و إذا كان الشىء بين القوم، فقال هذا:

لا ادرى، و قال هذا: لا أدرى، و قال هذا: لا أدرى و قال هذا: أنا أدرى فاشهد أنّ عليا عليه السّلام كان قيّم القرآن، و كانت طاعته مفروضه، و كان الحجه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و أنّ ما قال فى القرآن فهو حقّ فقال عليه السّلام(۱) رحمك اللّه.

و اما النّقل فقد روى عن ابن عبّاس أنّه كان ليله من الليالى عند أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يفسّر فاتحه الكتاب، فرأى نفسه عنده كجرّه عند بحر عظيم، و هو عليه السّلام قال لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحه الكتاب.



---

۱- (۱) اى قال ابو عبد اللّه «عليه السلام» لمنصور، منه

و فی غایه المرام عن محمّد بن الحسن الصّفار باسناده عن الأصبغ بن نباته، قال قال أمیر المؤمنین علیه السّلام: لو کسرت لی و ساده فقعدت علیها لقضیت بین أهل التوراه بتوراتهم، و أهل الانجیل بإنجیلهم و أهل الفرقان بفرقانهم بقضاء یصعد إلی اللّه یزهر و اللّه ما نزلت آیه فی کتاب اللّه فی لیل أو نهار إلاّ و قد علمت فیمن انزل، و لا أحد مرّ علی رأسه الموسی إلاّ و قد نزلت فیه آیه من کتاب اللّه تسوق إلی الجنه أو إلی النار، فقام إلیه رجل، فقال یا أمیر المؤمنین علیه السّلام: ما الآیه التی نزلت فیک؟ قال علیه السّلام له: أما سمعت اللّه یقول:

«أَ فَمَنْ کانَ عَلی بَیِّنَهٍ مِنْ رَبِّهِ وَ یَتْلُوهُ شاهِدٌ » فرسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله علی بینه من ربّه، و أنا شاهد له فیه و أتلوه معه.

و فی غایه المرام أیضا عن الشّیخ فی أمالیه باسناده عن علیّ علیه السّلام، قال: سلونی عن کتاب اللّه، فو اللّه ما انزلت آیه من کتاب اللّه عزّ و جلّ فی لیل أو نهار و لا مسیر و لا مقام إلاّ و قد أقرأنیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و علّمنی تأویلها، فقام ابن الکوّا، فقال یا أمیر المؤمنین: فما کان ینزل علیه و أنت غائب عنه؟ قال: کان یحفظ علیّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله ما کان ینزل علیه من القرآن و أنا عنه غائب حتّی اقدم علیه فیقرئنیه و یقول لی یا علیّ أنزل اللّه علیّ بعدک کذا و کذا، و تأویله کذا و کذا فیعلّمنی تأویله و تنزیله.

و فی البحار عن بصائر الدّرجات باسناده عن إبراهیم بن عبد الحمید عن أبیه عن أبی الحسن الأوّل علیه السّلام، قال: قلت له جعلت فداک: النبی صلّی اللّه علیه و آله ورث علم النّبیین کلهم؟ قال لی: نعم قلت: من لدن آدم إلی أن انتهی إلی نفسه، قال: نعم، قلت ورثهم النّبوه و ما کان فی آبائهم من النّبوه و العلم، قال: ما بعث اللّه نبیّا إلاّ و قد کان محمّد صلّی اللّه علیه و آله أعلم منه، قال: قلت: إنّ عیسی بن مریم کان یحیی الموتی باذن اللّه، قال: صدقت، و سلیمان بن داود کان یفهم کلام الطیر، قال: و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقدر علی هذه المنازل، فقال: إن سلیمان بن داود قال للهدهد حین فقده و شکّ فی أمره:

«ما لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كانَ مِنَ الْغائِبِينَ » و كانت المرده و الرّيح و النمل و النّاس و الجنّ و الشّياطين له طائعين، و غضب عليه، فقال:

«لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيداً أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطانٍ مُبِينٍ » و إنّما غضب عليه لأنّه كان يدله على الماء فهذا و هو طير قد أعطى ما لم يعط سليمان، و إنّما أراد ليدله على الماء فهذا لم يعط سليمان و كانت المرده له طائعين و لم يكن يعرف الماء تحت الهواء و كانت الطير تعرفه، إنّ اللّه يقول فى كتابه:

«وَ لَوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتى »(۱) فقد ورثنا نحن هذا القرآن فعندنا ما تسير به الجبال و تقطع به البلدان و يحيى به الموتى باذن اللّه، و نحن نعرف ما تحت الهواء و إن كان فى كتاب اللّه لآيات لا يراد بها أمر من الامور التى اعطاها اللّه الماضين النّبيين و المرسلين إلّا و قد جعله اللّه ذلک كله لنا فى امّ الكتاب، إنّ اللّه تبارك و تعالى يقول:

«وَ ما مِنْ غائِبَةٍ فِي السَّماءِ وَ الْأَرْضِ إِلاّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ » ثمّ قال عزّ و جلّ: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا » فنحن الذين اصطفانا اللّه، فقد ورثنا علم هذا القرآن الذى فيه تبيان كلّ شيء.

و فى الكافى باسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال:



---

۱- (۱) شرط حذف جوابه و المراد منه تعظيم شان القرآن او المبالغه فى عناد الكفره و تصميمهم اى و لو ان قرانا زعزعت به الجبال عن مقارها لكان هذا القرآن لانه الغايه فى الاعجاز و النهايه فى التذكير و الانذار، تفسير بيضاوى. «ج ۱۴»

«قالَ الَّذِی عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْکِتابِ أَنَا آتِیکَ بِهِ قَبْلَ أَنْ یَرْتَدَّ إِلَیْکَ طَرْفُکَ » قال: ففرّج أبو عبد اللّه علیه السّلام بین أصابعه فوضعها فی صدره، ثم قال و عندنا و اللّه علم الکتاب کله.

و فی تفسیر علیّ بن إبراهیم عن أبیه عن ابن أبی عمیر عن ابن اذینه عن أبی عبد اللّه علیه السّلام أیضا قال: الذی عنده علم الکتاب، هو أمیر المؤمنین علیه السّلام و سئل عن الذی عنده علم من الکتاب أعلم أم الذی عنده علم الکتاب؟ فقال علیه السّلام ما کان علم الذی عنده علم من الکتاب عند الذی عنده علم الکتاب إلاّ بقدر ما تأخذ البعوضه بجناحها من ماء البحر.

و فی غایه المرام عن محمّد بن الحسن الصّفار باسناده عن عبد الأعلی بن أعین قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: قد ولدنی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و أنا أعلم کتاب اللّه، و فیه بدؤ الخلق و ما هو کائن إلی یوم القیامه و فیه خبر السّماء و خبر الأرض و خبر الجنّه و خبر النّار و خبر ما کان و خبر ما هو کائن، أعلم ذلک کانّما أنظر إلی کفّی إنّ اللّه یقول:

«فِیهِ تِبیانُ کُلِّ شَیْ ءٍ» و قریب منه ما فی الکافی باسناده عن عبد الأعلی مولی آل سام، قال: سمعت أبا عبد اللّه علیه السّلام یقول: و اللّه إنّی لأعلم کتاب اللّه من أوّله إلی آخره کأنّه فی کفی، فیه خبر السّماء و خبر الأرض و خبر ما کان و خبر ما هو کائن، قال اللّه عزّ و جل فیه تبیان کلّ شیء.

قال بعض المحقّقین: قوله علیه السّلام: کأنّه فی کفّی تنبیه علی أنّ علمه بما فی الکتاب شهودی بسیط واحد بالذّات متعلّق بالجمیع، کما أن رؤیه ما فی الکفّ رؤیه واحده متعلقه بجمیع أجزائه، و التّعدد إنّما هو بحسب الاعتبار.

و قوله علیه السّلام: فیه خبر السّماء یعنی من أحوال الأفلاک و حرکاتها و احوال الملائکه و درجاتها و حرکات الکواکب و مداراتها و منافع تلک الحرکات و تاثیراتها إلی غیر ذلک من الامور الکاینه فی العلویات و المنافع المتعلقه بالفلکیات.

و قوله علیه السّلام: و خبر الأرض یعنی من جوهرها و انتهائها و ما فی جوفها و أرجائها و ما فی تحتها و أهوائها و ما فیها من المعدنیات و ما تحت الفلک من البسایط و المرکبات التی یتحیر فی إدراک نبذ منها عقول البشر، و یتحیّر دون بلوغ أدنی مراتبها ظاهر الفکر و النّظر.

و قوله علیه السّلام: و خبر ما کان و خبر ما هو کائن أی من أخبار السّابقین و أخبار اللّاحقین کلیاتها و جزئیاتها و أحوال الجنّه و مقاماتها و تفاوت مراتبها و درجاتها و أخبار المثاب فیها بالانقیاد و الطاعه و المأجور فیها بالعباده و الزّهاده و أهوال النّار و درکاتها و أحوال مراتب العقوبه و مصیباتها، و تفاوت مراتب البرزخ فی النّور و الظلمه، و تفاوت أحوال الخلق فیه بالرّاحه و الشّده، کلّ ذلک بدلیل قوله: فیه تبیان کل شیء، أی کشفه و ایضاحه فلا سبیل إلی إنکاره.

## التذییل الرابع

اعلم أنّه قد ورد الأخبار المتظافره فی النّهی عن تفسیر القرآن بالرّأی منها ما فی مجمع البیان، قال: اعلم أنّ الخبر قد صحّ عن النّبیّ و الأئمه القائمین مقامه أنّ تفسیر القرآن لا یجوز إلّا بالأثر الصّحیح و النّص الصّریح، قال: و روی العامّه أنّه صلّی اللّه علیه و آله قال: من فسّر القرآن برأیه فأصاب الحقّ فقد أخطأ و منها ما عن تفسیر العیّاشی عن أبی عبد اللّه علیه السّلام، قال من فسّر القرآن إن أصاب لم یوجر، و إن أخطأ سقط أبعد من السماء.

و منها ما عن الرّضا عن أبیه عن آبائه عن أمیر المؤمنین علیهم السّلام، قال:

قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: إنّ «قال ظ» اللّه عزّ و جلّ فی الحدیث القدسی ما آمن بی من فسّر کلامی برأیه، و ما عرفنی من شبّهنی بخلقی، و ما علی دینی من استعمل القیاس فی دینی.

و منها ما رواه فی الکافی عن زید الشّحام فی حدیث قتاده مع أبی جعفر علیه السّلام قال: فقال أبو جعفر علیه السّلام: و یحک یا قتاده إن کنت إنّما فسّرت القرآن من تلقاء نفسک فقد هلکت و أهلکت، و إن کنت إنّما أخذته من الرّجال فقد هلکت و أهلکت إلی أن قال: فقال أبو جعفر علیه السّلام ویحک یا قتاده إنّما یعرف القرآن من خوطب به.

إذا عرفت ذلک فنقول: إنّ طائفه من متأخّری أصحابنا و هم الأخباریّون قالوا:

بعدم جواز استنباط حکم من الأحکام من القرآن و عدم جواز الاستدلال به علی شیء من المسائل إلّا بعد صدور بیانه من الأئمه علیهم السّلام، متمسکا بالأخبار المذکوره، و بأدله أخری استدلّوا بها علی مذهبهم فی محالها، و قد خالفوا فی ذلک جمیع المجتهدین، لاتّفاقهم علی جواز العمل بمحکمات الکتاب نصّا کان أو ظاهرا و استدلّوا علیه بأدله وافیه و براهین شافیه تعرّضوا لها فی علم الاصول، و لا حاجه لنا فی المقام إلی إشباع الکلام فی هذه المسأله، و إنّما مقصودنا تحقیق معنی الأخبار المذکوره لیتّضح المراد بها و یظهر أیضا عدم دلالتها علی ما رامه الأخباریه فنقول: إنّ التفسیر مأخوذ من الفسر و هو کشف السّتر عن المستور، یقال:

فسّر الشّیء فسرا إذا کشف عن غطائه، و قد یقال: إنّه کشف المراد عن اللفظ المشکل، و فی الاوقیانوس انّه فی عرف المفسرین مرادف للتّأویل و فی المصباح فسّرت الشّیء فسرا من باب ضرب بیّنته و اوضحته، و عن الصحاح الفسر البیان، و قد فسرت الشیء افسره بالکسر فسرا و التّفسیر مثله.

اذا عرفت هذا فاعلم انّه إن ارید بالتّفسیر المذکور فی الأخبار المعنیان الأوّلان، فلا یکون فیها دلاله علی المنع عن العمل بالظواهر و بالنّصوص بطریق اولی، لظهور انّ التّفسیر علی المعنیین المذکورین إنّما یکون فی الألفاظ التی معانیها خفیه مستوره، و الألفاظ التی معانیها مشکله کالمجملات و المتشابهات، و لا ریب انّ المعانی الظاهره من الألفاظ بنفسها لا ستره علیها حتّی یحتاج إلی الکشف، و لا إشکال فیها حتّی یحتاج إلی الفسر.

ص:۲۲۷

و امّا على القول بكونه مرادفا للتّاويل فكـذلك، إذ نحن لا ننكر عدم جواز تأويل ما يحتاج إلى التّأويل من تلقاء النّفس و نعترف بانحصار علم المتشابهات المحتاجه إليه فى الأئمه عليهم السّلام، لقوله تعالى:

«وَ ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَ الرّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ » و لكن اين ذلك من اتّباع المحكمات من العمل بالظواهر، نعم على القول بأنّ معناه البيان و الايضاح كما حكيناه عن المصباح و الصّحاح يكون للاستدلال بالأخبار المذكوره وجه، لعدم اختصاص التّفسير على ذلك المعنى بالالفاظ المجمله و المتشابهه إلاّ أن يقال: إنّ المراد بالرّأى فى الأخبار المذكوره هو الاعتبار العقلى الظنى الرّاجع إلى الاستحسان، فالمراد من التّفسير بالرّأى حمل اللفظ على خلاف ظاهره أو أحد احتماليه، لرجحان ذلك فى نظره القاصر، فلا يشمل حمل ظواهر الكتاب على معانيها اللغويه و العرفيه الظاهره، فالمقصود بهذه الرّوايات ذمّ المخالفين و طردهم من حيث استغنائهم بآرائهم الفاسده عن مراجعه أهل البيت عليهم السلام، و يشعر بذلك ما قاله سبحانه. فى الحديث القدسى السّالف: و ما على دينى من استعمل القياس فى دينى، و يرشد إليه ما روى عن الصّادق عليه السّلام، قال فى حديث طويل:

هلك النّاس فى المتشابه، لأنّهم لم يقفوا على معناه و لم يعرفوا حقيقته فوضعوا له تأويلا من عند أنفسهم بآرائهم فاستغنوا بذلك عن مسأله الأوصياء، و يمكن أن يراد بالرّأى الهوى و ميل الطبع.

توضيحه ما ذكره الغزالى فى إحياء العلوم و هو أن يكون له فى الشّىء رأى و إليه ميل من طبعه و هواه فيتأوّل القرآن على وفق رايه و هواه ليحتجّ على تصحيح غرضه، و لو لم يكن له ذلك الرّأى و الهوى فكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى، و هذا تاره يكون مع العلم، كالذى يحتجّ ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته و هو يعلم أنّه ليس المراد بالايه ذلك، و لكن يلبس به على خصمه و تاره يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن و يستدل عليه بما يعلم أنّه ما اريد به كالذى يدعو

إلی مجاهده القلب القاسی فیقول قال اللّه عزّ و جلّ:

«اِذْهَبْ إِلی فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغی » و یشیر إلی قلبه و یؤمی إلی أنّه المراد بفرعون، و هذا الجنس قد یستعمله بعض الوعّاظ فی المقاصد الصّحیحه، تحسینا للکلام و ترغیبا للمستمع، و قد تستعمله الباطنیه فی المقاصد الفاسده لتغریر النّاس و دعوتهم إلی مذهبهم الباطل فینزلون القرآن علی وفق رأیهم و مذهبهم علی امور یعلمون قطعا أنّها غیر مراده به انتهی ملخصا.

و قد ظهر و اتّضح ممّا ذکرنا کله أنّ الأخبار المأثوره لا تنهض دلیلا علی المنع من استنباط الأحکام من الظواهر و محکمات الکتاب، و لا علی المنع من العمل بها إلاّ بعد السّماع و النّقل کیف و قد مدح اللّه سبحانه المستنبطین بقوله: لعلمه الذین یستنبطونه، و ورد الأخبار المتواتره بعرض الأخبار المتعارضه علی کتاب اللّه و أخذ الموافق له و طرح المخالف، فتدل علی أنّ الکتاب حجه و معروض علیه، و لو لم یصحّ فهم معناه إلاّ بالنّص کیف یمکن العرض علیه و هو غیر مفهوم المعنی، و تمام الکلام فی ذلک موکول إلی حواشینا علی قوانین الاصول هذا.

و قد بقی فی المقام بعض أبحاث قرآنیه من تواتره و تواتر قراءات السّبع و فضائله و فضائل قراءته و سماعه و النّظر فیه و غیر ذلک من المباحث الشّریفه النّفیسه، إلاّ أنّا طوینا عنها کشحا لخوف الاطاله و الاطناب، و لعلّنا نشیر إلی بعضها فی المقام المناسب، و اللّه الموفّق و المعین.

**الترجمه**

پس اختیار کرد و برگزید خداوند سبحانه و تعالی بجهه محمّد خاتم الأنبیاء صلوات اللّه علیه و آله ملاقات روحانی او را و پسندید از برای او آن چیزی را که نزد اوست، پس اکرام فرمود و عزیز شمرد او را از ماندن دار دنیای فانی و صرف فرمود و بگردانید میل او را از اقامت مقام بلاد محنت، پس قبض فرمود روح شریف او را بسوی خود در حالتی که عزیز و شریف بود و خلیفه گذاشت آن حضرت بعد از خود

در میان شما مثل آن چیزی که خلیفه گذاشتند پیغمبران در میان امتان خود، زیرا که ترک نکردند ایشان امتان را سر خود و واگذاشته بی راه روشن و بدون علامت و نشانه ثابت که عبارتست آن خلیفه گذاشته شده از کتاب پروردگار شما در حالتی که بیان کننده بود آن حضرت حلال آنرا و حرام آن را و فضیلتهای آن را که مندوبات است و فریضه های آن را که واجباتست و نسخ کننده آنرا و نسخ کرده شده آن را و رخصتهای آن را که در حال ضرورت اذن داده شده و عزیمتهای آن را که در هیچ حال اذن مخالفت آنها داده نشده، و خاصهای آنرا و عامهای آن را و عبرت های آنرا و مثل های آنرا و مطلقات آنرا و مقیدات آن را و محکمات آنرا که واضح الدلاله هستند و متشابهات آنرا که غیر واضح الدلاله می باشند در حالتی که آن حضرت تفسیر کننده بود مجمل های آن را، و بیان کننده بود مشکل های آنرا، در حالتی که آن کتاب میان چیزی است که اخذ کرده شده است پیمان دانستن آن، و میان چیزیست که وسعت داده شده بر بندگان در جهالت آن، و دیگر میان آن چیزیست که ثبت شده است در کتاب فرض و وجوب آن، و دانسته شده است در سنت نبوی نسخ آن، و دیگر میان آن چیزیست که واجبست در سنت اخذ و فرا گرفتن آن و اذن و رخصت داده شده است در آن کتاب ترک نمودن آن، و دیگر مسائل آن چیزیست که واجبست در وقت خود و زایل است در زمان استقبال خود، و دیگر میان حکمی است که جدا شده است میان محرمات خود با شدت و ضعف، که آن محرمات عبارتست از کبیری که وعده داده است بر آن آتش سوزان خود را، و از صغیری که آماده و مهیا فرموده است بجهه آن رحمت و غفران خود را، و دیگر میان چیزیست که مقبول است در مرتبه ادنای خود و موسع است یعنی وسعت داده شده در مرتبه اعلای خود

### الفصل الثامن عشر

#### اشاره

و منها و فرض علیکم حجّ بیته الحرام الّذی جعله قبله للأنام، یردونه ورود الأنعام، و یألهون إلیه ولوه الحمام، جعله سبحانه علامه

ص:۲۳۰

لتواضعهم لعظمته، و إذعانهم لعزّته، و اختار من خلقه سمّاعا أجابوا له دعوته و صدّقوا له كلمته، و وقفوا مواقف أنبيائه، و تشبّهوا ملائكته المطيفين بعرشه، يحرزون الأرباح فى متجر عبادته، و يتبادرون عنده موعد مغفرته، جعله سبحانه للإسلام علما، و للعائذين حرما، فرض حجّه، و أوجب حقّه، و كتب عليكم وفادته، فقال سبحانه:

«وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ ».

### اللغه

(الحجّ) بالفتح و الكسر هو القصد و فى لسان الشرع أو المتشرعه قصد بيت اللّه الحرام تقرّبا إليه سبحانه بأفعال مخصوصه فى زمان مخصوص فى مواطن مخصوصه، و فى المصباح حجّ حجّا من باب قتل قصد و الاسم الحجّ بالكسر و (الورود) هو الدّخول فى الماء للشّرب منه (يألهون) إليه من وله(۱) يوله من باب ضرب و منع و حسب اذا ذهب عقله من فرح أو حزن، و معنى يألهون إليه يشتدّ شوقهم إليه حتّى يكاد يذهب عقولهم من شدّه الاشتياق و (الولوه) بالضمّ مصدر وله يوله من الباب الرّابع مثل الولوغ من ولغ يولغ، أو مصدر وله يوله من الباب السّادس مثل الولوغ أيضا من ولغ يولغ أو مصدر و له يوله من الباب الثّانى مثل الرجوع من رجع يرجع أو بالفتح مصدر وله يوله(۲) من الباب الرّابع أيضا مثل الولوع من ولع يولع، و على جميع الاحتمالات فالهمزه فى يألهون مقلوبه من الواو.



---

۱- (۱) الوله محركه الحزن او ذهاب العقل حزنا و الحيره و الخوف و له كورث و وجل و وعد، قاموس.

۲- (۲) وله يوله ولها من باب تعب و فى لغه قليله و له يله من باب وعد فالذكر و الانثى واله و يجوز فى الانثى والهه اذا ذهب عقله من فرح و حزن، مصباح

و بما ذكرنا ظهر فساد ما توهّمه الشّارح المعتزلى حيث إنّه بعد ضبطه فى المتن يولهون إليه و له الحمام اه قال: الوله شدّه الوجد حتّى يكاد العقل يذهب، و له الرّجل يوله ولها، و من روى يألهون إليه ولوه الحمام فسّره بشيء آخر، و هو يعكفون عليه عكوف الحمام، و أصل أله عبد، و منه الاله أى المعبود، و لما كان العكوف على الشّيء كالعباده الملازمه له و الانقطاع إليه، يقال: أله فلان إلى كذا أى عكف عليه كأنّه يعبده.

ثمّ قال: و لا يجوز أن يقال: يألهون إليه فى هذا الموضع بمعنى يولهون، و أن أصل الهمزه الواو كما فسّره الراوندى لأنّ فعولا لا يجوز أن يكون مصدرا من فعلت بالكسر و لو كان يألهون هو يولهون كان أصله أله بالكسر فلم يجز أن يقول:

ولوه الحمام، و أمّا على ما فسّرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدرا، لأنّ الأله مفتوح، فصار كقولك: دخل دخولا، انتهى.

وجه ظهور الفساد أوّلا أنّ المضبوط من كلامه عليه السّلام فى النّسخ المتعدّده يألهون إليه ولوه الحمام و لم نعثر بعد على ما ضبطه الشّارح أعنى يولهون إليه وله الحمام فى شيء من النّسخ، و لعله غير كلامه لما زعم من عدم مطابقته للقواعد الصّرفيّه مع أنّ ذلك الزّعم فاسد حسبما تعرفه بعيد هذا.

و ثانيا أنّ ما ذكره من عدم مجيء فعول مصدرا من فعل بالكسر لا يعرف وجه له بل اللغه يشهد بخلافه على ما يظهر من الكتب المدوّنه فيها، حيث إنّ المتحصّل منها أنّ فعولا بضمّ الفاء قد يجيء مصدرا من فعل مفتوح العين، سواء كان مضارعه يفعل بالفتح أيضا كالرّكوع و الرّنوع(۱) و الولوغ(۲) و الهبوغ(۳) بالغين المعجمه فى الأخيرين، أو يفعل بالضمّ كالسّجود و البلوغ و القعود و الدّخول، أو يفعل بالكسر



---

۱- (۱) رنع لونه كمنع تغير و زبل و ضمر و الدابه طردت الذباب براسها و فلان لعت قاموس اللغه

۲- (۲) ولغ الكلب فى الاناء و فى الشراب و منه و به يلغ كيهب و يالغ و ولغ كورث و وجل و لغا و يضم و ولوغا يشرب ما فيه باطراف لسانه، ق.

۳- (۳) هبغ كمنع هبوغا نام، ق

كالرّجوع، و قد يكون مصدرا من فعل مكسور العين سواء كان مضارعه يفعل بالكسر كالولوع أيضا أو بالفتح كالولوغ أيضا، و قد ذكروا أنّ الفعول أيضا بفتح الفاء قد يكون مصدرا من فعل بكسر العين كالولوع(۱) بالعين المهمله.

و ثالثا أن ما ذكره أخيرا من قوله: و أمّا على ما فسّرناه نحن فلا يمتنع أن يكون الولوه مصدرا لأنّ أله مفتوح فصار كقولك دخل دخولا.

فيه أوّلا أنّه لم يسبق منه تفسير فى ذلك، و إنّما روى تفسيرا من غيره بقوله و من روى يألهون اه فسّره هكذا، فقوله: و أمّا على ما فسّرناه نحن غير خال عن السّماجه.

و ثانيا بعد الاغماض و الحمل على التّسامح اللّفظى أنّ التّفسير المذكور لا يصحّح ما ذكره، إذ الهمزه فى أله بمعنى عبد أصليّه و ليست مقلوبه من الواو، فكيف يكون الولوه مصدرا له، و إنّما مصدره إلاهه(۲) و الوهه حسبما مرّ فى تفسير لفظ الجلاله فى صدر الخطبه.

و ثالثا أنّ ظاهر تمثيله بقوله: دخل دخولا، يشعر بكون أله من هذا الباب أيضا أى من باب فعل يفعل بفتح عين الماضى حسبما صرّح به نفسه أيضا و ضمّ عين المضارع مع أنّ اللّغويّين صرّحوا بأنّ أله بمعنى عبد من باب فعل يفعل كفرح يفرح و (السّماع) لم أجده فى كتب اللّغه و لعلّه بضمّ السّين و تشديد الميم جمع سامع كسّمار(۳) جمع سامر و هكذا ضبطه الشّارح البحرانى و (يحرزون الأرباح) من



---

۱- (۱) ولع به كوجل ولعا محركه و ولوعا بالفتح استخف و كذب و بحقه وهب و الوالع الكذاب، قاموس.

۲- (۲) اله الاهه و الوهه و الوهيه عبد عباده و منه لفظ الجلاله و أله كفرح تحير، قاموس اللغه مكرر - اله ياله من باب تعب الاهه بمعنى عبد عباده و أله ياله من باب تعب اذا تحير و اصله وله يوله، مصباح اللغه.

۳- (۳) يقال سمر فلان سمرا و سمورا من الباب الاول اذا لم ينم و تحدث ليلا و هم السمار بضم السين و تشديد الميم يقال باتوا سمارا، اقيانوس.

قولهم أحرزت الشّىء إحرازا ضممته، و منه قولهم: أحرز قصب السّبق إذا سبق إليها فضمّها دون غيره و (التّبادر) هو التّسارع، و يتعدّى بإلى كما أنّ التّسارع كذلك يقال: سارعوا إليه و تسارعوا و (العائذين) جمع عائذ بالياء المثنّاه و الذّال المعجمه و هو المستجير المعتصم الملتجى، و فى بعض النّسخ: العابدين بالباء الموحّده و الدّال المهمله و الأوّل أقرب و (الوفاده) كالافاده بقلب الواو همزه و الوفد و الوفود مصدر وفد كضرب يقال: وفد إلى الأمير و عليه وفدا و وفودا و وفاده و إفاده إذا قدم و ورد، و فى الحديث حقّ الصّلاه أن تعلم أنّها وفاده إلى اللّه، أى قدوم إليه طلبا لفضله.

## الاعراب

جمله يردونه فى محلّ النّصب على الحاليّه،والورودوالولوهمنتصبان على المصدريّه مجازا، اى ورودا مثل ورود الأنعام، و ولوها مثل ورود «ولوه ظ» الحمام، و مواقف مفعول فيه، و موعد منصوب بنزع الخافض أى إلى موعد مغفرته و يحتمل الانتصاب على المفعول فيكون المعنى أنّهم يتسارعون عند الحجّ لوعد المغفره، و من استطاع فى محلّ الجرّ بدل من النّاس بدل بعض من الكلّ و الربط فى الجمله الخبريّه أعنى قوله:

فانّ اللّه غنى عن العالمين، العموم فيها الشّامل للمبتدأ إذا العالمين شامل لمن كفر و غيره و مثله قوله:

«وَ الَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتابِ وَ أَقامُوا الصَّلاةَ إِنّا لا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ »

## المعنى

## اشاره

قال الرّضى (ره)(و منها ذكر الحجّ) اعلم أنّ فاتحه كلامه عليه السّلام فى هذا الفصل كخاتمته مشتمله على ذكر وجوب الحجّ و فرضه، و تالى الفاتحه و متلوّ الخاتمه متطابقان فى وصف البيت الحرام و الواسطه بينهما وارده فى أوصاف الحاج الكرام و مدايحهم و الثّناء لهم، فهو من أبلغ الكلام على أحسن نظام.

قال عليه السّلام:(و فرض عليكم حجّ بيته الحرام) أمّا فرض الحجّ و وجوبه فقد

ثبت بالکتاب و السّنه و إجماع المسلمین بل الضّروره من دین الاسلام حسبما یأتی فی آخر الفصل إنشاء اللّه.

و أمّا البیت الحرام فهو أوّل بیت وضع للنّاس مبارکا و هـدی للعالمین، و موضـعه أوّل بقعه خلقت من الأرض خلقها اللّه سبحانه من زبـد المـاء و دحی الأرض من تحتهـا و اختارهـا علی أجزائهـا و جعلها مطاف الملائکه المقرّبین و الأنبیاء المرسلین و العباد الصّالحین، کیف لا و قد بناه الخلیل بأمر الجلیل و المهندس جبرائیل و التلمیذ اسماعیل کما قال:

«وَ إِذْ بَوَّأْنـا لِإِبْراهِیمَ مَکـانَ الْبَیْتِ أَنْ لا تُشْـرِکْ بِی شَـیْئاً وَ طَهِّرْ بَیْتِیَ لِلطّائِفِینَ وَ الْقائِمِینَ وَ الرُّکَّعِ السُّجُودِ » و ینبغی التّعرض فی المقام لأصل بناء البیت و مبناه و لبعض المشاعر و المناسک و الاشاره إلی جهه توصیف البیت بالحرام فالبحث فی مقاصد ثلاثه.

## المقصد الاول

اعلم أنّ موضع البیت حسـبما اشیر إلیه هو أوّل جزء من أجزاء الأرض فی عـالم الخلق کمـا روی فی الفقیه عن أبی جعفر علیه السّـلام لما أراد اللّه أن یخلق الأرض أمر الرّیاح الأربع فضـربن بهن الماء حتّی صار موجا، ثمّ أزبد فصار زبدا واحدا، فجمعه فی موضع البیت، ثمّ جعله جبلا من زبد، ثمّ دحی الأرض(۱) من تحته، و هو قول اللّه:

«إِنَّ أَوَّلَ بَیْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِی بِبَکَّهَ مُبارَکاً » فأوّل بقعه خلقت من الأرض الکعبه ثمّ بدت الأرض منها.

ص:۲۳۵

---

۱- (۱) و فی حدیث أبی عبد اللّه «علیه السلام» المروی فی الفقیه خلقه اللّه قبل دحو الارض بالفی عام اقول: دحو الارض عباره عن بسطها و فرشها و قد کان فی اللیله الخامسه و العشرین من ذی قعده و لذلک استحب الصوم فی یومها قال الرضا علیه السّلام فیما رواه فی الفقیه فمن صام ذلک الیوم کان کمن صام ستین شهرا، منه

و أمّا البناء الأصلى ففى روايه الفقيه عن علىّ بن موسى بن جعفر عليهم السلام انّه قال فى خمسه و عشرين من ذى القعده أنزل اللّه عزّ و جلّ الكعبه البيت الحرام، فمن صام ذلك اليوم كان كفّاره سبعين سنه، و هو أوّل يوم انزل فيه الرّحمه من السّماء على آدم عليه السّلام.

و فى روايه اخرى فيه أيضا عن أبى خديجه، عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّ اللّه عزّ و جلّ أنزله لآدم من الجنّه و كان درّه بيضاء فرفعه اللّه عزّ و جلّ إلى السّماء و بقى اسه(۱) و هو بحيال هذا البيت يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك و لا يرجعون إليه أبدا، فأمر اللّه عزّ و جلّ إبراهيم و اسماعيل عليهما السّلام ببنيان البيت على القواعد.

و فى تفسير علىّ بن إبراهيم عن الصّادق عليه السّلام فى روايه طويله، قال عليه السّلام:

فلمّا بلغ يعنى اسماعيل مبلغ الرّجال أمر اللّه تعالى إبراهيم عليه السّلام أن يبنى البيت، فقال: يا ربّ فى أىّ بقعه؟ فقال: فى البقعه التى انزلت على آدم القبه، فأضاء لها الحرم، فلم تزل القبه التى أنزلها اللّه على آدم قائمه حتّى كان أيّام الطوفان أيام نوح عليه السّلام فلمّا غرقت الدّنيا رفع اللّه تلك القبّه و غرقت الدّنيا إلاّ موضع البيت فسمّيت البيت العتيق لأنّه اعتق من الغرق، فلما أمر اللّه إبراهيم أن يبنى البيت لم يدر فى أىّ مكان يبنيه، بعث اللّه جبرئيل فخطّ له موضع البيت فأنزل اللّه عليها القواعد من الجنّه، و لما كان الحجر الذى أنزله اللّه على آدم أشدّ بياضا من الثّلج، فلما مسّته أيدى الكفّار اسودّ فبنى ابراهيم البيت و نقل إسماعيل الحجر من ذى طوى فرفعه الى السّماء تسعه أذرع ثمّ دلّه على موضع الحجر فاستخرجه إبراهيم و وضعه فى موضعه الحديث.

اقول: المستفاد من هاتين الرّوايتين و من بعض الرّوايات(۲) الآتيه فى المقصد الثّانى أنّ أصل البناء كان فى زمن آدم، و يطابقهما بعض الرّوايات الدّاله على أنّ أوّل البناء كان من آدم، ثمّ انطمس فى زمان نوح فبناه إبراهيم، ثمّ بناه العمالقه،



---

۱- (۱) من الاساس

۲- (۲) كروايه العلل و غيرها منه

ثمّ قريش، ثمّ الحجّاج اللّعين.

و فى روايه أبى بصير المرويّه فى الفقيه عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: إن آدم هو الذى بنى البنيه و وضع أساسه و أوّل من كساه الشّعر و أوّل من حجّ إليه الحديث.

إلاّ أنّ المستفاد من بعض الرّوايات الأخر أنّه كان قبل آدم هناك بيت يسمّى بيت الضّراح كان يطوف به الملائكه، فلمّا هبط آدم إلى الأرض أمر بطوافه.

و يؤيده ما رواه الصّدوق عن بكير بن أعين عن أخيه زراره، قال: قلت لأبى عبد اللّه عليه السّلام: جعلنى اللّه فداك أسألك فى الحجّ منذ أربعين عاما فتفتينى فقال: يا زراره بيت يحجّ قبل آدم بألفى عام تريد أن يفتى مسائله فى أربعين عاما، و سيأتى إنشاء اللّه عند شرح قوله: و وقفوا مواقف أنبيائه فى حديث حجّ آدم(۱) ما يفيد ذلك أيضا.

و وجه الجمع بين هذه الرّوايات و الرّوايات الاوله غير خفىّ على أهل المعرفه.

### المقصد الثانى

فى الاشاره إلى بعض المشاعر العظام كالحجر و المقام، و هما من الآيات التى اشير إليها فى قوله تعالى: فيه آيات بيّنات.

اما الحجر فقد أودع اللّه فيه مواثيق الخلق، قال الصّدوق فى الفقيه: و إنّما يقبّل الحجر و يستلم ليؤدّى إلى اللّه العهد الذى أخذ عليهم فى الميثاق، و إنّما وضع الحجر فى الركن الذى هو فيه و لم يضعه فى غيره، لأنّه تعالى حين أخذ الميثاق أخذه فى ذلك المكان، و جرت السّنه بالتكبير و استقبال الرّكن الذى فيه الحجر من الصّفا، لأنّه لمّا نظر آدم و قد وضع الحجر فى الرّكن كبّر اللّه و هلّله و مجدّه، و إنّما جعل الميثاق فى الحجر لأنّ اللّه لمّا أخذ الميثاق له بالرّبوبيه و لمحمد صلّى اللّه عليه و آله بالنّبوه و لعلىّ عليه السّلام بالوصيّه، اصطكّت فرايص الملائكه، و أوّل من أسرع إلى



---

۱- (۱) و هو آخر الحديث المذكور حيث قال فلما قضى آدم حجه لقته الملائكه بالابطح فقالوا يا آدم بر حجك اما انا قد حججنا قبلك هذا البيت بالفى عام، منه

الاقرار بذلک الحجر، فلذلک اختار اللّه و ألقمه المیثاق و هو یجیء یوم القیامه و له لسان ناطق و عین ناظره یشهد لکلّ من وافاه إلی ذلک المکان و حفظ المیثاق، و إنّما اخرج الحجر من الجنه لیذکر آدم ما نسی من العهد و المیثاق انتهی.

و تفصیل ما ذکره هنا و سنده ما رواه فی علل الشّرایع باسناده عن بکیر بن أعین، قال: قال لی أبو عبد اللّه علیه السّلام: هل تدری ما کان الحجر؟ قال: قلت: لا قال: کان ملکا عظیما من عظماء الملائکه عند اللّه عزّ و جلّ، فلما أخذ اللّه من الملائکه المیثاق، کان أوّل من آمن به و أقرّ لذلک ذلک الملک فاتخذه اللّه أمینا علی جمیع خلقه فألقمه المیثاق و أودعه عنده و استعبد الخلق أن یجدّدوا عنده فی کلّ سنه الاقرار بالمیثاق و العهد الذی أخذه اللّه علیهم، ثمّ جعله اللّه مع آدم فی الجنّه یذکر المیثاق و یجدّد عند الاقرار فی کلّ سنه.

فلما عصی آدم فاخرج من الجنّه أنساه اللّه العهد و المیثاق الذی أخذ اللّه علیه و علی ولده لمحمّد و وصیه صلوات اللّه و سلامه علیهما و جعله باهتا حیرانا، فلما تاب علی آدم حوّل ذلک الملک فی صوره ذرّه بیضاء، فرماه من الجنّه إلی آدم و هو بأرض الهند، فلمّا رآه آنس إلیه و هو لا یعرفه بأکثر من أنّه جوهره، فأنطقه اللّه عزّ و جلّ، فقال: یا آدم أ تعرفنی؟ قال: لا قال: أجل استحوذ علیک الشّیطان فأنساک ذکر ربّک، و تحوّل إلی الصّوره التی کان بها فی الجنّه مع آدم.

فقال لآدم: أین العهد و المیثاق؟ فوثب إلیه آدم و بکی ذکر المیثاق و بکی و خضع له و قبّله و جدّد الاقرار بالعهد و المیثاق، ثم حوّل اللّه عزّ و جلّ جوهر الحجر درّه بیضاء یضیء، فحمله آدم علی عاتقه إجلالا له و تعظیما، فکان إذا اعیا حمله جبرئیل علیه السّلام حتی وافی به مکّه، فما زال یأنس به بمکه و یجدّد الاقرار له کلّ یوم و لیله، ثمّ إنّ اللّه عزّ و جلّ لمّا أهبط جبرئیل إلی أرضه و بنی الکعبه هبط إلی ذلک المکان بین الرّکن و المقام و الباب، و فی ذلک المکان ترأی لآدم حین أخذ المیثاق، و فی ذلک الموضع القم الملک المیثاق، فبتلک العلّه وضع فی ذلک الرّکن و نحی آدم من مکان البیت إلی الصّفا و حوّا إلی المروه، و جعل الحجر فی الرّکن

فكبّر اللّه و هلّله و مجّده، فلذلك جرت السّنه بالتكبير فى استقبال الرّكن الذى فيه الحجر من الصّفا.

و انّ اللّه عزّ و جلّ أودعه العهد و الميثاق و ألقمه إيّاه دون غيره من الملائكه لأنّ اللّه عزّ و جلّ لمّا أخذ الميثاق له بالرّبوبيه و لمحمّد صلّى اللّه عليه و آله بالنبوه و لعلىّ عليه السّلام بالوصيه اصطكت فرايص الملائكه، و أوّل من أسرع إلى الاقرار بذلك ذلك الملك، و لم يكن فيهم أشدّ حبّا لمحمّد و آل محمّد عليهم السّلام منه، فلذلك اختاره اللّه عزّ و جل من بينهم و ألقمه الميثاق فهو يجىء يوم القيامه و له لسان ناطق و عين ناظره يشهد لكل من وافاه الى ذلك المكان و حفظ الميثاق.

أقول: من كان علمه مقتبسا من نور النّبوه و الوحى الالهى يعلم سرّ استلام الحجر و تقبيله و أنّ أداء الامانه عنده من جهه اختصاصه بالتّقدم إلى الولايه من بين الملائكه، و يعرف أنّه يؤدّى الموافاه يوم القيامه و أمّا من أضلّ اللّه و أعمى قلبه فلا يظنه إلّا حجرا لا يضرّ و لا ينفع.

كما روى الفخر الرّازى عن عمر بن الخطاب انّه انتهى إلى الحجر الأسود فقال إنّى لأقبّلك و إنّى لأعلم أنّك حجر لا تضرّ و لا تنفع و أنّ اللّه ربّى و لولا أنّى رأيت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقبّلك ما قبّلتك.

و زاد الغزالى قال: ثمّ بكى حتّى على نشيجه فالتفت إلى ورائه فرأى عليّا كرم اللّه وجهه و رضى عنه، فقال: يا أبا الحسن هاهنا تسكب العبرات و تستجاب الدّعوات، فقال علىّ: بل هو يضرّ و ينفع، قال: و كيف؟ قال إنّ اللّه تعالى لمّا أخذ الميثاق على الذّريّه كتب عليهم كتابا ثمّ ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفا و يشهد على الكافر بالجحود انتهى.

أقول: كما يمكن أن يكون قوله: إنّك حجر لا تضرّ و لا تنفع، من باب الجهاله و لا غرو فيها، لما ستطلع عليه إنشاء اللّه فى تضاعيف ذلك الكتاب بجهالاته التى أعظم من هذه، كذلك يمكن أن يكون من باب التّجاهل باقتضاء خبثه الباطنى و نفاقه

الغریزی هذا.

و فی بعض الأخبار أنّ الحجر لا یستقر مکانه إلّا أن یضعه نبیّ أو إمام کما مرّ أنّ أوّل وضعه فی موضعه کان من آدم، ثمّ من إبراهیم، حیث إنّه لما بنی البیت و انتهی إلی موضع الحجر ناداه أبو قبیس یا إبراهیم إنّ لک عندی ودیعه، فأعطاه الحجر فوضعه موضعه، رواه فی الفقیه.

و عند ما هدمت قریش الکعبه من جهه السّیل الذی کان یأتیهم من أعلی مکه فیدخلها و انصدعت، وضعه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله موضعه.

و عند ما هدمها الحجّاج علی ابن الزبیر ثمّ بناها و فرغ من بناها سأل علیّ ابن الحسین علیهما السّلام أن یضعها فی موضعه فأخذه و وضعه موضعه.

و فی زمن القرامطه الاسماعیلیّه خذ لهم اللّه و لعنهم حیثما نقلوا الحجر الی مسجد الکوفه ثمّ ردّ إلی مکه فوضعه الامام صاحب العصر عجل اللّه فرجه موضعه، و کان ذلک فی الغیبه الکبری، کلّ ذلک رویناه عن الأخبار الصحیحه.

و فی الفقیه و کان أشد بیاضا من اللّبن فاسود من خطا یا بنی آدم، و لولا ما مسّه من أرجاس الجاهلیّه ما مسّه ذو عاهه إلا برء، و فی روایه علیّ بن إبراهیم القمیّ و کان الحجر الذی أنزله اللّه علی آدم أشدّ بیاضا من الثّلج فلمّا مسّته أیدی الکفّار اسود.

و أما المقام فهو من أعظم الأعلام، قال فی الفقیه: قال زراره بن أعین لأبی جعفر علیه السّلام: قد أدرکت الحسین علیه السّلام قال: نعم، أذکر و أنا معه فی المسجد الحرام و قد دخل فیه السّیل و النّاس یقومون علی المقام یخرج الخارج و یقول: قد ذهب به السّیل و یدخل الدّاخل و یقول: مکانه، قال: فقال یا فلان ما یصنع هؤلاء؟ فقلت أصلحک اللّه یخافون أن یکون قد ذهب بالمقام، قال: انّ اللّه عزّ و جلّ جعله علما لم یکن لیذهب به فاستقرّوا و کان موضع المقام(۱) الذی وضعه إبراهیم عند جدار البیت، فلم یزل



---

۱- (۱) و رواه فی الکافی ایضا عن الباقر علیه السّلام منه،

هناک حتّی حوّله أهل الجاهلیه إلی المکان الـذی هو فیه الیوم، فلما فتـح النّبیّ صـلّی اللّه علیه و آله مکه ردّه إلی الموضع الذی وضـعه إبراهیم علیه السّـلام فلم یزل هنـاک إلی أن ولی عمر، قال للنّاس: من فیکم یعرف المکان الـذی کان فیه المقام؟ فقال له رجل: أنا کنت قد أخذت مقداره بنسع(۱) فهو عندی قال: ایتنی به، فأتاه فقاسه ثمّ ردّه إلی ذلک المکان هذا.

و لکون المقام من المشاعر العظام و أعظم البیّنات و الأعلام خصّ بالذکر فی القرآن و طوی ذکر غیره، قال تعالی:

«فِیهِ آیاتٌ بَیِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِیمَ » و فیه أثر قدم إبراهیم، و سبب هذا الأثر أنّه لمّا ارتفع بنیان الکعبه قام علی هذا الحجر لیتمکن من رفع الحجاره، فغاصت فیه قدماه.

و قیـل: إنّه لمّا جاء زائرا من الشّام إلی مکّه و کان قـد عهـد لامرأته أن لا ینزل بمکّه حتّی یرجع، فلمّا وصل إلی مکّه قالت له امّ إسماعیل أو امرأه إسماعیل:

انزل حتّی نغسـل رأسک، فلم ینزل فجاءته بهـذا الحجر فوضـعته علی الجانب الأیمن فوضع قـدمه علیه حتّی غسـلت أحـد جانبی رأسه، ثمّ حوّلته إلی الجانب الأیسر حتّی غسلت الجانب الآخر.

و غیر خفیّ أنّ تأثّر الصّـخره الصّـماء و غوص قـدمه فیها إلی الکعبین و بقائها فی الوف من السّـنین مع کثره الأعداء من الیهود و النّصاری و الملحدین، من أعظم آیات التّوحید و أظهر براهین التّفرید.

### المقصد الثالث

فی علّه وصف البیت بالحرام و الاشاره إلی بعض أسمائه:

أمّا الأوّل فلما قال فی الفقیه من أنّه حرم علی المشـرکین ان یدخلوه، و یحتمل أن یکون ذلک من جهه أنّه حرام فیه ما هو حلال فی غیره من البیوت کالجماع و الملابسه لشیء من الأقذار، أو أنّه حرام دخوله من غیر احرام قال فی



---

۱- (۱) النسع بالبکسر سیر ینسج عریضا یشد به الرحال، مجمع البحرین

الفقيه: و حرم المسجد لعلّه الكعبه، و حرم الحرام لعلّه المسجد، و وجب الاحرام لعلّه الحرم، و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يوم فتح مكّه: إنّ اللّه حرم مكّه يوم خلق السّماوات و الأرض فهى حرام إلى أن تقوم السّاعه لم تحلّ لأحد قبلى و لا تحلّ لأحد من بعدى و لم تحلّ لى إلاّ ساعه من النّهار.

و أمّا وصفه بالعتيق فى قوله:

«وَ لْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ » فإمّا من جهه أنّه عتيق من النّاس لم يملكه أحد غيره تعالى، و إمّا أنّه عتيق و قديم و قد بيّنا فى المقصد الأوّل أنّه كان قبل آدم، و إمّا أنّه عتيق من الغرق و الطوفان حيث رفع إلى السّماء فى طوفان نوح، و إمّا أنّه من عتق الطائر إذا قوى فى و كره فلما بلغ فى القوّه الى حيث ان قصد قاصد تخريبه أهلكه اللّه سمّى عتيقا.

و أمّا الثّانى ففى الصافى عن الخصال عن الصّادق عليه السّلام أسماء مكّه خمسه:

أمّ القرى، و مكّه، و بكّه، و البساسه(۱) إذا ظلموا بها بستهم اى أخرجتهم و اهلكتهم و امّ رحم كانوا إذا الزموها رحموا.

ثمّ إنّه عليه السّلام بعد وصفه البيت بالحرام وصفه بأنّه (الذى جعله قبله للأنام) و هذه العباره صريحه فى أنّ القبله هى نفس البيت لجميع الخلق، و لما لم يتمكن النّائى من تحصيل التّوجه إلى العين اكتفى فى حقّه بمراعاه الجهه، و هو مذهب المتأخرين من أصحابنا، خلافا للمتقدّمين حيث ذهبوا إلى أنّ البيت قبله للمسجد و المسجد لأهل الحرم و الحرم لمن فى الدنيا، و التّفصيل فى الفقه و كونه قبله للأنام صريح الكتاب مضافا إلى السّنه و الاجماع، قال تعالى:

«قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِی السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّکَ قِبْلَهً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ »



---

۱- (۱) البس بالموحده الحطم و بالنون الطرد و يروى بهما، م

قال الصّدوق فی الفقیه: و صلّی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله إلی بیت المقدّس بعد النّبوه ثلاث عشره سنه، و تسعه عشر شهرا بالمدینه ثمّ عیرته الیهود، فقالوا له: إنّک تابع لقبلتنا، فاغتمّ لذلک غمّا شدیدا فلما کان فی بعض اللیل خرج صلّی اللّه علیه و آله یقلّب وجهه فی آفاق السّماء فلما أصبح صلّی الغداه، فلما صلی من الظهر رکعتین جاءه جبرئیل فقال له: قد نری تقلّب وجهک فی السّماء الآیه، ثمّ أخذ بید النبیّ صلّی اللّه علیه و آله فحوّل وجهه إلی الکعبه و حوّل من خلفه وجوههم حتّی قام الرّجال مقام النساء و النّساء مقام الرّجال، فکان أوّل صلاته إلی بیت المقدّس و آخرها إلی الکعبه و بلغ الخبر مسجدا بالمدینه و قد صلّی أهله من العصر رکعتین، فحوّلوا نحو الکعبه فکان أول صلاتهم إلی بیت المقدّس و آخرها إلی الکعبه، فسمّی ذلک المسجد مسجد القبلتین، فقال المسلمون صلاتنا إلی بیت المقدّس أتضیع یا رسول اللّه؟ فأنزل اللّه تعالی:

«وَ ما کانَ اللّهُ لِیُضِیعَ إِیمانَکُمْ » أی صلاتکم الی بیت المقدّس، قال الصّدوق و قد اخرجت الخبر فی ذلک علی وجهه فی کتاب النّبوه.

و فی الاحتجاج للطبرسی قال أبو محمّد الحسن العسکری صلوات اللّه علیه: لما کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بمکّه أمره اللّه عزّ و جلّ أن یتوجّه نحو البیت المقدّس فی صلاته و یجعل الکعبه بینه و بینها إذا أمکن و إذا لم یمکن استقبل بیت المقدّس کیف کان، و کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یفعل ذلک طول مقامه بها ثلاث عشره سنه، فلما کان بالمدینه و کان متعبّدا باستقبال بیت المقدس استقبله و انحرف عن الکعبه سبعه عشر شهرا(۱) او سته عشر شهرا و جعل قوم من مرده الیهود یقولون: و اللّه ما یدری کیف محمّد یصلی حتّی صار یتوجه إلی قبلتنا و یأخذ فی صلاته بهدینا(۲) ، فاشتدّ ذلک علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لما اتّصل به عنهم و کره قبلتهم و أحبّ الکعبه، فجائه جبرئیل فقال له رسول اللّه: یا



---

۱- (۱) الظاهر ان الترديد من الراوی و عن تفسیر الامام الاول مروی، منه

۲- (۲) الهدی السیره و الهیئه و الطریقه، منه

جبرئيل لوددت لو صرفنى اللّه عن بيت المقدّس إلى الكعبه، فقد تأذّيت بما اتّصل إلىّ من قبل اليهود من قبلتهم فقال جبرئيل: فاسأل ربّک أن يحوّلک إليها فإنّه لا يردّک عن طلبتک و لا يخيبک عن بغيتک(۱) ، فلما استتم(۲) دعائه صعد جبرئيل ثمّ عاد من ساعته فقال اقرء يا محمّد:

«قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِی السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّکَ قِبْلَهً تَرْضاها فَوَلِّ وَجْهَکَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ وَ حَيْثُ ما کُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَکُمْ شَطْرَهُ » الآيه، فقال اليهود عند ذلک: «ما وَلاّهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِی کانُوا عَلَيْها »(۳) فأجابهم اللّه بأحسن جواب، فقال يا محمّد: «قُلْ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ » و هو يملکها و تکليفه التّحول إلى جانب کتحويله لکم إلى جانب آخر:

«يَهْدِی مَنْ يَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِيم » و هو أعلم بمصلحتهم و تؤدّيهم طاعتهم إلى جنّات النّعيم «و هو مصلحهم و مؤدّيهم الى جنات النعيم، هکذا فى تفسير الامام عليه السّلام» و قال أبو محمّد عليه السّلام: و جاء قوم من اليهود إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فقالوا يا محمّد، هذه القبله بيت المقدّس قد صليت إليها أربع عشره سنه ثم ترکته الآن أمحقّا کان ما کنت عليه؟ فقد ترکته إلى باطل، فان ما يخالف الحقّ باطل، أو کان باطلا فقد کنت عليه طول هذه المدّه فما يؤمننا أن تکون الآن على باطل؟ فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: بل ذلک کان حقّا و هذا حقّ يقول اللّه عزّ و جلّ:

«قُلْ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِی مَنْ يَشاءُ إِلی صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ » إذا عرف صلاحکم يا أيّها العباد فى استقبال المشرق أمرکم به، و إذا عرف صلاحکم

ص:۲۴۴

---

۱- (۱) البغيه ما ابتغى، ق

۲- (۲) استتمه و تم به و عليه جعله تاما، قاموس.

۳- (۳) اى عن بيت المقدس، منه

فی استقبال المغرب أمرکم به، و إذا عرف صلاحکم فی غیرهما أمرکم به، فلا تنکروا تدبیر اللّه فی عباده و قصده إلی مصالحهم.

ثمّ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لقد ترکتم العمل یوم السّبت ثمّ عملتم بعده سایر الأیام ثمّ ترکتموه فی السّبت ثمّ عملتم بعده أ فترکتم الحقّ إلی الباطل أو الباطل إلی حقّ أو الباطل إلی الباطل أو الحقّ إلی الحقّ؟ قولوا کیف شئتم فهو قول محمّد و جوابه لکم، قالوا بل ترک العمل یوم السّبت حقّ و العمل بعده حقّ، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: فکذلک قبله بیت المقدس فی وقته حقّ ثمّ قبله الکعبه فی وقته حقّ، فقالوا له یا محمّد: أفبدا لربّک فیما أمرک به بزعمک من الصّلاه إلی بیت المقدس حتّی نقلک إلی الکعبه؟ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: ما بدا له عن ذلک، فانّه العالم بالعواقب و القادر علی المصالح، لا یستدرک علی نفسه غلطا و لا یستحدث رأیا یخالف المقدم جلّ عن ذلک، و لا یقع علیه أیضا مانع یمنعه من مراده و لیس یبدو «إلاخ» لمن کان هذا وصفه، و هو جلّ و عزّ متعال عن هذه الصّفات علوّا کبیرا ثمّ قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: أیّها الیهود أخبرونی عن اللّه عزّ و جلّ ألیس یمرض(۱) ثمّ یصحّ و یصحّ ثمّ یمرض أبدا له فی ذلک شیء؟ لیس یحیی و یمیت أبدا له فیکل واحد من ذلک؟ قالوا: لا، قال: کذلک عزّ و جلّ تعبّد نبیه محمّدا بالصّلاه إلی الکعبه بعد أن کان تعبّده بالصّلاه إلی بیت المقدس، و ما بدا له «للّه خ» فی الأوّل.

ثمّ قال: ألیس اللّه عزّ و جلّ تأتی بالشّتاء فی أثر الصّیف و الصّیف فی أثر الشّتاء أبدا له فی کلّ واحد من ذلک؟ قالوا: لا، قال: فکذلک لم یبدو له فی القبله.

قال: ثمّ قال صلّی اللّه علیه و آله: ألیس قد ألزمکم فی الشّتاء أن تحترزوا من البرد بالثیاب الغلیظه و ألزمکم فی الصّیف أن تحترزوا من الحرّ فبداله فی الصّیف حین أمرکم بخلاف ما کان أمرکم به فی الشّتاء؟ قالوا: لا، قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: فکذلکم اللّه تعبّدکم فی وقت لصلاح یعلمه بشیء ثمّ بعده فی وقت آخر لصلاح یعلمه بشیء آخر،



---

۱- (۱) امرضه اذا جعله مریضا، ق

فاذا أطعتم اللّه عزّ و جل فی الحالتين استحققتم ثوابه، فأنزل اللّه تعالی:

«وَ لِلّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ واسِعٌ عَلِيمٌ » يعنی إذا توجهتم بأمره فثمّ الوجه الذی تقصدون منه اللّه و تأملون ثوابه.

ثمّ قال رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله: يا عباد اللّه أنتم كالمرضی و اللّه عزّ و جلّ كالطبيب فصلاح المرضی فيما يعلمه «يعمله خ» الطبيب و يدبّره به، لا فيما يشتهيه المريض و يقترحه الا فسلّموا للّه أمره تكونوا من الفائزين، فقيل يا رسول اللّه: فلم أمر بالقبله الأولی؟ قال: لما قال اللّه عزّ و جلّ:

«وَ ما جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِی كُنْتَ عَلَيْها » و هی بيت المقدّس «إِلّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلی عَقِبَيْهِ » الّا لنعلم ذلك وجودا بعد أن علمناه سيوجد و ذلك انّ هوی أهل مكّه كان فی الكعبه فأراد اللّه أن يبين متبع محمّد صلّی اللّه عليه و آله ممّن خالف «متّبعی محمّد من مخالفيه خ» باتباع القبله التی كرهها، و محمّد صلّی اللّه عليه و آله يأمر بها، و لما كان هوی أهل المدينه فی بيت المقدس أمرهم بمخالفتها و التّوجه إلی الكعبه ليبيّن من يوافق محمّدا فيما يكرهه فهو مصدّقه و موافقه ثم قال:

«وَ إِنْ كانَتْ لَكَبِيرَةً إِلّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ » و إن كان التّوجه إلی بيت المقدس فی ذلك الوقت كبيره إلّا علی من يهدی اللّه، فعرف أنّ للّه عزّ و جلّ أن يتعبد بخلاف ما يريده المرء ليبتلی طاعته فی مخالفه هواه.

قوله عليه السّلام(يردونه ورود الأنعام)شبّه عليه السّلام ورود الحاج علی البيت الحرام بورود الأنعام علی الماء للشّرب و وجه الشّبه الاجتماع و التزاحم، و من ذلك سمّی ببكه لأنّه من البكّ الذی هو عباره عن دفع البعض بعضا، يقال: بكه يبكه بكا إذا دفعه و زاحمه.

ص:۲۴۶

كما قال الصّادق عليه السّلام فى روايه العلل: إنّما سمّيت بكّه بكّه، لأنّ النّاس يباكون فيها أى يزدحمون.

و روى عطا قال: صلّى رجل فى المسجد الحرام فمرّت به امرأه بين يديه فزجرها و كان الباقر عليه السّلام حاضرا، فمنع الرّجل و قال: لا تزجرها هذه بكه يبكّ بعضه بعضا أى يدقّ.

و فى الفقيه روى أنّ الكعبه شكت إلى اللّه عزّ و جلّ فى الفتره بين عيسى و محمّد عليهما السّلام فقالت يا ربّ مالى قلّ زوّارى مالى قلّ عوّادى، فأوحى اللّه إليها أنّى منزل نورا جديدا على قوم يحنّون إليك كما تحنّ الأنعام إلى أولادها، و يزّفون إليك كما تزفّ النسوان إلى أزواجها، يعنى أمّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله، أى يشتاقون إليك كما تشتاق الأنعام، و يسرعون إليك كما تسرع النّسوان و هو معنى قوله عليه السّلام (يألهون)أى يسرعون(إليه ولوه الحمام)و كلّ ذلك كنايه عن شدّه اشتياق الحجاج و فرط ميلهم إلى البيت الحرام (جعله سبحانه) أى الحجّ (علامه لتواضعهم لعظمته و) اماره (إذعانهم لعزته) إذ به يعرف المتواضع من المتكبر و يتميز المذعن من المتجبر، لما فيه من التواضع و الخضوع ما ليس فى ساير العبادات، و من هجر البلدان و قطع العلاقات، و تعب الأبدان و ترك الشّهوات، و تحمل الأخطار بقطع الأسفار و ركوب الضّوامر فى الجبال و القفار، و كشف الرأس و نزع اللباس و عدم التمكن من البلوغ إلا بشقّ الأنفس، و غير ذلك من النّسك العظام التى حارت الأفهام عن إدراك أسرارها، و قصرت الأوهام عن اقتباس أنوارها، إلا من أتى اللّه بقلب سليم، فهداه إلى صراط مستقيم، و أمّا من لم يجعل اللّه له نورا فماله من نور، و من لم يعط هدى و دليلا فأولئك هم كالأنعام بل أضل سبيلا.

كما روى فى الفقيه أنّ ابن أبى العوجاء دخل تمرّدا و انكارا على من يحجّ و كان يكره العلماء مسائلته إيّاهم و مجالسته لهم، لخبث لسانه و فساد ضميره، فأتى جعفر بن محمّد الصّادق عليهما السلام، فجلس إليه فى جماعه من نظرائه، ثمّ قال له: إنّ المجالس أمانات و لا بدّ لمن به سؤال أن يسأل أ فتأذن لى فى الكلام؟ فقال

تکلّم، فقال: الی کم تدوسون(۱) هـذا البیـدر، و تلوذون بهذا الحجر، و تعبدون هذا البیت المرفوع بالطوب و المدر، و تهرولون حوله هروله البعیر إذا نفر، من فکر هـذا أو قـدر علم أنّ هـذا فعـل أسّـسه غیر حکیم و لا ـ ذی نظر، فقل فانّک رأس هـذا الأمر و سنامه، و اسّه و نظامه.

فقال أبو عبد اللّه علیه السّـلام: إنّ من أضلّه اللّه و أعمی قلبه استوخم(۲) الحقّ فلم یستعذبه(۳) و صار الشّیطان ولیّه یورده مناهل الهلکه ثمّ لا یصـدره، و هذا بیت اسـتعبد اللّه به خلقه لیختبر طاعتهم فی إتیانه، فحثّهم علی تعظیمه و زیارته، و جعله محل أنبیاءه و قبله للمصـلین له، فهو شـعبه من رضوانه، و طریق یؤدّی إلی غفرانه، منصوب علی اسـتواء الکمـال، و مجتمع العظمه و الجلال، خلقه اللّه تعـالی قبـل دحو الأرض بألفی عام، و أحق(۴) من اطیع فیمـا امر و انتهی عمّـا نهی عنه و زجر اللّه المنشیء للأرواح و الصّور الحدیث.

ثمّ أشار علیه السّـلام إلی وصف الحجّاج بقوله:(و اختار من خلقه سـمّاعا) أی السّامعین الـذین (أجابوا للّه دعوته) لهم إلی الحجّ (و صـدّقوا کلمته) الجاریه عن لسان ابراهیم علیه السّـلام و هو الأذان به و الأمر باتیانه، و المراد بتصدیقهم کلمته إتیانهم ما امروا به و قد اشیر إلی ذلک فی قوله سبحانه مخاطبا لابراهیم علیه السّلام:

«وَ أَذِّنْ فِی النّـاسِ بِالْحَـجِّ یَـأْتُوکَ رِجالاً ـ وَ عَلی کُلِّ ضامِرٍ یَأْتِینَ مِنْ کُلِّ فَـجٍّ عَمِیقٍ » قال: علیّ بن إبراهیم: و لمّا فرغ إبراهیم من بناء البیت أمره اللّه أن یؤذّن



---

۱- (۱) شبه طوافهم بدواس الدواب بیدر الطعام لیتمیز الحب من البین، منه

۲- (۲) استوخم الحق ای استثقله و لا یجده موافقا لطبعه یقال طعام و خم ای ثقیل غیر موافق للطبع منه.

۳- (۳) استعذب استقی عذبا، ق

۴- (۴) مبتداء خبره قوله اللّه م

فی النّاس بالحجّ، فقال: یا ربّ و ما یبلغ صوتی، فقال: أذّن علیک الأذان و علیّ البلاغ، و ارتفع علی المقام و هو یومئذ ملصق بالبیت، فارتفع به المقام حتّی کان أطول من الجبال، فنادی و أدخل اصبعیه فی اذنیه و أقبل بوجهه شرقا و غربا یقول:

أیّها النّاس کتب علیکم الحجّ إلی البیت العتیق فأجیبوا ربّکم، فأجابوه من تحت البحور السّبعه و من بین المشرق و المغرب إلی منقطع التراب من أطراف الأرض کلها من أصلاب الرّجال و من أرحام النّساء بالتّلبیه: لبّیک اللهم لبّیک، أ و لا ترونهم یأتون یلبّون، فمن حجّ یومئذ إلی یوم القیامه فهم ممّن استجاب اللّه و ذلک قوله:

«فِیهِ آیاتٌ بَیِّناتٌ مَقامُ إِبْراهِیمَ » یعنی بذلک نداء إبراهیم علی المقام بالحجّ.

و عن الکافی و العلل عن الصّادق علیه السّلام قال: لمّا امر إبراهیم و إسماعیل ببناء البیت و تمّ بناؤه قعد إبراهیم علی کلّ رکن ثمّ نادی هلمّ الحجّ، فلو(۱) نادی هلمّوا إلی الحجّ لم یحجّ إلّا من کان یومئذ إنسیا مخلوقا، و لکن نادی هلمّ الحج الحج، فلبّی النّاس فی أصلاب الرّجال، لبّیک داعی اللّه، لبیک داعی اللّه، فمن لبّی عشرا حجّ عشرا، و من لبّی خمسا حجّ خمسا، و من لبّی أکثر فبعدد ذلک، و من لبّی واحده حجّ واحده، و من لم یلبّ لم یحجّ، و نحو ذلک فی الفقیه (و وقفوا مواقف أنبیائه)



---

۱- (۱) قوله فلو نادی هلموا الی الحج لم یحج قال السید الجزایری ره فی زهرا الربیع قال استادنا المحقق القاسانی قدس سره ان حقیقه الانسان موجوده بوجود فرد ما و یشتمل جمیع الافراد وجدت او لم توجد و اما الفرد الخاص منه فلا یصیر فردا خاصّیا جزئیا منه ما لم یوجد و هذا من لطایف المعانی نطق به الامام «علیه السلام» لمن وفق بفهمه انتهی و وجه آخر و هو ان المقام ظاهرا یقتضی صیغه الجمع فالعدول عنه إلی الافراد لا بدله من نکته و علّه یناسبه و لیس هی الا اراده استغراق جمیع الافراد من شهد و من غاب علی ان اهل البلاغه ذکروا ان استغراق المفرد اشمل من استغراق الجمع و نص علیه العلامه الزمخشری فی مواضع من الکشاف اه انتهی کلامه «ره» أقول اما ما نقله عن المحقق القاسانی فلا باس به و اما الوجه الذی قاله ففیه ان اشملیه استغراق المفرد عند اهل البلاغه انما هو فی النفی دون الاثبات و دلاله المفرد علی الاستغراق فی الاثبات اول الکلام فافهم جیدا منه.

هـذه الفقره كالتّياليه لها تحريص و ترغيب للحجاج على إتيان المناسک و تحملهم الأذى عنـد ذلک، لأنّهم لو تفکروا و تـدبّروا فيمـا هم عليه من متـابعه الأنبيـاء و تشبّههم بملائکه السّماء، لاستسـهلوا احتمال الأذى فى تحمل الضّيم القماء(١) ، بل يجـدون الأذى لذّه و الذلّ عزّه.

و أما الأنبياء الواقفون فى تلک المواقف.

فأوّلهم آدم عليه السّلام، و يـدل عليه ما رواه علىّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبى عمير عن أبان بن عثمان عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قـال: إنّ آدم بقى على الصّفا أربعين صـباحا ساجـدا يبكى على الجنّه و على خروجه منها من جوار اللّه عزّ و جلّ، فنزل جبرئيل فقال يا آدم مالک تبکى؟ فقال: يا جبرئيل مالى لا أبکى و قـد أخرجنى اللّه من جواره و أهبطنى إلى الدّنيا، فقال يا آدم: تب إليه؟ قـال: کيف أتوب؟ فـأنزل اللّه تعـالى عليه قبّه من نور فيه موضع البيت فسـطع نورهـا فى حيال مکه فهو الحرم، فأمر اللّه جبرئيـل أن يضع عليه الأعلام، قال: ثمّ يا آدم، فخرج به يوم التّرويه و أمره أن يغتسل و يحرم و اخرج من الجنّه أول يوم من ذى القعده فلما کان يوم الثّامن من ذى الحجّه أخرجه جبرئيل إلى منى فبات بها فلمّا أصبح أخرجه إلى عرفات، و قد کان علّمه حين أخرجه من مکه: الاحرام، و علّمه التّلبيه، فلمـا زالت الشّمس يوم عرفه فقطع التّلبيه و أمره أن يغتسـل، فلمـا صلّى العصـر أوقفه بعرفات و علّمه الکلمات التى تلقّى بها ربّه و هى:

«سبحانک اللّهمّ و بحمدک لا إله إلاّ أنت عملت سوء و ظلمت نفسى و اعترفت بذنبى فاغفر لى إنّک أنت خير الغافرين، سبحانک اللّهمّ و بحمدک لا إله إلاّ أنت عملت سوء و ظلمت نفسى و اعترفت بذنبى فاغفر لى إنّک أنت التّوّاب الرّحيم»

ص:٢٥٠

---

١- (١) القماء بالمد الذل و الحقاره منه،

فبقى إلى أن غابت الشّمس، ردّه إلى المشعر فبات بها، فلما أصبح قام على المشعر الحرام فدعا اللّه بكلمات و تاب إليه ثمّ أفاض إلى منى و أمره جبرئيل أن يحلق الشعر الذى عليه، فحلقه(۱) ثمّ ردّه إلى مكه فأتى به إلى عند الجمره الاولى فعرض إبليس عندها فقال يا آدم أين تريد؟ فأمره جبرئيل أن يرميه بسبع حصيات و أن يكبر مع كلّ حصاه تكبيره، ففعل، ثمّ ذهب فعرض له إبليس عند الجمره الثّانيه فأمره أن يرميه بسبع حصيات، فرمى و كبر مع كل حصاه تكبيره ثمّ مضى به، فعرض له إبليس عند الجمره الثّالثه، فأمره أن يرميه بسبع حصيات فرمى و كبّر مع كلّ حصاه تكبيره، ثمّ مضى به فذهب إبليس لعنه اللّه فقال له جبرئيل: انّك لن تراه بعد هذا اليوم أبدا، فانطلق به إلى البيت الحرام و أمره أن يطوف به سبع مرّات، ففعل فقال له: إنّ اللّه قد قبل توبتك و حلل لك زوجتك، قال: فلما قضى آدم عليه السّلام حجته لقته الملائكه بالأبطح، فقالوا: يا آدم برّ حجك، أمّا انّا قد حججنا قبلك هذا البيت بألفى عام.

و فى الفقيه قال أبو جعفر عليه السّلام أتى آدم هذا البيت ألف آتيه(۲) على قدميه منها سبعمائه حجّه و ثلاثمأه عمره و كان يأتيه من ناحيه الشّام، و كان يحجّ على ثور(۳) و المكان الذى بنيت فيه الحطيم و هو ما بين باب البيت و الحجر الأسود و طاف آدم قبل أن ينظر إلى حواء مأئه عام، و قال له جبرئيل حيّاك اللّه و بيّاك(۴) يعنى أصلحك اللّه.

و فيه أيضا باسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: موضع الكعبه ربوه(۵) من

ص:۲۵۱

---

۱- (۱) فى الفقيه و نزل جبرئيل بمهاه «المهاه بالفتح البلوره، ق» من الجنه و روى بياقوته حمراء فادارها على رأس آدم و حلقه بها منه.

۲- (۲) اتيته اتياء و اتيانا جئته لغه

۳- (۳) يحتمل ان يكون مروره كان على جبل ثور و يحتمل انه كان يحج على ثور أيضا سوى الالف محمد تقى المجلسى.

۴- (۴) بيـاك معناه بوأك اللّه منزلا الا انها لما جاءت مع حياك تركت همزتها و حولت واوها ياء قال سلمه ابن عاصم حكيت للفراء قول خلف فقال ما احسن ما قال و فى الحديث ان آدم لما قتل ابنه مكث مأئه سنه لا يضحك ثم قيل له حياك اللّه و بياك فقال و ما بياك قال اضحكك منه

۵- (۵) ربوه ما ارتفع من الارض.

الأرض بيضاء تضيء كضوء الشّمس و القمر حتّى قتل ابنا آدم أحدهما صاحبه فاسودّت فلمّا نزل آدم رفع اللّه تعالى له الأرض كلّها حتّى رآها، ثمّ قال هذه لك كلها، قال يا ربّ ما هذه الأرض البيضاء المنيره؟ قال: هى حرمى فى أرضى و قد جعلت عليك أن تطوف بها كلّ يوم سبعمائه طواف.

و منهم نوح النبى عليه السّلام قال الصّدوق فى الفقيه: و روى انّه كان طول سفينه نوح ألفا و مأتى ذراع، و عرضها مأئه ذراع، و طولها فى السّماء ثمانين ذراعا، فركب فيها فطافت بالبيت سبعه أشواط، وسعت بين الصّفا و المروه سبعا ثمّ استوت على الجودى و منهم إبراهيم و إسماعيل عليهما السّلام و اختصاص البيت بهما كاختصاصهما به من جهه تجديد البناء و وقوفهما فيها غنى عن البيان.

و منهم موسى عليه السّلام قال الصّدوق و روى أنّ موسى عليه السّلام أحرم من زمله(۱) و انه مرّ فى سبعين نبيّا على صفايح(۲) الرّوحاء عليهم العباء القطوانيه(۳) ، يقول لبّيك عبدك و ابن عبديك لبّيك و روى فى خبر آخر أنّ موسى عليه السّلام مرّ بصفايح الرّوحاء على جمل أحمر خطامه من ليف عليه عباءتان قطوانيّتان، و هو يقول: لبّيك يا كريم لبيك.

و قال الصّادق عليه السّلام: لما حجّ موسى عليه السّلام نزل جبرئيل عليه السّلام فقال له موسى: يا جبرئيل ما لمن حجّ هذا البيت بلانيّه صادقه و لا نفقه طيّبه؟ قال لا أدرى حتّى أرجع إلى ربّى، فلما رجع قال اللّه يا جبرئيل ما قال لك موسى؟ و هو أعلم بما قال قال يا ربّ قال لى ما لمن حجّ هذا البيت بلانيّه صادقه و نفقه طيبه؟ قال اللّه: ارجع إليه و قل عليه أهب له حقّى و أرضى عنه خلقى، قال فقال يا جبرئيل: ما لمن حجّ هذا البيت بنيّه صادقه و نفقه طيبه؟



---

۱- (۱) الزمله بالضم الرفقه و الجماعه و بالكسر ما التف من الخمار و الصور من الودى قاموس منه.

۲- (۲) الصفيحه اللوح و كل شیء عريض و الروحاء موضع بين الحرمين على ثلاثين او اربعين ميلا من المدينه، لغه

۳- (۳) قطوان محركه موضع بالكوفه و منه الاكسيه القطوانيه ق

قال: فرجع إلی اللّه فأوحی اللّه إلیه، قل له اجعله فی الرفیق(۱) الأعلی مع النّبیین و الصّدیقین و الشّهداء و الصّالحین و حسن اولئک رفیقا.

و منهم یونس بن متی کما فی الفقیه فقد مرّ بصفایح الرّوحاء و هو یقول: لبیک کشاف الکرب العظام لبّیک.

و منهم عیسی بن مریم فقد مرّ بصفایح الرّوحاء و هو یقول: لبّیک ابن امتک لبّیک کما رواه الصّدوق أیضا.

و منهم سلیمان بن داود، فقد روی الصّدوق أیضا عن زراره عن أبی جعفر علیه السّلام قال: إنّ سلیمان بن داود علیهما السّلام قد حجّ البیت فی الجنّ و الانس و الطیر و الرّیاح، و کسا البیت القباطی(۲) و روی عن أبی بصیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام، قال: إنّ آدم هو الذی بنی البنیه و وضع أساسه و أول من کساه الشّعر و أوّل من حجّ إلیه، ثمّ کساه تبع بعد آدم الانطاع(۳) ، ثمّ کساه إبراهیم الخصف، و أوّل من کساه الثیاب سلیمان کساه القباطی.

و منهم النبی صلّی اللّه علیه و آله، فقد حجّ عشرین حجّه، و کذلک أولاده المعصومون سلام اللّه علیهم أجمعین فهنیئا للحجّاج الواقفین مواقف الأنبیاء و المرسلین، و السّالکین مسالک الأولیاء المرضیّین، و طوبی لهم و حسن مآب و أنا أسأل اللّه سبحانه أن یوفقنی ثانیا للعکوف علیه بعد ما منحنی فی غابر الزمان الوقوف علیه بحقّ محمّد نبی الرحمه و آله أهل الصّلاه و الطهاره.

(و تشبّهوا ملائکته المطیفین بعرشه) قد عرفت فی الفصل التّاسع عند شرح قوله علیه السّلام: و منهم الثّابته فی الأرضین السّفلی أقدامهم اه، عدد الملائکه المطیفین بالعرش، و أما صفوفهم فقد قال الشّارح البحرانی: جاء فی الخبر أن حول العرش سبعین ألف صف قیام قد وضعوا أیدیهم علی عواتقهم رافعین أصواتهم بالتّهلیل و التکبیر،



---

۱- (۱) فی الحدیث الحقنی بالرفیق الاعلی الرفیق جماعه الانبیاء الذین یسکنون اعلی علیین و منه قوله و حسن اولئک رفیقا و قیل هو اللّه تعالی لان اللّه رفیق لعباده من الرفق و الرافه، نهایه

۲- (۲) القبطیه ثوب ینسب الی مصر و الجمع القباطی، ق

۳- (۳) النطع بالکسر و بالفتح و بالتحریک و کعنب بساط من الادیم و الجمع انطاع و نطوع الخصفه بالتحریک الحله من الخوس یعمل للتمر و الثوب الغلیظ جدا و الجمع خصف و خصاف ق

و من ورائهم مأئه ألف صفّ قد وضعوا الأيمان على الشمائل ما منهم أحد إلّا و هو يسبّح.

و فى روايه طويله لعلىّ بن إبراهيم باسناده عن جابر بن يزيد الجعفى عن أبى عبد اللّه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السّلام المسوقه لابتداء خلق آدم عليه السّلام بعد ما ذكر عليه السّلام قوله سبحانه للملائكه: إنّى جاعل فى الأرض خليفه، و قولهم له أ تجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدّماء، و قوله لهم: إنّى أعلم ما لا تعلمون قال عليه السّلام فقالت يا ربّنا افعل ما شئت لا علم لنا إلّا ما علّمتنا إنّك أنت العليم الحكيم، قال عليه السّلام: فباعدهم اللّه من العرش مسيره خمسمائه عام، قال عليه السّلام:

فلاذوا بالعرش و أشاروا بالأصابع، فنظر الرّبّ جلّ جلاله إليهم و نزلت الرحمه، فوضع لهم بيت المعمور، فقال طوفوا به و دعوا العرش، فانّه لى رضىّ فطافوا به و هو البيت الذى يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، فوضع اللّه البيت المعمور توبه لأهل السّماء و وضع الكعبه توبه لأهل الأرض الحديث.

قال الغزالى فى إحياء العلوم: و أمّا الطواف بالبيت فاعلم أنه صلاه فاحضر فى قلبك فيه من التعظيم و الخوف و الرّجاء و المحبه و اعلم أنّك بالطواف متشبّه بالملائكه المقرّبين الحافين حول العرش الطائفين حوله، و لا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل طواف قلبك ربّ البيت حتّى لا تبتدء بالذكر إلّا منه، و لا تختم إلّا به كما تبدء بالبيت و تختم به.

قال: و اعلم أنّ الطواف الشّريف هو طواف القلب بحضره الرّبوبيّه، و انّ البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضره التى لا تشاهد بالبصر و هى عالم الملكوت كما أنّ البدن مثال ظاهر فى عالم الشّهاده للقلب الذى لا يشاهد بالبصر و هو فى عالم الغيب و أن عالم الملك و الشّهاده مدرجه إلى عالم الغيب و الملكوت لمن فتح اللّه له الباب، و إلى هذه الموازنه وقعت الاشاره بأن البيت المعمور فى السّماوات بازاء الكعبه، فانّ طواف الملائكه به كطواف الانس بهذا البيت، و لما قصرت رتبه اكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف امروا بالتشبّه بهم بحسب الامكان، و وعدوا بأنّ من تشبّه بقوم

فهو منهم، و الذی یقدر علی مثل ذلک الطواف یقال: إنّ الکعبه تزوره و تطوف به انتهی.

أقول: هذا الطواف الحقیقی مختصّ بأولیاء اللّه سلام اللّه علیهم، و فی عالم المعنی الکعبه طائفه بهم و کاسبه من فیوضاتهم، و إلی هذا المعنی أشار الفرزدق فی قصیدته المیمیّه التی قالها فی مدح علیّ بن الحسین علیهما السّلام علی رغم هشام بن عبد الملک ابن مروان علیهم اللعنه و النیران، بقوله:

هذا الذی یعرف البطحاء وطأته و البیت یعرفه و الحلّ و الحرم

یکاد یمسکه عرفان راحته رکن الحطیم اذا ما جاء یستلم

لو یعلم الرکن من قد جاء یلثمه لخرّ یلثم منه ما وطی القدم

ثمّ لما کان طباع الخلق مایله إلی حبّ الأرباح و طلب المنافع فی المکاسب شوّقهم بقوله علیه السّلام:(یحرزون الأرباح فی متجر عبادته)تنبیها علی أنّ قیامهم بالعباده فی هذه المواقف الشّریفه تجاره للآخره و لا محاله مشتمله علی الرّبح و المنفعه، فلا ینبغی للعاقل أن یفوتها علی نفسه.

قال أبو جعفر الباقر علیه السّلام فی مرویّ الفقیه: الحجّ و العمره سوقان من أسواق الآخره اللاّزم لهما من أضیاف اللّه إن أبقاه ابقاه و لا ذنب له و إن اماته ادخله الجنّه، و لا یخفی ما فی هذه العباره من حسن الاستعاره، حیث شبّه الحجاج بالتّجار و شبّه عبادتهم ببضاعه التّجاره، و ذکر المتجر استعاره تخییلیه، و ذکر الأرباح ترشیح، و المراد بالأرباح هو الثواب الجمیل و الأجر الجزیل المبذول للحجاج و المعتمرین و الوفاد و الطائفین.

قال الصّادق علیه السّلام إنّ للّه تعالی حول الکعبه عشرین و مأئه رحمه منها ستون للطائفین و أربعون للمصلین و عشرون للنّاظرین.

و قال علیه السّلام أیضا من نظر إلی الکعبه و عرف من حقّنا و حرمتنا مثل الذی عرف من حقّها و حرمتها غفر اللّه له ذنوبه کلها و کفاه همّ الدّنیا و الآخره.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: ما من مهلّ يهلّ فى التّلبيه إلاّ أهلّ من عن يمينه من شىء إلى مقطع التراب و من عن يساره إلى مقطع التراب و قال له الملكان: ابشر يا عبد اللّه و ما يبشّر اللّه عبدا إلاّ بالجنّه، و من لبى فى إحرامه سبعين مرّه ايمانا و احتسابا اشهد اللّه له الف ملائكه ببراءه من النّار و برائه من النّفاق، و من انتهى إلى الحرم فنزل و اغتسل و اخذ نعليه بيده ثم دخل الحرم حافيا تواضعا للّه محا اللّه عنه مأئه الف سيّئه و كتب اللّه له مأئه الف حسنه و بنى له مأئه الف درجه و قضى له مأئه الف حاجه، و من دخل مكه بسكينه غفر اللّه له ذنبه، و هو ان يدخلها غير متكبّر و لا متجبّر، و من دخل المسجد حافيا بسكينه و وقار و خشوع غفر اللّه له، و من نظر الكعبه عارفا بحقها غفر اللّه له ذنوبه و كفى ما أهمّه.

و روى الحسن بن محبوب عن عليّ بن رئاب عن محمّد بن قيس قال: سمعت أبا جعفر عليه السّلام يحدّث النّاس بمكه، قال عليه السّلام: صلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بأصحابه الفجر، ثمّ جلس معهم يحدّثهم حتّى طلعت الشّمس فجعل يقوم الرّجل بعد الرّجل حتى لم يبق معه إلاّ رجلان: أنصاريّ و ثقيف، فقال لهما رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: قد علمت أنّ لكما حاجه تريدان أن تسألانى عنها، فان شئتما أخبرتكما بحاجتكما قبل أن تسألانى، و إن شئتما فاسألانى، فقالا، بل تخبرنا أنت يا رسول اللّه فانّ ذلک أجلى للعمى و أبعد من الارتياب و أثبت للايمان فقال النبيّ صلّى اللّه عليه و آله:

أما أنت يا أخا الانصار فانک من قوم يؤثرون على انفسهم و انت قرويّ و هذا الثقفيّ بدويّ أ فتؤثره بالمسأله؟ قال: نعم قال صلّى اللّه عليه و آله:

أما أنت يا أخا ثقيف جئتنى تسألنى عن وضوئک و صلاتک و مالک فيهما، فاعلم انک إذا ضربت يدک فى الماء و قلت: بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، تناثرت الذّنوب التى اكتسبتها يداک.

فاذا غسلت وجهک تناثرت الذّنوب التى اكتسبتها عيناک بنظرهما و فوک بلفظه فاذا غسلت ذراعيک تناثرت الذّنوب عن يمينک و شمالک

فاذا مسحت رأسک و قدمیک تناثرت الذّنوب التی مشیت إلیها علی قدمیک، فهذا لک فی وضوئک.

فاذا قمت إلی الصّلاه و توجّهت و قرأت أمّ الکتاب و ما تیسّر لک من السّور ثمّ رکعت فأتممت رکوعها و سجودها و تشهّدت و سلّمت غفر لک کلّ ذنب فیما بینک و بین الصّلاه قدّمتها إلی الصّلاه المؤخّره، فهذا لک فی صلاتک و وضوئک.

و أمّا أنت یا أخا الأنصار فانّک جئت تسألنی عن حجّک و عمرتک و مالک فیهما من الثّواب، فاعلم أنّک إذا توجّهت إلی سبیل الحجّ ثمّ رکبت راحلتک لم تضع راحلتک خفّا و لم ترفع خفّا إلّا کتب اللّه لک حسنه و محا عنک سیّئه.

فاذا أحرمت و لبّیت کتب اللّه لک بکلّ تلبیه عشر حسنات و محا عنک عشر سیئات.

فاذا طفت بالبیت اسبوعا کان لک بذلک عند اللّه عهد و ذکر یستحیی منک ربک أن یعذّبک بعده.

فاذا صلّیت عند المقام رکعتین کتب اللّه لک بهما ألفی رکعه مقبوله.

و إذا سعیت بین الصّفا و المروه سبعه أشواط کان لک بذلک عند اللّه مثل أجر من حجّ ماشیا من بلاده و مثل أجر من اعتق سبعین نسمه (رقبه خ).

و اذا وقفت بعرفات إلی غروب الشّمس فلو کان علیک من الذّنوب مثل رمل عالج و زبد البحر لیغفر اللّه لک.

فاذا رمیت الجمار کتب اللّه لک لکلّ حصاه عشر حسنات فیما تستقبل من عمرک.

فاذا حلقت رأسک کان لک بکلّ شعره حسنه یکتب لک فیما یستقبل من عمرک.

فاذا طفت بالبیت اسبوعا للزّیاره و صلّیت عند المقام رکعتین ضرب ملک کریم علی کتفیک، فقال أمّا ما مضی فقد غفر لک فاستأنف العمل فیما بینک و بین عشرین

و مأئه یوم(۱) هذا.

و الأخبار فی فضائل الحجّ کثیره و قد جمع الصّدوق فیها بابا فی الفقیه و أخرجت هذه الأخبار منه و فیها کفایه للمهتدی إنشاء اللّه.

(و یتبادرون عنده موعد مغفرته) أی یتسارعون و یستبق کل منهم الآخر عند الحجّ إلی وعده المغفره من اللّه سبحانه لهم، و یحتمل أن یکون اسم مکان (جعله سبحانه للاسلام علما) أی جعل البیت علامه للدّین و الاسلام الذین هما طریقان إلی الرّضوان، کما أنّ السّالکین و المسافرین یهتدون إلی مطالبهم و مآربهم بالأعلام المنصوبه و المناور(۲) المرفوعه (و للعائذین حرما) یعنی جعله حرما للمعتصمین به و الملتجئین إلیه لا یجوز ایذاؤهم فیه و إخراجهم منه.

قال فی الفقیه: و روی أنّ من جنی جنایه ثمّ لجأ إلی الحرم لم یقم علیه الحدّ و لا یطعم و لا یسقی و لا یؤذی حتّی یخرج من الحرم فیقام علیه الحدّ، فان أتی ما یوجب الحدّ فی الحرم أخذ به فی الحرم لأنّه لم یر للحرم حرمه.

و فیه أیضا و سأل عبد اللّه بن سنان أبا عبد اللّه علیه السّلام عن قول اللّه:

«وَ مَنْ دَخَلَهُ کانَ آمِناً » قال من دخل الحرم مستجیرا به فهو آمن من سخط اللّه و ما دخل من الوحش و الطیر کان آمنا من أن یهاج أو یؤذی حتّی یخرج من الحرم الحدیث.

و مثله فی الکافی عن العیاشی عنه علیه السّلام و عنه علیه السّلام أیضا قال: إذا أحدث العبد فی غیر الحرم جنایه ثمّ فرّ إلی الحرم لم یسع لأحد أن یأخذه فی الحرم و لکن یمنع من السّوق و لا یبایع و لا یطعم و لا



---

۱- (۱) قال فی الفقیه و انما صار الحاج لا یکتب علیه ذنب أربعه اشهر من حین یحلق راسه لان اللّه اباح للمشرکین الاشهر الحرم أربعه اشهرا و یقول فسیحوا فی الارض أربعه اشهر فمن ثم یهب لمن یحج من المؤمنین البیت مسک الذنوب أربعه اشهر انتهی، منه

۲- (۲) جمع مناره، منه

يسقى و لا يكلم فإنّه إذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ، و إذا جنى فى الحرم جنايه اقيم عليه الحدّ فى الحرم، و زاد فى الكافى أنّه لم يدع للحرم حرمه.

و فى الكافى عنه عليه السّلام أيضا و قد سأله سماعه عن رجل لى عليه مال فغاب عنّى بزمان فرأيته يطوف حول الكعبه أ فأتقاضاه مالى؟ قال: لا تسلم عليه، و لا تردعه حتّى يخرج من الحرم هذا.

و من أجل كونه حرم اللّه سبحانه لم يقصده جبّار بسوء إلّا ابتلاه اللّه بشاغل أو رماه بقاتل.

و قد قصده أصحاب الفيل فأرسل سبحانه إليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجاره من سجّيل فجعلهم كعصف مأكول على ما نطق به التّنزيل.

و قصده تبّع الملک(۱) و أراد قتل مقاتلته و سبى ذراريهم و هدمه بعد ذلک فسالت عيناه حتّى وقعتا على خدّيه فسأل عن ذلک، فقالوا: ما نرى الذى أصابک إلّا بما نويت فى هذا البيت، لأنّ البلد حرم اللّه و البيت بيت اللّه و سکان مکه ذرّيه إبراهيم خليل الرّحمن، فقال: صدقتم فما مخرجى ممّا وقعت فيه؟ قالوا: تحدث نفسک بغير ذلک، فحدث نفسه بخير فرجعت حدقتاه حتّى ثبتتا فى مکانهما، فدعا القوم الذين أشاروا اليه بهدمها، فقتلهم ثمّ أتى البيت فکساه الأنطاع و أطعم الطعام ثلاثين يوما کلّ يوم مأئه جزور، حتّى حملت الجفان إلى السّباع فى رؤس الجبال، و نثرت الأعلاف للوحش، ثمّ انصرف من مکه إلى المدينه فأنزل بها قوما من أهل اليمن من غسان و هم الأنصار.

فان قيل: کيف لم يجر على الحجاج اللعين ما جرى على تبّع و أصحاب الفيل مع هدمه البيت؟ قلنا: إنّ الحجاج لم يکن قصده إلى هدم البيت و إنّما کان قصده إلى ابن الزّبير و کان ضدّا للحقّ، فلما استجار بالکعبه أراد اللّه أن يبيّن للنّاس أنّه لم يجره، فأمهل من هدمها عليه و بذلک صرّح فى الفقيه.

ثمّ أکد عليه السّلام وجوب الحجّ بقوله (فرض حجّه و أوجب) معرفه (حقه)



---

۱- (۱) التبايعه ملوک اليمن، منه

و ملاحظه حرمته (و كتب عليكم) أى ألزم عليكم (وفادته) و القدوم إليه لكسب الفيوضات و تحصيل الكمالات.

روى الصّدوق بإسناده عن أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: الحجاج و المعتمر وفد اللّه إن سألوه أعطاهم، و إن دعوه أجابهم و إن شفعوا شفعهم، و إن سكتوا ابتدئهم و يعوذون «يعوضون ظ» بالدّرهم ألف درهم (فقال «وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ »).

قال الطبرسى معناه و للّه على من استطاع إلى حجّ البيت سبيلا من النّاس حجّ البيت، أى من وجد إليه طريقا بنفسه و ماله.

و اختلف فى الاستطاعه، قيل: هى الزّاد و الرّاحله عن ابن عبّاس و ابن عمر، و قيل: ما يمكنه معه بلوغ مكه بأىّ وجه يمكن عن الحسن و معناه القدره على الوصول إليه، و المروىّ عن أئمتنا عليهم السلام أنّه وجود الزّاد و الرّاحله و نفقه من يلزمه نفقته و الرّجوع إلى كفايه إمّا من مال أو ضياع أو حرفه مع الصّحه فى النّفس و تخليه السّرب من الموانع و إمكان السّير.

أقول: أمّا اشتراط الزّاد و الرّاحله فى تحقّق الاستطاعه للبعيد فممّا أجمع عليه الأصحاب.

و أمّا القريب الغير المحتاج إلى قطع المسافه كأهل مكه و ما قاربها ممّن يمكنه السّعى من غير راحله بحيث لا يشقّ عليه عاده فانّ الرّاحله حينئذ غير شرط.

و أمّا البعيد المتمكن من المشى فهل هى شرط للوجوب فى حقّه أم لا الظاهر من المنتهى الأوّل حيث قال: اتفق علمائنا على أنّ الزّاد و الرّاحله شرطان فى الوجوب فمن فقدهما أو أحدهما مع بعد مسافته لم يجب عليه الحجّ و إن تمكن من المشى و استشكل فيه بعض متأخرى المتأخّرين كصاحب المدارك و نحوه من أجل قيام بعض الأخبار على الثّانى.

و أمّا الرّجوع إلى الكفايه فقد اشترطه الشّيخان و أبو الصّلاح و ابن البراج و ابن حمزه، و رواه الصّدوق فى الفقيه عن أبى الرّبيع الشّامى قال سئل أبو عبد اللّه عليه السّلام عن قول اللّه عزّ و جلّ: و للّه على النّاس حج البيت من استطاع اليه سبيلا، فقال:

ما يقول النّاس فيها؟ فقيل له: الزّاد و الرّاحله، فقال عليه السّلام: قد سئل أبو جعفر عليه السّلام عن هذا فقال: هلك النّاس إذا لئن كان من كان له زاد و راحله قدر ما يقوت عياله و استغنى به عن الناس ينطلق إليه فيسلبهم إياه لقد هلكوا إذا، فقيل له: فما السّبيل؟ فقال:

السّعه فى المال إذا كان يحجّ ببعض و يبقى بعض لقوت عياله، أليس قد فرض اللّه عزّ و جلّ الزكاه فلم يجعلها إلّا على من يملك مأتى درهم.

و ذهب الأكثر و منهم المرتضى و ابن ادريس و ابن أبى عقيل و ابن الجنيد إلى عدم الاشتراط، استدلالا بعموم الايه و الأخبار الصّحيحه، و استضعافا لسند روايه أبى الرّبيع، و طعنا فيه بجهاله الرّاوى و بأنّ من جمله رجاله خالد بن جرير و لم يرد فيه توثيق بل و لا مدح يعتد به هذا.

و أمّا قوله تعالى: و من كفر، فقد قال الطبرسى: معناه، و من جحد فرض الحج و لم يره واجبا، عن ابن عباس و الحسن:

«فَإِنَّ اللّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعالَمِينَ » لم يتعبّدهم بالعباده لحاجته إليها و إنّما تعبدهم بها لما علم فيها من مصالحهم.

و قيل: إنّ المعنى به اليهود فانّه لما نزل قوله:

«وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ » قالوا نحن مسلمون، فامروا بالحجّ فلم يحجّوا، و على هذا يكون معنى من كفر من ترك الحج من هؤلاء فهو كافر انتهى.

اقول: إطلاق الكافر على تارك الحجّ كما فى الآيه قد وقع فى الأخبار الكثيره و تفسيره بالجاحد بوجوبه حسبما فعله الطبرسى و تبعه غيره لا داعى إليه، و إنّما

هو نـاش عن حسـبان أنّ الكفر له معنى واحـد و هو المعنى المعروف بين الفقهاء و هو ما يوجب نجاسه المتّصف به و خلوده فى النّار، و ليس كذلک بل له معان متعدده.

بيـان ذلک أنّ الکفر فى اللّغه هو السّتر، و منه سـمّى اللیل کافرا لأنّه یستر ما أظهره نور النّهار، و اطلاقه على الکافر من جهه ستره ما أنعم اللّه به علیه من المعارف الحقّه و الأنوار الالهيه و النعم الجليّه و الخفيّه، و فى لسان الفقهاء يطلق الكافر على جاحـد الرّب و منكره، و على منكر ما علم ثبوته ضروره من دين الاسلام.

و امّـا فى القرآن و الأخبـار، فربّمـا اطلق على تـارک بعض الواجبـات و لـو لـم یکـن عـن جحـود کمـا یطلـق على فاعـل بعض المحرمـات، و يـدلّ على عـدم انحصـار معنـاه فى المعروف مـا رواه الكلينى عـن علىّ بن ابراهيم عن أبيه عن بكر بن صالـح عن القاسم ابن يزيد عن أبى عمر و الزّبيرى عن أبى عبد اللّه عليه السّـلام قال: الكفر فى كتاب اللّه عزّ و جلّ على خمسه أوجه: فمنها كفر الجحود و الجحود على وجهين و الكفر بترک ما أمر اللّه و كفر البراءه و كفر النعم:

فأمّـا كفر الجحود فهو الجحود بـالرّبوبيّه، و هو قول من يقول: لا ـ ربّ و لا ـ جنه و لا نار، و هو قول صـنفين من الزنادقه لعنهم اللّه يقال لهم: الدّهريّه و هم الذين يقولون:

و ما يهلكنا إلّا الـدّهر الى أن قال و أمّا الوجه الآخر من الجحود على معرفته فهو أن يجحـد الجاحد و هو يعلم أنّه حقّ قد استيقن عنده، و قد قال اللّه عزّ و جلّ.

«وَ جَحَدُوا بِها وَ اسْتَيْقَنَتْها أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَ عُلُوًّا » و قال اللّه تعالى:

«وَ كـانُوا مِـنْ قَبْـلُ يَسْـتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِيـنَ كَفَرُوا فَلَمّـا جـاءَهُمْ مـا عَرَفُـوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللّهِ عَلَى الْكـافِرِينَ » فهـذا تفسير وجهى الجحود، و الوجه الثّالث من الكفر كفر النعم، و ذلک قوله تعالى يحكى قول سليمان:

«هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِى أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما »

«يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِيٌّ كَرِيمٌ » و قال: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِى لَشَدِيدٌ » و قال: «فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِى وَ لا تَكْفُرُونِ » و الوجه الرّابع من الكفر ترك ما أمر اللّه به و هو قول اللّه تعالى:

«وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْم وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ » فكفرهم بترك ما أمر اللّه به و نسبهم إلى الايمان و لم يقبله منهم و لم ينفعهم عنده فقال:

«فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذلِكَ مِنْكُمْ إِلاّ خِزْيٌ فِى الْحَياهِ الدُّنْيا وَ يَوْمَ الْقِيامَهِ يُرَدُّونَ إِلى أَشَدِّ الْعَذابِ وَ مَا اللّهُ بِغافِلٍ عَمّا تَعْمَلُونَ » و الوجه الخامس من الكفر كفر البراءه، و ذلک قوله تعالى يحكى قول ابراهيم:

«كَفَرْنا بِكُمْ وَ بَدا بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمُ الْعَداوَهُ وَ الْبَغْضاءُ أَبَداً حَتّى تُؤْمِنُوا بِاللّهِ وَحْدَهُ » يعنى تبرّأنا منكم الحديث، فقد ظهر منه أنّ إطلاق الكفر على ترک بعض الفرائض و إتيان بعض المناهى ليس من أجل اشتماله على الجحود و الانكار، حيث إنّه عليه السّلام جعل الكفر الجحودى قسيما للكفر بترک ما أمر اللّه به.

ص:۲۶۳

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ تارك الحجّ مع وجود الاستطاعه كافر حقيقه و إن لم يحكم بنجاسته، لأنّ الحكم بالنجاسه من خواصّ الكفر على وجه الجحود، و يدل على ذلك مضافا إلى ظهور الآيه الشّريفه، ما رواه الصّدوق فى آخر الفقيه فى باب النّوادر فى وصيّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السّلام يا على، تارك الحجّ و هو مستطيع كافر قال اللّه تبارك و تعالى:

«وَ لِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ » الآيه.

يا علىّ من سوّف الحج حتّى يموت بعثه اللّه يوم القيامه يهوديا أو نصرانيا، و فى ذلك الباب أيضا يا على كفر باللّه العظيم من هذه الامه عشره: القتاه و السّاحر و الديوث و ناكح المرأه حراما فى دبرها و ناكح البهيمه و من نكح ذات محرم و السّاعى فى الفتنه و بايع السّلاح من أهل الحرب و مانع الزّكاه و من وجد سعه فمات و لم يحج هذا.

و الأخبار فى عقوبه تارك الحجّ و مسوّفه و كونه كبيره موبقه كثيره، و من الآيات الدّاله على ذلك مضافه إلى الآيه السّابقه قوله تعالى:

«وَ مَنْ كانَ فِي هذِهِ أَعْمى فَهُوَ فِى الْآخِرَهِ أَعْمى وَ أَضَلُّ سَبِيلاً » قال الصدوق روى محمّد بن الفضيل، قال سألت أبا الحسن عليه السّلام عن هذه الآيه فقال:

نزلت فيمن سوّف الحجّ حجه الاسلام و عنده ما يحجّ به فقال: العام أحجّ العام أحجّ حتى يموت قبل أن يحجّ و روى عن معاويه بن عمار قال: سألت أبا عبد اللّه عليه السّلام عن رجل لم يحجّ قط و له مال فقال هو ممّن قال اللّه عزّ و جلّ:

«وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَهِ أَعْمى » فقلت سبحان اللّه أعمى، فقال: أعماه اللّه عن طريق الخير.

### تكميل

قد عرفت فضل البيت الحرام و فضائل المشاعر العظام و كونه حرم اللّه و أمنه و اختياره سبحانه على جميع أقطار أرضه من سهله و حزنه إلّا أنّه قد وردت

أخبار مستفيضه داله على تفضيل أرض كربلا عليه و كونه حرم اللّه سبحانه من قبله.

مثل ما رواه جعفر بن محمّد بن قولويه فى المزار باسناده عن ابن أبى يعفور عن أبى عبد اللّه عليه السّلام فى حديث ثواب زياره الحسين عليه السّلام قال: و اللّه لو انى حدّثتكم فى فضل زيارته لتركتم الحجّ رأسا و ما حجّ أحد ويحك أما علمت أنّ اللّه اتخذ كربلاـ حرما آمنا مباركا قبل أن يتخذ مكه حرما قال ابن أبى يعفور: قد فرض اللّه على النّاس حجّ البيت و لم يذكر زياره قبر الحسين عليه السّلام، قال: و إن كان كذلك فانّ هذا شىء جعله اللّه هكذا أما سمعت قول أمير المؤمنين عليه السّلام إنّ باطن القدم أحقّ بالمسح من ظاهر القدم و لكن اللّه فرض هذا على العباد، أما علمت أنّ الاحرام لو كان فى الحرم كان أفضل لأجل الحرم و لكنّ اللّه صنع ذلك فى غير الحرم.

و روى أيضا باسناده عن عمر بن يزيد عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أن أرض الكعبه قالت من مثلى و قد بنى بيت اللّه على ظهرى يأتينى النّاس من كلّ فجّ عميق، و جعلت حرم اللّه و أمنه، فأوحى اللّه إليها كفى و قرى ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت أرض كربلا إلّا بمنزله الابره غمست فى البحر فحملت من ماء البحر و لو لا تربه كربلا ما فضلتك و لولا من ضمنه كربلا لما خلقتك و لا خلقت الذى افتخرت به، فقرّى و استقرّى و كونى ذنبا(۱) متواضعا ذليلا مهينا غير مستنكف و لا مستكبر لأرض كربلا و إلّا مسختك و هويت بك فى نار جهنم.

و باسناده عن أبى الجارود عن علىّ بن الحسين عليهما السّلام قال: اتخذ اللّه أرض كربلا حرما قبل أن يتخذ مكه حرما بأربعه و عشرين ألف عام.

و باسناده عن صفوان الجمال قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إنّ اللّه فضل الأرضين و المياه بعضها على بعض، فمنها ما تفاخرت و منها ما بغت، فما من أرض و لا ماء إلا عوقبت لترك التّواضع للّه حتى سلّط اللّه على الكعبه المشركين و أرسل إلى زمزم ماء مالحا فأفسد طعمه، و ان كربلا و ماء الفرات أول أرض و أول ماء



---

۱- (۱) اى تاليا يقال ذنبه يذنبه اى تلاه، منه

قدس اللّه و بارك عليه، فقال لها تكلّمى ما فضلك اللّه، فقالت: أنا أرض اللّه المقدسه المباركه، الشّفاء فى تربتى و مائى و لا فخر بل خاضعه ذليله لمن فعل بى ذلك و لا فخر على من دونى بل شكر اللّه، فأكرمها و زادها بتواضعها و شكرها للّه بالحسين عليه السّلام و أصحابه، ثم قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: من تواضع للّه رفعه اللّه و من تكبّر وضعه اللّه.

و الحمد للّه على حسن توفيقه لشرح الخطبه الاولى و منه أسأل التّوفيق لشرح الخطبه الآتيه بحقّ محمّد و عترته الطاهره.

## الترجمه

و واجب گردانيد حق تعالى بر شما حج خانه خود را كه حرام است بر مشركين داخل شدن او، چنان خانهٔ كه گردانيده است آنرا قبلهٔ خلقان در حالتى كه وارد ميشوند بر آن با ازدحام مثل وارد شدن حيوانات بر آب در وقت تشنگى، و شايق ميشوند بسوى آن مثل اشتياق كبوتران حرم بآشيان خودشان، گردانيد خداوند آن خانه را علامت و نشانه بجهت فروتنى و تواضع آنها مر بزرگوارى و عظمت خود را، و بجهه اعتقاد و يقين آنها مر عزّت و سلطنت او را، و پسنديد از خلق خود شنوندگان كه اجابت كردند بجهه او دعوت او را، و تصديق نمودند از براى او كلمهٔ تامهٔ او را، و بايستادند ايشان در جاى ايستادن انبياء مرسلين، و متشبه شدند بملائكه مقرّبين كه طواف كنندگانند بر عرش رب العالمين در حالتى كه جمع آورى ميكنند ايشان سودها و منفعتها در تجارتگاه پرستش او، و مى شتابند و سرعت ميكنند بر وعدگاه آمرزش او گردانيد آن خانه را خداوند نشانه و علامت از براى دين اسلام، و حرم و مأمن بجهه پناه برندگان، واجب نمود حج آنرا و لازم گردانيد حقّ آن را و متحتم فرمود آمدن آن را بجهه كسب فيض و سعادت پس فرمود، مر خداى راست بر بندگان حج بيت الحرام هر كسى كه تمكن داشته باشد بسوى او از حيثيت راه، و هر كس كافر باشد يعنى ترك حج نمايد پس به تحقيق خداوند ملك منّان غنى و بى نياز است از همه عالميان يعنى امر فرمودن خداوند ايشان را بعبادت نيست بجهه افتقار و حاجت بلكه بجهه وجود مصلحتست

در طاعات و عبادات.

## و من خطبه له عليه السلام

### اشاره

و هى الثانيه من المختار فى باب الخطب خطب بها بعد

انصرافه من صفين

و نشرحها فى ضمن فصول

### الفصل الاول

### اشاره

أحمده استتماما لنعمته، و استسلاما لعزّته، و استعصاما من معصيته، و أستعينه فاقه إلى كفايته، إنّه لا يضلّ من هداه، و لا يئل من عاداه، و لا يفتقر من كفاه، فإنّه أرجح ما وزن، و أفضل ما خزن.

### اللغه

(صفين) بكسر الصّاد و تشديد الفاء كسجّين اسم موضع قرب الرّقه بشاطىء الفرات من الجانب الغربى كانت به الوقعه العظمى بين علىّ عليه السّلام و معاويه لعنه اللّه و وزنه إمّا فعّيل كظلّيم و ضلّيل فالنّون أصليّه و يدلّ عليه ضبط الجوهرى و الفيروز آبادى له فى باب النّون، و هو الأشهر، و إمّا فعلين بزياده الياء و النّون كغسلين و يدلّ عليه ضبط الفيومى كبعض اللّغويّين له فى باب الصّاد مع الفاء، قال فى المصباح و هو فعلين من الصّف، أو فعّيل من الصّفون، فالنّون أصليّه على الثّانى.

أقول: على تقدير كونه مأخوذا من الصّف بكسر الصّاد فاصله الصفّ بفتحها و زياده الياء و النّون للمبالغه، كما أنّ غسلين من الغسل و هو ما يغتسل به كالماء و الصّابون و الخطمى، فزيدت الياء و النّون مبالغه و استعمل فيما يسيل من جلود أهل النّار قال سبحانه:

«وَ لا طَعامٌ إِلاّ مِنْ غِسْلِينٍ » و تسميته على هذا التّقدير يحتمل أن يكون لكثره الصّفوف فى الوقعه الواقعه فيه،

ص:۲۶۷

و على تقدير كونه مأخوذا من الصّفون فهو من صفن الفرس صفونا قام على ثلاث قوائم و طرف حافر الرّابعه، و صفن الرّجل إذا صفّ قدميه، و صفن به الأرض ضربه و على كلّ التّقدير فاللّازم أن يكون التّسميه به متأخّره عن وقوع الوقعه نظير ما قالوه فی إطلاق المسلخ على الميقات المعروف الذى هو أوّل وادى العقيق من أنّه لاجل سلخ الثياب و نزع اللّباس فيه فيكون التّسميه متأخره عن كونه ميقاتا و (الاستسلام) الانقياد و الخضوع و (العزّه) من عزّه يعزّه عزّا من باب ضرب إذا غلبه و الاسم العزه و هى القوّه و الغلبه، و العزيز من أسمائه سبحانه هو الغالب الذى لا يغلب و (الفاقه) الفقر و الحاجه و (الكفايه) مصدر يقال: كفى الشيء يكفى كفايه إذا حصل به الاستغناء عن غيره قال تعالى:

«كَفَى اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ » اى أغناهم عنه و وئل (يئل) من باب ضرب وئلا و وؤولا إذا طلب النّجاه فنجى، و الموئل الملجاء و المنجى.

## الاعراب

قال الشّارح المعتزلى: صفّين اسم غير منصرف للتّأنيث و التّعريف و استدل بقول الشّاعر:

انّى ادين بما دان الوصىّ به يوم الخريبه(۱) من قتل المحلّينا

و بالذى دان يوم النّهر دنت به و شاركت كفّه كفّى بصفّينا

تلك الدّماء معا يا ربّ فى عنقى ثمّ اسقنى مثلها آمين آمينا

أقول: أمّا التّعريف فيه فمسلم، و أمّا التّأنيث فغير لازم إذ كما يجوز تفسيره بالأرض و البقعه كذلك يجوز تفسيره بالمكان و الموضع و الشّعر لا دلاله فيه على ما رامه، لأنّ دلالته إنّما يتمّ لو كان أصليّه النّون فيه مسلمه لظهور كون محلّ الاعراب فيه حينئذ هو آخر الكلمه، و أمّا على تقدير كونها زايده كما اختاره



---

۱- (۱) خريبه كجهينه موضع بالبصره يسمى البصره الصغرى، قاموس

الفیومی فی المصباح حسبما اشیر إلیه فالنّون مفتوحه دائما، و یظهر أثر الاعراب حینئذ فیما قبل النّون، فیقال: صفّین و صفون نظیر عالمین و أرضین، و قد صرّح بما ذکرناه أخیرا فی الاوقیانوس أیضا فافهم جیّدا.

و استتماما و استسلاما و استعصاما منصوبات علی أنّها مفاعیل لفاعل الفعل المعلل بها و هو أحمد و انتصاب فاقه علی ذلک أیضا و الضّمیر فی قوله علیه السّلام: فانّه أرجح ما وزن إمّا راجع الی الحمد المستفاد من قوله: أحمد، أو راجع إلی اللّه سبحانه و ستعرف تحقیقه.

## المعنی

## اشاره

(أحمده استتماما لنعمته) أی طلبا لتمام النّعمه و فی إفرادها إشاره إلی انّ نعمه سبحانه غیر متناهیه و فیوضاته تعالی غیر منتهیه من الکمّ و الکیفیّه، فهی أعظم من أن تتمّ فی حقّ عبد فیکون طلب تمامها حینئذ عبثا و إنّما یتفضل منها علی العباد بحسب استعدادهم و قابلیّتهم (و استسلاما لعزّته) أی انقیادا لقهره و غلبته و خضوعا لجلاله و عظمته (و استعصاما من معصیته) أی طلبا للعصمه من معصیته الحاصله بکفران النّعمه.

و لا یخفی ما فی کلامه من النکته اللطیفه حیث إنّه علّل الحمد أولا بطلب تمام نعمه اللّه سبحانه إشاره إلی أنّ العله الدّاعیه إلی الحمد هو طلب تمام النّعمه من حیث إنّ الحمد یوجب تمامها و کمالها بمقتضی الوعد الذی ورد فی کلامه تعالی(۱) من قوله:



---

۱- (۱) لا یخفی ان ما ذکرناه من جعل قوله استتماما لنعمته ناظرا الی قوله لئن شکرتم لازیدنکم و قوله و استعصاما من معصیته ناظرا الی قوله و لئن کفرتم ان عذابی لشدید انسب و اقرب مما صنعه البحرانی من جعل قوله استسلاما لعزته ناظرا الی الایه الاخیره و أیضا ما ذکرناه من کون المراد بالمعصیه فی قوله و استعصاما من معصیته هو المعصیه الحاصله بکفران النعمه اظهر من جعل المراد بها جمیع المعاصی، اما اولا فلان المصدر المضاف لا یفید العموم، و اما ثانیا لظهور ان الحمد لا یوجب العصمه من جمیع المعاصی و انما یوجب العصمه من المعصیه الحاصله التی ذکرناه و هی العصیان بالکفران و بالجمله کلام البحرانی فی شرح هذا المقام غیر خال عن السماجه فانظر ما ذا تری، منه

«لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ » ثمّ علّله بعلّه ثانيه منشعبه من العلّه الاولى من حيث إنّ طلب تمام نعمته موقوف على معرفته سبحانه من حيث إنّه منعم و معرفه النّعمه من حيث إنّها نعمه و لا تتمّ تلك المعرفه إلاّ بأن تعرف أنّ النّعم كلها جليّها و خفيّها منه سبحانه و أنّه المنعم الحقيقى، و الأوساط كلها منقاده لحكمه و مسخره لأمره، و ثمره تلك المعرفه هى الخضوع و الاستسلام و التذلل لعزّته و قدرته.

و أمّا العلّه الثّالثه ففيها إشاره إلى أنّ بالحمد يحصل العصمه من المعصيه إذ فى تركه كفران النّعمه و قد أوعد عليه سبحانه:

«وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ » هذا و غير خفىّ على الفطن الدّقيق أنّ ما ذكرناه فى شرح كلامه عليه السّلام أولى ممّا صنعه الشّارح البحرانى من جعل الاستتمام و الاستسلام و الاستعصام غايات للحمد(١) مترتبه عليه، لظهور أنّ طلب التّمام ليس من غايات الحمد، بل هو علّه باعثه له و إنّما غايته و فايدته المترتبه عليه هو التّمام و الزّياده، و هكذا الكلام فى الاستسلام و الاستعصام، و بالجمله المفاعيل الثلاثه فى كلامه عليه السّلام على حدّ قولهم، قعدت عن الحرب جبنا، لا على نحو قولهم: جئتك زياره لك، فافهم جيّدا.

ثمّ إنّ الظاهر أنّ المرادفى كلامه عليه السّلام هو الشكر، و فى قوله:

استتماما لنعمتهتلويح لذلك، لأنّ الثّناء على المنعم من حيث النّعمه و من حيث تمامها و زيادتها هو الشكر، و فى قوله سبحانه: لئن شكرتم اه إشاره إلى ذلك.

قال المحقّق النّصير الطوسى (ره) فى محكى كلامه: اعلم أنّ الشّكر مقابله النّعمه بالقول و الفعل و النّيه و له أركان ثلاثه.

الأوّل معرفه المنعم و صفاته اللاّيقه به و معرفه النّعمه، من حيث إنها نعمه و لا تتمّ تلك المعرفه إلاّ بأن تعرف أنّ النعم كلها جليها و خفيّها من اللّه سبحانه، و أنّه المنعم الحقيقى

ص:٢٧٠

---

١- (١) و مثله الشهيد الثانى (ره) فى شرح ديباجه اللمعه الدمشقيه منه

و أنّ الأوساط كلها منقاده لحكمه مسخره لأمره.

الثّانی الحاله التی هی ثمره تلک المعرفه و هی الخضوع و التّواضع و السرور بالنعم لا من حیث إنّها موافقه لغرض النّفس، فانّ فی ذلک متابعه لهواها و قصر الهمه علی رضاها، بل من حیث إنّها هدیه داله علی عنایه المنعم بک، و علامه ذلک أن لا تفرح من نعم الدّنیا إلاّ بما یوجب القرب منه.

الثّالث العمل الذی هو ثمره تلک الحال، فان تلک الحال إذا حصلت فی القلب حصل فیه نشاط للعمل الموجب للقرب منه تعالی، و هذا العمل یتعلق بالقلب و اللسان و الجوارح.

أمّا القلب فالقصد إلی تعظیم المنعم و تمجیده و تحمیده و التفکر فی صنایعه و أفعاله و آثار لطفه و العزم علی ایصال الخیر و الاحسان إلی عامه الخلق.

و أمّا عمل اللسان فاظهار ما قصدته و نویته من التمجید و التّعظیم بتهلیله و تحمیده و تسبیحه و الثّناء علیه و إرشاد الخلق بالأمر بالمعروف و النّهی عن المنکر إلی غیر ذلک.

و أمّا عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهره و الباطنه فی طاعته و عبادته و عدم استعمالها فی معصیته و مخالفه أمره کأعمال العین فی النّظر إلی عجیب مصنوعاته و آیاته، و النظر فی کتابه، و استعمال السّمع فی استماع دلایله و براهینه و الانصات لقرائه کتابه، و قس علی ذلک سایر الجوارح، و من هنا ظهر أنّ الشکر أشرف معارج السّالکین و أعلی مدارج العارفین، و لا یبلغ حقیقته إلاّ من ترک الدّنیا وراء ظهره، و هم قلیلون و لذلک قال عزّ من قائل: و قلیل من عبادی الشکور. انتهی کلامه قده (و أستعینه فاقه إلی کفایته) الکلام فی هذه الفقره کالکلام فی سابقتها إذ الفاقه إلی کفایته سبحانه عله داعیه إلی الاستعانه، و معناها طلب الاعانه منه تعالی للحاجه إلی غناه و استغناء به عن غیره سبحانه کما قال تعالی:

«أَ لَیْسَ اللّهُ بِکافٍ عَبْدَهُ ».

و ذلک من جهه أنّ أزمّه الأمور کلّها بیده جلّ شانه، فلا یقع شیء منها إلّا بایجاده و إذنه و کلّ من سواه مفتقر إلیه، و من ذلک صحّ الاستغناء به عن غیره فی جمیع الامور و کلّ الأحوال، و استحال الاستغناء عنه فی شیء منها قال تعالی:

«یا أَیُّهَا النّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَراءُ إِلَی اللّهِ وَ اللّهُ هُوَ الْغَنِیُّ الْحَمِیدُ » و المراد بغناه هو الغنی المطلق الذی هو سلب مطلق الحاجه، لا الغنی بالمعنی المعروف کما أنّ المراد بالفقر مطلق الحاجه إذ حقیقه الغنی هو استقلال الشیء بذاته فی کلّ ما له من غیر تعلق له بالغیر أصلا، و هو بهذا المعنی لا یکون إلّا للّه، و حقیقه الفاقه و الفقر عدم استقلال الشّیء بذاته و تعلّقه بالغیر و لو فی شیء ماء و هو بهذا المعنی صفه لکلّ ممکن، فثبت أنّه تعالی غنی عن خلقه من کلّ الوجوه و تحقّق فقرهم إلیه من کلّ وجه، لما تقرّر من أنّ فقیرا بالذّات من وجه ما فهو فقیر بالذّات من جمیع الوجوه (إنّه لا یضلّ من هداه و لا یئل من عاداه) تعلیل لطلبه المعونه علی تحصیل الکفایه فکأنّه قال: و استعینه علی أن یرزقنی الکفایه المستلزمه للهدایه التی هی الغنی الحقیقی و الملک الأبدی، فانّه لا یضلّ من هداه و لا یطلب النّجاه من عذابه من عاداه، لعدم وجود منجی و موئل غیره حتّی یلتجأ منه إلیه، إذ کلّ من سواه مقهور تحت قدرته و مضمحل فی جنب ذاته، لا رادّ لحکمه و لا دافع لقضائه، فکیف یمکن الفرار من حکومته أو یلتجأ إلی من سواه، و المراد بمعاداته سبحانه للعبد إعراضه عنه و إضلاله له فیکون کلامه علیه السّلام فی قوّه أن یقال: إنّه لا یضلّ من هداه و لا یهتدی من أضله، تصدیقا لقوله سبحانه:

«وَ مَنْ یُضْلِلِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ هادٍ وَ مَنْ یَهْدِ اللّهُ فَما لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَ لَیْسَ اللّهُ بِعَزِیزٍ ذِی انْتِقامٍ » و لقوله: «مَنْ یَهْدِ اللّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ یُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِیًّا مُرْشِداً »

(و لا يفتقر من كفاه) إذ بيده سبحانه خزائن الأرض و السّماوات و عنده نيل الطلبات و له القدره التّامه التى لا يعجزها شىء و الجود الذى لا يعتريه بخل و الغنى الذى ليس معه فقر، فاذا كان كافيا لعبده حصل له الاستغناء عمّن سواه و انقطعت حاجته عمّن عداه (فانّه أرجع ما وزن و أفضل ما خزن) الضّمير يحتمل رجوعه إلى الحمد المدلول عليه بقوله أحمده من قبيل:

«اِعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوى ».

فيكون المراد به أنّه أرجح ما وزن بميزان الأعمال، و أفضل ما خزن و ادّخر ليوم الجزاء، و ذلك لعظم فوائده و كثره ثمراته حسبما ستعرفه بعيد ذلك، و يحتمل أن يرجع إلى اللّه سبحانه فيكون المعنى أنّه أرجح ما وزن بميزان العقول و أفضل ما خزن فى خزانه القلوب، و هذا أقرب لفظا جريا على سياق الضّماير السّابقه، و الأوّل أقرب معنى للحاجه إلى التّأويل على الثّانى إذ الوزن و الخزن من صفات الأجسام، و ذاته تعالى مقدسه عن ذلك، فلا بدّ أن يجعل المراد رجحان عرفانه فى ميزان العقل إذ لا يوازن عرفانه عرفان ما عداه، بل لا يخطر ببال العارف عند الاخلاص سواه حتّى يصدق هناك موازنته يقال فيها أرجح و قد مرّ تحقيقه فى الفصل الرّابع من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله عليه السّلام: و كمال الاخلاص له نفى الصّفات عنه، فتذكر.

### تنبيه و تحقيق

اعلم أنّه قد تطابق النّقل و العقل على وجوب شكر المنعم و حسنه و قبح كفران نعمه سبحانه.

أمّا النّقل فمن الكتاب قوله تعالى فى سوره ابراهيم عليه السّلام:

«وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذابِي لَشَدِيدٌ » و فى سوره النّمل «وَ مَنْ شَكَرَ فَإِنَّما يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ».

ص:۲۷۳

الى غير هذه من الآيات الكثيره.

و من السّنه أخبار كثيره، مثل ما رواه عبد اللّه بن اسحاق الجعفرى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال مكتوب فى التّوراه اشكر من أنعم عليك و انعم من شكرك فانه لا زوال للنعماء إذا شكرت، و لا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زياده فى النعم و أمان من الغير.

و ما رواه معاويه بن وهب عنه عليه السّلام قال: من اعطى الشكر اعطى الزّياده يقول اللّه عزّ و جلّ: لئن شكرتم لازيدنكم و روى عبد اللّه بن الوليد قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: ثلاث لا يضرّ معهنّ شيء: الدّعاء عند الكرب و الاستغفار عند الذّنب و الشكر عند النعمه.

و روى معمر بن خلاّد عن أبى الحسن صلوات اللّه عليه قال: سمعته يقول: من حمد اللّه على النعمه فقد شكره و كان الحمد أفضل من تلك النعمه.

و روى سفيان بن عيينه عن عمّار الدّهنى قال: سمعت علىّ بن الحسين عليهما السلام يقول: إنّ اللّه يحب كلّ قلب حزين و يحب كلّ عبد شكور، و يقول اللّه تعالى لعبد من عبيده يوم القيامه: أ شكرت فلانا؟ فيقول: بل شكرتك يا ربّ فيقول: لم تشكرنى إذ لم تشكره، ثمّ قال: أشكركم للّه أشكركم للنّاس إلى غير هذه من الأخبار المتظافره المستفيضه و قد عقد فى الكافى بابا فى الشكر و أخرجت هذه الأخبار منه من أراد زياده البصيره فليرجع إليه.

و أمّا العقل فهو مستقلّ فى وجوب الشكر و حاكم بحسنه، و اتّفق على ذلك الاماميّه و المعتزله، و خالف فيه الأشاعره بعد تنزّلهم عن أصلهم الذى أسّسوه فى مسأله الحسن و القبح، و ذهبوا إلى عدم حكم للعقل بوجوب شكر المنعم على تقدير تسليم حكمه مطلقا و إدراكه الحسن و القبح فى الجمله و المسأله معنونه فى الأصول، و أدله الطرفين مفصّله فيها.

و عمده ما تمسّك به المخالف دليلان، أحدهما نقليّ و الآخر عقليّ أمّا النّقلى فهو قوله تعالى:

«وَ ما كُنّا مُعَذِّبِينَ حَتّى نَبْعَثَ رَسُولاً ».

ص:٢٧۴

وجه الاستدلال أنّ وجوب شيء عباره عن ترتب العقاب على مخالفته، و حيث انتفى العقاب قبل الشّرع بحكم الآيه انتفى الوجوب.

و أجيب عنه أوّلا- بالتّخصيص بالمستقلّات العقليّه فيختصّ حكم الآيه بغير المستقلّات و يكون المراد، و ما كنّا معذّبين فى الأعمال التى لا سبيل إلى معرفتها إلّا بالشّرع إلّا بعد مجيء الشّرع، و التّخصيص و إن كان خلاف الظاهر إلّا أنّه يجب ارتكابه عند قيام الدّليل عليه، و قد قام الدّليل على حكم العقل فى الجمله حسبما تعرفه(١).

و ثانيا بجعل الرّسول أعمّ من الظاهر و الباطن، أمّا الظاهر فهو الأنبياء، و أما الباطن فهو العقل بل هو الرّسول الذى لولاه لما تقرّر رساله أحد من الأنبياء و لزم إفحامهم، و ذلک لأنّه إذا جاء المشّرع و ادّعى كونه نبيّا من عند اللّه تعالى و أظهر المعجزه على طبق دعواه، فامّا أن يجب على المستمع استماع قوله و النّظر إلى معجزته أولا، و على الثّانى فقد بطل القول بالنبوه و لزم الافحام، و على الأوّل فامّا أن يكون وجوبه بالعقل أو بالشّرع، فان وجب بالعقل فقد ثبت المدّعى و هو كون العقل حاكما، و إن وجب بالشّرع فهو باطل لأنّ الشّرع إمّا أن يكون هو ذلک المدّعى أو غيره، و الأوّل باطل، لأنّه يرجع حاصل الكلام إلى أن ذلک المدّعى يقول: الدّليل على وجوب قبول قولى هو قولى إنّه يحب قبول قولى و هذا إثبات للشيء بنفسه و بعباره اخرى وجوب النّظر إلى معجزته و استماع قوله يتوقف على حجيه قوله مع أنّ حجّيته موقوفه على النّظر، و الثّانى أيضا باطل، لأنّ الكلام فيه كالكلام فى الأوّل، و لزم إمّا الدّورأ و التسلسل، و هما محالان.

و ثالثا أنّ نفى التعذيب لا يلازم عدم الوجوب إذ الواجب ما يستحقّ فاعله العقاب لا ما يترتّب عليه العقاب فعلا، لجواز سقوطه بعفو أو شفاعه، و ربّما اورد عليه بأنّ العفو عن ترک جميع الواجبات و فعل المحرّمات إلى زمان البعث و كون الآيه إخبارا عن ذلک مستلزم لالغاء الايجاب و التّحريم، إذ المقصود منهما فعل الواجب و ترک



---

١- (١) فى الجواب الثانى، منه

الحرام و هما لا يتحصـلان فى حقّ عموم المكلفين إلّا المخلصـين إلّا بالخوف عن العقاب، فاذا انتفى الخوف بسبب الاخبار عن العفو و حصل الاطمينان للنّفس بعدم التعذيب، لا يتحصّل الغرض من التكليف فيكون التكليف لغوا و عبثا.

و رابعا بمنع عدم تحقّق الوجوب بدون العقاب، فانّه يكفى فيه استحقاق المدح بفعله و الذم بتركه، و نلتزم فى حسن العقاب على الواجبـات بوجوب اللطف و تأكيـد العقل بالنّقل فمع عـدم وجود النقل لا يجوز العقاب و إن حسن الـذّمّ، و هو يكفى فى تحقق الوجوب و كيف كان فقـد تحصّل ممّا ذكرناه عدم نهوض الآيه للدّلاله على نفى حكومه العقل مطلقا و فى وجوب شـكر المنعم بخصوصه كما ظهر ثبوت حكومته أيضا فى الجمله ممّا ذكرناه فى الجواب الثّانى.

و أمّا العقلى فتقريره ما ذكره الحاجبى فى المختصـر، قال: شكر المنعم ليس بواجب عقلا، لأنّه لو وجب لوجب لفائده و إلّا لكان عبثا و هو قبيح لا فايده للّه تعالى:

لتعاليه عنها، و لا للعبد فى الدّنيا لأنّه مشقه و لا حظّ للنّفس فيه، و لا فى الآخره إذ لا محلّ للعقل فى ذلك.

و توضيـحه ما ذكره العضـدى فى شـرحه حيث قال: لنا لو وجب لوجب لفائده و اللّازم باطل، أمّا الاولى فلأنّه لو لا الفايده لكان عبثـا و هو قبيـح فلاـ يجب عقلاـ إذ كان ايجابه عبثا و هو قبيـح فلا يجوز على اللّه، و أمّا الثّانيه فلأنّ الفايـده إمّا للّه و إمّا للعبـد و الثّانى، إمّا فى الدّنيا و إمّا فى الآخره، و الثلاث منتفيه، أمّا للّه فلتعاليه عن الفايده، و أمّا للعبد فى الدّنيا فلأنّ منه(۱) فعل الواجبات و ترك المحرّمـات العقليّه و أنّه مشـقّه و تعب ناجز و لا حظ للنّفس فيه، و هو كـذلك لا يكون له فايـده دنيويه، و أمّا للعبـد فى الآخره فلأنّ أمور الآخره من الغيب الذى لا مجال للعقل فيه.

و الجواب أولا بمنع كون وجوبه لفائده، لجواز كون وجوبه لنفسه لا لشيء



---

۱- (۱) اى من حكم العقل، منه

آخر، فانّه لا يلزم ثبوت الغايات لكلّ شىء و إلّا لزم التسلسل، بل لا بدّ و أن ينتهى إلى ما يكون واجبا لذاته و لا غايه له سوى ذاته كما أنّ دفع الضّرر واجب لذاته لا لغايه أخرى، و لهذا يعلّل العقلا، وجوبه بكونه شكر النّعمه لا لشىء آخر، و إن لم يعلموا شيئا آخر من جهات الوجوب.

و ثانيا سلّمنا أنّ الوجوب لا يكون إلّا لفائده، إلّا أنّا نمنع انتفاء الفائده الدّنيويه للعبد لأنّ أداء الشكر و إن كان فيه ضرر عاجل و تعب ناجز إلاّ أنّ دفع الخوف من النّفس الحاصل فى العاجل بسبب تجويز الضّرر الآجل بتركه أمر مطلوب و هو راجح على ضرر الشكر العاجل و هو كاف فى الوجوب.

و ثالثا سلمنا انتفاء الفائده الدّنيويه إلّا أنّا نمنع انتفاء الفائده الاخرويه و هو النّجاه من العقاب المترتب على عدم الشكر.

لا يقال إن أردت بالعقاب المترتب على عدم الشكر العقاب القطعى فممنوع، لأنّ القطع بثبوته عند عدمه إنّما يحصل لو كان الشكر يسرّ المشكور و الكفر يسوئه، أمّا المنزّه عن ذلك فلا، و إن أردت العقاب المحتمل فلا ينفع لأنّ احتمال العقاب كما هو موجود عند الكفر كذلك موجود عند الشكر أيضا أمّا أوّلا فلأنّه تصرّف فى ملك الغير بدون إذن المالك، فانّ ما يتصرّف فيه العبد من نفسه و غيرها ملك للّه تعالى، و أمّا ثانيا فلأنّه كالاستهزاء.

بيان ذلك أنا لو فرضنا سلطانا عظيما و ملكا كريما بسط لأهل مملكته من الخاص و العام بساط مائده عظيمه لا مقطوعه و لا ممنوعه على توالى الأيام و تواتر السّنين و الأعوام، مشتمله على أنواع المأكولات و المطاعم و أقسام المشروبات و الفواكه، يجلس عليها الدّانى و القاصى و يأكل منها المطيع و العاصى، و فرضنا أنّه حضر فيها فقير لم يحضرها قبل الآن، و دفع إليه الملك من تلك المائده لقمه خبز لا غير، فتناولها الفقير، ثمّ شرع فى الثّناء و المدح على ذلك الملك الكبير، و جعل يمدحه بجليل الانعام و الاحسان، و يحمده على جزيل البرّ و الامتنان، و لم يزل يصف تلك اللّقمه و يذكرها و يعظم شأنها و يشكرها، فتاره يحرّك أنملته شاكرا، و أخرى

يهن رأسه ذاكر(۱) لانتظم شكره ذلك عند العقلاء فى سلك التهكّم و الاستهزاء، و لا ريب أنّ نعم اللّه سبحانه علينا بالنسبه الى عظيم سلطانه و عميم إحسانه أحقر من تلك اللّقمه بالنّسبه إلى ذلك بمراتب لا تحصى و درجات لا يحوم حولها الاستقصاء.

لانّا نقول: أوّلا ـ إنّ العقاب المترتّب على الكفران قطعىّ، و قوله إنّ القطع بثبوته إنّما يتصور فى حقّ من يسرّه الشكر و يسوئه الكفر ممنوع، لأنّ ترك الواجب عله فى استحقاق العقاب بتركه، و ثانيا سلّمنا و لكن نمنع احتمال العقاب على الشكر، و ما علّله به أوّلا ـ من أنّه تصرّف فى ملك الغير من دون إذنه فضعيف بأنا نعلم قطعا أنّ الاشتغال بوظايف الخدمه و القيام بالشكر و المواظبه عليه أسلم من تركه و الاعراض عن الخدمه و التغافل عن الشكر كضعف ما علله به ثانيا من كونه كالاستهزاء.

و تمثيل النّعمه باللقمه باطل، فانّ نعم اللّه على العبد بالايجاد و الاحياء و الاقدار و ما منحه من العقل و السّلامه و الملاذ و النّعم أعظم من الدّنيا بأجمعها.

و المثال المطابق للممثل أنّه إذا كان مسكين مغفول، و فقير فى زاويه الخمول أخرس اللسان، مؤف الأركان، أشل اليدين، أعرج الرّجلين، أعمى العينين، أصمّ الاذنين، عاجزا عن الحركات، مبتلى بالبليّات، فأخرجه الملك من تلك الزّاويه، و هذه الهاويه، و أكرمه بمعالجه أسقامه و مداواه أمراضه، فانطلق لسانه و سلم أركانه، و قدر على الحركات و السّكنات، و برء من الأسقام و الآفات، و اعطى السّمع و البصر، و ميّز بين النّفع و الضّرر، و قويت يداه و استقامت رجلاه، ثمّ أكرمه الملك بعد تمام العلاج و كمال المزاج، بمزيد الاحسان و الاكرام، و بذل له غايه المعروف و الانعام، فأعطاه المساكن و الملابس، و منحه المطاعم و المشارب، و أتمّ له العيش الرغيد و العمر السّعيد، فلو فرض أنّ هذا الشّخص بعد حصول هذا المنن الجسام، و تلك النّعم العظام فى حقّه، أعرض عن شكر الملك و رغب عن ثنائه، و لم يظهر منه ما يدلّ على الاعتناء بنعمائه، و الالتفات بآلائه، بل كان حاله بعد حصولها كحاله قبل وصولها، لذمّه العقلاء و طعنه الألبّاء، كما يشهد به العقول



---

۱- (۱) جواب لو فرضنا، منه

السّلميه، و الطباع المستقيمه، و هذا المثال هو الأوفق بالتّمثيل، و اللّه الهادى إلى قصد السبيل و الحمد للّه على ما عرفنا من حمده، و ألهمنا من شكره

### الترجمه

حمد سپاس مى كنم پروردگار را بجهت طلب تمامى نعمت او، و بجهت انقياد و فرمانبردارى عزت آن، و بجهت طلب عصمت و محفوظى از معصيت آن، و طلب يارى مى كنم از او بجهت فقر و حباجت بر غنا و كفايت آن بدرستى كه گمراه نمى شود هر كسى كه خداوند هدايت فرمود آن را، و نجات نمى يابد هر كسى كه عداوت فرمود با آن، و محتاج نمى گردد هر كسى كه كفايت فرمود آن را، پس بدرستى كه خداوند راجح ترين چيزيست كه سنجيده مى شود با ميزان عقول كامله، و فاضل ترين چيزى است كه مخزون گردد در خزانهٔ قلوب صافيه، يا اين كه حمد خداوند ارجح چيزى است كه موزون مى شود در ميزان اعمال، و أفضل چيزيست كه مذخور و مخزون مى باشد بجهت لقاء حضرت متعال.

## الفصل الثانى

### اشاره

و أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له، شهاده ممتحنا إخلاصها، معتقدا مصاصها، نتمسّك بها أبدا ما أبقانا، و ندّخرها لأهاويل ما يلقانا، فإنّها عزيمه الإيمان، و فاتحه الإحسان، و مرضات الرّحمن، و مدحره الشّيطان، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله أرسله بالدّين المشهور، و العلم المأثور، و الكتاب المسطور، و النّور السّاطع، و الضّياء اللاّمع، و الأمر الصادع، إزاحه للشّبهات، و احتجاجا بالبيّنات، و تحذيرا بالآيات، و تخويفا للمثلات.

ص:۲۷۹

## اللغه

(المصاص) بضمّ الميم و الصّادين المهملتين الخالص من كلّ شيء و فى الحديث ليس لمصاص شيعتنا فى دوله الباطل إلاّ القوت و (الادّخار) افتعال من الدّخر و هو إعداد الشّيء و اختياره لوقت الحاجه، و ادّخر يدّخر أصله اذ تخر قلبت التّاء دالا مهمله و ادغمت، و قد يعكس فتصير ذالا معجمه، و هو الاقل و هذه قاعده كليه فى كلما اجتمع التّاء و الذّال فى كلمه واحده كادّكر و نحوه و (أهاويل) جمع أهوال و هو جمع هول كأقاويل و أقوال و قول، يقال: هالنى الشّيء يهول هولا ـ من باب قال أفزعنى و (العزيمه) العقيده يقال: عزم على الشيء و عزمه عزما و عزما بالضم و عزيمه إذا عقد ضميره على فعله، و يحتمل أن يكون من العزم الذى هو الجدّ فى الأمر يقال: عزم عزيمه و عزمه اجتهد و جدّ فى أمره و منه قوله تعالى:

«إِنَّ ذلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » أى معزومات الامور التى يجب أن يجدّ فيها، و أولوا العزم أولو الجدّ و الثبات و (المرضات) كالرّضا و الرّضوان مصدر من رضى عنه ضدّ سخط قال تعالى:

«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ ».

(و المدحره) اسم فاعل من ادحره أى أبعده و منه أدحر عنّى الشّيطان أى أبعده عنى و (العلم) ما يهتدى به و (المأثور) المنقول يقال، آثرت الحديث أثرا نقلته و الأثر بفتحتين اسم منه، و حديث مأثور ينقله خلف عن سلف و (السّاطع) و (اللاّمع) بمعنى واحد و (الصّادع) الظاهر أو الفاصل أو الحاكم بالحقّ قال الفيروز آبادى:

قوله تعالى:

«فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ » أى شقّ جماعتهم بالتّوحيد أو اجهر بالقرآن أو اظهر أو احكم بالحقّ و افصل بالأمر أو اقصد بما تؤمر أو افرق به بين الحقّ و الباطل و (الازاحه) الازاله يقال:

أزاح الشىء عن موضعه أزاله و نحّاه و (المثلات) بفتح الميم و ضمّ الثاء كالمثولات جمع المثله بفتح الميم و ضمّ الثّاء هى العقوبه التى يعتبر بها، من مثل بفلان مثلا نكل، و مثّل تمثيلا بالتشديد للمبالغه، و من قال فى الواحد مثله بضمّ و سكون الثّاء قال فى الجمع مثلات نحو غرفه و غرفات، و قيل: فى جمعها مثلات كركبات بفتح الكاف قال فى الكشاف فى تفسير قوله تعالى:

«وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ ».

أى عقوبات أمثالهم من المكذّبين فمالهم لم يعتبروا بها، و المثله العقوبه بوزن السمره و المثله لما بين العقاب و المعاقب عليه من المماثله:

«وَ جَزاءُ سَيِّئَهٍ سَيِّئَهٌ مِثْلُها ».

يقال أمثلت الرّجل من صاحبه أقطعته عنه، و المثال القصاص، و قرء المثلات بضمّتين و المثلات جمع مثله كركبه و ركبات انتهى.

## الاعراب

كلمه لا ـ فى قوله: أشهد أن لا ـ إله اه نافيه للجنس، و يسمّى تبريه، و إله اسمها مبنىّ على الفتح، و اختلف فى خبرها، فقيل: إنّه محذوف جريا على ما هو الغالب من حذف خبرها إذا كان معلوما، نحو لا فوت و لا ضير أى لا فوت لهم، و لا ضير علينا، و يلزمه أى حذف الخبر المعلوم التميميون و الطائيون.

و اختلف هؤلاء فى المخذوف، فقيل إنّه موجود و يضعف بأنّه لا ينفى امكان إله معبود بالحقّ غيره تعالى، لأنّ الامكان أعمّ من الوجود، و قيل: ممكن و فيه أنّه لا يقتضى وجوده بالفعل، و قيل مستحقّ للعباده، و فيه أنّه لا يدلّ على نفى التعدّد مطلقا و قال أبو حيان لنا أو فى الوجود أو نحو ذلک، و يتوجّه عليه ما يتوجّه على ما تقدّمه، و قال الزّمخشرى فى جزء لطيف له على كلمه الشّهاده: هكذا قالوا:

و الصّواب أنّه كلام تامّ و لا حذف و أنّ الأصل اللّه إله مبتدأ و خبر كما يقول:

زيد منطلق، ثمّ جىء بأداه الحصر، و قدّم الخبر على الاسم و ركب مع لا كما ركب المبتدأ

ص:281

معها فی لا رجل فی الدّار، و یکون اللّه مبتدأ مؤخرا و إله خبرا مقدّما، و علی هذا یخرج نظائره نحو لا سیف إلاّ ذو الفقار و لا فتی إلاّـ علیّ انتهی، و نسبه الشّهید فی الرّوضه إلی المحقّقین، و قال الموضح بعد نقله ذلک، قلت: و قد یرجّح قوله بأنّ فیه سلامه من دعوی الحذف، و دعوی إبدال ما لاـ یحلّ محلّ المبدل منه، و ذلک علی قول الجمهور و من الاخبار عن النکره بالمعرفه، و عن العام بالخاص و ذلک علی قول من یجعل المرفوع خبرا انتهی.

أقول: انّ العقول بعد ما غرقت فی تیار بحار معرفته سبحانه، و الافهام عجزت عن إدراک هویه حقیقته، و کذلک بعد ما تقاصرت الألبّاء و تحیرت الأدباء فی تحقیق لفظه الجلاله الموضوعه لذاته المقدّسه الجامعه لصفاته الکمالیّه و نعوته الجمالیه، فلا غرو أن یختلفوا بهذا الاختلاف فی هذه الکلمه الطیبه المبارکه، و یعجزوا عن ادراک معناها و نیل مغزاها، کیف و المقصود بها توحید من لا یناله غوص الفطن و لا یدرکه بعد الهمم.

و الذی یخطر بالخاطر القاصر فی هذا المقام أن یقال: إنّه لاخفاء فی إفادتها التّوحید و التّفرید.

أمّا عند العوام الذین أذهانهم خالصه عن الکدر، و غرایزهم صافیه عن مزاج الشّبه، فلظهور أنّ هذه الکلمه لو عرضت علیهم لما فهموا منها و لاـ یتبادر إلی أذهانهم إلاّ أنّه لیس إله سوی اللّه سبحانه من دون أن یخطر ببالهم أن یکون هناک إله ممکن غیر موجود أو إله غیر مستحق للعبودیّه، نظیر أنّه لو قیل لهم: لا سیف إلاّ ذو الفقار لا یفهمون منه إلاّ انحصار السّیف فیه من دون أن یحتملوا أن یکون هناک سیف ممکن فی دائره العدم یصدق علیه أنّه سیف أیضا، و سرّ ذلک ما أشرنا إلیه من صفاء خواطرهم عن التّشکیکات و الاحتمالات.

و أمّا عند من کان خاطره غیر نقیّ عن الخطرات و البدوات و مألوفا بالبراهین الحکمیه و الشکوکات العقلیّه البدویّه، فلأنّ له أن یقدّر الخبر ممکن، و یجیب عن الاشکال الذی اورد علیه من أنّه لا یقتضی وجوده سبحانه بالفعل بأنّ هذه الکلمه

كلمه توحيد، و المقصود بها ليس إثبات الوجود بل إثبات التّوحيد و نفى الشريك، و ذلك إنّما هو بعد الفراغ عن ثبوت وجوب وجوده بدليل آخر وراء هذه مسبوقه به، و يشهد به كلامه عليه السّلام فى الخطبه الأولى: أوّل الدين معرفته و كمال معرفته التّصديق به، و كمال التصديق به توحيده، حيث جعل التّوحيد تاليا للتّصديق، و لازمه أن يكون التّوحيد بعد الفراغ عن التّصديق، و قد بيّنا هناك أنّ المراد بالتّصديق هو الاذعان بوجوب الوجود، بل أقول: إنّ لفظه الجلاله على ما اتفق الكلّ عليه من وضعها للذات المستجمعه لجميع الصّفات الكماليّه يكون مؤدّاها على ذلك الذّات بوصف الاستجماع، فيكون المعنى لا إله ممكن موجودا كان أو معدوما إلاّ الذات المستجمعه، و من الواضح أنّ الاستجماع لصفات الكمال فرع وجود المتّصف بها بنفسه إذ لا يعقل أن يكون المعدوم متّصفا بأمر موجود فضلا عن كونه جامعا لجميع الصّفات الوجوديه، نعم يبقى هنا شيء، و هو أنّ الاستثناء على هذا التّوجيه يشبه أن يكون منقطعا، إذا المستثنى منه هو الاله الممكن، و المستثنى هو اللّه الواجب و الانقطاع فى الاستثناء و إن كان خلاف الأصل إلّا أنه لا ضير فى المصير إليه بعد اقتضاء الدّاعى له هذا.

و يمكن أن يقدّر الخبر موجود، و يجاب عن الاشكال السّابق من أنّه لا ينفى إمكان إله غيره تعالى، بأنّ نفى الوجود يستلزم نفى الامكان إذ لو اتّصف فرد آخر بوجوب الوجود لوجد ضروره، فاذا لم يوجد علم عدم اتّصافه به و ما لم يتّصف بوجوب الوجود لم يمكن أن يتصف به لاستحاله الانقلاب بالضروره.

و هذا الجواب ذكره جمال الدين الخوانسارى فى حواشى الرّوضه و ظاهره كما ترى يفيد أن المراد بالموجود الذى جعل خبرا هو الموجود بوجوب الوجود فيتوجه عليه حينئذ أنّه لا ينفى الاله الموجود بالوجود الامكانى و إن أراد الأعمّ من الموجود بالوجوب و الموجود بالامكان فيعود الاشكال بأنّه لا ينفى إمكان إله غيره و لا يتمشى الجواب بأنّ نفى الوجود يستلزم نفى الامكان إذ لا انقلاب على هذا التقدير حتى يستحيل كما هو واضح، فتأمل فى هذا المقام جيّدا فانّه من مزالّ الأقدام.

ص:۲۸۳

و وحـده منصوب على الحاليه و لا يضـرّ كونه معرفه لتأويله بالنكره أى متوحـدا فالصّوره و إن كانت معرفه فهى فى التّقدير نكره على نحو و أرسـلها العراک، أى معترکه، و قال: بعض النحويين إنّه منصوب على المفعوليه و الفعل محـذوف و الجمله حال، أى ينفرد وحـده، و کيف کان فهى حال مؤکـده لمضـمون الجمله على حدّ زيد أبوک عطوفا، و يحتمل التّأسـيس بأن يکون المراد بـالجمله التّوحيـد فى الـذات، و بالحال التّوحيـد فى الصّـفات، و جمله لا شـريک له حال بعـد حال، و هى تأکيـد بعـد تأکيـد، و يحتمل التّأسيس: بأن يراد بها التّوحيد فى الافعال، و ممتحنا و معتقدا صفتان جاريتان لغير من هماله، و جمله نتمسّک صفه أيضا، و جمله أرسله تحتمل الحاليه و الوصفيه، و إزاحه، و احتجاجا، و تحذيرا، و تخويفا منصوبات على المفعول لأجله.

**المعنى**

اعلم أنّه عليه السّـلام قرن حمد اللّه سبحانه بالشّهاده بتوحيده، فقال (و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريک له) و هذه الکلمه أشـرف کلمه نطق بهـا فى التّوحيـد، و لـذلک قـال صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم فى مروى أبى سـعيد الخـدرى: مـا قلت و لا قال القائلون قبلى مثل لا إله إلّا اللّه.

و قد ورد لهذه الکلمه الطيبه فضائل کثيره فى أخبار أهل العصمه عليهم السّلام فقد روى الصّدوق فى کتاب التّوحيد باسناده عن أبى حمزه قـال: سـمعت أبـا جعفر عليه السّـلام يقول: مـا من شـىء أعظم ثوابـا من شـهاده أن لا إله إلّا اللّه، لأنّ اللّه عزّ و جل لا يعدله شىء و لا يشرکه فى الأمر احد، و فى الکافى، و ثواب الأعمال مثله.

و عن السّـکونى عن أبى عبد اللّه جعفر بن محمّد عن أبيه عن آبائه عليهم السّـلام، قال: قال رسول اللّه صـلّى اللّه عليه و آله خير العباده قول لا إله إلّا اللّه.

و عن أبى الطفيل عن على عليه السّـلام قال: ما من عبد مسـلم يقول: لا إله إلّا اللّه، إلّا صـعدت تخرق کلّ سـقف و لا تمرّ بشىء من سيّئاته إلّا طلستها(۱) حتّى ينتهى إلى



---

۱- (۱) الطلس المحو، م.

مثلها من الحسنات فيقف، و عن الشيبانى عن الرّضا عن أبيه عن آبائه عن علىّ عليهم السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنّ للّه عزّ و جلّ عمودا من ياقوته حمراء رأسه تحت العرش و أسفله على ظهر الحوت فى الأرض السّابعه السّفلى فاذا قال العبد: لا إله إلاّ اللّه اهتزّ العرش و تحرك العمود و تحرك الحوت، فيقول اللّه تبارك و تعالى: اسكن يا عرشى فيقول: لا أسكن و أنت لم تغفر لقائلها، فيقول اللّه تبارك و تعالى: اشهد و اسكان سمواتى انى قد غفرت لقائلها.

و عن عبد السّلام بن صالح أبى الصّلت الهروى قال: كنت مع علىّ بن موسى الرّضا عليه السّلام حين رحل من نيشابور و هو راكب بغله شهباء(١) و إذا محمّد بن رافع و أحمد بن حرب و يحيى بن يحيى و اسحاق بن راهويه و عدّه من أهل العلم قد تعلّقوا بلجام بغلته فى المربعه فقالوا: بحق آبائك الطاهرين حدّثنا بحديث قد سمعته من أبيك، فأخرج رأسه من العماريه و عليه مطرف خزّ ذو وجهين، و قال: حدّثنى أبى عبد الصّالح موسى بن جعفر قال: حدّثنى أبى الصّادق جعفر بن محمّد، قال: حدّثنى أبى أبو جعفر محمّد بن علىّ باقر علم الأنبياء، قال: حدّثنى أبى علىّ بن الحسين سيد العابدين، قال:

حدّثنى أبى سيّد شباب أهل الجنّه الحسين، قال: حدّثنى أبى علىّ بن أبى طالب عليهم السّلام، قال: قال «سمعت خ» النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله يقول قال اللّه جلّ جلاله: إنى أنا اللّه لا إله إلاّ أنا فاعبدونى، من جاء منكم بشهاده أن لا إله إلاّ اللّه بالاخلاص دخل حصنى و من دخل حصنى أمن من عذابى، و فى روايه اخرى نحوه و فى آخرها فلما مرّت الرّاحله نادانا بشروطها و أنا من شروطها.

قال الصّدوق (ره) من شروطها الاقرار للرّضا عليه السّلام بأنّه إمام من قبل اللّه عزّ و جلّ على العباد مفترض الطاعه عليهم.

و فى ثواب الأعمال عن أبى سعيد الخدرى عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: قال اللّه جلّ



---

١- (١) و البغله الشهباء هى البيضاء، لغه

جلاله لموسی بن عمران علیه السّلام: یا موسی لو أنّ السّماوات و عامریهنّ عندی و الأرضین السّبع فی کفه و لا إله إلاّ اللّه فی کفّه مالت بهن لا إله إلاّ اللّه، و مثله فی التّوحید.

و عن جابر عن أبی جعفر علیه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: لقنوا موتاکم لا إله إلاّ اللّه فانّها تهدم الذّنوب، فقالوا یا رسول اللّه: فمن قال فی صحّته، فقال صلّی اللّه علیه و آله ذلک أهدم و أهدم، إنّ لا إله إلاّ اللّه أنس للمؤمن فی حیاته و عند موته و حین یبعث، و قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: قال جبرئیل: یا محمّد لو تراهم حین یبعثون هذا مبیض وجهه ینادی لا إله إلاّ اللّه و اللّه أکبر و هذا مسودّ وجهه ینادی یا ویلاه یا ثبوراه.

و عن عبد اللّه بن الولید رفعه قال: قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله: من قال لا إله إلاّ اللّه غرست له شجره فی الجنّه من یاقوته حمراء، منبتها فی مسک أبیض أحلی من العسل و أشدّ بیاضا من الثّلج و أطیب ریحا، فیها أمثال أثداء الأبکار تفلق(۱) عن سبعین حلّه و فی الکافی مثله.

و الأخبار فی هذا الباب کثیره، و فی الاستقصاء إطاله، و فیما رویناها کفایه إنشاء اللّه (شهاده ممتحنا إخلاصها) أی مختبرا کونها مخلصا، یعنی أنّه علیه السّلام اختبر قلبه فی إخلاص هذه الشّهاده فوجده عریا عن شبهه الباطل و خالصا عن شوائب الشّرک (معتقدا مصاصها) أی خالصها، یعنی أنّ هذه الشّهاده صادره عن صمیم القلب، و القلب مطابق فیها للّسان و مذعن بخلوصها، و بالجمله ففی توصیف الشّهاده بهذین الوصفین إشاره إلی کونها فی مرتبه الکمال و أنّها خالصه مخلّصه، و هذه المرتبه هی المطلوبه فی باب التّوحید، و إلاّ فالشّهاده الصّادره عن محض اللّسان إنّما تطهر جلد الانسان و لا یترتّب علیها ثمره فی الآخره و أمّا الصّادره بالاخلاص فهی الشّهاده فی الحقیقه.

و لذلک قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فیما رواه فی التّوحید عنه صلّی اللّه علیه و آله: رأیت أشهد أن لا إله إلاّ اللّه کلمه عظیمه کریمه علی اللّه عزّ و جلّ، من قالها مخلصا استوجب



---

۱- (۱) الفلق الشق من باب ضرب، منه

الجنّه و من قالها كاذبا عصمت ماله و دمه و كان مصيره إلى النّار.

و فيه أيضا عن زيد بن أرقم عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله من قال لا إله إلاّ اللّه مخلصا دخل الجنه و إخلاصه بها أن حجزه لا إله إلاّ اللّه عمّا حرّم اللّه، و رواه فى ثواب الأعمال أيضا مثله.

و فيهما عن جابر عن أبى جعفر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله. أتانى جبرئيل بين الصّفا و المروه فقال يا محمّد: طوبى لمن قال من امّتك لا إله إلاّ اللّه وحده مخلصا.

و فى الكافى عن أبان بن تغلب عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: يا أبان إذا قدمت الكوفه فارو هذا الحديث، من شهد أن لا إله إلاّ اللّه مخلصا وجبت له الجنّه، قال: قلت له:

إنّه يأتينى من كلّ صنف من الأصناف أ فأ روى هذا الحديث؟ قال: نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامه و جمع اللّه الأوّلين و الآخرين فتسلب لا إله إلاّ اللّه منهم إلاّ من كان على هذا الأمر و المراد بسلبها منهم عدم نفعها لهم، لكون الولايه شرطا فى التّوحيد كما مرّ فى روايه الرّضا عليه السّلام من قوله: بشروطها و أنا من شروطها (نتمسك بها أبدا ما أبقانا و ندّخرها لأهاويل ما يلقانا) لأنّها انس للمؤمن فى حياته و فى مماته و حين يبعث كما مرّ فى روايه ثواب الأعمال، فهى أعظم ذخيره لأهوال الآخره و شدايدها.

و قد مرّ فى روايه ثواب الأعمال و التّوحيد: قوله تعالى لموسى بن عمران:

لو أن السّماوات و عامريهنّ عندى و الأرضين السّبع فى كفّه و لا إله إلاّ اللّه فى كفّه مالت بهنّ لا إله إلاّ اللّه، فأىّ ذخيره تكون أعظم منها ثمّ علّل عليه السّلام التّمسك و الادّخار بامور أربعه أولها ما أشار إليه بقوله عليه السّلام:(فانّها عزيمه الايمان) أى عقيدتها و ممّا يجب للمؤمن أن يعقد قلبه عليها، أو أنّها معزومه الايمان بمعنى أنّها ممّا ينبغى أن يجدّ فيها و يجتهد حسبما اشير إليه فى بيان لغتها.

الثّانی قوله علیه السّلام:(و فاتحه الاحسان) أی ابتداء الاحسان و أوّله، و إضافته إلیه من قبیل اضافه الجزئی إلی الکلّ، مثل فاتحه الکتاب، فیکون مصدرا بمعنی الفتح کالکاذبه بمعنی الکذب، و علی هذا فالمراد بالاحسان هو التّوحید و اصول الشریعه و یدلّ علی صحّه إطلاقه بذلک ما رواه فی التّوحید عن موسی بن اسماعیل بن موسی ابن جعفر قال: حدّثنی أبی عن جدّه جعفر بن محمّد عن أبیه عن آبائه عن علیّ علیهم السّلام فی قول اللّه عزّ و جلّ:

«هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ » قال: علیّ علیه السّلام: ما جزاء من أنعمت علیه بالتّوحید إلاّ الجنّه هذا، و یحتمل أن یکون الفاتحه وصفا من الفتح ضدّ الغلق فالاضافه لامیّه، و هذا هو الأظهر و المعنی أنّ الشّهاده باعثه لفتح أبواب الاحسان و الانعام و أنّها مفتاح لها، إذ بها یستحقّ العبد للفیوضات الأبدیه و النّعم السر مدیّه.

و یدلّ علیه مضافا إلی الأخبار السّالفه ما رواه فی الاحتجاج عن أمیر المؤمنین علیه السّلام من قال لا إله إلاّ اللّه مخلصا طمست ذنوبه کما یطمس الحرف الأسود من الرّق الأبیض، فاذا قال ثانیه لا إله إلاّ اللّه مخلصا خرق أبواب السّماء و صفوف الملائکه حتی یقول الملائکه بعضها لبعض اخشعوا لعظمه أمر اللّه، فاذا قال ثالثه مخلصا لا إله إلاّ اللّه لم تنته دون العرش فیقول الجلیل: اسکتی فوعزّتی و جلالی لأغفرنّ لقائلک بما کان فیه، ثمّ تلاهذه الآیه:

«إِلَیْهِ یَصْعَدُ الْکَلِمُ الطَّیِّبُ وَ الْعَمَلُ الصّالِحُ یَرْفَعُهُ ».

یعنی إذا کان عمله خالصا ارتفع قوله و کلامه هذا، و ظهر لی معنی ثالث و هو أن یکون المصدر بمعنی الفاعل و یکون المراد أنّها ابتداء کون الرّجل محسنا مقابل کونه مسیئا.

الثّالث قوله علیه السّلام:(و مرضات الرّحمن) و ذلک واضح لأنّها محصّله لمرضاته «ج ۱۸»

تعالی و رضائه و رضوانه و معدّه للخلد فی جنانه.

الرّابع قوله علیه السّلام:(و مدحره الشّیطان) و ذلک أیضا واضح لأنّ مقصود اللّعین هو الاضلال و الاغواء و الکفر، و الشّهاده بالاخلاص زاجره له و کاسره «قاصمه خ ل» لظهره و رافعه لکیده و مکره، و لذلک أنّ اللّعین بعد ما قال:

«فَبِعِزَّتِکَ لَأُغْوِیَنَّهُمْ أَجْمَعِینَ ».

عقّبه بالاستثناء بقوله:

«إِلاّ عِبادَکَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِینَ ».

و فی عدّه الدّاعی لأحمد بن فهد الحلّی قال: و قد روی عن النبیّ صلّی اللّه علیه و آله علی کلّ قلب جاثم(۱) من الشّیطان، فإذا ذکر اسم اللّه خنس(۲) الشّیطان و ذاب و إذا ترک الذاکر التقمه فجذبه و أغواه و أستزلّه و أطغاه.

و فی حدیث آخر أنه قال الشّیطان علی قلب ابن آدم له خرطوم مثل خرطوم الخنزیر یوسوس لابن آدم ان أقبل علی الدّنیا و ما لا یحلّ اللّه فاذا ذکر اللّه خنس: ای ذهب و استتر (و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله) عقّب علیه السّلام الشّهاده بالتّوحید بالشّهاده بالرّساله أمّا أوّلا فلأنّ مرتبه الرّساله تالیه لمرتبه التّوحید کما أنّ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله ثانی الموجودات فی الموجودیه و إن کان الأوّل تعالی لا ثانی له فی الوجود فینبغی أن یکون الشهاده برسالته عقیب الشّهاده بالتّوحید طباقا لما هو الواقع.

و أمّا ثانیا فلأنّ المقصود من الخلق هو العرفان و إخلاص التّوحید و السّلوک إلی اللّه و لا بدّ للسالک من دلیل یدلّ علیه و هاد یستهدی به و مبلّغ یصدّق بقوله و یقرّ برسالته، فلا بدّ من اقتران التّصدیق بالرّساله بالتّصدیق بالوحدانیّه کی یتوصل به إلیه و یسلک به مسالکه، إذ النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله موصل إلیه و باب له و فاتح لمغلقات مراتب



---

۱- (۱) جثم یجثم لزم مکانه فلم یبرح و فی المصباح جثم الطائر و الارنب یجثم جثوما و هو کالبروک من البعیر مجمع البحرین

۲- (۲) ای تراجع و تاخر، اللغه

التّوحيد، و بوجوده صلّى اللّه عليه و آله يحصل المعرفه التّامّه و يكمل الاخلاص التّام.

و أمّا ثالثا فلأنّه سبحانه قد قارن بين كلمتى التّوحيد و الرّساله و كتب لا إله إلاّ اللّه و محمّد رسول اللّه بخطوط النّور على ساق العرش و طبقات السّماوات و أقطار الأرضين و صفحتى الشّمس و القمر، كما يستفاد من الأخبار، فينبغى المقارنه فى شهادتيهما اقتفاء لما قد جرى عليه القلم الرّبانى و سطور النّور، و أمّا فضل الجمع بينهما فقد روى فى الكافى عن أبى عبيده الحذّاء عن أبى جعفر عليه السّلام، قال: من قال: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله كتب اللّه له ألف حسنه.

و فى ثواب الأعمال عن بشر الأوزاعى عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السّلام قال: من شهد أن لا إله إلاّ اللّه و لم يشهد أنّ محمّدا رسول اللّه كتبت له عشر حسنات، فان شهد أنّ محمّدا رسول اللّه كتبت له ألفى ألفى حسنه.

و عن سهل بن سعد الأنصارى قال سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عن قول اللّه عزّ و جلّ:

«وَ ما كُنْتَ بِجانِبِ الطُّورِ إِذْ نادَيْنا ».

قال كتب اللّه عزّ و جلّ قبل أن يخلق الخلق بألفى عام فى ورق آس أنبته ثمّ وضعها على العرش، ثمّ نادى يا امّه محمّد إنّ رحمتى سبقت غضبى أعطيتكم قبل أن تسألونى و غفرت لكم قبل أن تستغفرونى فمن يلقنى «لقينى خ ل» منكم يشهد أن لا إله إلاّ أنا و أنّ محمّدا عبدى و رسولى أدخلته الجنّه برحمتى.

و فى عدّه الدّاعى لأحمد بن فهد الحلّى عن الباقر عليه السّلام قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من سرّه أن يلقى اللّه يوم القيامه و فى صحيفته شهاده ان لا إله إلاّ اللّه و أنّ محمّدا رسول اللّه و يفتح له ثمانيه أبواب الجنّه فيقال له يا ولىّ اللّه ادخل الجنّه من أيّها شئت فليقل إذا أصبح و إذا أمسى:

«اكتبا بسم اللّه الرّحمن الرّحيم أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده

لا شريک له، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله، و أشهد أنّ السّاعه اتيه لا ريب فيها، و أنّ اللّه يبعث من فى القبور على ذلک أحيي و على ذلک أموت و على ذلک أبعث حيّا إنشاء اللّه، اقرءا محمّدا منّى السّلام، الحمد للّه الّذى أذهب اللّيل مظلما بقدرته، و جاء بالنّهار مبصرا برحمته، خلقا جديدا مرحبا بالحافظين» و يلتفت عن يمينه «و حيّا كما اللّه من كاتبين» و يلتفت عن شماله هذا.

و أمّا تسميه النبيّ صلّى اللّه عليه و آله بمحمد فأوّل من سمّاه بذلک الاسم هو اللّه سبحانه كما يدلّ عليه حديث عرض الاشباح لآدم عليه السّلام حيث قال سبحانه له: هذا محمّد و أنا الحميد المحمود فى فعالى شققت له اسما من اسمى، و قد مرّ بتمامه فى ثانى تنبيهات الفصل الحاد يعشر من فصول الخطبه الاولى، ثمّ سمّاه عبد المطلب بذلک يوم سابع ولادته إلهاما منه سبحانه و تفألا بكثره حمد الخلق له، لكثره خصاله الحميده، و قد قيل لم شمّيت ابنک محمّدا و ليس من أسماء آبائک و لا قومک؟ فقال: رجوت أن يحمد فى السّماء و الأرض، و قد حقّق اللّه رجائه، و فى الوسائل عن كشف الغمه عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السّلام عن ابن عباس قال: إذا كان يوم القيامه نادى مناد ألا ليقم كلّ من كان اسمه محمّد فليدخل الجنّه بكرامه سميّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله.

و فى الكافى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: لا يولد لنا ولد إلّا سمّيناه محمّدا، فاذا مضى سبعه أيّام فان شئنا غيّرنا و إلّا تركنا هذا.

و قد ورد الأخبار المتظافره بل المستفيضه فى استحباب التّسميه بذلک الاسم المبارک، و روى له خواص كثيره من أراد الاطلاع عليها فليراجع إلى أبواب أحكام الأولاد فى كتب الأخبار.

ص:۲۹۱

و أمّا تقديم وصف العبوديه على الوصف بالرّساله فى كلمه الشّهاده، فلأن مقام العبوديّه متقدّم على مرتبه الرّساله كما يشهد به ما رواه فى الكافى عن زيد الشحام، قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: إن اللّه تبارك و تعالى اتخذ إبراهيم عبدا قبل أن يتّخذه نبيا و إن اللّه اتخذه نبيا قبل أن يتخذه رسولا، و إنّ اللّه اتّخذه رسولا قبل أن يتّخذه خليلا، و إنّ اللّه اتخذه خليلا قبل أن يجعله إماما فلما جمع له الأشياء «قالَ إِنِّى جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً » قال فمن عظمها فى عين ابراهيم:

«قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِى قالَ لا يَنالُ عَهْدِى الظّالِمِينَ » قال لا يكون السّفيه إمام التّقى، و مثله أخبار اخر و يأتى تحقيق الكلام فيها عند الكلام على مسأله الامامه فى مواضعها اللاّيقه إنشاء اللّه.

ثمّ أشار عليه السّلام إلى تعظيم الرّسول صلّى اللّه عليه و آله بما جاء به فقال (أرسله بالدين المشهور) أى بين الامم الماضيه و القرون الخاليه (و العلم المأثور) توكيد للفقره الاولى و أشار به إلى كون ذلك الدين علما يهتدى إلى حظيره القدس التى يطلب السّلوك إليها، و كونه مأثورا إشاره إلى كون ذلك الدين مختارا على ساير الأديان، أو أنّه مأثور منقول من قرن الى قرن و يهتدى به قوم بعد قوم (و الكتاب المسطور) بقلم النّور على اللّوح المحفوظ قبل وجود الأنفس و الآفاق، و المكتوب على الأوراق و الصّفحات بعد تلبّسه بلباس الحروف و جلباب الأصوات (و النّور السّاطع و الضياء اللاّمع) يحتمل أن يكون المراد بهما الكتاب فيكون العطف للتوكيد قال تعالى:

«قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَ كِتابٌ مُبِينٌ يَهْدِى بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَ يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَى النُّورِ » فهو نور عقلى ينكشف به أحوال المبدأ و المعاد و يتراءى منه حقايق الأشياء و ضياء يهتدى به فى ظلمات برّ الأجسام و بحر النّفوس، و يظهر به للسّالكين إلى الدّار

ص:۲۹۲

الاـخری طریق الجنّه و النّور، و یحتمل أن یکون المراد علم النّبوه فانّه نور مقتبس من الوحی الالهی یتنوّر به فی ظلمات الجهاله، و ضـیاء یستضاء به فی مفاوز الضّلاله (و الأمر الصّادع) أی الظاهر أو الفارق بین الحقّ و الباطل أو الحاکم بالحقّ و فیه تلمیح إلی قوله تعالی:

«فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ » ثمّ أشار علیه السّلام إلی دواعی البعثه و ما هو المقصود بالرّساله فقال علیه السّلام:(ازاحه للشبهات) أی أرسله صلّی اللّه علیه و آله إزاله للشبهات الباطله و الشکوکات الفاسده (و احتجاجا بالبیّنات) أی بالمعجزات القاهره و البراهین السّاطعه (و تحـذیرا بالآیات) أی إنـذارا بالآیات القرآنیه و الخطابات الشّرعیه و یحتمل أن یکون المراد بالآیات العقوبات النّازله بالعصاه التی هی علامه القهر و القدره و فیها عبره للمعتبرین کما قال تعالی:

«وَ أَمْطَرْنا عَلَیْهِمْ حِجارَهً مِنْ سِجِّیلٍ إِنَّ فِی ذلِکَ لَآیاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِینَ » و قال: «فَالْیَوْمَ نُنَجِّیکَ بِبَدَنِکَ لِتَکُونَ لِمَنْ خَلْفَکَ آیَهً وَ إِنَّ کَثِیراً مِنَ النّاسِ عَنْ آیاتِنا لَغافِلُونَ » و علی هـذا الاحتمال فیکون عطف قوله:(و تخویفا للمثلات) علیه من قبیل العطف للتّوکیـد، أی تخویفـا بالعقوبـات الواقعه بأهـل الجنایـات، هکـذا فسّر الشّارحـان البحرانی و المعتزلی هـذه الفقره، الأوّل تصـریحا و الثّانی تلویحـا، و لکنه خلاـف الظـاهر، لأـنّه قـال علیه السّلام: للمثلاـت و لم یقل: بالمثلات،و الأظهر عنـدی هو أنّ المراد بهاالتمثیل و التّنکیل بجدع الأنف و قطع الأذن و نحوهما ممّا کان شعارا فی الجاهلیّه، و قد نهی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله عنه و خوف له، کما یدلّ علیه وصیّته الآتیه فی الکتاب للحسن و الحسین علیهما السّلام لما ضـربه ابن ملجم: یا بنی عبد المطلب لا الفینّکم تخوضون دماء المسلمین خوضا تقولون: قتل أمیر المؤمنین ألا لا تقتلنّ

ص:۲۹۳

لی إلّا قاتلی: انظروا إذا أنا متّ من ضربته هذه فاضربوه ضربه بضربه و لا یمثل بالرّجل فانی سمعت رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله یقول: إیاکم و المثله و لو بالکلب العقور.

و فی الکافی باسناده عن إسحاق بن عمّار قال قلت لأبی عبد اللّه علیه السّلام إنّ اللّه یقول فی کتابه:

«وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِیِّهِ سُلْطاناً فَلا یُسْرِفْ فِی الْقَتْلِ » ما هذا الاسراف الذی نهی اللّه عنه؟ قال: نهی أن یقتل غیر القاتل أو یمثّل بالقاتل الحدیث، و الأخبار فی هذا الباب کثیره، و لعلّنا نشیر إلی بعضها عند شرح الوصیه الآتیه إن ساعدنا التّوفیق إن شاء اللّه.

### الترجمه

و شهادت می دهم باین که نیست هیچ معبودی بجز ذاتی که مستجمع است جمیع صفات کمالیه را در حالتی که منفرد است در صفات و در حالتی که شریک نباشد او را در افعال و مصنوعات، شهادتی که آزموده شده باشد اخلاص او و اعتقاد کرده باشد خاص و خالص او، هم چنان شهادتی که تمسک می کنیم به آن همیشه مادامی که باقی گذاشته است خداوند سبحانه ما را در دار دنیا ذخیره می سازیم آنرا بجهت هولهائی که ملاقات میکند ما را در دار اخری، پس بتحقیق آن شهادت عقیدهٔ ایمان است که باید مؤمن عقد قلب به آن نماید و جدّ و جهد در آن بجا آورد و اوّل احسان است و یا این که گشاینده نعمت های ابدی و فیوضات سرمدی است و خشنود کننده خداوند رحیم است و طرد کنندهٔ شیطان رجیم، و شهادت می دهم به این که محمّد بن عبد اللّه صلوات اللّه و سلامه علیه و آله بندهٔ پسندیدهٔ خداست و پیغمبر فرستادهٔ او، و در حالتی که فرستاده او را با دین و شریعتی که مشهور است و با علم نبوتی که مأثور است یعنی اختیار شده بر سایر دین ها یا این که نقل می شود از قرنها بقرنها، و با کتابی که نوشته شده است بر صحایف و اوراق و بر

لوح محفوظ پیش از وجود انفس و آفاق و با نور درخشنده و با روشنی تابنده و با امری که ظاهر است، یا این که فاصل است میان حق و باطل فرستادن آن بجهت زائل کردن و محو نمودن شبهه های باطله است و شکوکات فاسده، و از جهت حجه آوردن بر مردمان با معجزات قاهره و براهین ظاهره و از برای ترسانیدن به آیه های قرآنی و خطابات فرقانی و بجهت ترسانیدن از برای تمثیل ها و تنکیلها که از شعار جاهلیت بود، و آن عبارتست از این که جنایت بزنند بر مرد با چیزی فظیع از بریدن گوش یا دماغ و مثل آنکه باعث شهرت و جاری مجرای مثل بوده باشد چنانکه در حق حمزهٔ سید الشهداء نمودند.

## الفصل الثالث

### اشاره

و النّاس فی فتن انجذم فیها حبل الدّین، و تزعزعت سواری الیقین، و اختلف النّجر، و تشتّت الأمر، و ضاق المخرج، و عمی المصدر، فالهدی خامل، و العمی شامل، عصی الرّحمن، و نصر الشّیطان، و خذل الإیمان، فانهارت دعائمه، و تنكّرت معالمه، و درست سبله، و عفت شركه، أطاعوا الشّیطان فسلكوا مسالكه، و وردوا مناهله، بهم سارت أعلامه، و قام لواؤه، فی فتن داستهم بأخفافها، و وطئتهم بأظلافها، و قامت علی سنابكها، فهم فیها تایهون، حائرون، جاهلون، مفتونون، فی خیر دار و شرّ جیران، نومهم سهود، و كحلهم دموع، بأرض عالمها ملجم، و جاهلها مكرم.

### اللغه

(الفتن) جمع الفتنه و هی الحیره و منه بأیّكم المفتون و إعجابك بالشّیء

ص:۲۹۵

و الضّلال و الاثم و الكفر و الفضيحه و العذاب، و إذابه الذّهب و الفضّه. و الاضلال و الجنون و المحنه و المال و اختلاف النّاس فی الاراء و أكثر المعانی مناسب للمقام و (انجذم) انقطع و (الزّعزعه) تحريك الرّيح الشّجره، و تزعزع تحرّك و (السواری) جمع السّاريه و هی الاسطوانه و (النجر) بفتح النّون كالنّجار و النّجار بالكسر و الضمّ الأصل و (الخامل) السّاقط يقال خمل الرّجل خمولا من باب قعد فهو خامل أی ساقط لانباهه له مأخوذ من خمل المنزل إذا عفا و درس و (انهارت) ای سقطت و (الدّعائم) جمع الدعامه بالكسر ما يستند إليه الحائط و نحوه إذا مال و يمنعه من السّقوط و (التّنكر) التغير عن حال تسرك إلی حال تكرهها و (المعالم) جمع معلم كمقعد مظنه الشّیء و ما يستدلّ به عليه و (الشّرك) من الطريق بضمّتين جواده أو الطرق التی لا نخفی عليك و لا تستجمع لك مفردها شركه و (المناهل) جمع المنهل و هو المشرب و (الدّوس) الوطیء بالرّجل و (السّنابك) جمع السنبك طرف الحافر و (التّايهون) جمع التّايه و هو الضّال و (السّهود) كالسّهد الأرق.

### الاعراب

قوله عليه السّلام: و النّاس فی فتن، يحتمل أن يكون الجمله حاليه و العامل أرسله و هو الأظهر و يحتمل أن يكون استينافيّه و النّاس مرفوع بالابتداء، و فی فتن متعلّق بمقدر خبر له، و قوله عليه السّلام فی فتن داستهم، يحتمل أن يكون متعلّقا بقوله:

سارت أعلامه و قام لواؤه، و يحتمل أن يكون خبرا بعد خبر للنّاس، و قوله:

فهم الفاء تفريعيه، و قوله: فی خير دار يحتمل أن يكون الجار متعلّقا بقوله: مفتونون أو ما قبله من الأوصاف، و يحتمل أن يكون خبرا ثالثا للنّاس، و قوله: بأرض عالمها ملجم يحتمل أن يكون متعلّقا بما تعلّق به قوله فی خير دار، و يحتمل أن يكون خبرا رابعا.

### المعنی

### اشاره

اعلم أنك قد عرفت أنّ الجمله أعنی قوله عليه السّلام (و النّاس فی فتن) يحتمل أن يكون حاليه و علی ذلك فالمراد بالنّاس هو أهل زمان البعثه و المراد بالفتن فتن

ص:۲۹۶

العرب فی الجاهلیه، و یحتمل أن یکون مستأنفه و علیه فالجمله مسوقه لذمّ أحوال أهل زمانه علیه السّلام فیکون المراد بالفتن فتن بنی امیّه و معاویه علیه الهاویه و علی الاحتمال الأوّل فمعناه أنّه سبحانه أرسل النبیّ صلّی اللّه علیه و آله و بعثه و الحال أنّ النّاس یومئذ کانوا فی ضلالات و تشتت آراء، و اختلاف أهواء (انجذم) أی انقطع (فیها) أی فی تلک الفتن(حبل الدّین)و انفصمت عروه الشّرع المبین و تشبیهه الدّین بالحبل من جهه أنّ المعتصم به مأمون إذ هو حبل اللّه سبحانه و قد أمر اللّه بالاعتصام به حیث قال:

«یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَ لا تَمُوتُنَّ إِلاّ وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِیعاً وَ لا تَفَرَّقُوا » أی تمسکوا بدین اللّه أو بالقرآن أو بأهل البیت علیهم السّلام کما فی الأخبار الکثیره، قال فی الکشّاف عند تفسیر الآیه قولهم اعتصمت بحبله یجوز أن یکون تمثیلات لاستظهاره به و وثوقه بحمایته بامساک المتدلی من مکان مرتفع بحبل وثیق یأمن انقطاعه، و أن یکون الحبل استعاره لعهده و الاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشیحا لاستعاره الحبل بما یناسبه، و المعنی و اجتمعوا علی استعانتکم باللّه و وثوقکم به و لا تفرّقوا عنه أو و اجتمعوا علی التّمسک بعهده إلی عباده و هو الایمان و الطاعه أو بکتابه لقوله علیه السّلام: القرآن حبل اللّه المتین لا تنقضی عجائبه و لا یخلق من کثره الرّد من قال به صدق و من عمل به رشد و من اعتصم به هدی إلی صراط مستقیم انتهی.

و بالجمله الدّین هو حبل اللّه المتین، و ذکر الانجذام من قبیل ترشیه التشبیه و المراد بذلک الانجذام هو انحراف الخلق عن الحقّ و عدم تمسکهم به و عدولهم عن سواء السّبیل(و تزعزعت)أی تحرّکت و اضطربت(سواری الیقین)أی دعائمه و اسطواناته، و المراد بالیقین هو الحق و العقائد الیقینیه و اضطراب دعائمه کنایه عن عدم استقامه النّاس علیه و تزلزل عقایدهم، أو کنایه عن موت أهل الدّین الذین کان

ص:۲۹۷

بهم قوامه و انقراض العاملين الذين لم يأخذهم فى اللّه لومه لائم (و اختلف النّجر) أى الاصل الجامع للخلق و هى الفطره التى فطر النّاس عليها (و تشتت الأمر) أى تفرق أمر الدين بتفرق الأهواء و تشتت الآراء (و ضاق) للخلق بعد تورّطهم فى فتن الشّبهات و اقتحامهم فى الهلكات (المخرج) منها (و عمى) عليهم (المصدر) أى طريق الصّدور عنها و الخلاص منها.

و إسنادالعميإليالمصدرمن باب المجاز العقلى و الاسناد إلى المحلّ إذ العمى فى الحقيقه صفه البصر و المراد به هنا فقد البصيره تشبيها للمعقول بالمحسوس فكما أنّ فاقد البصر لا يهتدى إلى مقاصده المدركه بحسّ البصر فكذلك انتفاء البصيره يوجب الضّلاله عن طريق الحقّ و العجز عن الوصول إلى الواقع (فالهدى خامل) أى أعلام الهدايه بينهم حال عماهم عن المصدر ساقطه و مندرسه و أنوار الدرايه منكسفه و منطمسه (و) رين (العمى شامل) عليهم أى غشاوه الضّلاله محيطه بقلوبهم فهم مشتركون فى تورّط الشّبهات مغتمرون فى ظلم الجهالات (عصى الرّحمن) بخمول الهدى (و نصر الشيطان) بشمول العمى و اتّباع الهوى (و خذل الايمان) بانفصام عروته الوثقى.

(و) لأجل خذلانه و اضطراب قواعده و أركانه(انهارت دعائمه)و سقطت سواريه(و تنكرت معالمه)و تغيرت آثاره و دعائم الايمان و معالمه كنايتان عن حمله الدين و دعاه الحقّ، و انهيارهم كنايه عن عدمهم أو عدم قبول قولهم، و تنكرهم إشاره إلى عدم معرفه الخلق لهم لقلتهم (و درست سبله) و طرقه (و عفت شركه) و جوادّه فلم يبق له سبيل يوصل إليه و لا جادّه سالكه اليه، و هذا كله مبالغه فى ضعف الايمان و وهن الدّين (أطاعوا الشيطان) بمخالفه الاوامر و النّواهى و إتيان المعاصى و المناهى (فسلكوا مسالكه) و اتّبعوا آثاره (و وردوا مناهله) و شربوا من عيون ضلالته (بهم سارت أعلامه و قام لواؤه) و قوى شوكته و استحكم خبائله حيث كانوا من جنوده معاونين له شركاء معه ساعين فى إطفاء نور الهدايه و إعلاء لواء الضلاله

(فی فتن) و الظاهر أنّ المراد بهذه الفتن غیر ما سبق أوّلا(۱) إذ النکره إذا اعیدت کانت غیر الاولی، و علی تقدیر تعلقه بقوله سارت فالمغایره أظهر،و شبّه علیه السّلام هذه بأنواع الحیوان فاستعار لها أخفافا و أظلافا و حوافر و قال(داستهم) أی وطأتهم(بأخفافها، و وطأتهم بأظلافها، و قامت علی سنابکها)أی أطراف حوافرها.

قال الشّارح البحرانی و یحتمل أن یکون هناک إضمار، أی داستهم بأخفاف إبلها و وطأتهم بأظلاف بقرها و قامت علی سنابک خیلها، فحذف المضاف و اقیم المضاف إلیه مقامه و حینئذ یکون التّجوز فی نسبه الوطی و الدّوس و القیام إلیها فقط و هو المجاز فی الاسناد.

و کیف کان (فهم فیها) أی فی هذه الفتن (تائهون) ضالون عن القصد (حایرن) متحیرون فی أن الصّواب فی أیّ جهه ما لهم(۲) قبله و لا دبره (جاهلون) غیر عالمین بالحقّ، مفتونون بالفتن العمیاء الصّماء(۳) (فی خیر دار) و هو مکّه زادها اللّه شرفا (و شرّ جیران) یعنی قریشا.

قال الشّارح المعتزلی و هذا لفظ النبیّ صلّی اللّه علیه و آله حین حکی بالمدینه حاله کانت فی مبدء البعثه، فقال: کنت فی خیر دار و شرّ جیران (نومهم سهود، و کحلهم دموع) صفتان للجیران، قال المعتزلی: هو مثل أن یقول جودهم بخل و أمنهم خوف، أی لو استتمّهم محمّد صلّی اللّه علیه و آله النّوم لجادوا علیه بالسّهود عوضا عنه، و لو استجداهم الکحل لکان کحلهم الذی یصلونه به الدّموع (بأرض عالمها) أی العارف بصدق محمّد صلّی اللّه علیه و آله و المؤمن به (ملجم) بلجام الخوف و التّقیه (و جاهلها) أی الجاحد لنبوّته و المنکر له (مکرم) بکرامه العزّ و المکنه.



---

۱- (۱) من قوله و الناس فی فتن، منه.

۲- (۲) یقال ماله قبله و لا دبره ای لا یهتد الی جهه امره، قاموس.

۳- (۳) یقال فتنه عمیاء صماء ای لا یری منها مخرجا او المراد بها صاحبها یقع فیها علی غیر بصیره فیعمون فیها و یصمون عن تامل الحق و استماع النصح، مجمع البحرین.

## استدراک

كلّ ما ذكرناه فى معنى هذا الفصل قد أشرنا سابقا إلى أنّه مبنىّ على كون قوله: و النّاس فى فتن جمله حاليّه مسوقه لبيان حال ابتداء البعثه، و أمّا على الاحتمال الآخر، و هو كونه جمله استينافيه مسوقه لبيان حال أهل زمانه حسبما استظهره جمع من الشّراح و منهم الشّارح البحرانى حيث قال: و اعلم أنّ الذى يتبادر إلى الذّهن أنّ هذا القدر الذى أورده السيّد من هذه الخطبه فصول ملفقه ليست على نظامها التى خرجت عليه مع ما يفهم من ساير عباراته أيضا فيكون المراد بالفتن الحادثه بعد زمن النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و هى فتن معاويه و أصحاب الجمل و غيرها.

و على هذا الاحتمال فالمراد بالدّين فى قوله حبل الدّين دين النبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و بالنّجر هو الفطره الاصليّه التى كانت متّفقا عليها بوجود الرّسول و اختلفت بعده فسلك كلّ فرقه مسلكا غير مسلك الفرقه الاخرى، و بقوله: أطاعوا الشّيطان الاطاعه له بعده لهم عن الحقّ و بغيهم عليه عليه السّلام و خروجهم إلى حربه و قتالهم معه عليه السّلام، و بقوله: تائهون حائرون، أنّهم متردّدون فى أنّ الحقّ مع علىّ عليه السّلام أم مع غيره.

و قوله: فى خير دار و شرّ جيران اختلف فيه الشّارحون، فقال الرّاوندى على ما حكاه عنه فى شرح المعتزلى: إنّ خير دار الكوفه و قيل الشّام لأنّها الأرض المقدّسه و أهلها شرّ جيران يعنى أصحاب معاويه و على التفسير الأوّل يعنى أصحابه قال: و قوله: نومهم سهود يعنى أصحاب معاويه لا ينامون طول اللّيل بل يرتبون أمره و إن كان وصفا لاصحابه بالكوفه و هو الأقرب، فالمعنى أنّهم خائفون يسهرون و يبكون لقلّه موافقتهم إيّاه و هذا شكايه منه عليه السّلام لهم، و كحلهم دموع: أى نفاقا فانّه إذا تمّ نفاق المرء ملك عينيه. و الأقوال الاخر مفصّله فى شرح البحرانى فلتطلب منه.

## الترجمه

حق سبحانه و تعالى ارسال فرمود حضرت رسالت پناه صلوات اللّه عليه و آله را

و حال آنکه مردمان افتاده بودند در فتنه های جاهلیت از کفر و ضلالت و تفرق رأی ها و اختلاف خواهشات، چنان فتنه هایی که بریده شده بود در آن فتنه ها ریسمان متین دین مبین، و مضطرب شده بود ستون های یقین، و مختلف شده بود اصل دین ایشان، و متفرق گشته بود کار اسلام و ایمان، و تنگ شده بود بر ایشان محل خارج شدن از آن فتنه ها، و کور شده بود بر آنها محل مراجعت از آنها، پس نور هدایت در میان ایشان خاموش است، و کوری بر همهٔ ایشان عام و شامل است، معصیت کرده شده است خداوند و دود، و یاری داده شده است ابلیس مطرود، و خوار گذاشته شده است ایمان و طاعت حضرت معبود، پس سرنگون شد ستونهای ایمان، و تغییر یافت آثار آن، پس محو شد راه های آن، و زایل گشت جاده های آن، اطاعت و فرمانبرداری کردند شیطان را، پس رفتند در راههای ضلالت آن و آشامیدند از چشمه های شقاوت آن، به اعانهٔ ایشان سیر نمود علم های آن و راست ایستاد رایت کفر آیت آن، در فتنه هایی که پایمال کرد ایشان را با پاپوش های خود همچو شتران، و لگدکوب کرد ایشان را با ناخن های خود مثل کاوها، و راست ایستاد بر آنها بر طرف سم های خود مثل اسب ها، پس ایشان در آن فتنه ها سرگردانند متحیرانند نادانانند فریفته کانند، در بهترین سرا که مکّه معظمه است و بدترین همسایه ها که کفار قریش است، همچنان همسایه هائی که خواب ایشان بیخوابی است، و سرمهٔ ایشان اشکهای جاریست، در زمینی که دانای آن لجام کرده شده است با لجام خوف و خشیت، و نادان آن اکرام کرده شده است به انواع عزت و کرامت.

### الفصل الرابع منها و يعنى آل محمد صلّى اللّه عليه و آله

#### اشاره

و هم موضع سرّه، و لجاء أمره، و عيبه علمه، و موئل حكمه، و كهف كتبه، و جبال دينه، بهم أقام انحناء ظهره، و اذهب ارتعاد فرائصه.

#### اللغه

(اللّجاء) محرّكه كالملجإ الملاذ من لجأ إليه كمنع و فرح لاذ و (العيبه) ما يجعل فيه الثّياب و من الرّجل موضع سرّه و (الموئل) المنجأ من وئل إليه يئل وئلا و وؤلا و وئيلا و وائل موائله و وئالا لجأ و خلص و(الكهف)غار واسع فى الجبل فان كان صغيرا قيل له الغار و البيت المنقور فى الجبل، و فلان كهف لأنّه يلجأ إليه كالبيت على الاستعاره و (الانحناء) الاعوجاج و (الارتعاد) الاضطراب و (الفرايص) جمع الفريصه و هى اللحمه بين الجنب و الكتف لا تزال ترتعد.

#### الاعراب

الضمائر الثمانيه راجعه إلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله كما مرّ ذكره فى أوائل الخطبه، و هذا هو الأظهر بقرينه المقام و الاوفق بنسق أجزاء الكلام، و استبعاده فى كتبه لا وجه له بعد امكان التّأويل القريب حسبما نشير إليه.

و قيل: برجوع الجميع إليه إلّا الأخيرين فانّهما راجعان إلى الدّين و هو غير بعيد بل أنسب معنى.

و قيل: إنّ الجميع راجع إليه إلّا فى كتبه، و قيل: برجوع الجميع إلى اللّه إلّا الأخيرين فانّهما للنبىّ صلّى اللّه عليه و آله، و هذان و إن كانا سالمين عن التّأويل إلّا أنّ فيهما خروج الكلام عن النّسق كما فى السابق عليهما و هو ظاهر.

#### المعنى

#### اشاره

اعلم أنّه عليه السّلام قد وصف آل محمّد عليهم السّلام بثمانيه أوصاف إشاره إلى علوّ مقامهم و سموّ مكانهم و رفعه درجاتهم و عظمه شئوناتهم، و المراد بآله صلّى اللّه عليه و آله هم

ص:۳۰۲

الأئمه المعصومون سلام اللّه عليهم أجمعين حسبما تعرفه مفصّلا إن شاء اللّه فى موقعه المناسب.

و من العجب العجاب أن الشّارح البحرانى (ره) جعل الأمور المذكوره أوصافا لأهل النبىّ صلّى اللّه عليه و آله الأدنين من بنى هاشم كالعبّاس و حمزه و جعفر و علىّ ابن أبى طالب عليهم السّلام.

أقول: أمّا علىّ عليه السّلام فمسلّم و أمّا العبّاس و حمزه و جعفر و نظراؤهم من ساير بنى هاشم فأين لهم قابليّه لحفظ سرّ اللّه أم أنّى لهم استعداد لأن يكونوا لجاء أمر اللّه أم كيف لهم الاحاطه بكتب اللّه بل القابل لها و لساير الأوصاف المذكوره إنّما هو آل اللّه و آل رسوله سلام اللّه عليه و عليهم الذين هم العروه الوثقى و منار الهدى و أعلام التقى و كهف الورى، و هم الملجأ و المنجى.

## و بالجمله فاول الاوصاف المذكوره

ما أشار عليه السّلام إليه بقوله:(هم موضع سرّه) و المراد بالسّرّ علم لا يجوز إظهاره للعموم و الأئمه عليهم السّلام موضعه و مأواه و مستقرّه و مقامه و خزّانه و حفّاظه لا يظهرونه أو لا يظهرون منه إلا ما يحتمل على من يتحمل إذ العموم لا يقدر على تحمل أسرار اللّه سبحانه، و لذلك قال علىّ بن الحسين عليهما السّلام: لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان لقتله.

و فى البحار من كتاب السّيد حسن بن كبش باسناده عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا أبا محمّد انّا «إنّ ظ» عندنا سرّا من سرّ اللّه و علما من علم اللّه لا يحتمله ملك مقرّب و لا نبىّ مرسل و لا مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان و اللّه ما كلّف اللّه أحدا ذلك الحمل غيرنا، و لا استعبد بذلك أحدا غيرنا و إنّ عندنا سرّا من سرّ اللّه و علما من علم اللّه أمرنا اللّه بتبليغه فبلغنا عن اللّه عزّ و جلّ ما أمرنا بتبليغه ما «فلم خ ل» نجد له موضعا و لا أهلا و لا حماله[1] يحملونه حتى خلق



---

١- (١) الظاهر ان الحماله بتشديد الميم من صيغ المبالغه و التاء للمبالغه كعلامه او للتانيث بتقدير موصوف مؤنث اى طايفه حمله ثم القابل لذلك العلم باعتباران يوضع فيه يسمى موضعا و باعتبار انه مستعد لقبوله يسمى اهلا و باعتبار انه يتحمله يسمى حماله فهى بالذات واحد و بالاعتبار مختلف، صالح المازندرانى

اللّه لـذلک أقواما خلقوا من طينه خلق منها محمّد صلّى اللّه عليه و آله و ذريته و من نور خلق اللّه منه محمّدا و ذريته و صنعهم بفضل صنع رحمته التى منها محمّدا و ذريته «و آله خ ل» فبلغناهم عن اللّه عزّ و جلّ ما أمرنا بتبليغه فقبلوه و احتملوا ذلک عنّا فقبلوه و احتملوه و بلغهم ذكرنا فمالت قلوبهم إلى معرفتنا و حديثنا فلو لا أنّهم خلقوا من هذا لما كانوا كذلک و لا و اللّه ما احتملوه.

ثمّ قال عليه السّلام إنّ اللّه خلق قوما «أقواما خ ل» لجهنم و النّار، فأمرنا أن نبلغهم كما بلغناهم فاشمأزّوا من ذلک و نفرت قلوبهم و ردّوه علينا و لم يحتملوه.

و كذّبوا به و قالوا: ساحر كذّاب فطبع اللّه على قلوبهم و أنساهم ذلک، ثمّ أطلق اللّه لسانهم ببعض الحقّ فهم ينطقون به و قلوبهم منكره ليكون ذلک دفعا عن أوليائه و أهل طاعته و لو لا ذلک ما عبد اللّه فى أرضه فأمرنا اللّه بالكفّ عنهم و الكتمان منهم فاكتموا ممّن أمر اللّه بالكفّ عنهم و استروا عمّن أمر اللّه بالسّتر و الكتمان منهم.

قال: ثمّ رفع عليه السّلام يده و بكى، و قال: اللّهم إنّ هؤلاء لشرذمه قليلون فاجعل محياهم محيانا و مماتهم مماتنا، و لا تسلّط عليهم عدوّا لک فتفجعنا بهم، فانّک إن فجعتنا بهم لم تعبد أبدا فى أرضک، و رواه فى الكافى عن أبى بصير مثله.

أقول: و بهذه الرّوايه يحصل الجمع بين قولهم عليهم السّلام: إنّ حديثنا صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملک مقرّب أو نبىّ مرسل أو مؤمن امتحن اللّه قلبه للايمان، و بين الخبر الخالى عن الاستثنآء، فانّ الثّانى محمول على السّر المختصّ بهم عليهم السّلام الذى لا يحتمله أحد غيرهم، و الأوّل محمول على السّر الذى هو أدنى من ذلک.

و هو السّر الذى تقدّم إليهم النّص من اللّه سبحانه لاظهاره لبعض خواصهم على مراتب استعدادهم، و هو الذى أشار إليه الصّادق عليه السّلام بقوله: لو علم أبو ذر ما فى قلب سلمان اه، فانّ أبا ذر لا استعداد له على احتمال السّر الذى احتمله سلمان، و كذلک كميل بن زياد مع كونه من خواصّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام لا يحتمل ما احتمله أبو ذر (ره)، فهو و إن كان صاحب سرّه عليه السّلام لكن بالنّسبه إلى غيره من ساير

النّاس، و لذلک أنّه بعد ما سئل عنه علیه السّلام عن الحقیقه و أجاب علیه السّلام بقوله: مالک و الحقیقه، قال: أ و لست صاحب سرّک؟ فلم یقرّره علیه السّلام علی عموم ما ادّعاه، بل أجاب بقوله علیه السّلام: بلی و لکن(۱) یترشح علیک ما یطفح منّی، فانّ استدراکه علیه السّلام بقوله: و لکن اه، إشاره إلی أنّ ما یظهره من السّر علیه من قبیل نداوه الطفحان(۲) و رشحته الفایضه من جوانبه، و أنّه لیس صاحب السّر علی نحو العموم.

و بالجمله فقد وضح و ظهر ممّا ذکرنا أنّ أسرار اللّه سبحانه هی علوم لا یجوز إظهار ما جاز إظهارها منها إلاّ للکمّل علی اقتضاء مراتب الاستعداد.

و قد روی فی الخرائج باسناده عن عبد الرّحمان بن کثیر عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: أتی الحسین علیه السّلام ناس فقالوا له: یا أبا عبد اللّه حدّثنا بفضلکم الذی جعل اللّه لکم، فقال: إنکم لا تحتملونه و لا تطیقونه، قالوا: بلی نحتمل، قال: إن کنتم صادقین فلیتنحّ اثنان و أحدّث واحدا فان احتمله حدّثتکم، فتنحّی اثنان و حدّث واحدا فقام طایر العقل و مرّ علی وجهه و ذهب، و کلّمه صاحباه فلم یردّ علیهما شیئا و انصرفوا.

و فیه بالاسناد المذکور قال أتی رجل الحسین بن علیّ علیهما السّلام فقال:

حدّثنی بفضلکم الذی جعل اللّه لکم، فقال: إنّک لن تطیق حمله، قال: بل حدّثنی یابن رسول اللّه إنّی أحتمله، فحدّثه بحدیث فما فرغ الحسین علیه السّلام من حدیثه حتّی ابیضّ رأس الرّجل و لحیته و أنسی الحدیث، فقال الحسین علیه السّلام أدرکته رحمه اللّه حیث أنسی الحدیث.

و فی البحار من کتاب المحتضر للحسن بن سلیمان من کتاب ابن شریفه الواسطی یرفعه إلی میثم التّمار، قال: بینما أنا فی السّوق إذ أتی أصبغ بن نباته فقال:



---

۱- (۱) گفت صاحب سر من هستی و لکن چون دیک سینه من بجوش آید آنچه از سر می ریزد ترا معلوم شود، مجالس

۲- (۲) طفح الاناء کمنع طفحا و طفوحا امتلاء و ارتفع و طفحه و طفحه و اطفحه و منه سکران طافح و المطفحه مغرفه تأخذ طفاحه القدر ای زبدها و قد اطفح القدر کافعل و اناء طفحان یفیض من جوانبه قاموس منه.

ویحک یا میثم لقد سمعت من أمیر المؤمنین علیه السّلام حدیثا صعبا شدیدا، قلت: و ما هو؟ قال: سمعته یقول: إنّ حدیث أهل البیت صعب مستصعب لا یحتمله إلاّ ملک مقرّب أو نبیّ مرسل أو عبد مؤمن امتحن اللّه قلبه للایمان، فقمت من فورتی فأتیت علیّا علیه السّلام فقلت: یا أمیر المؤمنین حدیث أخبرنی به أصبغ عنک قد ضقت به ذرعا، فقال علیه السّلام:

ما هو؟ فأخبرته به، فتبسّم ثمّ قال: اجلس یا میثم، أو کلّ علم یحتمله. عالم؟ إنّ اللّه تعالی قال للملائکه:

«إِنِّی جاعِلٌ فِی الْأَرْضِ خَلِیفَهً قالُوا أَ تَجْعَلُ فِیها مَنْ یُفْسِدُ فِیها وَ یَسْفِکُ الدِّماءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِکَ وَ نُقَدِّسُ لَکَ قالَ إِنِّی أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ » فهل رأیت الملائکه احتملوا العلم؟ قال: قلت: و إنّ هذا أعظم من ذلک، قال:

و الاخری إنّ موسی بن عمران أنزل اللّه علیه التّوراه فظنّ أن لا أحد أعلم منه فأخبره أنّ فی خلقه أعلم منه، و ذلک إذ خاف علی نبیّه العجب؟ قال: فدعا ربّه أن یرشده إلی العالم، قال: فجمع اللّه بینه و بین الخضر علیهما السّلام، فخرق السفینه فلم یحتمل ذلک موسی، و قتل الغلام فلم یحتمله، و أقام الجدار فلم یحتمله.

و أمّا النبیّون فانّ نبیّنا صلّی اللّه علیه و آله أخذ یوم غدیر خم بیدی فقال: اللّهم من کنت مولاه فعلیّ مولاه، فهل رأیت أحدا احتمل ذلک إلاّ من عصم اللّه منهم، فأبشروا ثمّ ابشروا قد خصّکم بما لم یخصّ به الملائکه و النبیّین و المرسلین فما احتملتم ذلک فی أمر رسول اللّه و علمه فحدّثوا عن فضلنا و لا حرج و لا عظیم أمرنا و لا اثم، قال: قال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله: امرنا معاشر الأنبیاء أن نخاطب النّاس علی قدر عقولهم.

قال المحدّث المجلسی (ره) بعد ذکر الحدیث: لعلّ المراد بآخر الخبر أنّ کلّما رویتم فی فضلنا دون درجتنا، لأنّا نکلم النّاس علی قدر عقولهم، أو المعنی أنّا کلّفنا بذلک و لم تکلّفوا بذلک فقولوا فی فضلنا ما شئتم و هو بعید.

**الثانی**

ما نبّه علیه بقوله:(و لجأ أمره) قال البحرانی و أشار بکونهم علیهم السّلام ملجأ

ص:۳۰۶

أمره إلى أنّهم النّاصرون له و القائمون بأوامر اللّه و الذابّون عن الدّين فاليهم يلتجى و بهم يقوم سلطانه.

أقول: المستفاد من ظاهر كلامه أنّ المراد بالأمر هو الامور الدّينيّه و أنّهم ملجاء لنفس الأوامر، و الأظهر الأقوى عندى أن المراد أنّهم لجاء للعباد فى الأوامر الدّينيّه بمعنى أنّ الخلق إذا تنازعوا فى شىء منها و عجزوا فيها عن النّيل إلى الواقع فهم الملجأ و الملاذ، لأنّهم اولو الأمر قال تعالى:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ذلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا » قال علىّ بن إبراهيم القمىّ فى تفسيره: حدّثنى أبى عن حمّاد عن حريز عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: نزل فان تنازعتم فى شىء فارجعوه إلى اللّه و إلى الرّسول و إلى اولى الأمر منكم.

و هو يدلّ على أن المنزل فارجعوه مكان فردّوه، و يحتمل أن يكون تفسيرا له و يدلّ أيضا على أنّ الموجود فى مصحفهم قول و إلى أولى الأمر منكم، و على ذلك فالآيه صريحه فى الدّلاله على المطلوب من ردّ الامور الدّينيّه التى اختلف فيها إلى كتاب اللّه و إلى رسوله و الأئمه عليهم السّلام و أمّا على ما هو الموجود فى هذه المصاحف التى بأيدينا فالدّلاله أيضا غير خفيّه على مذهبنا لأنّ الرّد إلى الأئمه القائمين مقام رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بعد وفاته هو مثل الردّ إلى الرّسول فى حياته، لأنهم الحافظون لشريعته و الخلفاء فى أمّته فجروا مجراه فيه، و مثلها قوله تعالى:

«وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ »

ص:٣٠٧

روی فی البحار من تفسیر العیاشی عن عبد اللّه بن عجلان عن ابی جعفر علیه السّلام فی هذه الآیه، قال: هم الأئمه علیهم السّلام.

و عن عبد اللّه بن جندب قال کتب إلیّ أبو الحسن الرّضا علیه السّلام: ذکرت رحمک اللّه هؤلاء القوم الذین وصفت انهم کانوا بالأمس لکم إخوانا و الذی صاروا إلیه من الخلاف لکم و العداوه لکم و البراءه منکم و الذی تأفّکوا(۱) به من حیات أبی صلوات اللّه علیه و رحمته، و ذکر فی آخر الکتاب انّ هؤلاء القوم سنح لهم شیطان اغترّهم بالشّبهه و لبّس علیهم أمر دینهم، و ذلک لما ظهرت فرینهم و اتّفقت کلمتهم و نقموا علی عالمهم و أرادوا الهدی من تلقاء أنفسهم فقالوا: لم(۲) و من و کیف، فأتاهم الهلاک من مأمن احتیاطهم، و ذلک بما کسبت أیدیهم و ما ربّک بظلّام للعبید، و لم یکن ذلک لهم و لا علیهم، بل کان الفرض علیهم و الواجب لهم من ذلک الوقوف عند التحیّر و ردّ ما جهلوا من ذلک الی عالمه و مستنبطه، لأنّ اللّه یقول فی محکم کتابه:

«وَ لَوْ رَدُّوهُ إِلَی الرَّسُولِ وَ إِلی أُولِی الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِینَ یَسْتَنْبِطُونَهُ ».

یعنی آل محمّد علیهم السّلام، و هم الذین یستنبطون من القرآن و یعرفون الحلال و الحرام و هم الحجّه للّه علی خلقه هذا.

و قد ظهر ممّا ذکر أنّ الأئمه علیهم السّلام هم ولاه الأمر و أنّهم المقصودون بأولی الأمر فی الآیتین، أمّا الآیه الثّانیه فلما ذکرنا، و أمّا الآیه الاولی فللأخبار المستفیضه.

أمّا الأخبار فمنها ما رواه فی البحار عن تفسیر فرات بن ابراهیم عن عبید



---

۱- (۱) ای تکلفوا الافک و الکذب بسببه، منه.

۲- (۲) ای لم حکمتم بموت الکاظم (علیه السلام) و من الامام بعده و کیف حکمتم بکون الرضا (علیه السلام) اماما بعده، بحار الانوار

ابن كثير معنعنا أنّه سأل جعفر بن محمّد عليهما السّلام عن قول اللّه:

«أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » قال: اولى الفقه و العلم، قلنا: أخاصّ أم عامّ؟ قال عليه السّلام: بل خاصّ لنا.

و فى الكافى عن جابر الجعفى قال سألت أبا جعفر عليه السّلام عن هذه الآيه، قال: الأوصياء.

و فيه أيضا عن بريد العجلى قال: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن قول اللّه عزّ ذكره:

«إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَماناتِ إِلى أَهْلِها وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ».

فقال عليه السّلام: إيّانا عنى أن يؤدّ الأوّل إلى الامام الذى بعده الكتب و العلم و السّلاح، و إذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل الذى فى أيديكم، ثمّ قال للنّاس:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ».

ايّانا عنى خاصّه أمر جميع المؤمنين إلى يوم القيامه بطاعتنا فان خفتم تنازعا فى أمر فردّوه إلى اللّه و إلى الرّسول و إلى أولى الأمر منكم، كذا نزلت و كيف يأمرهم اللّه عزّ و جلّ بطاعه ولاه الأمر و يرخص منازعتهم إنّما قيل ذلك للمأمورين الذين قيل لهم: أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول و اولى الأمر منكم، و الأخبار فى هذا الباب كثيره لا تحصى.

و أمّا دليل العقل فلأنّه سبحانه أمر بوجوب طاعه أولى الأمر على نحو العموم(۱) فلا بدّ من كونه معصوما و إلّا لزم أن يكون تعالى قد أمر بالقبيح لأنّ من



۱- (۱) و ذلک لانه سبحانه اطلق الامر بطاعتهم و لم يخص شيئا من شيء اذ لو اراد خاصا لبينه و فى فقد البيان منه تعالى دليل على اراده العموم كما هو واضح، منه

لیس بمعصوم لا یؤمن صدور القبیح عنه، فاذا وقع کان الاقتداء به قبیحا و المعصوم بعد الرّسول صلّی اللّه علیه و آله منحصر باجماع الامه فی الأئمه، و سیأتی تمام الکلام فی هذا المقام فی مقدّمات الخطبه الشّقشقیه إنشاء اللّه هذا.

و یحتمل أن یکون المراد بالأمر فی قوله علیه السّلام: و لجاء أمره، الأعم من الأمور الدّینیّه، و ربّما فسّر به فی الآیتین أیضا، فالمراد به علی ذلک جمیع الأمور المقدره المشار إلیها فی قوله سبحانه:

«تَنَزَّلُ الْمَلائِکَهُ وَ الرُّوحُ فِیها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ » و فی قوله:

«فِیها یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ ».

و قد مضی فی الفصل التّاسع من فصول الخطبه الاولی فی شرح قوله علیه السّلام: و مختلفون بقضائه و أمره، ما یوجب زیاده البصیره فی المقام، و قد مضی هناک فی روایه الکافی عن الباقر علیه السّلام أنّه لینزل فی لیله القدر إلی ولیّ الأمر تفسیر الأمور سنه سنه یؤمر فیها فی أمر نفسه بکذا و کذا و فی أمر النّاس بکذا و کذا، إلی آخر ما مرّ هناک، و هذا الاحتمال أقرب بالنّظر إلی عموم وظیفتهم علیهم السّلام

## الثالث

ما أشار علیه السّلام الیه بقوله:(و عیبه علمه)یعنی أنّ علمه مودع عندهم کالثّیاب النّفیسه المودعه فی العیبه، و تشبیههم بالعیبه من حیث إنّهم کانوا حافظین و صائنین له عن الضّیاعه و الاندراس حسن الاستعاره بالعیبه الحافظه للّباس عن الأدناس.

قال البحرانی و کونهم عیبه علمه مرادف لکونهم موضع سرّه، إذ یقال فی العرف فلان عیبه العلم إذا کان موضع أسراره.

و أقول أمّا تراد فهما فی اللّغه و العرف فقد صرّح به بعض اللّغویین أیضا، و لکن الظاهر أنّ السّر أخصّ من العلم، لما قد عرفت سابقا من أن السّر هو العلم الذی یکتم و قد صرّح به غیر واحد من اللّغویین و هو المتبادر منه أیضا، فیکون حقیقه فیه و علی

هذا فيكون العلم أعمّ منه و هو الأنسب بالمقام أيضا، من حيث أنّ التّأسيس أولى من التّأكيد.

و كيف كان فلا غبار على أنّ علم اللّه و علم رسوله المتلقّى منه سبحانه مودع عندهم و هم الحافظون له، و يدل عليه الأخبار المتواتره القطعيه.

منها ما رواه فى الكافى باسناده عن يونس بن رباط قال: دخلت أنا و كامل التّمار على أبى عبد اللّه عليه السّلام، فقال له كامل: جعلت فداک حديث رواه فلان، فقال:

اذكره، فقال: حدّثنى أنّ النّبى صلّى اللّه عليه و آله حدث عليّا عليه السّلام بألف باب يوم توفى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كلّ باب يفتح له ألف باب فذلک ألف ألف باب، فقال لقد كان ذلک، قلت جعلت فداک فظهر ذلک لشيعتكم و مواليكم؟ فقال عليه السّلام: يا كامل باب أو بابان، فقلت له جعلت فداک فما يروى من فضلكم من ألف ألف باب إلاّ باب أو بابان؟ قال: فقال: و ما عسيتم أن ترووا من فضلنا ما تروون من فضلنا إلا ألفا غير معطوفه.

و فى البحار من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من نوادر الحكمه يرفعه إلى أبى بصير قال: كنت عند أبى عبد اللّه عليه السّلام فدخل عليه المفضّل بن عمر فقال: مسأله يابن رسول اللّه، فقال عليه السّلام: سل يا مفضّل، قال: ما منتهى علم العالم؟ قال عليه السّلام: قد سألت جسيما و لقد سألت عظيما ما السّماء الدّنيا فى السّماء الثّانيه إلاّ كحلقه درع ملقاه فى أرض فلاه، و كذلک كلّ سماء عند سماء اخرى، و كذلک السّماء السّابعه عند الظلمه، و لا الظلمه عند النّور و لا ذلک كلّه فى الهواء و كا «لا ظ» لأرضين بعضها فى بعض و لا مثل ذلک كلّه فى علم العالم يعنى الامام إلاّ مثل مدّ من خردل دققته دقّا ثمّ ضربته بالماء «ثم خ» حتّى إذا اختلط و رغا(۱) اظهر اخذت منه لعقه(۲) باصبعک، و لا علم العالم فى علم اللّه إلاّ مثل حبه من خردل دققته دقا ثمّ ضربته بالماء حتّى إذا اختلط و رغا انتهزت منه(۳) برأس ابره نهزه ثمّ قال عليه السّلام: يكفيک من هذا البيان بأقلّه و أنت



---

۱- (۱) رغوه اللبن زبده و رغا و ارغا و رغا صارت له رغوه، قاموس اللغه

۲- (۲) لعقته لعقه من باب تعب لعقا مثل فلس اكلته باصبع و اللعقه بالفتح المره و بالصم اسم لما يلعق بالاصبع، مصباح اللغه

۳- (۳) تناولت منه

بأخبار الموت تصيب.

و من كتاب المحتضر أيضا نقلا من كتاب الأربعين روايه سعد الأوبلى عن عمار ابن خالد عن اسحاق الأزرق عن عبد الملك بن سليمان قال: وجد فى ذخيره أحد حوارى المسيح رقّ مكتوب بالقلم السّريانى منقولا من التّوراه و ذلك لما تشاجر موسى و الخضر عليهما السّلام فى قضيّه السّفينه و الغلام و الجدار و رجع موسى إلى قومه سأل أخوه هارون عمّا استعمله من الخضر و شاهد من عجايب البحر.

قال بينما أنا و الخضر على شاطىء البحر اذ سقط بين أيدينا طائر أخذ فى منقاره قطره من ماء البحر و رمى بها نحو المشرق، ثمّ أخذ ثانيه و رمى بها نحو المغرب، ثمّ أخذ ثالثه و رمى بها نحو السّماء، ثمّ أخذ رابعه و رمى بها نحو الأرض، ثمّ أخذ خامسه و ألقاها فى البحر فبهت الخضر و أنا، قال موسى: فسألت الخضر عن ذلك فلم يجب، و إذا نحن بصيّاد يصطاد فنظر إلينا و قال: ما أريكما فى فكر و تعجّب، فقلنا: فى أمر الطائر، فقال: أنا رجل صيّاد و قد علمت إشارته و أنتما نبيّان لا تعلمان، قلنا: ما نعلم إلاّ ما علّمنا اللّه عزّ و جلّ، قال: هذا طاير فى البحر يسمّى مسلم، لأنّه إذا صاح يقول فى صياحه مسلم، و أشار بذلك إلى انّه يأتى فى آخر الزّمان نبىّ يكون علم أهل المشرق و المغرب و أهل السّماء و الأرض عند علمه مثل هذه القطره الملقاه فى البحر، و يرث علمه ابن عمّه و وصيّه، فسكن ما كنا فيه من المشاجره و استقلّ كلّ واحد منّا علمه، بعد ان كنا به معجبين و مشينا ثمّ غاب الصياد فعلمنا انّه ملك بعثه اللّه إلينا يعرّفنا بنقصنا حيث ادّعينا الكمال.

أقول: و بهذه الأخبار يعرف المعيار إجمالا لعلومهم عليهم السّلام، و فيها كفايه لمن ألقى السّمع و هو شهيد، و أمّا تحقيق كيفيّه هذا العلم و أنّه هل هو على نحو الاحاطه الفعليّه أو الاراديّه فلعلّنا نشير إليه فى الموقع المناسب إن شاء اللّه تعالى.

### الرابع

ما أشار عليه السّلام إليه بقوله:(و موئل حكمه) و المراد بالحكم إمّا الأحكام الشرعيه أى خطاب اللّه المتعلّق بأفعال المكلفين من حيث الاقتضاء أو التّخيير و إمّا

القضاء الرّافع للخصومات، و على أىّ تقدير فهم موئله و منجاه، اليهم يلتجى فيه و بهم يحصل الخلاص و النّجاه لأنّ ما عندهم هو الحكم المتلقى من الوحى الالهى الذى هو مطابق للواقع و الواقع مطابق له، و هو كلّه صواب لا ريب فيه و هم المرشدون إليه و الأدلّاء عليه.

و يشهد به ما فى البحار من مجالس المفيد باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السّلام قال: أما أنّه ليس عند أحد من النّاس حقّ و لا صواب إلّا شىء أخذوه منا أهل البيت، و لا أحد من النّاس يقضى بحقّ و عدل إلّا و مفتاح ذلك القضاء و بابه و أوّله و سنّته أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فاذا اشتبهت عليهم الامور كان الخطاء من قبلهم إذا اختطئوا و الصّواب من قبل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

و فى الكافى عن أبى جعفر عليه السّلام، قال: قال اللّه عزّ و جلّ فى ليله القدر:

«فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ » يقول: ينزّل فيها كلّ أمر حكيم و المحكم ليس بشيئين إنّما هو شىء واحد فمن حكم بما ليس فيه اختلاف فحكمه من حكمٍ اللّه عزّ و جلّ، و من حكم بأمر فيه اختلاف فرأى أنّه مصيب فقد حكم بحكم الطاغوت، و قد مضى بتمامه فى الفصل التّاسع من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله و مختلفون بقضائه و أمره فتذكر.

و فى البحار من بصائر الدّرجات عن المفضّل بن عمر قال: سمعت أبا عبد اللّه عليه السّلام يقول: كان أمير المؤمنين عليه السّلام يقول: اعطيت خصالا ما سبقنى إليها أحد، علمت المنايا و البلايا و الانساب و فصل الخطاب.

و عن أبى بصير عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: يا أبا بصير إنّا أهل بيت أوتينا علم المنايا و البلايا و فصل الخطاب و عرفنا شيعتنا كعرفان الرّجل أهل بيته.

و المراد بفصل الخطاب الحكم الفاصل بين الحقّ و الباطل، أو المفصول الواضح الدلاله على المقصود، أو ما كان من خصائصهم من الحكم المخصوص فى كلّ واقعه و الجوابات المسكته للخصوم فى كلّ مسأله و سيأتى شطر من قضاياه أعنى أمير المؤمنين عليه السّلام فى شرح الخطبه الآتيه عند قوله: و يكثر العثار فيها و الاعتذار منها.

ص:۳۱۳

إذا عرفت ما ذكرناه فنقول: إنّ اللاّزم حينئذ أخذ الأحكام منهم و الرّجوع إليهم و لا يجوز الاستبداد بالعقول النّاقصه و الآراء الفاسده فی الأحكام الشّرعيّه و الاعتماد فيها على الاقيسه و الاستحسانات كما حقّقناه فی شرح الفصل الحادی عشر من فصول الخطبه الاولی.

و قد قال أبو الحسن عليه السّلام فيما رواه فی بصائر الدّرجات عن محمّد بن حكيم عنه عليه السّلام: إنّما هلك من كان قبلكم بالقياس و إنّ اللّه تبارک و تعالی لم يقبض نبيه صلّی اللّه عليه و آله حتّی أكمل له جميع دينه فی حلاله و حرامه، فجاءكم بما تحتاجون إليه فی حياته و تستغنون به و بأهل بيته بعد موته و أنّها مخبيّه عند أهل بيته حتّى أنّ فيه لأرش الخدش، ثمّ قال عليه السّلام: إنّ أبا حنيفه ممّن يقول: قال علیّ عليه السّلام و قلت أنا.

و كذلک لا يجوز الرّجوع فی المرافعات إلی القضاه السّوء فمن رجع اليهم كان بمنزله الّذين قال اللّه عزّ و جلّ:

«أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِما أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَ ما أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحاكَمُوا إِلَى الطّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ » الآيه.

و يأتی تفصيل حالات هؤلاء القضاه و ما يترتّب علی الرّجوع إليهم فی الكلام السابع عشر و الثّامن عشر و شرحهما إن ساعدنا التّوفيق إن شاء اللّه.

## الخامس

ما أشار عليه السّلام إليه بقوله:(و كهف كتبه)تشبيههم بالكهف باعتبار أنّهم يلتجی اليهم فيها، أو أنّهم المأوی لها و الحاوون لما فيها كالكهف الذی يحوی من يأوی إليه، و المراد بالكتب إمّا كتب اللّه و هو على تقدير رجوع الضّمير فيه إليه سبحانه، فالمراد بها القرآن و ما انزل قبلها من الصّحف و الكتب السّماويه.

أمّا كونهم كهف القرآن و مأويه و الحافظين له و العالمين به تأويله و تنزيله

و ظهره و بطنه و بطن بطنه و هكذا إلى سبعه أبطن و كذلك ساير أوصافه من العموم و الخصوص و الاطلاق و التّقييد و الأحكام و التّشابه إلى غير ذلك، فواضح و قد مضى شطر من الكلام على هذا الباب فى التّذييل الثّالث من تذييلات الفصل السّابع عشر من فصول الخطبه الاولى.

و أمّا ساير الكتب السّماويه ففى حديث أبى ذر عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قلت: كم كتابا أنزل؟ قال صلّى اللّه عليه و آله: مأئه كتب و أربعه كتب أنزل على شيث خمسين صحيفه، و على اخنوخ ثلاثين صحيفه، و على إبراهيم عشر صحايف، و انزل على موسى قبل التّوراه عشره صحايف و انزلت التوراه و الانجيل و الزّبور و الفرقان و كانت صحف إبراهيم كلها أمثالا.

و روى فى البحار من إرشاد القلوب بالاسناد إلى المفيد يرفعه إلى سلمان الفارسى رضى اللّه عنه قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام. يا سلمان الويل كلّ الويل لمن لا يعرف لنا حقّ معرفتنا و أنكر فضلنا، يا سلمان إيّما أفضل محمّد صلّى اللّه عليه و آله أم سليمان ابن داود عليه السّلام؟ قال سلمان قلت: بلى محمّد صلّى اللّه عليه و آله أفضل، فقال: يا سلمان فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس إلى سبا فى طرفه عين و عنده علم من الكتاب و لا أفعل أنا ذلك و عندى ألف كتاب اللّه، انزل اللّه على شيث بن آدم خمسين صحيفه، و على ادريس ثلاثين صحيفه، و على إبراهيم الخليل عشرين صحيفه، و التوراه و الانجيل و الزّبور و الفرقان، فقلت: صدقت يا سيّدى، قال الامام عليه السّلام: إنّ الشّاك فى امورنا و علومنا كالمستهزىء فى معرفتنا أو حقوقنا، و قد فرض اللّه و لا يتنافى كتابه فى غير موضع و بيّن ما أوجب العمل به و هو مكشوف.

و من كتاب التّوحيد عن هشام بن الحكم فى خبر طويل قال جاء بريهه جاثليق النّصارى فقال لأبى الحسن عليه السّلام: جعلت فداك أنّى لكم التّوراه و الانجيل و كتب الأنبياء، قال: هى عندنا وراثه من عندهم نقرئها كما قرءوها و نقولها كما قالوها إنّ اللّه لا يجعل حجّه فى أرضه يسأل من شيء يقول: لا أدرى الخبر.

و من بصائر الدّرجات باسناده عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام:

يا أبا محمّد عندنا الصّحف التى قال اللّه صحف إبراهيم و موسى، قلت الصّحف هى

الألواح؟ قال: نعم.

هذا كله على احتمال أن يكون المراد بالكتب الكتب المنزله من اللّه سبحانه و أمّا على تقدير رجوع الضّمير فى كتبه إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله فالمراد بالكتب القرآن و غيره ممّا اشير إليه فى الأخبار.

مثل ما رواه فى البحار من البصائر باسناده عن أبى الصّباح الكنانى عن أبى جعفر عليه السّلام قال: حدّثنى أبى عمّن ذكره، قال: خرج علينا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و فى يده اليمنى كتاب و فى يده اليسرى كتاب فنشر الكتاب الذى فى يده اليمنى فقرأ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم كتاب لأهل الجنّه بأسمائهم و أسماء آبائهم لا يزاد فيهم واحد و لا ينقص منهم واحد، قال:

ثمّ نشر الذى بيده اليسرى فقرأ: كتاب من اللّه الرّحمن الرّحيم لأهل النّار بأسمائهم و أسماء آبائهم و قبائلهم لا يزاد فيهم واحد و لا ينقص منهم واحد.

و من البصائر أيضا باسناده عن الأعمش قال: قال الكلبى: يا أعمش أىّ شىء أشدّ ما سمعت من مناقب علىّ عليه السّلام؟ قال: فقال حدّثنى موسى بن طريف عن عبايه قال: سمعت عليا عليه السّلام و هو يقول أنا قسيم النّار فمن تبعنى فهو منى و من عصانى فهو من أهل النّار، فقال الكلبى عندى أعظم مما عندك، أعطى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليا عليه السّلام كتابا فيه أسماء أهل الجنّه و أسماء أهل النّار، فوضعه عند أمّ سلمه فلما ولى ابو بكر طلبه فقالت: ليس لك، فلما ولى عمر طلبه، فقالت: ليس لك، فلما ولى علىّ عليه السّلام دفعته إليه.

و منه أيضا باسناده عن أبى بصير قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا أبا محمّد إنّ عندنا الجامعه و ما يدريهم ما الجامعه قال: قلت: جعلت فداك و ما الجامعه؟ قال: صحيفه طولها سبعون ذراعا بذراع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أملاء من فلق(۱) فيه و خطه علىّ عليه السّلام بيمينه فيها كلّ حلال و حرام و كلّ شىء يحتاج إليه النّاس حتّى الأرش فى الخدش.

و فى الاحتجاج فى حديث طويل عن أبى عبد اللّه عليه السّلام قال: و كان عليه السّلام يقول:

علمنا غابر و مزبور و نكت فى القلوب و نقر فى الأسماع و إنّ عندنا الجفر



---

۱- (۱) كلمتى من فلق فيه بالكسر و يفتح اى من شفته، صحاح.مكرر - بالاضافه الى فيه، منه.

الأحمر، و الجفر الأبيض، و مصحف فاطمه عليها السّلام، و عندنا الجامعه فيها جميع ما يحتاج الناس إليه فسئل عن تفسير هذا الكلام فقال عليه السّلام: أمّا الغابر فالعلم بما يكون، و أمّا المزبور فالعلم بما كان، و أمّا النكت فى القلوب فهو الالهام و امّا النّقر فى الاسماع فحديث الملائكه نسمع كلامهم و لا نرى أشخاصهم، و أمّا الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لن يخرج حتّى يقوم قائمنا أهل البيت، و أما الجفر الأبيض فوعاء فيه توراه موسى و انجيل عيسى و زبور داود و كتب اللّه الاولى، و أمّا مصحف فاطمه ففيه ما يكون من حادث و أسماء من يملكك و من لا يملكك إلى أن يقوم الساعه و ليس فيه قرآن، و أمّا الجامعه فهو كتاب طوله سبعون ذراعا إملاء رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من فلق فيه و خط علىّ بن أبى طالب عليه السّلام بيده فيه و اللّه جميع ما يحتاج النّاس إليه إلى يوم القيامه حتّى أنّ فيه أرش الخدش و الجلده و نصف الجلده، الحديث.

و فى البحار من بصائر الدّرجات عن أحمد بن محمّد عن الحسين بن سعيد عن أحمد بن عمر عن أبى بصير قال: دخلت على أبى عبد اللّه عليه السّلام، قال: فقلت له: إنّى أسألك جعلت فداك عن مسأله ليس هاهنا احد يسمع كلامى، قال: فرفع أبو عبد اللّه عليه السّلام سترا(١) بينى و بين بيت آخر فاطلع فيه، ثمّ قال: يا با محمد سل عمّا بدا لك قال قلت: جعلت فداك: إنّ الشّيعه يتحدّثون أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله علّم عليّا عليه السّلام بابا يفتح منه ألف باب، قال: فقال أبو عبد اللّه عليه السّلام: يا أبا محمّد علّم و اللّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله عليّا ألف باب يفتح له من كلّ باب ألف باب، قال: قلت: له هذا و اللّه العلم فنكت(٢) ساعه فى الأرض ثمّ قال: إنّه لعلم و ما هو بذاك.

قال: ثمّ قال: يا أبا محمّد و إنّ عندنا الجامعه و ما يدريهم ما الجامعه، قال:

قلت جعلت فداك: و ما الجامعه، قال: صحيفه طولها سبعون ذراعا بذراع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و إملاه من فلق فيه و خطه علىّ عليه السّلام بيمينه، فيها كلّ حلال و حرام و كلّ شىء يحتاج النّاس إليه حتّى الأرش فى الخدش و ضرب بيده إلىّ فقال تأذن(٣)



---

١- (١) لعل رفع الستر للمصلحه او يكون تلك الحاله من الاحوال التى لا يحضرهم فيها علم بعض الاشياء، بحار

٢- (٢) النكت ان تضرب فى الارض بقضيب فتؤثر فيها، بحار.

٣- (٣) يدل على ان ابراء ما لم يجب نافع، بحار

لی یا أبا محمّد؟ قال: قلت جعلت فداک: إنّ «أناظ» لک اصنع ما شئت، قال: فغمزنی بیده فقال حتّی أرش هذا فکأنه مغضب(۱) قال: قلت جعلت فداک: هذا و اللّه العلم، قال: إنّه لعلم و لیس بذاک، ثمّ سکت ساعه.

ثمّ قال: إنّ عندنا الجفر و ما یدریهم(۲) ما الجفر مسک(۳) شاه أو جلد بعیر، قال: قلت جعلت فداک: ما الجفر؟ قال: وعاء أحمر و أدیم أحمر فیه علم النّبیّین و الوصیّین، قلت: هذا و اللّه هو العلم، قال: إنّه لعلم و ما هو بذاک، ثمّ سکت ساعه.

ثمّ قال: و إنّ عندنا لمصحف فاطمه علیها السّلام و ما یدریهم ما مصحف فاطمه، قال علیه السّلام فیه مثل قرآنکم هذا ثلاث مرّات، و اللّه ما فیه من قرآنکم حرف واحد إنّما هو شیء أملاء اللّه علیها أو أوحی إلیها، قال: قلت: هذا و اللّه هو العلم، قال:

إنّه لعلم و لیس بذاک، قال ثمّ سکت ساعه.

ثمّ قال: إنّ عندنا لعلم(۴) ما کان و ما هو کائن إلی أن تقوم السّاعه، قال:

قلت: جعلت فداک: هذا و اللّه هو العلم، قال: إنّه لعلم و ما هو بذاک، قال: قلت جعلت فداک فأیّ شیء هو العلم، قال: ما یحدث باللّیل و النّهار الأمر بعد الأمر و الشّیء بعد الشّیء إلی یوم القیامه.

قال فی البحار: قوله علیه السّلام و اللّه ما فیه من قرآنکم حرف واحد أی فیه علم ما کان و ما یکون.

فان قلت: فی القرآن أیضا بعض الأخبار، قلت: لعلّه لم یذکر فیه ما فی القرآن.

فان قلت: یظهر من بعض الأخبار اشتمال مصحف فاطمه علیها السّلام أیضا علی الأحکام،



---

۱- (۱) ای غمز غمزا شدیدا کانه مغضب، بحار.

۲- (۲) ای لا یدرون ان الجفر صغیر بقدر مسک شاه او کبیر علی خلاف العاده بقدر ما یمسک بعیر و کانه اشاره الی انه کبیر، بحار.

۳- (۳) المسک الجلد او خاص بالسخله، منه.

۴- (۴) ای من غیر جهه مصحف فاطمه أیضا، بحار

قلت: لعلّ فيه ما ليس فى القرآن.

فان قلت: قد ورد فى كثير من الأخبار اشتمال القرآن على جميع الأحكام و الأخبار ممّا كان أو يكون، قلت. لعلّ المراد به ما نفهم من القرآن لا ـ ما يفهمون منه، و لذا قال: قرآنكم على أنّه يحتمل أن يكون المراد لفظ القرآن، ثمّ الظاهر من أكثر الأخبار اشتمال مصحفها عليها السّلام على الأخبار فقط فيحتمل أن يكون المراد عدم اشتماله على أحكام القرآن انتهى هذا.

و فى المقام إشكال قوىّ: و هو أنّ المستفاد من قوله عليه السّلام: إنّ عندنا لعلم ما كان و ما هو كائن إلى أن تقوم السّاعه، أنّهم عليهم السّلام يعلمون جميع الشّرايع و الأحكام و ما كان و ما يكون، و مثله ورد فى الأخبار الكثيره و على ذلك فأىّ شىء يبقى حتّى يحدث لهم بالليل و النّهار كما يدلّ عليه آخر الحديث و يستفاد من الأخبار الاخر أيضا.

و قد اجيب عنه بوجوه الأوّل أنّ العلم ليس ما يحصل بالسّماع و قراءه الكتب و حفظها، فان ذلك تقليد و إنّما العلم يفيض من عند اللّه سبحانه على قلب المؤمن يوما فيوما و ساعه فساعه فيكشف به من الحقائق ما تطمئنّ به النّفس و ينشرح له الصّدر و يتنوّر به القلب، و الحاصل أنّ ذلك مؤكد و مقرّر لما علم سابقا يوجب مزيد الايمان و اليقين و الكرامه و الشّرف بافاضه العلم عليهم بغير واسطه المرسلين.

الثّانى أن يفيض عليهم عليهم السّلام تفاصيل عندهم مجملاتها و إن أمكنهم استخراج التّفاصيل ممّا عندهم من اصول العلم و موادّه.

الثّالث أنّهم عليهم السّلام فى النّشأتين سابقا على الحياه البدنى و لاحقا بعد وفاتهم يعرجون فى المعارف الرّبانيه الغير المتناهيه على مدارج الكمال إذ لا غايه لعرفانه تعالى و قربه.

قال العلاّمه المجلسى بعد تقويته هذا الوجه: و يظهر ذلك من كثير من الأخبار و ظاهر أنّهم إذا تعلموا فى بدء إمامتهم علما لا يقفون فى تلك المرتبه و يحصل لهم

بسبب مزيد القرب و الطاعات زوايد العلم و الحكم و الترقيات فى معرفه الرّبّ تعالى، و كيف لا يحصل لهم و يحصل ذلك لساير الخلق مع نقص قابليتهم و استعدادهم، فهم عليهم السّلام أولى بذلك و أحرى.

ثمّ قال «قده» و لعل هذا أحد وجوه استغفارهم و توبتهم فيكل يوم سبعين مرّه و أكثر، إذ عند عروجهم الى كلّ درجه رفيعه من درجات العرفان يرون أنّهم كانوا فى المرتبه السّابقه فى النّقصان فيستغفرون فيها و يتوبون إليه تعالى.

**السادس**

ما أشار عليه السّلام إليه بقوله (و جبال دينه) قال الشّارح المعتزلى: لا يتحلحلون(۱) عن الدّين أو أنّ الدّين ثابت بوجودهم كما أنّ الأرض ثابته بالجبال لولا الجبال لمادت بأهلها و قال البحرانى و أشار بكونهم جبال دينه إلى أنّ دين اللّه سبحانه بهم يعتصم عن وصمات الشّياطين و تبديلهم و تحريفهم كما يعتصم الخائف بالجبل ممّن يؤذيه.

أقول: و المعنيان متقاربان و المقصود واحد و هو أنّ وجودهم سبب لبقاء الدّين و انتظام أمر المسلمين، و بهم ينفى عنه تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين.

كما روى فى البحار من كتاب قرب الاسناد عن هارون عن ابن صدقه عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السّلام أن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله قال: فى كلّ خلف من أمتى عدل من أهل بيتى ينفى عن الدّين تحريف الغالين و انتحال المبطلين و تأويل الجهال، و إنّ أئمتكم و فدكم إلى اللّه فانظروا من توفدون فى دينكم و صلواتكم.

و من علل الشّرايع باسناده عن محمّد بن مسلم عن أبى جعفر عليه السّلام قال: إنّ اللّه لم يدع الأرض إلّا و فيها عالم يعلم الزّياده و النّقصان من دين اللّه عزّ و جلّ، فاذا زاد المؤمنون شيئا ردّهم، و إذا نقصوا أكمله لهم و لو لا ـ ذلك لالتبس على المسلمين أمرهم و عن أبى حمزه قال: قال أبو عبد اللّه عليه السّلام: لن تبقى الأرض إلّا و فيها من



---

۱- (۱) حلحلهم اى ازالهم عن مواضعهم ق ج. «۲۰»

يعرف الحقّ فاذا زاد النّاس فيه قال: قد زادوا، و إذا نقصوا منه قال: قد نقصوا، و إذا جاءوا به صدّقهم و لو لم يكن كذلك لم يعرف الحقّ من الباطل، و الأخبار فی هذا المعنى كثيره.

**السابع و الثامن**

ما أشار عليه السّلام إليه بقوله:(بهم أقام انحناء ظهره، و أذهب ارتعاد فرايصه) و المراد بذلك على تقدير رجوع الضّمير فی ظهره و فرايصه إلى الدّين واضح، و هو أنّهم أسباب لقوام الدّين و رافعون لاضطرابه حسبما عرفت آنفا، و أمّا على تقدير رجوعهما إلى النّبیّ صلّى اللّه عليه و آله فهو إشاره إلى أنّ اللّه سبحانه جعلهم اعضادا يشدّون ازره و يقوّمون ظهره،وانحناء ظهرهكنايه عن ضعفه فی بدء الاسلام،وارتعاد الفرايص كنايه عن الشّیء ببعض لوازمه إذ كان ارتعاد الفرايص من لوازم شدّه الخوف، يعنی أنّ اللّه ازال عنه صلّى اللّه عليه و آله بمعونتهم خوفه الذی كان يتوقّعه من المشركين على حوزه الدين، و اتصافهم عليهم السّلام بهذين الوصفين ظاهر لا ريب فيه لأنّهم لم يألوا جهدهم فی نصره النّبیّ صلّى اللّه عليه و آله و تقويه دينه قولا أو فعلا، و قد قال تعالى:

«وَ إِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللّهُ هُوَ الَّذِی أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ ».

و قد روى العامه و الخاصّه عن أبی هريره قال: مكتوب على العرش لا إله إلاّ أنا وحدی لا شريك لی و محمّد عبدی و رسولی أيدته بعلیّ عليه السّلام، فأنزل اللّه عزّ و جلّ:

«هُوَ الَّذِی أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَ بِالْمُؤْمِنِينَ » فكان النّصر عليّا عليه السّلام و دخل مع المؤمنين فدخل فی الوجهين جميعا، و بمضمونه أخبار اخر من الطريقين، و قال سبحانه أيضا:

«يا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللّهُ وَ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ » قال أبو هريره. نزلت هذه الآيه فی علیّ بن أبی طالب عليه السّلام، و هو المعنیّ بقوله: المؤمنين و بالجمله فانتصار النّبیّ صلّى اللّه عليه و آله بأمير المؤمنين عليه السّلام و حمايته له باليد و اللسان و جدّه فی

ص:۳۲۱

إعلاء كلمه الاسلام ممّا هو غنیّ عن البيان:

بدر له شاهد و الشّعب من أحد و الخندقان و يوم الفتح إن علموا

و كفی بذلك شهيدا مبيته علی فراش رسول اللّه صلّی اللّه عليه و آله حتّی باهی اللّه سبحانه بذلك علی ملائكته و أنزل:

«وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللّهِ » و برازه(۱) يوم الخندق لعمرو بن عبدود حتّی أنزل فيه:

«وَ كَفَی اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتالَ » بعلیّ بن أبی طالب، و قتله عمروا علی ما ورد فی الرّوايات الكثيره، و فی ذلك اليوم قال صلّی اللّه عليه و آله: ضربه علیّ أفضل من عباده الثّقلين.

و أمّا ساير الأئمه عليهم السّلام فقد كان هممهم مقصوره علی حمايه حمی الدّين و إحياء أحكام سيّد المرسلين، بعضهم بالقتال و الجدال كالحسين عليه السّلام، و بعضهم باللسان و البيان كساير المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين، و ذلك مع ما هم عليه من التّقيه و الخوف، و لذلك انّ الصّادقين عليهما السلام لمّا تمكّنا من إظهار الأحكام و نشر الشّرايع و زالت عنهم التّقيه التی كانت علی غيرهم قصروا اوقاتهم فی إحياء الشّريعه و إقامه السّنه علی ما هو معروف، و قد كان أربعه آلاف نفر من اهل العلم متلمذا عنده و قد صنّفوا من أجوبته فی المسائل أربعمائه كتاب، هی معروفه بكتب الاصول، فبوجودهم استقام امر الدّين و استحكم شريعه خاتم النّبيين، و بقائمهم يملاء اللّه الارض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا.

### الترجمه

آل حضرت رسالت مآب صلوات اللّه عليه و عليهم موضع اسرار خفيّۀ آن جنابند و پناهگاه امور دينيۀ اويند و صندوق علم اويند و محل نجات و خلاصی احكام اويند كه بجهت التجاء ايشان خلاصی می يابند مردم از باديه عجز و سرگردانی و مخزن كتاب های اويند و كوه های دين اويند كه نگاه می دارند دين را از اضطراب

ص:۳۲۲

---

۱- (۱) عطف علی مبيته

و از تحریف و تبدیل همچنان که کوه ها نگاه می دارند زمین را از تموج و تزلزل، بسبب وجود ایشان راست کرد خمی و کجی پشت او را که در بدو اسلام ضعیف بود و بواسطهٔ ایشان زایل فرمود لرزیدن گوشت پاره های میان پهلو و شانه آنرا که حاصل بود به جهت خوف بر دین و از ترس بر حوزهٔ شرع مبین.

### الفصل الخامس منها یعنی قوما آخرین (منها فی

#### اشاره

المنافقین خ ل)

زرعوا الفجور، و سقوه الغرور، و حصدوا الثّبور، لا یقاس بآل محمّد «صلّی اللّه علیه و آله» أحد من هذه الامّه، و لا یسوّی بهم من جرت نعمتهم علیه أبدا، هم أساس الدّین، و عماد الیقین، إلیهم یفیء الغالی، و بهم یلحق التّالی، و لهم خصایص حقّ الولایه، و فیهم الوصیّه و الوراثه، الان إذ رجع الحقّ إلی أهله، و نقل إلی منتقله.

#### اللغه

(حصدت) الزّرع و غیره حصدا من بابی ضرب و قتل فهو محصود و حصید و (الثبور) الهلاک و الخسران و (أساس) الشّیء أصله و (الغلوّ) التّجاوز عن الحدّ قال تعالی: لا تغلوا فی دینکم، إی لا تجاوزوا الحدّ و (تلوت) الرّجل أتلوه تلوا تبعته و المراد بالتّالی هنا المرتاد الذی یرید الخیر لیوجر علیه.

#### الاعراب

قال الجوهری: الآن اسم للوقت الذی أنت فیه و هو ظرف غیر متمکن وقع معرفه و لم یدخله الالف و اللاّم للتّعریف لأنّه لیس له ما یشرکه انتهی، و هو فی محلّ الرّفع علی الابتداء، و کلمه إذ مرفوع المحلّ علی الخبریّه و مضافه إلی الجمله بعدها أی الآن وقت رجوع الحقّ إلی أهله فاذ فی المقام نظیر إذا فی قولک:

أخطب ما یکون الأمیر إذا کان قائما، علی ما ذهب إلیه فی الکشّاف من کون إذا

فيه خبرا، و يمكن أن يكون الآن خبرا مقدّما و إذ مبتدأ مثل إذ فى قوله تعالى على قراءه بعضهم لمن «مَنَّ اللّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ ».

أى من منّ اللّه على المؤمنين وقت بعثه، ذكره الزّمخشرى أيضا هذا، و يحتمل أن يكون إذ بمعنى قد للتّحقيق و هو أقرب معنى و إليه ذهب بعضهم فى قوله تعالى:

«وَ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ ».

أو يكون للتّوكيد و الزّياده حكاه ابن هشام عن أبى عبيده و ابن قتيبه فى قوله تعالى:

«وَ إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَهِ ».

## المعنى

قيل: الاشاره بمفتتح كلامه عليه السّلام فى هذا الفصل إلى الخوارج و قيل: إلى المنافقين كما ورد مصرّحا به فى بعض النسخ.

و قال البحرانى: يحتمل أن يكون متناولا لكلّ من نابذه و خرج عن طاعته زاعما أنّه بذلك متعصّب الدّين و ناصر له و يدخل فى ذلك القاسطون و هم أصحاب معاويه و المارقون و هم الخوارج و من فى معناهم إذ زعم الكلّ أنّهم لقتاله طالبون للحقّ ناصرون له.

و قال الشّارح المعتزلى: و إشارته هذا ليست إلى المنافقين كما ذكره الرضىّ (ره) و إنّما هى إشاره إلى من تغلّب عليه و جحد حقّه كمعاويه و غيره، و لعلّ الرّضىّ (ره) عرف ذلك و كنّى عنه.

و كيف كانفقد استعار فجور هؤلاء و عدولهم عن الحقّ للحبّ الذى يبرز و قرنه بما يلايم المشبّه به ترشيحا للاستعاره، فقال عليه السّلام:(زرعوا الفجور)فانّ الزّرع لما كان عباره عن إلقاء الحبّ فى الأرض حسن استعارته لبذر الفجور فى أراضى قلوبهم، و لأنّ انتشاره عنهم و نموّه فيهم يشبه نموّ الزرع و انتشاره فى الأرض، هكذا قيل والأظهر أنّهاستعاره مكنيّه تخيّليه حيث شبه الفجور بالحبّ المزروع و أثبت الزّرع تخيّلا.

ص:۳۲۴

ثمّ لما كان استمرارهم على الفجور و الغىّ إنّما نشأ من غرورهم و من تماديهم فى الغفله قرنه بقوله عليه السّلام:(و سقوه الغرور)أى سقوه بماء الغرور و تشبيهه بالماء من حيث إنّ الماء كما أنّه سبب حياه الزّرع و نموّه و مادّه زيادته، فكذلك الغرور منشأ فجورهم و مادّه زياده طغيانهم، و لأجل ذلك حسن استعاره لفظ السّقى الذى هو من خصائص الماء له و نسبته إليهم.

ثمّ لما كانت غايه ذلك الفجور هو الهلاك و العطب فى الدّنيا بسيف الأولياء و فى الآخره بالنّار الحاميه حسن اتباعه بقوله:(و حصدوا الثّبور) و جعله(١) الثبور الذى هو الهلاك نتيجه لزراعه الفجور و ثمره لها أى كانت نتيجه ذلك الزرع و السّقى حصادا هو الهلاك.

ثمّ لما ذكر عليه السّلام مثالب الأعداء أشار إلى مناقب الأولياء و قال:(لا يقاس بآل محمّد) صلّى اللّه عليه و آله (من هذه الامه أحد) و لا يوازنهم غيرهم، و لا يقاسون بمن عداهم، كما صرّح عليه السّلام به ايضا فيما رواه فى البحار من كتاب المحتضر للحسن بن سليمان من كتاب الخصائص لابن البطريق رفعه إلى الحرث، قال: قال علىّ عليه السّلام: نحن أهل بيت لا نقاس بالناس، فقام رجل فأتى عبد اللّه بن العبّاس فأخبره بذلك، فقال: صدق علىّ عليه السّلام، أو ليس كان النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله لا يقاس بالنّاس ثمّ قال ابن عباس: نزلت هذه الآيه فى علىّ عليه السّلام:

«إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ ».

و من كتاب المحتضر أيضا من كتاب الخطب لعبد العزيز بن يحيى الجلودى قال: خطب أمير المؤمنين عليه السّلام: فقال: سلونى قبل أن تفقدونى فأنا عيبه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فاذا «فأنا خ ل» فقأت(٢) عين الفتنه بباطنها و ظاهرها، سلوا من عنده علم المنايا و البلايا و الوصايا و فصل الخطاب، سلونى فأنا ينسوب المؤمنين حقّا، و ما من فئه



---

١- (١) عطف على الاتباع، منه

٢- (٢) فقأ العين كمنع قلعها، ق

تهوى مأئه أو تضلّ مأئه إلّا و قد أتيت بقائدها و سايقها، و الذى نفسى بيده لو طوى لى الوساده فأجلس عليها لقضيت بين أهل التّوراه بتوراتهم و لأهل الانجيل بإنجيلهم و لأهل الزّبور بزبورهم و لأهل الفرقان بفرقانهم، قال: فقام ابن الكوا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام و هو يخطب النّاس، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرنى عن نفسك، فقال:

ويلك أ تريد أن ازكى نفسى و قد نهى اللّه عن ذلك مع أنّى كنت إذا سألت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أعطانى و إذا سكتّ ابتدأني و بين الجوانح منّى علم جمّ و نحن أهل بيت لا نقاس بأحد.

و بالجمله فهم عليهم السّلام لا يقاسون بأحد و لا يقاس أحد بهم و لا يستحقّ أحد بلوغ مراتبهم و نيل مقاماتهم (و لا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبدا) هذا العطف بمنزله التّعليل لابطال قياس المساواه بينهم و بين غيرهم، و فى هذه الجمله على و جازتها إشاره إلى مطالب نفيسه كلّ واحد منها خير من الدّنيا و ما فيها.

الاول أنّهم أولياء النّعم شاهدها و غائبها و ظاهرها و باطنها.

الثانى أنّ نعمتهم جاريه على العباد أبد الدّهر لا يختصّ بآن دون آن، و فيوضاتهم متواتره لا تنحصر بوقت دون وقت.

الثالث ما هو كالنّتيجه لسابقيه، و هو أنّ التّسويه بينهم و بين غيرهم حينئذ باطله ضروره أنّ المنعم أفضل من المنعم عليه.

اما الاول فلأنّهم اصول نعم اللّه سبحانه و خزاين كرمه و لوجودهم خلقت الدّنيا و ما فيها و بوجودهم ثبتت الأرض و السّماء كما قال الصّادق عليه السّلام فيما رواه فى الكافى عن مروان بن مياح عنه عليه السّلام، قال: إنّ اللّه خلقنا فأحسن خلقنا و صوّرنا فأحسن صورنا و جعلنا عينه فى عباده، و لسانه النّاطق فى خلقه، و يده المبسوطه على عباده بالرأفه و الرّحمه، و وجهه الذى يؤتى منه، و بابه الذى يدلّ عليه، و خزّانه فى سمائه و أرضه، بنا أثمرت الأشجار و أينعت الثّمار و جرت الأنهار، و بنا ينزل غيث السّماء و نبت عشب الأرض، و بعبادتنا عبد اللّه و لو لا نحن ما عبد اللّه.

فقد ظهر منه أنّهم عليهم السّلام و سايط الفيوضات النّازله و النّعم الواصله، و أنّهم يد اللّه المبسوطه، كما ظهر أنّ ايجادات الخلق و ما تضمّنت من العبادات و الشّرعيات و تكاليف المكلّفين و ما تضمّنت من الوجودات كلّها آثارهم و من شئونات ولايتهم.

لهم خلق اللّه العوالم كلّها و حكمهم فيها بها من خليقه

فهم علّه الايجاد و اللّه موجد بهم قال للاشياء كونى فكانت

و إلى هذه النّعمه اشيرت فى آيات كثيره.

منها قوله تعالى: «وَ أَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وَ باطِنَةً ».

قال الباقر عليه السّلام: النّعمه الظاهره النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله و ما جاء به من معرفته و توحيده. و أمّا النعمه الباطنه فولايتنا أهل البيت و عقد مودّتنا.

و منها قوله تعالى: «ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ».

روى فى البحار عن أبى خالد الكابلى قال: دخلت على محمّد بن علىّ عليهما السّلام فقدم لى طعاما لم آكل أطيب منه، فقال لى يا أبا خالد كيف رأيت طعامنا؟ فقلت جعلت فداك ما أطيبه غير أنّى ذكرت آيه فى كتاب اللّه فنغّصته(۱) ، قال عليه السّلام و ما هى؟ قلت: ثمّ لتسئلنّ يومئذ عن النّعيم، فقال عليه السّلام و اللّه لا تسأل عن هذا الطعام أبدا، ثمّ ضحك حتّى افترّ(۲) ضاحكا و بدت أضراسه، و قال أ تدرى ما النّعيم؟ قلت: لا، قال: نحن النّعيم الذى تسألون عنه.

و منها قوله تعالى: «أَ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللّهِ كُفْراً » روى فى تفسير العيّاشى عن الأصبغ بن نباته فى هذه الآيه، قال: قال أمير المؤمنين صلوات اللّه عليه: نحن نعمه اللّه التى أنعم على العباد.



---

۱- (۱) على بناء المفعول اى تكدر التذاذى به يقال نغصت معيشته أى تكدرت، منه

۲- (۲) افتر بالتشديد ضحك ضحكا حسنا، لغه

و منها قوله تعالى: «فَاذْكُرُوا آلاءَ اللّهِ ».

روى فى الكافى عن أبى يوسف البزاز، قال: تلا أبو عبد اللّه عليه السّلام هذه الآيه، قال عليه السّلام أ تدرى ما آلاء اللّه؟ قلت: لا قال: هى أعظم نعم اللّه على خلقه و هى ولايتنا.

و منها قوله تعالى: «فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُما تُكَذِّبانِ ».

قال أبو عبد اللّه عليه السّلام فى مروىّ داود الرّقى: أى بأىّ نعمتى تكذّبان، بمحمّد صلّى اللّه عليه و آله أم بعلىّ عليه السّلام فبهما أنعمت على العباد إلى غير ذلك من الآيات التى يطول ذكرها.

و بالجمله فوجود الأئمه سلام اللّه عليهم نعمه و ولايتهم نعمه.

و ما نعمه الاّ و هم أولياؤها فهم نعمه منها أتت كلّ نعمه

و اما الثانى و هو عدم اختصاص فيوضاتهم بوقت دون وقت و جريان نعمتهم أبد الدّهر فقد ظهر وجهه اجمالا من روايه الكافى السابقه عن مروان بن مياح عن الصّادق عليه السّلام.

و تفصيله أنّ النّعم على كثرتها إمّا دنيويّه أو اخرويّه.

أمّا الدّنيويه فقد ظهر من الرّوايه السّابقه أنّهم سبب إبداع الموجودات و ايجاد المبدعات، و أنّهم عين اللّه الناظره و يده الباسطه و خزّان اللّه فى الأرض و السّماء و بابه الذى منه يؤتى، كما ظهر فى الفصل الخامس عشر من فصول الخطبه الاولى عند شرح قوله عليه السّلام أو حجّه لازمه، أنّ نظام العباد و انتظام البلاد إلى يوم التّناد إنّما هو بوجود الامام، و أنّ الأرض لو تبقى بغير حجّه لساخت و انخسفت و يدلّ على ذلك مضافا إلى ما سبق، ما رواه فى البحار من كتاب إكمال الدين و أمالى الصّدوق بالاسناد عن الأعمش عن الصّادق عن أبيه عن علىّ بن الحسين عليهم السّلام، قال: نحن أئمه المسلمين و حجج اللّه على العالمين و ساده المؤمنين و قاده الغرّ المحجلين و موالى المؤمنين، و نحن أمان أهل الأرض كما أنّ النّجوم أمان أهل السّماء، و نحن الذين بنا يمسك اللّه السّماء أن تقع على الارض إلاّ باذنه و بنا يمسك الأرض أن تميد بأهلها و بنا ينزل الغيث و بنا ينشر الرّحمه

و يخرج بركات الأرض، ثمّ قال عليه السّلام: و لم تخل الأرض منذ خلق اللّه آدم من حجه للّه فيها ظاهر مشهور أو غايب مستور و لا تخلو إلى أن تقوم السّاعه من حجّه اللّه، فيها و لو لا ذلك لم يعبد اللّه، قال سليمان: فقلت للصّادق عليه السّلام: فكيف ينتفع النّاس بالحجّه الغائب المستور؟ قال عليه السّلام: كما ينتفعون بالشّمس إذا سترها السّحاب، و مثله فى الاحتجاج إلى قوله لم يعبد اللّه.

و أمّا النّعم الاخرويّه فانّما هى كلها متفرّعه على معرفه اللّه سبحانه و عبادته، و هم اصول تلك المعرفه إذ بهم عرف اللّه و بهم عبد اللّه و لولاهم ما عبد اللّه، كما دلت عليه روايه الكافى السّالفه و غيرها من الأخبار المتواتره، مضافا إلى ما مرّ فى ثالث تذنيبات الفصل الرّابع من فصول الخطبه الاولى أنّ ولايتهم عليهم السّلام شرط صحّه الأعمال و قبولها، و بها يترتّب عليها ثمراتها الاخرويه، و بدونها لا ينتفع بشىء منها.

هم العروه الوثقى التى كلّ من بها تمسّك لم يسأل غدا عن خطيئه

فبولايتهم ينال السّعاده العظمى و تدرك الشّفاعه الكبرى و يكتسب الجنان و يحصل الرّضوان الذى هو أعظم الثّمرات و أشرف اللّذات، كما قال سبحانه:

«وَعَدَ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِناتِ جَنّاتٍ تَجْرِی مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِینَ فِیها وَ مَساکِنَ طَیِّبَهً فِی جَنّاتِ عَدْنٍ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللّهِ أَکْبَرُ ذلِکَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِیمُ ».

و اما الثالث و هو أفضليّه المنعم من المنعم عليه فضرورىّ مستغن عن البيان خصوصا إذا كان الانعام بمثل هذه النعم الجليله التى أشرنا إليها، و أعظمها الهدايه إلى اللّه و الدّلاله على اللّه و الارشاد إلى رضوان اللّه.

و يرشد إلى ما ذكرناه ما رواه فى الاحتجاج عن أبى محمّد الحسن العسكرى عليه السّلام، قال: إنّ رجلا جاء إلى علىّ بن الحسين عليهما السّلام برجل يزعم أنّه قاتل أبيه،

فاعترف فأوجب علیه القصاص و سأله أن یعفو عنه لیعظم اللّه ثوابه فكان نفسه لم تطب بذلک، فقال علیّ بن الحسین علیهما السّلام لمدّعی الدّم الذی هو الولی المستحق للقصاص إن كنت تذكر لهذا الرّجل علیک فضلا فهب له هذه الجنایه و اغفر له هذا الذّنب، قال له یابن رسول اللّه. له علیّ حقّ و لكن لم یبلغ به إلی أن أعفو له عن قتل والدی، قال علیه السّلام فترید ما ذا؟ قال: أرید القود فان أراد بحقّه علی أن اصالحه علی الدّیه لصالحته و عفوت عنه، قال علیّ بن الحسین علیهما السّلام: فما ذا حقّه علیک؟ قال یا بن رسول اللّه: لقّانی توحید اللّه و نبوّه رسول اللّه و إمامه علیّ و الأئمه علیهم السّلام، فقال علیّ بن الحسین علیهما السّلام: فهذا لا یفی بدم أبیک بلی و اللّه هذا یفی بدماء أهل الأرض كلّهم من الأولین و الآخرین سوی الأنبیاء و الأئمه علیهم السّلام إن قتلوا فانّه لا یفی بدمائهم شیء الخبر.

(هم أساس الدّین) و بهم قوامه و دوامه كما أنّ قوام البناء علی الأساس، و قد ظهر وجهه فی شرح قوله علیه السّلام بهم أقام انحناء ظهره اه فتذكر (و عماد الیقین) و دعامته و علیهم اعتماده و بهم ثباته، إذ بهم یرتفع الشّبهاب و یدفع الشكوكات، و یحتمل أن یكون المراد بالیقین خصوص المعارف الحقّه و العقائد الیقیتیّه، و لعلّه الأنسب بقوله: اساس الدین (الیهم یفیء) أی یرجع (الغالی و بهم یلحق التّالی) قال البحرانی أشار بقوله: إلیهم یفیء الغالی إلی أنّ المتجاوز للفضائل الانسانیه التی مدارها علی الحكمه و العفه و الشّجاعه و العداله، إلی طرف الافراط منها یرجع الیهم و یهتدی بهم فی تحصیل هذه الفضایل، لكونهم علیها، و یقوله علیه السّلام: و بهم یلحق التّالی إلی أنّ المقصر عن یلوغ هذه الفضایل المرتكب لطرف التّفریط فی تحصیلها یلحق بهم عند طلبه لها و معاونه اللّه له بالهدایه إلی ذلک انتهی.

أقول: و ما ذكره (ره) ممّا لا غبار علیه إلّا انّ الاظهر بملاحظه السّیاق و سبق قوله: هم أساس الدین: أنّ المراد بالغالی هو المفرط فی الدّین، و بالتّالی المقصر فیه بخصوصه، و ان كان وظیفتهم علیهم السّلام العدل فی كلّ الامور و هم الأئمه الوسط

و النمط (۱) الأوسط، كما فی الحديث: نحن النّمط الأوسط و لا يدركنا الغالی و لا يسبقنا التّالی، و فی حديث آخر نحن النّمرقه(۲) الوسطی، بنا يلحق التّالی و إلينا يرجع الغالی.

قال بعض شارحی الحديث: استعار عليه السّلام لفظ النّمرقه بصفه الوسطی لهم عليهم السّلام باعتبار كونهم أئمه العدل يستند الخلق إليهم فی تدبير معاشهم و معادهم، و من حقّ الامام العادل أن يلحق به التّالی المفرط و المقصر فی الدّين، و يرجع إليه الغالی المتجاوز فی طلبه حدّ العدل كما يستند الی النّمرقه المتوسطه من علی جانبيها.

و فی البحار من أمالی الشيخ باسناده عن فضل بن يسار، قال: قال الصّادق عليه السّلام: احذروا علی شبابكم الغلاه لا يفسدوهم، فانّ الغلاه شرّ خلق اللّه يصغرون عظمه اللّه و يدّعون الرّبوبيّه لعباد اللّه، و اللّه إنّ الغلاه لشرّ من اليهود و النّصاری و المجوس و الذين أشركوا، ثم قال عليه السّلام: إلينا يرجع الغالی فلا نقبله و بنا يلحق المقصر فنقبله، فقيل له كيف ذلك يابن رسول اللّه؟ قال عليه السّلام: لأنّ الغالی قد اعتاد ترك الصّلاه و الصّيام و الزكاه و الحجّ فلا يقدر علی ترك عادته و علی الرّجوع إلی طاعه اللّه عزّ و جلّ، و أنّ المقصر إذا عرف عمل و أطاع (و لهم خصايص حقّ الولايه) العظمی و الخلافه الكبری و هی الرّياسه الكلّيه و السّلطنه الالهيه.



---

۱- (۱) النمط فی حديث اهل البيت نحن النمط الاوسط و لا يدركنا الغالی و لا يسبقنا التالی النمط بالتحريك الجماعه من الناس امرهم واحد و مثله حديث علی (عليه السلام) خير هذه الامه النمط الاوسط قال فی يه كره الغلو و التقصير فی الدين و النمط الطريقه من الطرايق و الضرب من الضروب يقال هذا ليس من ذلك النمط ای ليس من ذلك الضرب مجمع البحرين

۲- (۲) قوله تعالی و نمارق مصفوفه واحدتها النمرقه بكسر النون و فتحها و هی الوساده و فی الدعاء اللهم لا تجعلنا من الذين تقدموا فمرقوا و لا من الذين تاخروا فمحقوا و اجعلنا من النمرقه الاوسط. و فی حديث الشيعه كونوا النمرقه الوسطی يرجع اليكم الغالی و يلحق بكم التالی فالغالی من يقول فی اهل البيت (عليهم السلام) ما لا يقولون به فی انفسهم و التالی المرتاد يريد الخير ليبلغه ليوجر عليه.

و فى هذه الجمله تنبيه على أنّ للولايه خصايص بها يتأهل لها، و شروطا بها يحصل استحقاقها و أنّ تلك الخصائص و الشرائط موجوده فيهم و مختصّه بهم لا يوجد فى غيرهم، و ذلك بملاحظه كون اللّام حقيقه فى الاختصاص الحقيقى مضافا إلى دلاله تقديم الخبر الذى حقّه التّأخير على المبتدأ على انحصار هذه الخصائص فيهم.

و بالجمله فهذه الجمله داله بمنطوقها على أنّ هؤلاء هم المستحقون للولايه و الرّياسه العامه من أجل وجود خواصّها فيهم، و بمفهومها على عدم استحقاق من سواهم لها لخلوّهم عن هذه الخواصّ.

و أمّا ما ذكره الشّارح المعتزلى فى تفسير كلامه عليه السّلام: من أنّ لهم خصايص حقّ ولايه الرّسول على الخلق فتأويل بعيد مخالف لظاهر كلامه عليه السّلام كما لا يخفى، و من العجب أنّه فسّر الولايه قبل كلامه ذلك بالاماره، فيكون حاصل معنى الكلام على ما ذكره أنّ لهم خصايص حقّ اماره الرّسول على الخلق.

و أنت خبير بما فيه أمّا أولا فلانّه إن أراد باماره الرّسول على الخلق الرّياسه العامه و السلطنه الكليه التى هى معنى الأولى بالتّصرف، فتفسير الولايه بها حينئذ صحيح إلاّ أنّه لا داعى إلى ذلك التفسير إذ دلاله لفظ الولايه على ذلك المعنى أظهر من دلاله الاماره عليه، و إن أراد بها الاماره على الخلق فى الامور السّياسيه و مصالح الحروب فقط فهو كما ترى خلاف ظاهر كلامه عليه السّلام خصوصا بملاحظه سابقه و لاحقه الوارد فى مقام التمدح و إظهار الفضايل و المناصب الالهيه، و من المعلوم أنّ منصب اماره الحرب و نحوه ليس ممّا يعبأ به و يتمدح عند منصب النّبوه و الرّساله و أمّا ثانيا فلانّا لم نر إلى الآن توصيف النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى كلام أحد من الامه و لا إطلاق الأمير عليه صلّى اللّه عليه و آله فى آيه و لا سنه، فأىّ داع إلى تمحل هذا التّأويل المشتمل على السّماجه؟ و الأولى الاعراض عن ذلك و التّصدّى لبيان خصايص الولايه.

و قد اشير اليها فى أخبار كثيره أكثرها جمعا لها ما رواه فى الكافى عن

أبی محمّـد القاسم بن علا رفعه عن عبـد العزیز بن مسـلم، و فی العیون و البحار من کتاب إکمال الدین و معانی الأخبار و أمالی الصّـدوق جمیعا عن الطالقانی عن القاسم بن محمّـد بن علیّ الهارونی عن عمران بن موسـی عن القاسم بن مسـلم عن أخیه عبد العزیز ابن مسـلم، قال: کنا مع الرّضا علیه السّـلام «فی أیام علیّ بن موسـی الرضا علیه السّـلام خ ل» بمرو فاجتمعنا فی الجامع یوم الجمعه فی «بـدو خ» بـدء مقـدمنا فأداروا «فأدار الناس خ» امر الامامه و ذکروا کثره اختلاف الناس فیها، فـدخلت علی سیدی و مولاـی علیه السّـلام فـاعلمته خوض «ما خاض خ» النّاس فیه، فتبسم علیه السّـلام ثمّ قال یا عبـد العزیز جهلوا القوم و خـدعوا عن آرائهم «أدیانهم خ»(۱) ان اللّه لم یقبض نبیه صلّی اللّه علیه و آله حتّی أکمل له الدّین و أنزل علیه القرآن فیه تبیان «تفصیل خ» کلّ شیء بیّن فیه الحلال و الحرام و الحدود و الأحکام، و جمیع ما یحتاج إلیه النّاس کملا، فقال عزّ و جلّ:

«ما فَرَّطْنا فِی الْکِتابِ مِنْ شَیْ ءٍ » و أنزل فی حجه الوداع و هی آخر عمره صلّی اللّه علیه و آله: «اَلْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَ أَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَ رَضِیتُ لَکُمُ الْإِسْلامَ دِیناً ».

و أمر الامامه من تمام الدین و لم یمض حتّی بیّن لامته معالم دینهم «دینه خ» و أوضح لهم سبیلهم «سبله خ» و ترکهم علی قصد سبیل الحقّ و أقام لهم علیّا علیه السّلام علما و إماما و ما ترک شیئا یحتاج إلیه الامّه إلاّ بینه. فمن زعم أن اللّه عزّ و جلّ لم یکمل



---

۱- (۱) «بیان» قوله و خـدعوا عن ادیانهم ای خـدعهم الشیطان صارفا لهم عن ادیانهم و فی الکافی عن آرائهم فعن تعلیلیه قوله تعالی مـا فرطنـا الاستشـهاد بالآیه علی وجهین الاول ان الامامه اعظم الاشـیاء فیجب ان یکون مبینا فیه الثانی انه تعالی اخبر ببیان کـل شـیء فی القرآن و لاـ خلاـف ان غیر الامـام لاـ یعرف کـل شـیء من القرآن فلاـ بـد من وجـود الامـام المنصـوص و علی التقـدیرین مبنی الاسـتدلال علی کون المراد بالکتـاب القرآن کمـا هو الظاهر و قیل اللوح المحفوظ. قوله من تمام الـدین ای لا شک انه من امور الـدین بل اعظمها کیف لا و قد قدموه علی تجهیز الرسول (صلّی اللّه علیه و آله) الذی کان من اوجب الامور فلابـد ان یکون داخلاـ فیما بلغه (صلّی اللّه علیه و آله) و القصـد الطریق الوسط و الاضـافه بیانیه الا بینه بعلی (علیه السـلام) او للناس بالنص علیه قوله هل یعرفون الغرض ان نصب الامام موقوف علی العلم بصـفاته و شـرایط الامامه و هم جاهلون بها فکیف یتیسر لهم نصبه و تعیینه قوله و امنع جانبا ای جانبه اشد منعا من ان یصل الیه ید احد و الاشاده رفع الصوت بالشیء یقال اشاده و اشـاد به اذا اشـاعه و رفع ذکره و صارت فی الصـفوه مثلثه ای اهل الطهاره و العصـمه و اهل الاصـطفاء و الاختیار و النافله العطیه الزائـده او ولـد الولـد یهـدون بامرنـا ای لاـ بتعیین الخلق قرنـا فقرنـا منصوبـان علی الظرفیه قوله تعالی ان اولی الناس بابراهیم ای اخصـهم و اقربهـم من الـولی بمعنی القرب او احقهم بمقـامه الاسـتدلال بالآـیه مبنی علی ان المراد بـالمؤمنین فیهـا الاـئمه علیهم السّـلام او علی ان تلک الامامه انتهت الی النبی (صـلّی اللّه علیه و آله) و هو لم یسـتخلف غیر علی (علیه السلام) بالاتفاق قوله و قال الـذین اوتوا العلم، اقول قبل هـذه الآیه و یوم تقوم الساعه یقسم المجرمون ما لبثوا غیر ساعه کـذلک کانوا یؤفکون، فالظاهر ان هـذا جواب قول المجرمین و القائل هم الـذین اوتوا العلم و الایمان و مصداقهم الاکمل النبی (صـلّی اللّه علیه و آله) و الائمه «علیهم السـلام» إذ هم المقصودون لا غیرهم، و ربما یوهم ظاهر الخبر ان المخاطب هم الائمه «علیهم السـلام» و المراد لبثهم فی علم الکتاب لکن لا یساعـده سابقه لاحقه نعم قال علی بن ابراهیم هـذه الایه مقدمه و مؤخره و انما هو و قال الذین اوتوا العلم و الایمان فی کتاب اللّه لقد لبثتم الی یوم البعث و هو لا ینافی ما ذکرنا قوله اذ لا نبی اما تعلیل لکون الخلافه فیهم و التقریب انه لا

نبی بعد محمد «صلّی اللّه علیه و آله» حتی یجعل الامامه فی غیرهم بعد جعل النبی فیهم او لکونهم أئمه الانبیاء او لامتداد ذلک الی یوم القیامه و التقریب ظاهر هو قریب من الاول منزله الانبیاء ای منزله لهم و لمن هو مثلهم او کانت لهم فیجب ان ینتقل الی من هو مثلهم و الزمام الخیط الذی یشد فی طرفه المقود و قد یطلق علی المقود و الاس اصل البناء و السامی العالی و الثغور حدود بلاد الاسلام المتصله ببلاد الکفر و الذب المنع و الدفع و الفعل کنصر قوله لا تناله الایدی ای ایدی الاوهام و العقول و الساطع المرتفع و الغیهب الظلمه و شده السواد و الدجی بضم الدال الظلمه و الاضافه للمبالغه و استعیر لظلمات الفتن و الشکوک و الشبه و فی الکافی و اجواز البلدان و القفار جوز کل شیء وسطه و القفار جمع القفر و هو مفازه لا نبات فیها و لا ماء و فی الاحتجاج و البید القفار جمع البیداء و هو اظهر و اللجه بالضم معظم الماء و الظماء بالتحریک شده العطش و الردی الهلاک و البقاع ما ارتفع من الارض و الاصطلاء افتعال من الصلی بالنار و هو التسخن بها و الهطل بالسکون و التحریک تتابع المطر و سیلانه الغزیره الکثیره قوله و الاخ الشقیق انما وصف الاخ بالشقیق لانه شق نسبه من نسبه و الداهیه الناد یقال ندا ای شرد و نفر و الاظهر انه مهموز کسحاب او کحبالی فی القاموس ناد الداهیه فلا نادهیه و الناد کسحاب و النادی کحبالی الداهیه – حرم بضم الحاء و فتح الراء جمع الحرمه و هی ما لا تحل انتهاکه و تضییعه ای تدفع الضر و الفساد عن حرمات اللّه و هی ما عظمها و امر بتعظیمها من بیته و کتابه و خلفائه و فرایضه و اوامره و نواهیه قوله تاهت الحلوم الحلوم العقول کالالباب و ضلت و تاهت و حارت متقاربه المعانی و حسر بصره کضرب ای کل و انقطع نظره من طول مدی و ما اشبه ذلک و فی الکافی خسئت کمنعت بمعناه و یقال تصاغرت الی نفسه ای صغرت و التقاصر مبالغه فی القصر او اظهاره کالتطاول و حصر کعلم عیی فی المنطق و یقال ما یغنی عنک هذا ای ما ینفعک و یجدیک و الغنا بالفتح النفع لا تصریح بالانکار المفهوم من الاستفهام حذفت الجمله لدلاله ما قبلها علی المراد ای لا یوصف الی آخر الجمل کیف تکرار للاستفهام الانکاری تاکیدا و انی مبالغه اخری بالاستفهام الانکاری عن امکان الوصف و ما بعده و هو بحیث النجم الواو للحال و الباء بمعنی فی و الخبر مخذوف ای مرئی لان حیث لا یضاف الا الی الجمل من ایدی المتناولین متعلق بحیث – قوله کذبتهم ای قال لهم کذبا او بالتشدید ای اذا رجعوا الی انفسهم شهدت انفسهم بکذب مقالتهم قوله و منتهم الباطل و فی الکافی و غیره الاباطیل ای القت فی انفسهم الامانی و یقال منه السیر ای اضعفه و اعیاه و یقال مکان دحض و دحض بالتحریک ای زلق و فی القاموس رجل حائر بلئرای لم یتجه لشیء و لا یاتمر رشدا و لا یطیع مرشدا قوله (علیه السلام) ام طبع اللّه علی قلوبهم هذا من کلامه «علیه السلام» اقتبسه من القرآن و لیس فی القرآن بهذه – اللفظه و کذا قوله قالوا سمعنا و فی القرآن هکذا و لا تکونوا کالذین قالوا و کذا قوله و قالوا سمعنا و عصینا و ان کان موافقا للفظ الآیه کما لا یخفی و کذا قوله بل هو فضل اللّه لعدم الموافقه و وجه الاستدلال بالآیات ظاهر و تفسیرها موکول الی مظانه و اما قوله تعالی و لو اسمعهم لتولوا فلم یرد به العموم بان یکون المراد لو اسمعهم علی ای وجه کان لتولوا حتی ینتج لو علم اللّه فیهم خیر التولوا بل المراد انه لو اسمعهم و هم علی تلک الحال التی لا یعلم اللّه فیهم خیرا لتولوا فهو کالتعلیل و التأکید للسابق و قد اجیب عنه بوجوه لا یسمن و لا یغنی من جوع و لا نطیل الکلام بایرادها قوله لا ینکل بالضم ای لا یجبن و النسک بالضم العباده و الجمع بضمتین قوله بدعوه الرسول «صلّی اللّه علیه و آله» ای بدعوه الخلق نیابه عن الرسول صلّی اللّه علیه و آله کما قال النبی صلّی اللّه علیه و آله لا یبلغه الا انا او رجل منی و کما قال تعالی ادعو الی اللّه علی بصیره انا و من اتبعنی او بدعاء الرسول ایاه للامامه او بدعاء الرسول له فی قوله اللهم وال من والاهم و من قوله صلّی اللّه علیه و آله اللهم اذهب عنهم الرجس و قوله صلّی اللّه علیه و آله اللهم ارزقهم فهمی و علمی و غیرها قوله لا مغمز فیه ای لا مطعن و یقال فلان مضطلع بهذا الامر ای قوی علیه قوله قائم بامر – اللّه ای لا باختیار الامه او باجراء امر اللّه قوله فی قوله تعالی متعلق بمقدر ای ذلک مذکور فی قوله تعالی و یحتمل ان یکون تعلیلیه قوله و قال عز و جل لنبیه صلّی اللّه علیه و آله فی الکافی بعد ذلک انزل علیک

الکتـاب و الحکمه و علمک ما لم تکن تعلم و کان فضل اللّه علیک عظیما و الغرض من ایراد هـذه الآیه ان اللّه تعالی امتن علی نبیه صلّی اللّه علیه و آله بـانزال الکتـاب و الحکمه و ایتاء نهایه العلم وعـد ذلک فضـلا عظیما و اثبت ذلک الفضل لجماعه من تلک الامه بانهم المحسودون علی ما آتیهم اللّه من فضـله ثم بین أنهم من آل ابراهیم فهم الائمه علیهم السّلام و الفضل العلم و الحکمه و الخلافه مع انه یظهر من الآیتین ان الفضل و الشرف بالعلم و الحکمه و لا ریب انهم علیهم السّلام اعلم من غیرهم - من المـدعین للخلافه و منه یظهر وجه الاستشـهاد بقوله تعالی و من یؤت الحکمه و التعس الهلاک و العثار و السقوط و الشر و البعد و الانحطاط. من المجلد السابع من بحار الانوار

دينه فقد ردّ كتاب اللّه، و من ردّ كتاب اللّه فهو كافر، هل يعرفون قدر الامامه و محلّها من الامه فيجوز فيها اختيارهم؟ إنّ الامامه أجلّ قدرا و أعظم شأنا و أعلى مكانا و أمنع جانبا و أبعد غورا من أن يبلغها النّاس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماما باختيارهم: إنّ الامامه خصّ اللّه بها إبراهيم الخليل عليه السّلام بعد النّبوه و الخلّه مرتبه ثالثه و فضيله شرّفه بها، و أشاد بها جلّ ذكره فقال:

«إِنِّی جاعِلُکَ لِلنّاسِ إِماماً » فقال الخليل عليه السّلام سرورا بها «وَ مِنْ ذُرِّیَّتِی » قال اللّه تبارک و تعالى: «لا یَنالُ عَهْدِی الظّالِمِینَ ».

فابطلت هذه الآيه إمامه كلّ ظالم إلى يوم القيامه و صارت فى الصّفوه ثمّ اكرمه اللّه تعالى بأن جعلها فى ذرّيته أهل الصّفوه و الطهاره فقال:

«وَ وَهَبْنا لَهُ إِسْحاقَ وَ یَعْقُوبَ نافِلَهً وَ کُلًّا جَعَلْنا صالِحِینَ وَ جَعَلْناهُمْ أَئِمَّهً یَهْدُونَ بِأَمْرِنا وَ أَوْحَیْنا إِلَیْهِمْ فِعْلَ الْخَیْراتِ وَ إِقامَ الصَّلاهِ وَ إِیتاءَ الزَّکاهِ وَ کانُوا لَنا عابِدِینَ » فلم تزل فى ذرّيته يرثها بعض عن بعض قرنا عن قرن «فقرنا خ» حتّى ورثها اللّه عزّ و جلّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله، فقال جلّ و تعالى:

«إِنَّ أَوْلَی النّاسِ بِإِبْراهِیمَ لَلَّذِینَ اتَّبَعُوهُ وَ هذَا النَّبِیُّ وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ اللّهُ وَلِیُّ الْمُؤْمِنِینَ »

فكانت له خاصّه، فقلّدها عليّا عليه السّلام بأمر اللّه عزّ و جلّ على رسم ما فرض «فرضها خ» اللّه فصارت فى ذرّيته الأصفياء الذين آتاهم اللّه العلم و الايمان بقوله جلّ و علا:

«وَ قالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتابِ اللّهِ إِلى يَوْمِ الْبَعْثِ » فهى فى ولد علىّ عليه السّلام خاصه إلى يوم القيامه إذ لا نبىّ بعد محمّد صلّى اللّه عليه و آله فمن أين يختار هؤلاء الجهال؟ إنّ الامامه هى منزله الأنبياء وارث الأوصياء.

إنّ الامامه خلافه اللّه و خلافه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و مقام أمير المؤمنين و ميراث الحسن و الحسين عليهم السّلام، إنّ الامامه «الامام خ» زمام الدين و نظام المسلمين و صلاح الدنيا و عزّ المؤمنين.

إنّ الامامه اسّ الاسلام النّامى و فرعه السّامى.

بالامام تمام الصّلاه و الزكاه و الصّيام و الحجّ و الجهاد و توفير الفىء و الصدقات و إمضاء الحدود و الأحكام و منع الثّغور و الأطراف.

ص:٣٣٥

الامام يحلّل حلال اللّه و يحرّم حرام اللّه و يقيم حدود اللّه و يذبّ عن دين اللّه و يدعو الى سبيل ربّه بالحكمه و الموعظه الحسنه و الحجّه البالغه.

الامام كالشّمس الطاعه المجلله بنورها للعالم و هى فى الافق بحيث لا تنالها الأيدى و الأبصار.

الامام البدر المنير و السّراج الظاهر و النّور السّاطع و النجم الهادى فى غياهب الدّجى و أجواز البلدان و القفار «و البيد القفار خ» و لجج البحار.

الامام الماء العذب على الظماء و الدّال على الهدى و المنجى من الرّدى.

الامام النّار على البقاع الحارّ لمن اصطلى به و الدّليل فى المهالك من فارقه فهالك.

الامام السحاب الماطر و الغيث الهاطل و الشّمس المضيئه و السّماء الظليله و الأرض البسيطه و العين الغزيره و الغدير و الرّوضه.

الامام الأنيس الرّفيق و الوالد الشفيق «الأمين الرفيق و الوالد الرقيق خ» و الأخ الشقيق و الأم البره بالولد الصّغير و مفزع العباد فى الدّاهيه «و خ» الناد.

الامام أمين اللّه فی خلقه و حجّته علی عباده و خلیفته فی بلاده و الدّاعی إلی اللّه و الذّابّ عن حرم اللّه.

الامام المطهر من الذّنوب و المبرّی من العیوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظام الدّین و عزّ المسلمین و غیظ المنافقین و بوار الکافرین الامام واحد دهره و لا یدانیه أحد و لا یعادله عالم و لا یوجد منه بدل و لا له مثل و لا نظیر مخصوص بالفضل کله من غیر طلب منه و لا اکتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذا الذی یبلغ معرفه الامام او یمکنه اختیاره هیهات هیهات، ضلّت العقول و تاهت الحلوم، و حارت الألباب، و حسرت «خسئت خ» العیون، و تصاغرت العظماء و تحیرت الحکماء، و تقاصرت الحلماء، و حصرت الخطباء، و جهلت الألباء، و کلّت الشّعرآء، و عجزت الأدباء، و عییت البلغاء عن وصف شأن من شأنه، او فضیله من فضایله فأقرّت «و اقرت خ» بالعجز و التّقصیر، و کیف یوصف بکلّه أو ینعت بکنهه أو یفهم شیء من أمره أو یوجد من یقوم «یقوم أحد خ» مقامه و یغنی غناه، لا کیف و أنّی و هو بحیث النّجم من أیدی «یدخ»

المتناولين و وصف الواصفين فأين الاختيار من هذا و اين العقول عن هذا و اين يوجد مثل هذا ظنّوا «أ يظنّون خ» أنّ ذلك يوجد فى غير آل الرسول «محمّد خ» عليهم السّلام كذبتهم و اللّه أنفسهم و منتهم الأباطيل «الباطل خ» فارتقوا مرتقا صعبا دحضا تزلّ عنه إلى الحضيض أقدامهم، راموا إقامه الامام بعقول حائره بائره ناقصه، و آراء مضلّه، فلم يزدادوا منه إلاّ بعدا قاتلهم اللّه أنّى يؤفكون «و خ» لقد راموا صعبا و قالوا إفكا و ضلوا ضلالا بعيدا و وقعوا فى الحيره اذ تركوا الامام عن بصيره «وَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كانُوا مُسْتَبْصِرِينَ » رغبوا عن اختيار اللّه و اختيار رسوله إلى اختيارهم و القرآن يناديهم:

«وَ رَبُّکَ يَخْلُقُ ما يَشاءُ وَ يَخْتارُ ما كانَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ سُبْحانَ اللّهِ وَ تَعالى عَمّا يُشْرِكُونَ » و قال عزّ و جلّ: «وَ ما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لا مُؤْمِنَهٍ إِذا قَضَى اللّهُ وَ رَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَهُ مِنْ أَمْرِهِمْ » الآيه.

و قال عزّ و جلّ: «ما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَمْ لَكُمْ كِتابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَما تَخَيَّرُونَ أَمْ لَكُمْ أَيْمانٌ عَلَيْنا بالِغَهٌ إِلى يَوْمِ الْقِيامَهِ إِنَّ لَكُمْ لَما تَحْكُمُونَ سَلْهُمْ أَيُّهُمْ بِذلِکَ زَعِيمٌ أَمْ لَهُمْ شُرَكاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكائِهِمْ إِنْ كانُوا صادِقِينَ » و قال عزّ و جلّ: «أَ فَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفالُها »، أَمْ طَبَعَ اللّهُ «عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ »، أَمْ قالُوا

«سَـمِعْنا وَ هُمْ لا يَسْـمَعُونَ »، «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ وَ لَوْ عَلِمَ اللّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَ لَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَ هُمْ مُعْرِضُونَ »، وَ «قـالُوا سَـمِعْنا وَ عَصَـيْنا »، بَلْ هُو «فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ » فكيف لهم باختيار الامـام و الامـام عـالم لا يجهل و راع «داع خ» لا ينكل معـدن القـدس و الطهاره و النّسك و الزهاده و العلم و العباده، مخصوص بدعوه الرسول و نسل المطهره البتول، لا مغمز فيه فى «من خ» نسب و لا يدانيه ذو حسب فالبيت من قريش و الذروه من هاشم، و العتره من الرسول صـلّى اللّه عليه و آله، و الرضا من اللّه «عزّ و جلّ خ» شـرف الاشراف، و الفرع من عبد مناف، نامى العلم كامل الحلم مضطلع بالامامه، عالم بالسياسه، مفروض الطاعه، قائم بأمر اللّه ناصح لعباد اللّه، حافظ لدين اللّه، إنّ الأنبياء

و الأئمه «صلوات اللّه عليهم خ» يوفقهم اللّه و يؤتيهم من مخزون علمه و حكمه ما لا يؤتيه غيرهم فيكون «علمهم خ» فوق كلّ علم أهل زمانهم فى قوله تبارك و تعالى:

«أَ فَمَنْ يَهْدِى إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّى إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ».

و قوله عزّ و جلّ: «وَ مَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَهَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْراً كَثِيراً ».

و قوله عزّ و جلّ فى طالوت: «إِنَّ اللّهَ اصْطَفاهُ عَلَيْكُمْ وَ زادَهُ بَسْطَهً فِى الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ ».

و قال عزّ و جلّ لنبيّه صلّى اللّه عليه و آله: «أَنْزَلَ اللّهُ عَلَيْكَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ عَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَ كانَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ».

و قال عزّ و جلّ فى الأئمه من أهل بيته و عترته و ذريته «صلوات اللّه عليهم خ»:

«أَمْ يَحْسُدُونَ النّاسَ عَلى ما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَ الْحِكْمَهَ وَ آتَيْناهُمْ مُلْكاً عَظِيماً فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً » و انّ العبد إذا اختاره اللّه عزّ و جلّ لامور عباده شرح صدره لذلك و أودع قلبه ينابيع الحكمه

و ألهمه العلم إلهاما فلم يعى بعده بجواب، و لا تحيّر فيه عن الصّواب و هو «فهو خ» معصوم مؤيد موفق مسدّد «مسدّد من الخطاء خ» و قد أمن الخطايا و الزّلل و العثار يخصّه اللّه عزّ و جلّ بذلك ليكون حجته «حجه خ» على عباده و شاهده على خلقه:

«ذلِکَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ».

فهل يقدرون مثل هذا فيختاروه «نه خ» أو يكون مختارهم بهذه الصّفه فيقدموه «نه خ» بعدد «تعدد خ» «نعدواظ» و بيت اللّه الحقّ و نبذوا كتاب اللّه وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، و فى كتاب اللّه الهدى و الشّفاء فنبذوه و اتّبعوا أهواءهم فذمّهم اللّه و مقتهم و أتعسهم، فقال عزّ و جلّ:

«وَ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هُدىً مِنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لا يَهْدِى الْقَوْمَ الظّالِمِينَ ».

و قال عزّ و جلّ: «فَتَعْساً لَهُمْ وَ أَضَلَّ أَعْمالَهُمْ ».

و قال عزّ و جلّ: «كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّهِ وَ عِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذلِکَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبّارٍ ». و صلّى اللّه على محمّد و آله و سلّم تسليما كثيرا.

(و فيهم الوصيّه و الوراثه) قال الشّارح المعتزلى، أمّا الوصيّه فلا ريب عندنا أنّ عليّا عليه السّلام كان وصىّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و إن خالف فى ذلک من هو منسوب إلى العناد، و لسنا نعنى بالوصيّه النّصّ و الخلافه و لكن امورا اخرى لعلّها إذا لمحت اشرف و أجلّ و أمّا الوراثه فالاماميّه يحملونها على ميراث المال و الخلافه و نحن نحملها على وراثه العلم انتهى، أقول: و أنت خبير بما فيه أمّا اوّلا فلأنّه قد تقرّر فى مقامه أنّ حذف المتعلّق يفيد العموم، و على ذلک فحيث لم يذكر عليه السّلام للوصيّه متعلّقا و لم يقيّد

الوراثه بشىء مخصوص فلا بدّ أن يكون المراد منه كلّ ما كان صالحا للوصيّه و قابلا للتّوريث من المال و العلم و الامامه و الخلافه، فكلامه عليه السّلام بنفسه مع قطع النّظر عن الأدله الخارجه العقليّه و النقليّه العاميّه و الخاصيّه كما ستأتى فى مقدّمه الخطبه الآتيه دالّ على ثبوت الوصيّه لهم فى جميع ما ذكر و وراثتهم لها كذلك، فيكون استحقاقهم لها من جهتى الوصيه و الوراثه معا.

و أمّا ثانيا فلأنّا لا ندرى أىّ أمر أشرف و أجلّ من الرّياسه العامه و الخلافه الالهيه حتّى يحمل الوصيّه فى كلامه عليه السّلام عليه، بل كلّ ما يتصوّر حملها عليه فهو دون مرتبه الخلافه التّاليه لمرتبه النّبوه، و من كان له نظر بصيره و دقّه يعرف تدليس الشّارح و أنّه يزخرف كلامه و يورّى مرامه هذا، و من لطايف الأشعار المقوله فى صدر الاسلام المتضمّنه لوصايته عليه السّلام قول عبد الرّحمن بن خعيل «خثيل ظ»:

لعمرى لقد بايعتم ذا حفيظه على الدّين معروف العفاف موفقا

عليّا وصىّ المصطفى و ابن عمه و أوّل من صلّى أخا الدين و التّقى

و قال الفضل بن عبّاس:

و كان ولىّ الامر بعد محمّد علىّ و فيكلّ المواطن صاحبه

وصىّ رسول اللّه حقا و صهره و أوّل من صلّى و ما ذمّ جانبه

و قال عقبه بن أبى لهب مخاطبا لعايشه:

أعايش خلّى عن علىّ و عتبه بما ليس فيه انّما أنت والده

وصىّ رسول اللّه من دون اهله فأنت على ما كان من ذاك شاهده

و قال أبو الهيثم بن التّيهان:

قل للزبير و قل لطلحه إننا نحن الذين شعارنا الانصار

نحن الذين رأت قريش فعلنا يوم القليب اولئك الكفّار

كنا شعار نبيّنا و دثاره يفديه منّا الرّوح و الابصار

إنّ الوصىّ إمامنا و وليّنا برح الخفاء و باحت الاسرار

و قال عبد اللّه بن أبى سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:

و منّا علىّ ذاك صاحب خيبر و صاحب بدر يوم سالت كتائبه

وصىّ النّبىّ المصطفى و ابن عمّه فمن ذا يدانيه و من ذا يقاربه

و من أحسن ما قاله المتأخرون قول القاضى التّنوخى:

وزير النّبى المصطفى و وصيّه و مشبهه فى شيمه و ضراب

و من قال فى يوم الغدير محمّد و قد خاف من غدر العداه النواصب

اما انّنى أولى بكم من نفوسكم فقالوا بلى ريب المريب الموارب

فقال لهم من كنت مولاه منكم فهذا اخى مولاه بعدى و صاحبى

اطيعوه طرا فهو منّى بمنزل كهارون من موسى الكليم المخاطب

(الآن اذ رجع الحقّ الى اهله و نقل الى منتقله) اى موضع انتقاله و المراد بالحقّ هو حقّ الولايه الذى سبق ذكره، فاللّام للعهد و هذه الجمله كالنّص فى أنّ الخلافه كانت فيما قبل فى غير أهلها و أنّه عليه السّلام هو أهل لها دون من تقدّمه.

قال الشّارح المعتزلى بعد ما قال: إنّ هذا يقتضى أن يكون فيما قبل فى غير أهله و نحن نتأول ذلك على غير ما تذكره الاماميّه و نقول: إنّه عليه السّلام كان أولى بالأمر و أحقّ لا على وجه النّصّ بل على وجه الأفضليّه، فانّه أفضل البشر بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و أحقّ بالخلافه من جميع المسلمين، لكنّه ترك حقّه لما علمه من المصلحه و ما تفرّس فيه هو و المسلمون من اضطراب الاسلام و انتشار الكلمه لحسد العرب له و ضغنهم عليه، و جايز لمن كان أولى بشىء فتركه ثمّ استرجعه أن يقول:

قد رجع إلى أهله.

أقول: فيه أوّلا إنّ التّأويل خلاف الأصل لا يصار إليه إلّا بدليل.

و ثانيا إنّ إنكار كونه عليه السّلام أحقّ بالأمر من جهه النّص لا وجه له بل النّص على ذلك كتابا و سنّه فوق حد الاحصاء.

و ثالثا إنّه عليه السّلام إذا كان أفضل البشر بعد الرّسول و الأحقّ بالخلافه من الجميع فلا بدّ على ذلك أن يكون هو الخليفه دون غيره، إذ تفضيل المفضول على

الفاضل و تقديم المحتاج إلى التّكميل على الكامل قبيح عقلا و نقلا حسبما ستعرفه فى مقدّمات الخطبه الآتيه إنشاء اللّه، و من العجب أنّ الشّارح مع كونه عدلى المذهب نسب ذلك القبح إلى اللّه سبحانه فى خطبه الشرح حيث قال: و قدّم المفضول على الفاضل لمصلحه اقتضاها التكليف.

و رابعا إنّ تركه عليه السّلام لحقه عن طوع و اختيار لم يدلّ عليه دليل يعوّل عليه إلّا الأخبار العاميه الموضوعه «المختلقه خ ل» و الأخبار المتواتره من طرق الخاصه بل و المستفيضه من طريق العامه ناصه على خلافه و كفى بذلك شاهدا الخطبه الآتيه المعروفه التى هى صريحه فى أنّ تركه عليه السّلام للأمر لم يكن عن رضاء و اختيار، و تأويلات الشّارح هناك مثل ساير ما تكلّفه فى تضاعيف الشّرح أوهن من بيوت العنكبوت نظير احتجاجاته على حقيّه الجبت و الطاغوت، كما ستطلع عليه حيثما بلغ الكلام محلّه إنشاء اللّه، و لنعم ما قيل:

اذا لم يكن للمرء عين صحيحه فلا غرو أن يرتاب و الصبح مسفر

### الترجمه

بعض ديگر از اين خطبه در شأن منافقين است مى فرمايد، كاشته اند منافقين تخم فسق و فجور را در قلب خودشان و آب داده اند آنرا با آب غفلت و درويده اند هلاكت را در دنيا و آخرت كه ثمرۀ آن فجور و غرور است، قياس كرده نمى شود به آل محمّد صلوات اللّه و سلامه عليه و عليهم از اين امت هيچ أحد، و برابر كرده نمى شود بايشان آن كسى كه جارى شده نعمتهاى ايشان بر او هميشه، ايشان اصل دين اند و ستون يقين اند، بسوى ايشان باز مى گردد افراط كنندگان، و بايشان لاحق مى شود تفريط نمايندگان، و ايشان راست خاصه هاى حق ولايت و خلافت، و در ايشانست وصيت حضرت رسالت و وراثت از خاتم نبوت، اين هنگام وقت آنستكه راجع شود حق ولايت باهل خود، و زمان آنستكه نقل شود رتبۀ خلافت بمحل انتقال خود، يا آنكه اين هنگام بتحقيق رجوع نمود حق باهلش و منتقل گرديد بموضع انتقالش، و اللّه العالم بحقايق كلام وليه عليه السّلام.

### و من خطبه له علیه السّلام و هی الخطبه الثالثه

#### اشاره

المعروفه بالشقشقیه

نسبه لها إلی ما عبر به عنها و هو لفظه الشّقشقیه، حیث قال علیه السّلام: تلک شقشقه هدرت اه، و ربّما تعرف بالمقمصه أیضا من حیث اشتمالها علی لفظ التقمّص الوارد فی أوّلها، و هو نظیر التّعبیر عن السّور بأشهر ألفاظها کالبقره و آل عمران و الرّحمن و الواقعه و غیر ذلک،

#### و لا بدّ قبل الشروع فی المقصود من تمهید مقدّمات

##### الاولی

إنّه قد وقع الخلاف بین علماء الخاصه و کثیر من علماء العامه فی أنّ هذه

الخطبه من کلام الامام علیه السّلام أو من کلام الرّضیّ رضی اللّه عنه.

أمّا الخاصّه فالظاهر اتّفاقهم علی الأوّل، و لم یظهر لی إلی الآن من ینکر کونها منه علیه السّلام، و قد نقلها جمع کثیر من المحققین من الفقهاء و المتکلّمین و المحدّثین و غیرهم فی مؤلفاتهم من دون إشاره إلی خلاف فیها منهم.

و أمّا العامه فکثیر منهم ذهبوا إلی الثّانی و أنکروا کونها من کلامه علیه السّلام نظرا إلی ما اشتملت علیه من التّظلم و الشکایه فی أمر الامامه و دلالتها علی اغتصاب الخلافه، و قد أفرط بعضهم و قال: إنّه علیه السّلام لم یصدر منه شکایه قط و لا کلام فی هذا الأمر أصلا.

و منهم من أذعن بکونها منه علیه السّلام إلاّ أنّه علی زعمه الفاسد أوّل المطاعن المشتمله علیها علی وجه لا یوجب القدح فی سلفهم، و من هؤلاء الفرقه القاضی عبد الجبار البغدادی و الشّارح المعتزلی حسبما تعرفه فی کلامه الذی نحکیه.

أقول: و الحقّ أنّه لا غبار علی کونها منه علیه السّلام و لا معنی لانکار ذلک.

أمّا أولا-فلشهاده فصاحتها و حسن اسلوبها و بدیع نظمها علی أنّها کلام فوق کلام المخلوق و دون کلام الخالق، فهی بنفسها شاهد صدق علی أنّها صادره

من مصدر الامامه و معدن الولایه.

و أمّا ثانیا فلضعف مستند المنکر إذ الألفاظ المشتمله علی التّظلم و الشکایه قد صدرت منه علیه السّلام فوق حد الاحصاء، کما یشهد به ملاحظه أخبار السقیفه و غیرها، و المناقشه بینه علیه السّلام و بین المتخلّفین فی أمر الخلافه ممّا صارت من الضروریات لا ینکره إلّا جاهل أو متجاهل.

و أمّا ثالثا فلأنّ هذه الخطبه قد وجدت فی کتب جماعه من العامه و الخاصه صنّفت قبل زمن الرّضی.

قال الشّارح البحرانی: قد وجدتها فی موضعین تاریخهما قبل مولد الرّضیّ بمدّه أحدهما أنّها مضمنه کتاب الانصاف لأبی جعفر بن قبه تلمیذ أبی القاسم الکعبی أحد شیوخ المعتزله و کانت وفاته قبل مولد الرّضیّ الثانی أنی وجدتها بنسخه علیها خط الوزیر أبی الحسن علیّ بن محمّد بن الفرات، و کان وزیر المقتدر باللّه و ذلک قبل مولد الرّضیّ بنیف و ستین سنه، و الذی یغلب علی ظنی أنّ تلک النسخه کانت کتبت قبل وجود ابن الفرات بمده انتهی.

و قال الشّارح المعتزلی حدّثنی شیخی أبو الخیر مصدّق بن شبیب الواسطی فی سنه ثلاث و ستمائه، قال: قرأت علی الشّیخ أبی محمّد عبد اللّه بن أحمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبه، فقلت له: أتقول إنّها منحوله؟ فقال: لا و اللّه، و إنی لأعلم أنّه کلامه کما أعلم أنّک مصدّق، قال: فقلت: له إنّ کثیرا من النّاس یقولون: إنّها من کلام الرّضیّ، فقال: أنی للرضیّ و لغیر الرّضیّ هذا النّفس و هذا الاسلوب، قد وقفنا علی رسایل الرّضیّ و عرفنا طریقته و فنّه فی المنثور و ما یقع مع هذا الکلام فی خلّ و لا خمر، قال: و اللّه لقد وقفت علی هذه الخطبه فی کتب صنّفت قبل أن یخلق الرضیّ بمأتی سنه، و لقد وجدتها مسطوره بخطوط أعرفها و أعرف خطوط من هی من العلماء و أهل الأدب قبل أن یخلق النّقیب أبو محمّد والد الرّضیّ.

قال الشّارح: قلت: و قد وجدت أنا کثیرا من هذه الخطبه فی تصانیف شیخنا أبی القاسم البلخی إمام البغدادیین من المعتزله و کان فی دوله المقتدر قبل أن یخلق

الرضىّ بمده طويله، و وجدت أيضا كثيرا منها فى كتاب أبى جعفر بن قبه أحد متكلّمى الاماميّه و هو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف، و كان أبو جعفر هذا من تلامذه الشيخ أبى القاسم البلخى و مات فى ذلك العصر قبل أن يكون الرضىّ (ره) موجودا، انتهى.

و قال المحدّث العلامه المجلسى (ره) فى البحار و من الشواهد على بطلان تلك الدعوى الواهيه الفاسده أنّ القاضى عبد الجبار الذى هو من متعصبى المعتزله قد تصدّى فى كتابه المبنى لتأويل بعض كلمات الخطبه و منع دلالتها على الطعن فى خلافه من تقدّم عليه و لم ينكر استناد الخطبه إليه، و ذكر السيّد المرتضى رضى اللّه عنه كلامه فى الشّافى و زيّفه و هو أكبر من أخيه الرضىّ (ره) و قاضى القضاه متقدّم عليهما، و لو كان يجد للقدح فى استناد الخطبه إليه مساغا لما تمسك بالتّأويلات الرّكيكه فى مقام الاعتذار و قدح كما فعل فى كثير من الروايات المشهوره، و كفى للمنصف وجودها فى تصانيف الصّدوق (ره) و كانت وفاته سنه تسع و عشرين و ثلاثمأه، و كان مولد الرضىّ سنه تسع و خمسين و ثلاثمأه، انتهى كلامه (ره) و يشهد به أيضا روايه المفيد لها فى كتاب الارشاد، و هو (ره) شيخ الرّضىّ و استاده.

فقد ظهر و استبان ممّا ذكرنا كله أنّه لا وجه لانكار كون الخطبه منه عليه السّلام، و ظنى أنّ من أنكر ذلك إنّما أنكره من حيث إنّه رأى صراحتها فى الطعن على المنتحلين للخلافه لا جرم بادر إلى الانكار كى لا يلتزم بمقتضاها كما هو دأبهم و ديدنهم فى اكثر النّصوص المفيده لانحصار الخلافه فيه عليه السّلام، أو للطعن فى غيره و كفى بذلك إنكار بعضهم حديث الغدير المتواتر الذى قاله النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله بمحضر سبعين ألفا من المهاجر و الأنصار و الحاضر و الباد، و ليت الشّارح المعتزلى أنكرها أيضا من أصلها كى يستريح من تكلّفاته الفاسده و تأويلاته البارده التى ارتكبها لرفع العار و الشّناعه عن الثلاثه و لن يصلح العطار ما أفسد الدّهر.

## الثانیه

## اشاره

اعلم أنّه قد طال التّشاجر بین الخاصّه و العامه فی مسأله الامامه

فاختلفوا تاره فی أنّ نصب الامام بعد انقراض زمن النّبوه هل هو واجب علی اللّه أم علینا عقلا أو سمعا و ثانیه فی أنّ العصمه هل هی لازمه للامام أم لا و ثالثه فی أنّ الامام هل یجب أن یکون أفضل من رعیّته و رابعه فی أنّ الامام بعد الرّسول صلّی اللّه علیه و آله من هو إلی غیر ذلک من المسائل التی صارت معرکه للارآء بین علماء الاسلام، و تفصیلها موکول إلی علم الکلام و لا حاجه لنا إلی إشباع الکلام فیها.

و إنّما المقصود بالبحث فی هذه المقدّمه هو انّ الشّارح المعتزلی مع قوله بأفضلیّه أمیر المؤمنین علیه السّلام و اختیاره تفضیله علی المتخلّفین الثلاثه بأیّ معنی حمل الأفضل أعنی الأکثر ثوابا أم الاجمع لمزایا الفضل و الخلال الحمیده و مع مبالغته و مزید اصراره فی دیباجه الشّرح فی تشیید مبانی هذا الأصل و تاسیس اساسه أنکر فرع ذلک الأصل کشیوخه البغدادیّین، و ضاعت منه ثمره هذه الشّجره و التزم بترجیح المرجوح علی الرّاجح، و تقدیم المفضول علی الأفضل مع کونه قبیحا عقلا و نقلا.

و أسند ذلک القبیح تاره إلی اللّه سبحانه و تعالی کما قال فی خطبه الشّرح: و قدّم المفضول علی الأفضل لمصلحه اقتضاها التکلیف، و أسنده اخری إلی أنّ الامام علیه السّلام بنفسه قدّم غیره علی نفسه لما تفرّس من اضطراب دعائم الاسلام مع عدم التّقدیم له من حیث ضغن العرب و حقدهم له و وجود السخایم فی صدورهم.

و قد کرّر ذلک الکلام فی تضاعیف الشّرح و بالغ فیه شدّه المبالغه کمبالغته فی إنکار النّصّ الجلیّ علی إمامه أمیر المؤمنین علیه السّلام و ذهابه إلی أنّ استحقاقه علیه السّلام الخلافه إنّما کان من أجل الأفضلیه لا من جهه التّنصیص و وجود النّص به من اللّه أو من النّبی صلّی اللّه علیه و آله من حیث قصور النّصوص عن الدّلاله علی رأیه الفاسد و نظره الکاسد أو التزامه بتأویلها مع تسلیمه صراحتها نظرا إلی قیام الدّلیل القطعی علی زعمه علی خلافها و هو الاجماع المنعقد علی خلافه الأوّل و کون بیعته بیعه صحیحه شرعیّه إلی غیر ذلک من المزخرفات التی طوس منها شرحه و شیّد بها مذهبه.

ص:۳۴۸

و قد ذكر منها شطرا يسيرا فى ذيل الخطبه السّابقه حسبما عرفت هناك و لفّق منها كثيرا فى شرح هذه الخطبه و غيرها من الخطب الآتيه، و قد التزمنا فى شرحنا ذلك أن نتبّه على هفواته و نكشف عن خطاياه و زلاّته بقدر الامكان على حسب ما يقتضيه المقام.

و لما كان بسط الكلام فى كلّ ما زلّ فيه قدمه أو طغى فيه قلمه يوجب الاطاله و الاطناب أحببنا أن نذكر فى هذه المقدّمه أصلا كافيا يرجع إليه، و دليلا وافيا يعتمد عليه فى إبطال جميع ما ذهب إليه ينتفع به فى شرح هذه الخطبه و سابقتها، و يسهل الحواله إليه فى شرح الخطبه التّاليه ممّا احتيجت إلى الاحاله فيها، فالمقصود فى هذه المقدّمه هو إثبات خلافه أمير المؤمنين عليه السّلام و إقامه الدّليل على انحصار الخلافه بالنّقل و العقل كليهما. فأقول و باللّه التكلان و هو المستعان: إنّ هنا مقصدين.

## المقصد الاول: فى الأدله النّقليه و النّصوص اللّفظيه

### اشاره

فى الأدله النّقليه و النّصوص اللّفظيه

و هى على قسمين.

### القسم الاول: الآيات القرآنيه

### اشاره

الآيات القرآنيه

، و هى كثيره لا تحصى و نحن نذكر منها طايفه ممّا هى اقوى دلاله و أثبت حجه.

### منها آيه الولايه

قوله تعالى: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاهَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاهَ وَ هُمْ راكِعُونَ » تقريب الاستدلال أنّ الولىّ قد جاء فى اللّغه تاره بمعنى النّاصر و المعين، كقوله تعالى:

«اَلْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ ».

و اخرى بمعنى المتصرف و الأحقّ به و الأولى بذلك، و من ذلك السلطان ولىّ من لا ولىّ له و قوله صلّى اللّه عليه و آله: أيّما امرأه نكحت بغير إذن وليها، و لا يجوز أن يراد به فى الآيه

المعنى الأول، إذ الولایه بـذلک المعنى عامه لجمیع المؤمنین کما یشـهد به الآیه السّابقه، فلا بدّ أن یکون المراد به المعنى الثّانی کی یستقیم الحصر المستفاد من کلمه إنّما، فاذا ثبت أنّ المراد به الأولى بالتصرف فالمراد به أمیر المؤمنین علیه السّلام لا غیر.

أما أولا فللاجماع المرکب. إذ کلّ من قال: إنّ المراد بالآیه هو الشـخص الخاص بمقتضى کلمه الحصر فقد قال: إنّ المراد به هو علیّ علیه السّلام.

و أمّا ثانیا فللاجماع على أنّ ایتاء الزکاه فی حال الرّکوع لم یکن إلّا فی حقّ علیّ علیه السّلام، فتکون الآیه مخصوصه به و داله على إمامته.

و أمّا ثالثا فلاتفاق المفسرین على ما حکاه شارح التّجرید القوشـجی على أنها نزلت فی حقه علیه السّلام حین أعطى السّائل خاتمه و هو راکع فی صلاته، و مثله ابن شهرآشوب فی کتاب الفضائل حیث قال فی محکى کلامه: اجتمعت الامه على أنّ هذه الآیه نزلت فی أمیر المؤمنین علیه السّلام انتهى.

و أمّا رابعا فلدلاله الأخبار المتظافره بل المتواتره من العامه و الخاصه على نزولها فیه علیه السّلام، و قد نقل السیّد المحدّث العلامه السیّد هاشم البحرانی فی کتاب غایه المرام من طرق العامه أربعه و عشرین حدیثا فی نزولها فیه علیه السّلام، و من طریق الخاصّه تسعه عشر حدیثا، من أراد الاطلاع فلیرجع إلیه و فی ذلک قال حسان بن ثابت:

أبا حسن تفدیک نفسی و مهجتی و کلّ بطیء فی الهواء و مسارع

أ یذهب مدحی و المخبر ضایع و ما المدح فی جنب الاله بضایع

فأنت الذی اعطیت اذ کنت راکعا فدتک نفوس القوم یا خیر راکع

فأنزل فیک اللّه خیر ولایه و بیّنها فی محکمات الشّرایع

هـذا، و أورد النّاصب الفخر الرّازی فی التّفسیر الکبیر على الاستدلال بالآیه تاره بعدم إمکان أن یکون المراد بها علیّ علیه السّلام، و أخرى بأنّها على تقدیر أن یکون المراد بها هو ذلک لا دلاله فیها على ولایته علیه السّلام، لأنّه إنّما یتمّ إذا کان المراد

بلفظ الولى هو المتصرف لا النّاصر و المحبّ، و هو ممنوع بل حمله على الثّانى أولى.

و استدل على الأوّل أعنى عدم امكان كون المراد بها أمير المؤمنين سلام اللّه عليه بوجوه:

الاوّل أنّ الزكاه اسم للواجب لا للمندوب بدليل قوله تعالى: و آتوا الزكاه، فلو أنه أدّى الزكاه الواجبه فى حال كونه فى الرّكوع لكان قد أخّر أداء الزكاه الواجب عن أول أوقات الوجوب، و ذلك عند أكثر العلماء معصيه و أنّه لا يجوز إسناده الى علىّ عليه السّلام، و حمل الزكاه على الصّدقه النافله خلاف الأصل لما بينا أنّ قوله: و آتوا الزكاه، ظاهره يدلّ على أنّ كل ما كان زكاه فهو واجب.

الثانى هو أنّ اللائق بعلىّ عليه السّلام أن يكون مستغرق القلب بذكر اللّه حال ما يكون فى الصلاه، و الظاهر أنّ من كان كذلك فانه لا يتفرغ لاستماع كلام الغير و لفهمه، و لهذا قال تعالى:

«اَلَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِياماً وَ قُعُوداً وَ عَلى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ » و من كان قلبه مستغرقا فى الفكر كيف يتفرّغ لاستماع كلام الغير.

الثّالث أنّ دفع الخاتم فى الصّلاه للفقير عمل كثير و اللّايق بحال علىّ عليه السّلام أن لا يفعل ذلك.

الرّابع أنّ المشهور أنّه عليه السّلام كان فقيرا و لم يكن له مال تجب فيه الزّكاه، و لذلك فانّهم يقولون: إنّه لما أعطى ثلاثه أقراص نزل فيه سوره هل أتى، و ذلك لا يمكن إلّا إذا كان فقيرا، فأمّا من كان له مال تجب فيه الزّكاه يمتنع أن يستحقّ المدح العظيم المذكور فى تلك السّوره على اعطاء ثلاثه أقراص و إذا لم يكن له مال تجب فيه الزّكاه امتنع حمل قوله: و يؤتون الزكاه و هم راكعون، عليه.

أقول: و يتوجه على الأوّل منع كون الزكاه اسما للواجب فقط، بل هو كساير أسامى العبادات موضوع للواجب و المندوب كليهما، و إلاّ لزم أن يكون للمندوبات اسم تختصّ به وراء أسامى الواجبات، و هو خلاف ما اتّفق عليه الكلّ إذ لم نطلع إلى الآن على أحد يفرّق بين الواجب و المندوب فى الاسم، و لم نجد للمندوبات أسامى مستقلّه غير أسماء الواجبات فى كتبهم الفقهيه و الأصوليّه، و لا فى شيء من الكتاب و السنّه، و كون الزكاه فى الآيه واجبه من حيث تعلّق الأمر بها لا يدلّ على كون مطلق التّسميه للواجب، إذ التّسميه مقدّمه على الحكم ذاتا و رتبه فلا دلاله فيها على أنّ كلّ ما كان زكاه فهو واجب و لو فى غير مقام تعلّق الأمر كما فى الآيه التى نحن بصددها، و كما فى قولنا الزّكاه عباده، و نحو ذلك، و على فرض التنزل و المماشاه نمنع كون تأخير أدائها عن وقت الوجوب مطلقا معصيه إذ ربّما يجوز تأخيرها لعدم وجود المستحقّ، أو لعذر آخر و لا إثم على ذلك بوجه، بل يجوز التّأخير مع العزل أيضا على مذهب البعض، بل و مع عدم العزل أيضا إلى شهرين على مذهب أبى حنيفه و غيره من العامه، و كيف كان فلا خفاء فى فساد ما توهّمه.

و على الثّانى أنّ استغراق القلب بالذكر فى الصلاه إنما ينافى التّوجه إلى الامور الدّنيويه الشّاغله عن الذكر، و أمّا إعطاء الخاتم للفقير المستحقّ ابتغاء لمرضاته سبحانه و التّوجه إلى سؤاله فلا ينافى الاستغراق، بل هو عين الذكر.

يعطى و يمنع لا تلهيه سكرته عن النّديم و لا يلهو عن الكاس

أطاعه سكره حتّى تمكّن من فعل الصّحات فهذا أفضل النّاس

و لو كان مطلق التوجّه إلى الغير منافيا للاستغراق لم يتصوّر ذلك فى حقّ النبيّ صلّى اللّه عليه و آله مع أنّه قد حصل ذلك فى حقّه كما يدلّ عليه: ما استدلّ به الشّافعيّ على جواز التّنبيه فى الصّلاه على الحاجه بتسبيح و نحوه، بأنّ عليّا عليه السّلام قال: كانت لى ساعه أدخل فيها على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، فان كان فى الصّلاه سبّح و ذلك إذنه، و إن كان فى غير الصّلاه، أذن، و ما استدلّ به أبو حنيفه على عدم جواز ردّ جواب

السّلام فی الصّلاه بأنّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله دخل مسجد بنی عمرو بن عوف یصلی و دخل معه صهیب، فدخل معه رجال من الأنصار یسلّمون علیه، فسألت صهیبا کیف کان یصنع إذا سلّم علیه؟ قال: یشیر بیده، و لو کان استماع کلام الغیر مطلقا منافیا للاستغراق کیف یستمع السّلام و یشیر بیده علی ما مرّ أو یردّ الجواب، علی ما رواه الباقر علیه السّلام من أنّ عمّارا سلّم علیه صلّی اللّه علیه و آله فردّ علیه السّلام و یأتی علی ذلک دلیل آخر(۱) فانتظر و علی الثّالث منع کون ذلک فعلا کثیرا اولا إذ لیس ذلک بأزید من خلع النّبی صلّی اللّه علیه و آله نعلیه فی الصّلاه و هما فعلان و لیس بأکثر من حمله صلّی اللّه علیه و آله أمامه بنت أبی العاص، و کان إذا سجد وضعها و إذا قام رفعها، و قتل عقربا و هو یصلّی، و أخذ بأذن ابن عباس و أداره عن یساره إلی یمینه، و أمر بقتل الأسودین فی الصّلاه:

الحیّه و العقرب و ثانیا علی فرض التنزل و المماشاه أنّ الکثره إنّما یسلم لو کان علیه السّلام مباشرا للخلع و الاعطاء، و أمّا إذا کان خلعه بفعل السّائل باشاره منه علیه السّلام فلا.

و هو الذی رواه الحموینی من علماء العامه باسناده عن أنس بن مالک أن سائلا أتی المسجد و هو یقول: من یقرض الملیّ الوفیّ، و علیّ صلوات اللّه علیه راکع یقول بیده خلفه للسّائل أن اخلع الخاتم من یدی، قال: فقال النّبی صلّی اللّه علیه و آله: یا عمرو جبت قال: بأبی و أمی یا رسول اللّه ما وجبت؟ قال: وجبت له الجنّه، و اللّه ما خلعه من یده حتّی خلعه من کلّ ذنب و من کل خطیئه، و قال الزّمخشری فی الکشّاف:

إنّ الآیه نزلت فی علیّ علیه السّلام حین سأله سائل و هو راکع فی صلاته فطرح له خاتمه کأنّه کان مرحبا «مرخیا ظ» فی خنصره فلم یتکلّف لخلعه کثیر عمل تفسد بمثله صلاته و فی هذا المعنی قال دعبل الخزاعی:

اذا جاءه المسکین حال صلاته فامتدّ طوعا بالذّراع و بالید

فتناول المسکین منه خاتما هبط الکریم الاجودی الاجود

فاختصّه الرّحمن فی تنزیله من حاز مثل فخاره فلیعدد



---

۱- (۱) و هو ما یأتی بعید هذا من حمل النبی لامامه و قتله العقرب، منه

انّ الاله وليّكم و رسوله و المؤمنين فمن يشأ فليجحد

يكن الاله خصيمه غدا و اللّه ليس بمخلف فى الموعد

و على الرّابع أنّ المراد بالزكاه فى الايه الصّدقه النّافله لما عرفت من صحه إطلاقها عليها كصحّه اطلاقها على الواجبه و كونه فقيرا لم يكن له مال يجب فيه الزّكاه فلا ينافى إعطاء الزّكاه تطوعا كما قال الفرزدق:

لا يقبض العسر بسطا من اكفهم سيّان ذلك ان أثروا و ان عدموا

كلتا يديه غياث عمّ نفعهما يستوكفان و لا يعروهما العدم

هذا، و غير خفىّ أنّ فقره عليه السّلام لم يكن من عجزه و عدم تمكنه من جمع المال بل إنّما هو من كثره الجود و السّخاء، و كفى بذلك أنّه لم يخلّف ميراثا و كانت الدّنيا كلّها بيده إلاّ ما كان من الشّام و نحوه، و شاهد صدق على ما ذكرنا الخاتم الذى أعطاه للسّائل و قد ذكر الغزالى فى محكى كلامه عن كتاب سرّ العالمين أن ذلك الخاتم كان خاتم سليمان بن داود عليه السّلام و فى روايه عمّار بن موسى السّاباطى عن أبى عبد اللّه عليه السّلام أنّ الخاتم الذى تصدّق به أمير المؤمنين عليه السّلام وزن أربعه مثاقيل حلقته من فضّه و فصّه خمسه مثاقيل و هو من ياقوته حمراء و ثمنه خراج الشّام، و خراج الشام ثلاثمأه حمل من فضه و أربعه أحمال من ذهب و كان الخاتم لمرّان بن طوق قتله أمير المؤمنين عليه السّلام و أخذ الخاتم من اصبعه و أتى به إلى النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله من جمله الغنائم و أمره النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله أن يأخذ الخاتم فأخذ الخاتم و أقبل و هو فى اصبعه و تصدّق به على السّائل فى أثناء صلاته خلف النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و كيف كان فقد ظهر ممّا ذكرنا أنّ عدم وجوب الزّكاه عليه لم يكن من أجل عدم تملكه للنّصاب كما يتوهّم من ظاهر كلام النّاصب بل قد تملّك نصبا كثيره و بذل نصبا كثيره و إنّما المانع من تعلّق الوجوب هو أنّه لم يكن حريصا على جمع المال حتى يحول عليه الحول، يمنعه من الادّخار ملكه الجود و السخاء و الزهد، و لأنّ اللازم على

أئمه العدل أن يقدروا أنفسهم بضعفه النّاس كيلا يتبيغ(۱) بالفقير فقره، و حاصل الكلام منع كونه فقيرا بالمعنى الذى يتوهّم من كلام الناصب أوّلا، و منع امتناع حمل الآيه عليه على تقدير كونه عادما لمال يجب فيه الزكاه ثانيا فافهم جيّدا هذا.

و استدل على الثانى أعنى أولويه إراده الناصر و المحب من لفظ الولىّ بالنسبه إلى المتصرف بوجوه.

الأول أنّ اللايق بما قبل هذه الآيه و ما بعدها ليس إلاّ هذا المعنى، أمّا ما قبل هذه الآيه فلأنه تعالى قال:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصارى أَوْلِياءَ ».

و ليس المراد لا تتخذوا اليهود و النصارى أئمه متصرّفين فى أرواحكم و أموالكم، لأنّ بطلان هذا كالمعلوم بالضّروره، بل المراد لا تتخذوا اليهود و النصارى أحبابا و أنصارا و لا تخالطوهم و لا تعاضدوهم، ثمّ لما بالغ فى النّهى عن ذلك قال: إنّما وليكم اللّه و رسوله و المؤمنون الموصوفون، و الظاهر أنّ الولايه المأمور بها هاهنا هى المنهىّ عنها فيما قبل، و لما كانت الولايه المنهىّ عنها فيما قبل هى الولايه بمعنى النّصره كانت الولايه المأمور بها هى الولايه بمعنى النّصره، و أمّا ما بعد هذه الآيه فهى قوله:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَ لَعِباً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفّارَ أَوْلِياءَ وَ اتَّقُوا اللّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ».

فأعاد النّهى عن اتخاذ اليهود و النصارى و الكفّار أولياء، و لا شك أنّ الولايه المنهىّ عنها هى الولايه بمعنى النّصره فكذلك الولايه فى قوله: إنّما وليكم اللّه، يجب أن يكون هى بمعنى النصره، و كلّ من أنصف و ترك التعصب و تأمل فى مقدمه الآيه



---

۱- (۱) تبيغ عليه الامر و اختلط و الدم هاج ق

و فی مؤخرها قطع بأنّ الولیّ فی قوله: إنّما ولیکم اللّه، لیس إلّا بمعنی النّاصر و المحبّ، و لا یمکن أن یکون بمعنی الامام، لأنّ ذلک یکون القاء الکلام الأجنبی فیما بین کلامین مسوقین لغرض واحد، و ذلک یکون فی غایه الرکاکه و السّقوط و یجب تنزیه کلام اللّه تعالی عنه.

الثّانی أنّا لو حملنا الولایه بمعنی التّصرف و الامامه لما کان المؤمنون المذکورون فی الآیه موصوفین بالولایه حال نزول الآیه، لأنّ علیّ بن أبی طالب کرم اللّه وجهه ما کان نافذ التّصرف حال حیاه الرّسول، و الآیه تقتضی کون هؤلاء المؤمنین موصوفین بالولایه فی الحال، أمّا لو حملنا الولایه علی المحبه و النصره کانت الولایه حاصله فی الحال، فثبت أنّ حمل الولایه علی المحبه أولی من حملها علی التّصرف، و الذی یؤکد ما قلناه أنّه تعالی منع من اتخاذ الیهود و النصاری أولیاء، ثم أمرهم بموالاه هؤلاء المؤمنین، فلا بدّ و أن تکون موالاه هؤلاء المؤمنین حاصله فی الحال حتّی یکون النّفی و الاثبات متواردین علی شیء، و لما کانت الولایه بمعنی التصرّف غیر حاصله فی الحال امتنع حمل الآیه علیها.

الثّالث أنّه تعالی ذکر المؤمنین الموصوفین فی هذه الآیه بصیغه الجمع فی سبعه مواضع، و هی قوله: و الذین آمنوا الذین یقیمون الصّلاه و یؤتون الزّکاه و هم راکعون، و حمل الألفاظ الجمع و إن جاز علی الواحد علی سبیل التّعظیم لکنّه مجاز لا حقیقه و الأصل حمل الکلام علی الحقیقه.

الرّابع انّا قد بیّنا بالبراهین البیّن أن الآیه المتقدّمه و هی قوله: یا أیها الذین آمنوا من یرتدّ منکم عن دینه إلی آخر الآیه من أقوی الدّلاله علی صحّه إمامه أبی بکر، فلو دلت هذه الآیه علی صحه إمامه علیّ بعد الرّسول صلّی اللّه علیه و آله لزم التناقض بین الآیتین و ذلک باطل، فوجب القطع بأنّ هذه الآیه لا دلاله فیها علی أنّ علیّا هو الامام بعد الرّسول.

الخامس انّ علیّ بن أبی طالب کان أعرف بتفسیر القرآن من هؤلاء الرّوافض، فلو کانت هذه الآیه داله علی إمامته لاحتجّ بها فی محفل من المحافل، و لیس للقوم

أن يقولون إنّه تركه للتقيه، فانّهم ينقلون عنه أنّه تمسك يوم الشّورى بخبر الغدير و خبر المباهله و جميع فضائله و مناقبه و لم يتمسّك البته بهذه الآيه فى إثبات إمامته، و ذلك يوجب القطع بسقوط قول هؤلاء الرّوافض لعنهم اللّه.

السّادس هب أنّها داله على إمامه علىّ لكنّا توافقنا على أنّها عند نزولها ما دلت على حصول الامامه فى الحال، لأنّ عليّا ما كان نافذ التّصرف فى الامه حال حياه الرّسول عليه الصّلاه و السّلام، فلم يبق إلّا أن تحمل الآيه على أنّها تدلّ على أنّ عليّا سيصير إماما بعد ذلك، و متى قالوا ذلك فنحن نقول بموجبه و نحمله على إمامته بعد أبى بكر و عمر و عثمان، إذ ليس فى الآيه ما يدلّ على تعيين الوقت، فان قالوا: الامه فى هذه الآيه على قولين، منهم من قال: إنّها لا تدلّ على إمامه علىّ، و منهم من قال إنّها تدلّ على إمامته و كلّ من قال بذلك قال: إنّها تدلّ على إمامته بعد الرّسول من غير فصل: فالقول بدلاله الآيه على إمامه علىّ لا على هذا الوجه قول ثالث، و هو باطل، لأنا نجيب عنه، فنقول: و من الذى أخبركم أنّه ما كان أحد فى الامه قال هذا القول، و من المحتمل بل من الظاهر أنّه منذ استدلّ مستدلّ بهذه الآيه على إمامه علىّ فانّ السائل يورد على ذلك الاستدلال هذا السؤال، فكان ذكر هذا الاحتمال و هذا السّؤال مقرونا بذكر هذا الاستدلال.

السّابع أنّ قوله: إنّما وليكم اللّه و رسوله لا شك أنّه خطاب مع الامه، و هم كانوا قاطعين بأنّ المتصرف هو اللّه و رسوله، و إنّما ذكر اللّه هذا الكلام تطيبا لقلوب المؤمنين و تعريفا لهم بأنّه لا حاجه بهم إلى اتخاذ الأحباب و الانصار من الكفار، و ذلك لأنّ من كان اللّه و رسوله ناصرا له و معينا فأىّ حاجه له إلى طلب النصره و المحبه من اليهود و النصارى، و إذا كان كذلك كان المراد بقوله: إنّما وليكم اللّه و رسوله، هو الولايه بمعنى النّصره و المحبه، و لا شك أنّ لفظ الولىّ مذكور مرّه واحده، فلما اريد هاهنا معنى النصره امتنع أن يراد به معنى التصرف، لما ثبت أنّه لا يجوز استعمال اللفظ المشترك فى مفهوميه معا.

الثامن أنّه تعالى مدح المؤمنين فى الآيه السابقه بقوله:

«يُحِبُّهُمْ وَ يُحِبُّونَهُ أَذِلَّهٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّهٍ عَلَى الْكافِرِينَ » فاذا حملنا قوله: إنّما وليكم اللّه و رسوله، على معنى المحبّه و النصره كان قوله:

إنما وليكم اللّه و رسوله، يفيد فايده قوله: يحبهم و يحبّونه أذله على المؤمنين أعزّه على الكافرين، و قوله: يجاهدون فى سبيل اللّه، يفيد فايده قوله: يقيمون الصّلاه و يؤتون الزّكاه و هم راكعون، فكانت هذه الآيه مطابقه لما قبلها مؤكّده لمعناها فكان ذلك أولى، فثبت بهذه الوجوه أنّ الولايه المذكوره فى هذه الآيه يجب أن تكون بمعنى النصره لا بمعنى التصرف.

ثم قال الناصب أمّا الوجه الذى عوّلوا عليه و هو أنّ الولايه المذكوره فى الآيه غير عامه و الولايه بمعنى النصره عامه فجوابه من وجهين.

الاوّل أنّا لا نسلّم أنّ الولايه المذكوره فى الآيه غير عامه و لا نسلّم أنّ كلمه إنّما، للحصر و الدّليل عليه قوله:

«إِنَّما مَثَلُ الْحَياهِ الدُّنْيا كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ » و لا شك أنّ الحياه الدّنيا لها أمثال اخرى سوى هذا المثل، و قال:

«إِنَّمَا الْحَياهُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ » و لا شك أنّ اللّعب و اللّهو قد يحصل فى غيرها.

الثانى لا نسلّم أنّ الولايه بمعنى النصره عامه فى كلّ المؤمنين و بيانه أنّه تعالى قسم المؤمنين قسمين أحدهما الذين جعلهم موليا عليهم و هم المخاطبون بقوله إنما وليكم اللّه و الثانى الأولياء، و هم المؤمنون الذين يقيمون الصّلاه و يؤتون الزّكاه و هم راكعون، فاذا فسرنا الولايه هاهنا بمعنى النصره كان المعنى أنّه تعالى جعل أحد القسمين أنصارا للقسم الثّانى، و نصره القسم الثانى غير حاصله لجميع المؤمنين و لو كان كذلك لزم فى القسم الذى هم المنصورون أن يكونوا ناصرين لأنفسهم، و ذلك محال، فثبت أن نصره أحد قسمى الامه غير ثابته لكلّ الامه، بل مخصوصه بالقسم

الثانی من الامه، فلم یلزم من کون الولایه المـذکوره فی هذه الآیه خاصّه أن لا تکون بمعنی النصـره، و هذا جواب حسن دقیق لا بدّ من التّأمل فیه، انتهی کلامه هبط مقامه.

أقول: و الجواب عن الوجه الأوّل أوّلا أنّ کون الولی فی الآیه السابقه و اللاحقه بمعنی الناصر لا دلاله فیه علی کون المراد به فی هـذه الآیه ذلک المعنی أیضا باحدی من الدلالات، و ما اسـتدلّ به علیه من أنّه لو لا ذلک لزم إلقاء الکلام الأجنبیّ بین کلامین مسوقین لغرض واحد و ذلک فی غایه الرکاکه، ففیه منع الأجنبیّه أولا إذ الولایه بمعنی النصـره شأن من شئونات الولایه المطلقه، فحیث إنه سـبحانه نهی عن اتخـاذ الکفـار أولیـاء أی أنصـارا أثبت الولایه المطلقه لنفسه و لرسوله و للمؤمنین الموصوفین، و من المعلوم أنّ الولایه المطلقه أعنی التصـرف فی امور المؤمنین علی وجه الاطلاق شامله علی التصـرف بالنصـره، فعلی ذلک یکون فی الآـیه دلاله علی کون اللّه و رسوله و المؤمنین الموصوفین ناصـرین لسایر المؤمنین علی وجه الکمال، فعلی ذلک التئم أجزاء الکلام علی أحسن اتساق و انتظام، و منع کون هـذه الاجنبیه موجبه للرکاکه ثانیا، إذ المجانبه بینها لیست بأزیـد من المجانیه بین الشّرط و الجزاء فی قوله تعالی:

«وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلاّـ تُقْسِـطُوا فِی الْیَتـامی فَانْکِحُوا ما طابَ لَکُمْ مِنَ النِّساءِ مَثْنی وَ ثُلاثَ وَ رُباعَ » و علی تقـدیر تسـلیم الرّکاکه فیکون ذلک اعتراضا علی خلیفتهم عثمان ثالثا، لظهور أنّ هـذه الآیات الثلاث لم تنزل دفعه واحـده، بل قد نزلت تدریجا و نجوما، و قد جمعها عثمان بهذا الوجه و حرّف الکلم عن مواضعها و لم یرتّب الآیات کما هو حقّها.

و ثانیا أنّ توافق الآیات و جریها علی نسق واحد و إن کان مقتضـیا لحمل الولیّ هاهنا علی النّاصر و موجبا لظهوره فیه، إلاّ أنّه إذا امتنع حمله علیه بمقتضی

ص:۳۵۹

كلمه الحصر و الجمله الوصفيّه الظاهرتين فى المعنى الآخر حسبما عرفت فى تقريب الاستدلال و ستعرفه أيضا، فلا بدّ من رفع اليد عن ذلك الظهور، و بعباره اخرى ظهور التّناسق يوجب حمله على النّاصر إلاّ أنّه معارض بظهور الحصر و الوصف فى المعنى الآخر ان لم يكونا نصّين فيه، و الثّانى أقوى من الأوّل فيجب المصير اليه.

و عن الثّانى بأنّه إنّما يتمّ على مذهب من يجعل المشتقّ حقيقه فى الحال كما هو الأشهر، و أمّا على مذهب من يجعله حقيقه فى مطلق ما اتّصف بالمبدإ سواء كان فى الماضى أو فى الحال أو الاستقبال إذا كان محكوما عليه فلا، فيكون ذلك مثل قوله تعالى:

«اَلسّارِقُ وَ السّارِقَهُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُما » حيث إنّهم يستدلّون بهذه الآيه على وجوب قطع يد السّارق، و لو لم يكن سارقا حين نزول الآيه إلاّ أنّ هذا القول لما كان غير مرضيّ عندنا على ما حقّقناه فى حاشيتنا على القوانين و نبّهنا هناك أيضا على ضعف الاستدلال بآيه السّرقه، فالأولى الاعراض عنه و الجواب على المذهب المختار الموافق للمشهور، و هو أنا لا ننكر كون المشتقّ حقيقه فى الحال أى حال التّلبس، و لازمه الاتصاف بالولايه حال نزول الآيه لظهور الجملات الخبريّه فى كون حال التّلبس فيها هو حال النّطق إلا أنّا نقول:

إنّ الحقيقه إذا كانت متعذّره بما ذكره النّاصب من عدم الاتصاف بالولايه بمعنى التصرف حال النّزول، فلا بدّ من المصير إلى المجاز و هو المتلبس به فى المستقبل، و أما ما ذكره من أنّا لو حملنا الولايه على النّصره كانت الولايه حاصله فى الحال، ففيه أنّ حصول النصره حين نزول الآيه من المؤمنين الموصوفين بل و من الرّسول أيضا غير معلوم.

فان قلت: سلّمنا و لكن بين المعنين فرق واضح، و هو أن تصرّفهم أعنى المؤمنين حال النزول معلوم العدم و نصرتهم غير معلومه.

قلت: اللّازم فى صحه الاطلاق الحقيقى للمشتقّ هو العلم بالاتصاف بالمبدإ حال الاطلاق، و عدم العلم به غير كاف فى صحه الاطلاق، بل هو كالعلم لعدم الاتصاف يوجب مجازيه الاطلاق، و بالجمله فقد تحقّق بما ذكرنا أنّ جعل الولى بمعنى النّاصر لا يكفى فى صحه الاطلاق الحقيقى و أنّ ما اعترض به على جعله بمعنى المتصرف وارد على جعله بمعنى الناصر حرفا(۱) بحرف. فاللّازم حينئذ حمله على المعنى المجازى و هو المتّصف بالولايه أعمّ من أن يكون فى الماضى و الحال و الاستقبال جميعا كما فى اللّه و رسوله، و من أن يكون فى خصوص الاستقبال كما فى المؤمنين الموصوفين، و هذا كله مبنى على المماشاه مع الخصم، و إلّا فنقول: إن المراد بالولىّ فى الآيه هو الأولى بالتّصرف كما هو أحد معانيه اللغويّه و عليه فالاعتراض ساقط من أصله كما لا يخفى.

و عن الثّالث أوّلا بالنّقض، فانّه قد قال فى تفسير قوله تعالى:

«وَ لاٰ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَهِ » انّ المراد من اولى الفضل ابو بكر و كنى عنه بلفظ الجمع، و الواحد إذا كنى عنه بلفظ الجمع دلّ على علوّ شأنه كقوله تعالى:



---

۱- (۱) لا يقال سلمنا ورود هذا الايراد على جعله بمعنى الناصر و لكنه لا يتوجه على جعله بمعنى المحب اذ المحبه قد كانت موجوده حال نزول الآيه لانا نقول اولا انه استدل بالادله الثمانيه على اولويه اراده الناصر بالنسبه الى المتصرف لا على اولويه اراده المحب كما هو صريح كلامه فى اصل العنوان، و ثانيا سلمنا ان غرضه الاستدلال على اولويتهما كليهما بالنسبه اليه حسبما يظهر من كلامه فى اصل العنوان و من اراداته المحبه بالنصره و المحب بالناصر فى تضاعيف الادله لكنا نقول انه ان اراد بالنصره النصره الناشئه عن المحبه و بالمحبه المحبه المشتمله على النصره، و بعباره اخرى معنى واحدا شاملا عليهما فيتوجه عليه الايراد كتوجهه على اراده النصره فقط حرفا بحرف و ان اراد بالمحبه مجرد الحب الخالى عن النصره ففيه حينئذ انه مغاير للنصره قطعا فلا وجه لعطفه عليه غير مره فى كلامه لاستلزام ارادتها معا استعمال اللفظ فى اكثر من معنى واحد و هو غير مرضى عند المحققين و عنده أيضا حسبما صرح به فى كلامه و استدل به على عدم جواز اراده الناصر و المتصرف معا، فافهم جيد، امنه

«إِنّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ »، «إِنّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ » فانظر انّ الشّخص الذى كناه اللّه سبحانه مع جلاله بصيغه الجمع كيف يكون علوّ شأنه انتهى.

و ثانيا بالحلّ، و هو أنّ الأصل فى الاستعمال و إن كان هو الحقيقه إلاّ أنّه مع قيام القراين القطعيه من الأخبار العاميه و الخاصيّه على إراده المعنى المجازى لابدّ من حمل اللفظ عليه، مضافا إلى ما فى حسن التعبير بلفظ الجمع من اشتماله على التّعظيم و النكته اللطيفه التى لا تخفى، و هى ما أشار إليه فى الكشّاف، قال:

فان قلت: كيف صحّ أن يكون لعلىّ عليه السّلام و اللفظ لفظ الجماعه؟ قلت: جىء به على لفظ الجمع و إن كان السبب فيه رجلا- واحدا ليرغب النّاس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه و ليتبّه على أنّ سجيّه المؤمنين لا- بدّ أن يكون على هذه الغايه من الحرص على البرّ و الاحسان و تفقد الفقراء حتّى أن لزمهم أمر لا يقبل التأخير و هم فى الصّلاه لم يؤخّروه إلى الفراغ منها انتهى.

و عن الرابع بأنّه مما تضحك منه الثكلى، لانّه خلاف ما اتفقت عليه الامه، أما الخاصه فلأنهم اتفقوا على أنّ الآيه أعنى قوله: يا أيها الذين آمنوا من يرتداه، إنما هى إشاره إلى ظهور الدّوله الحقه القاهره و إلى رجعه آل محمّد و سلطنتهم سلام اللّه عليه و عليهم، و عليه قد دلت الاخبار المتظافره من طرقهم و من طريق العامه كما رواها فى غايه المرام، أو إلى أنّ المراد بالمرتدّين هم الناكثون و القاسطون و المارقون، و بقوم يحبّهم و يحبّونه، هم أمير المؤمنين عليه السّلام و أصحابه كما فى أخبار اخر و أمّا العامه فلاتفاقهم على أنّ خلافه أبى بكر كانت مستنده إلى البيعه لا- إلى النّص و أيضا لو كان الآيه دالّه على صحّه خلافته للاستدلال بها يوم السّقيفه و ليس فليس، و العجب كل العجب أنّ النّاصب يقول: إنّ المراد بقوم يحبّهم و يحبّونه هو ابو بكر و أصحابه، و الشّيعه يقولون: إنّ هؤلاء داخلون فى قوله: من يرتدّ منكم عن دينه و إنّ المراد بالمرتدّين هم الغاصبون لحقّ آل محمّد صلّى اللّه عليه و آله فانظر ما ذا ترى من التّفاوت بين القولين و يأتى

إنشاء اللّه تحقيق ابطال مقال هذا الناصب فى هذه الآيه بما لا مزيد عليه فى شرح الفصل الثامن من الخطبه المائه و الحاديه و التسعين.

و عن الخامس بأنّ عدم تمسّكه سلام اللّه عليه بهذه الآيه ممنوع، بل قد تمسك بها كما تمسك بخبر الغدير و المباهله و غيرهما، و قوله: و لم يتمسك البته بهذه الآيه إن أراد به عدم ورود تمسكه بها فى أخبارهم فهو مسلّم إلاّ أنّه لا يوجب القطع بعدم التمسّک، إذ جلّ مسائل الحقّه لم يرد به روايه منهم، و هو لا يدلّ على انتفاء تلك المسائل واقعا و إن أراد به عدم ورود خبر على ذلک من طرق الخاصّه كوروده فى تمسّكه بخبر الغدير و المباهله، ففيه منع ذلک، لورود تمسكه بها فى بعض أخبارهم مثل ورود التمسک بغيرها، و هو ما رواه فى كتاب غايه المرام من مجالس الشيخ باسناده إلى أبى ذر فى حديث منا شده أمير المؤمنين عليه السّلام عثمان و الزّبير و عبد الرحمن بن عوف و سعد بن أبى وقاص يوم الشّورى و احتجاجه عليهم بما فيه من النّصوص من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و الكلّ منهم يصدّقه فيما يقوله، فكان فيما ذكره عليه السّلام: فهل فيكم أحد آتى الزّكاه و هو راكع فنزلت فيه:

«إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ راكِعُونَ » غيرى؟ قالوا: لا، و فى ذلك الكتاب أيضا عن ابن بابويه باسناده عن أبى سعيد الوراق عن أبيه عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن جدّه عليهم السّلام فى حديث منا شده علىّ عليه السّلام لأبى بكر حين ولى أبو بكر الخلافه و ذكر عليه السّلام فضائله لأبى بكر و النّصوص عليه من رسول اللّه فكان فيما قال له: فانشدك باللّه ألى الولايه من اللّه مع ولايه رسول اللّه فى آيه زكاه الخاتم أم لک؟ قال: بل لک، فقد ظهر ممّا ذكرنا غفله النّاصب اللعين عن أخبار الشّيعه و لا غرو فى ذلک فانّه جاهل بما هو أعظم من ذلک و ليس ذلک من الظالمين ببعيد.

و عن السّادس أوّلا بمنع عدم ثبوت الولايه له عليه السّلام حال نزول الآيه، لما قد

ذکرنا سابقا أنّ المراد بالولی هو الأولی بالتّصرف، و هذا المعنی کان حاصلا له حال النزول، و ثانیا سلّمنا أنّ الآیه مفیده لکونه ولیا فی المستقبل نظرا إلی کون الولیّ بمعنی المتصرف، إلاّ أنّا نمنع قوله. و نحمله علی إمامته بعد أبی بکر و عمر و عثمان اه، إذ الآیه کما هی مثبته لامامته علیه السّلام، کذلک نافیه للامامه عن غیره حسبما حققناه فی تقریب الاستدلال و سنحقّقه أیضا بما لا مزید علیه، و علیه فلا یبقی للثّلاثه خلافه حتّی یتأخّر علیّ علیه السّلام عنهم أو یتقدّم علیهم و هو ظاهر، و ثالثا أنّ قوله: فانّ المحتمل اه، واضح الفساد، إذ مجرّد احتمال الخلاف لا یوجب القدح فی حجّیه الاجماع، و إلا لم یسلم شیء من الاجماعات للحجیه، و العجب کلّ العجب أنّ الناصب اللّعین یسقط الاجماع عن الحجّیه هنا بمجرّد احتمال المخالف، و یحتج له کغیره علی خلافه أبی بکر مع وجود الخلاف القطعی المحقق هناک من غیر واحد من أعاظم الصّحابه، فکیف یکون الاجماع علی البیعه حجه مع وجود الخلاف القطعی و لا یکون ذلک دلیلا بمجرّد احتمال الخلاف.

و عن السّابع أنّا قد ذکرنا سابقا أنّ التّصرف بالنّصره شأن من شئونات الولایه المطلقه و علیه فتطیب قلوب المؤمنین کما یحصل بتعریفهم کون اللّه و رسوله ناصرا لهم کذلک یحصل بتعریفهم کونه سبحانه و رسوله أولی بالتّصرف فی أرواحهم و أبدانهم و متصرفا فیهم بالنصره و بغیر النصره فی جمیع حالاتهم و أطوارهم، بل حصول التطیب بالثّانی أقوی و آکد من حصوله بالأوّل کما هو غیر خفیّ علی العارف الفطن.

و عن الثّامن أنّ الآیتین لا ربط لاحداهما بالاخری، و لا داعی إلی تکلف التطبیق بینهما، إذ کلّ منهما مسوقه لمقصود غیر ما قصد بالاخری، مضافا إلی ما فی المناسبه التی أبدئها بینهما من سخافه لا تخفی هذا.

و بقی الکلام فی الوجهین اللذین أجاب بهما النّاصب اللعین عمّا عوّل علیه أصحابنا من کون الولایه المذکوره فی الآیه غیر عامه، و الولایه بمعنی النّصره عامه فاقول:

ص:۳۶۴

أما الوجه الأوّل ففيه أنّه إن أراد بقوله: لا نسلّم أنّ كلمه انّما للحصر عدم إفادتها الحصر فی خصوص تلک الآیه فیتوجّه علیه أنه لا یناسب علی ذلک الاستدلال له بالآیتین، لعدم دلاله عدم إفادتها للحصر فیهما علی زعمه عدم إفادتها له فی هذه الآیه بشیء من الدّلالات، و إن أراد به عدم إفادتهما مطلقا کما هو الظاهر من کلامه، ففیه مضافا إلی أنّه خلاف ما صرّح به نفسه فی تفسیر قوله:

«قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُکُمْ یُوحی إِلَیَّ أَنَّما إِلهُکُمْ إِلهٌ واحِدٌ » أوّلا أنّ المتبادر منها هو الحصر فیکون حقیقه فیه، لأنّ التبادر علامه الحقیقه، و ثانیا أنّ المشهور بین الاصولیّین و اللغویین و النّحویین هو ذلک، و إلیه ذهب الجوهری و صاحب القاموس و حکی عن البیضاوی فی المنهاج، و السّکاکی فی المفتاح، و القزوینی فی الایضاح، و إلیه ذهب من أصحابنا رضوان اللّه علیهم الشیخ و المحقّق و العلامه و الطبرسی و الطریحی و العمیدی و نجم الأئمه الرّضی و غیرهم بل قد ادعی علیه الاتفاق جماعه منّا و منهم، منهم العلامه فی التّهذیب قال: إنّما للحصر بالنقل عن أهل اللغه، و فی النّهایه قال أبو علی الفارسی: إنّ النحاه أجمعوا علیه و صوّبهم فیه و نقله و قوله حجه، و الطریحی فی مجمع البحرین قال: و إنّما المتکرّر فی الکتاب و السنه و کلام البلغاء فهی علی ما نقل عن المحققین موضوعه للحصر عند أهل اللغه، و لم نظفر بمخالف لذلک و استعمال العربیّه و الشّعراء و الفصحاء إیّاها بذلک یؤیّده انتهی.

و عن الأزهری فی کتاب الزّهر عن أهل اللغه أنّ إنّما یقتضی ایجاب شیء و نفی غیره، و فی التّلخیص تبعا للمفتاح فی مقام الاستدلال لافادتها للحصر قال لتضمّنه معنی ما و إلاّ، لقول المفسرین:

«إِنَّما حَرَّمَ عَلَیْکُمُ الْمَیْتَهَ » بالنّصب معناه ما حرّم اللّه علیکم إلاّ المیته، و هو المطابق لقرائه الرّفع و لقول النّحاه: إنّما لاثبات ما یذکر بعده و نفی ما سواه انتهی، و مع ذلک کلّه لا وجه

لمنع إفادتها الحصر إذ قول اللغوى الواحد معتبر فى باب الأوضاع فضلا عن الشّهره المحصّله و الاتفاقات المحكيّه مضافا إلى الأدله التى استدلوا بها فى كتب الاصول و البيان و النّحو و غيرها.

و امّا الآيتان اللتان استدل بهما ففيهما أولا منع عدم إفادتهما الحصر فيهما و لو بالتّأويل القريب يشهد بذلك وقوع كلمه ما و إلّا عوضها فى الآيه الاخرى و هو قوله:

«وَ مَا الْحَياةُ الدُّنْيا إِلّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ لَلدّارُ الْآخِرَةُ ».

إذ لا خلاف فى افادتها للحصر و ثانيا سلّمنا ذلك إلّا أنّهما لا تثبتان الدّعوى لكونهما أخصّ من المدّعى حسبما أشرنا إليه سابقا و ثالثا أن الاستعمال أعمّ من الحقيقه، و المجاز خير من الاشتراك، فقد تحصّل ممّا ذكرنا كله أنّها حقيقه فى الحصر فتكون مجازا فى غيره فبطل القول بكونه حقيقه فى الثّانى كما حكى عن الامدى و أبى حيان و غيرهما، و القول بكونها مشتركه بينهما بالاشتراك اللفظى كما هو محتمل كلام الفيومى فى المصباح، و تفصيل الكلام زياده عن ذلك فليطلب من مواضعه.

و أمّا الوجه الثّانى ففيه أنّ جعل المؤمنين على قسمين أحدهما الناصرون و الآخر المنصورون لا يسمن و لا يغنى من جوع بيان ذلك أنّ كلمه إنّما مفيده للحصر و مقتضيه لاثبات الولايه للّه و لرسوله و للمؤمنين الموصوفين نافيه لها عمّن سواهم، فمقتضى الآيه بحكم أداه الحصر هو اختصاص الولايه لهؤلاء الثلاثه و هو إنّما يتمّ لو جعل المراد بالآيه الأولى بالتّصرف بخلاف ما لو اريد بها النّصره، ضروره عدم اختصاص النصره بهم بل يعمهم و غيرهم من المؤمنين الغير الموصوفين بالصّفه المذكوره لحصولها منهم و من غيرهم و حينئذ فلا يكون للحصر فايده و هذا معنى قولنا: إنّ الولايه بمعنى النصره عامه من حيث عدم اختصاصها بالمؤمنين المتّصفين بايتاء الزّكاه فى حال الرّكوع و ليس معناه أنها عامه لجميع المؤمنين حتّى يعترض عليه بجعلهم على قسمين و تخصيصها بأحد القسمين كما توهمه الناصب.

ص:۳۶۶

لا يقال: إنّ هذا يتمّ لو جعل جمله و هم راكعون حاليه، و أمّا لو جعلت معطوفه فلا.

لانا نقول: لا يجوز جعلها عطفا لأنّ الصّلاه قد تقدّمت و هى مشتمله على الرّكوع فيكون إعاده ذكر الرّكوع تكرارا، فوجب جعلها حالا أى يؤتون الزّكاه حالكونهم راكعين و قد وقع الاجماع على أنّ ايتاء الزّكاه حال الرّكوع لم يكن إلّا من علىّ عليه السّلام، فقد تحقق ممّا ذكرنا كله أنّ الآيه الشريفه من أقوى الدلايل على خلافه أمير المؤمنين عليه السّلام و أنّ اعتراضات الناصب اللعين أو هن من نسج العنكبوت فهو من:

«الْأَخْسَرِينَ أَعْمالاً «اَلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَياهِ الدُّنْيا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً » و أقول على رغم الناصب:

يا من بخاتمه تصدّق راكعا إنّى ادّخرتك للقيامه شافعا

اللّه عرّفنى و بصّرنى به فمضيت فى دينى بصيرا سامعا

## و منها آيه الإطاعه

قوله تعالى: «أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » تقريب الاستدلال أنّه سبحانه أمر بطاعه اولى الامر كما أمر بطاعه الرّسول، و هو يقتضى عموم طاعتهم حيث إنّه سبحانه لم يخصّ طاعتهم بشىء من الاشياء ففى فقد البيان منه تعالى دلاله على اراده الكلّ و إذا ثبت ذلك لا بدّ و أن يكون ولىّ الامر معصوما عن الخطاء، إذ مع عدم عصمته عن الخطاء لم يؤمن من وقوع الخطاء منه، و على تقدير وقوع الخطاء منه يلزم أن يكون قد أمرنا اللّه بمتابعته فيلزم منه أمره سبحانه بالقبيح و هو محال، فثبت أن أمره سبحانه بمتابعه اولى الامر و طاعتهم مستلزم لعصمتهم، و إذا ثبت دلاله الآيه على العصمه و عموم الطاعه ثبت أنّ المراد باولى الامر فيها الأئمه عليهم السّلام، إذ لا أحد يجب طاعته على ذلك الوجه بعد النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله

إلّا هم سلام اللّه عليهم.

و بهـذا التّقرير ظهر ضـعف مـا ذهب إليه العـامه من حمـل أولى الأمر على المتخلّفين الثّلاثه كما ذهب إليه منهم طائفه، و حمله على امراء السّرايا كما ذهبت إليه طائفه اخرى، و على علماء العامه كما هو مذهب طائفه ثالثه، ضروره انتفاء العصمه عنهم جميعا مضافا إلى عـدم وجوب طاعه الامراء كالعلماء على نحو العموم باتّفاق منّا و منهم، و إنّما طاعه الامرآء واجبه فيما تعلّق بإمارتهم، و طاعه العلماء كذلك فى الأحكام الشّرعيّه، على أن الامرآء كالعلماء ربّما يختلفون فى الآراء، ففى طاعه بعضهم عصيان بعض، و إذا أطاع المؤمن بعضهم عصى الآخر لا محاله هذا.

و ذهب النّاصب فخر المشكّكين إلى أنّ المراد بأولى الأمر أهل الحلّ و العقد و أنّ الآيه داله على أنّ اجماع الامه حجّه حيث قال بعد ما أثبت دلاله الآيه على وجوب عصمه اولى الأمر بمثل ما أثبتناه ما هو صريح عبارته: فثبت قطعا أنّ اولى الأمر المذكور فى هذه الآيه لا بدّ و أن يكون معصوما قطعا، ثمّ نقول: ذلك المعصوم إمّا مجموع الامه أو بعض الامه لا جايز أن يكون بعض الامه لأنّا بيّنا أن اللّه تعالى أوجب طاعه اولى الأمر فى هذه الآيه قطعا، و ايجاب طاعتهم قطعا مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين على الوصول إليهم و الاستفاده منهم، و نحن نعلم بالضّروره أنّا فى زماننا هـذا عاجزون عن معرفه الامام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم عاجزون عن استفاده الدين و العلم منهم، و إذا كان الأمر كذلك علمنا أنّ المعصوم الذى أمر اللّه المؤمنين بطاعته ليس بعضا من أبعاض الامه، و لا طائفه من طوايفهم، و لما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذى هو المراد بقوله و اولى الأمر أهل الحلّ و العقد من الامه و ذلك يوجب القطع بأنّ اجماع الامه حجّه.

ثمّ إنّه بعد طائفه من الكلام فى النقض و الابرام فى ذلك المرام قال:

و أمّا حمل الآيه على ما تقوله الرّوافض ففى غايه البعد لوجوه.

أحدها ما ذكرناه أنّ طاعتهم مشروطه بمعرفتهم و قدره الوصول إليهم، فلو أوجب علينا طاعتهم قبل معرفتهم كان هذا تكليف ما لا يطاق، و لو أوجب علينا طاعتهم

إذا صرنا عارفين بهم و بمذاهبهم صار هذا الايجاب مشروطا، و ظاهر قوله: أطيعوا اللّه و أطيعوا الرّسول و أولى الأمر منكم، يقتضى الاطلاق، و أيضا ففى الآيه ما يدفع هذا الاحتمال، و ذلك لأنّه تعالى أمر بطاعه الرّسول و طاعه اولى الأمر فى لفظه واحده و هو قوله: و أطيعوا الرّسول و اولى الأمر منكم، و اللّفظه الواحده لا يجوز أن تكون مطلقه و مشروطه، فلما كانت هذه اللّفظه مطلقه فى حقّ الرّسول وجب أن تكون مطلقه فى حقّ اولى الأمر.

الثّانى أنّه تعالى أمر بطاعه اولى الأمر، و أولو الأمر جمع و عندهم لا يكون فى الزّمان إلّا إمام واحد و حمل الجمع على الفرد خلاف الظاهر.

و ثالثها أنه قال: «فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ ».

و لو كان المراد بأولى الأمر الامام المعصوم لوجب أن يقال: فان تنازعتم فى شىء فردّوه إلى الامام، فثبت أنّ الحقّ تفسير الآيه بما ذكرناه، انتهى كلامه هبط مقامه.

أقول: و أنت خبير بما فيما ذهب اليه من الضعف و الفساد.

أما اولا- فلأنّ ما ذكره من دلاله الآيه على حجيّه الاجماع، إمّا أن يكون مراده به إجماع جميع الامه كما هو المستفاد من صدر كلامه و ذيله أعنى قوله:

الآيه داله على أنّ إجماع الامه حجّه و قوله: و ذلك يوجب القطع بأنّ إجماع الامه حجه، و إمّا أن يكون مراده به خصوص إجماع أهل الحلّ و العقد و هم المجتهدون و هو الأظهر بملاحظه قوله: فوجب أن يكون ذلك المعصوم أهل الحلّ و العقد، فان كان مراده به الأوّل، ففيه أنّ إجماع جميع الامه لا يمكن انعقاده إلى يوم القيامه فكيف يحمل الآيه على غير الممكن، و ذلك لأنّ امّه محمّد صلّى اللّه عليه و آله كلّ من تابعه إلى يوم القيامه و كلّ موجود فى عصره فانّه بعض الامه، و إن كان مراده به الثّانى، ففيه أنّه لم يقم دليل على عصمه أهل الحلّ و العقد فلا يمكن حمل المعصوم الذى هو المراد بقوله و اولى الامر على ما حققناه و حققه عليهم بل لم يقم دليل على عصمه جميع الامه أيضا و إن استدلوا عليها بما رووه عن النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله من قوله: لا يجتمع امّتى على الخطاء أو على خطاء، و قوله صلّى اللّه عليه و آله لا يجتمع

امّتی علی الضّلاله، و قوله: سألت ربّی أن لا یجمع امّتی علی الضّلاله فأعطانیها إلی غیر ذلک من الاخبار التی استدلّوا بها فی باب حجیّه الاجماع الغیر النّاهضه لاثبات الدّعوی من حیث ضعف سندها و دلالتها من وجوه عدیده، علی ما حقّقه أصحابنا رضوان اللّه علیهم فی کتبهم الاصولیّه.

و أمّا ثانیا فلانّ المراد من المؤمنین المخاطبین. بقوله: یا أیّها الذین آمنوا أطیعوا اللّه الآیه: إمّا المجتهدون خاصّه، أو المقلّدون خاصّه، أو الاعمّ الشّامل للجمیع، و لا یمکن إراده واحد من الاولین لما فیه من التّخصیص الذی هو خلاف الاصل، مضافا إلی استلزامه اختصاص وجوب طاعه اللّه و رسوله باحدی الطائفتین، و إلی استلزامه حجیّه إجماع العوام علی تقدیر إراده الثّانی، لانّ المخاطبین بقوله: فان تنازعتم فی شیء، هم المخاطبون الاولون، و مفهومه عدم وجوب الردّ إلی اللّه و الرّسول حین الاتفاق فیلزم حجیه إجماع العوام حینئذ و لا یقول به الخصم، و إذا لم یمکن إراده أحد الاوّلین تعیّن إراده الثّالث أعنی جمیع المؤمنین الشّاملین للمجتهدین و المقلّدین، و علیه فلا بدّ و أن یکون أولو الامر غیر المجتهدین، لئلا یلزم اتّحاد المطیع و المطاع، مع أنّ ظاهر اللفظ أیضا المغایره فتعیّن أنّ المراد باولی الامر الائمه المعصومون و بطل ما توهّمه الناصب من حمله علی أهل الحلّ و العقد و هذا تحقیق نفیس فافهمه جیّدا هذا.

و أمّا الوجوه الثّلاثه التی استبعد بها حمل اولی الامر فی الآیه علی الائمه، فیتوجه علی أوّلها أولا(1) أنّه مشترک الورود، إذ کما أنّ طاعه الامام المعصوم موقوف علی معرفته و علی قدره الوصول إلیه و استفاده الأحکام منه، فکذلک طاعه أهل الحلّ و العقد موقوفه علی معرفتهم و علی قدره الوصول إلیهم و استفاده الأحکام منهم و کما أنّا عاجزون فی زماننا هذا عن الوصول إلی حضره الامام علیه السّلام و عن استفاده الدّین و العلم منه فکذلک عاجزون عن الوصول إلی حضره جمیع أهل الحلّ و العقد و عن استفاده العلم منهم و الاطلاع علی آرائهم و إن کان عجزنا فی

ص:370

1- (1) هذا ایراد نقضی منه،

الأوّل مستندا إلى غيبته عليه السّلام، و فى الثّانى إلى كثرتهم و انتشارهم فى شرق الارض و غربها.

و ثانيا(١) أنّ توقف طاعه اولى الأمر على معرفتهم و استفاده الأحكام منهم لا يوجب كون وجوبها مشروطا بذلك، و إنّما هى من مقدّمات الوجود، و بالجمله إطاعه اولى الأمر واجب مطلق، و الواجب المطلق تحصيل مقدّماته على عهده المكلف، فيجب تحصيل العلم برأيهم حتّى يطيعهم، و عجزنا فى هذا الزّمان عن الوصول إلى حضره ولىّ الأمر و عن العلم برأيه إنّما هو مستند إلى أنفسنا، لأنّه إذا كنا نحن السّبب فى استتاره فكلّ ما يفوتنا من الانتفاع به و بتصرّفه و بما معه من الاحكام يكون قد أتينا من قبل نفوسنا فيه، و لو أزلنا سبب الاستتار لظهر و انتفعنا به و أدّى إلينا الحقّ الذى عنده و تمكنّا من طاعته و امتثاله، هذا كله مضافا إلى عدم تمشى ما ذكره فى زمان حضور الائمه فلم يكن مانع يومئذ عن حمل اولى الامر عليهم، و إنّما المانع الذى توهّمه النّاصب و هو العجز عن الوصول إلى ولىّ الامر مختصّ بزمان الغيبه الكبرى فدليله أخصّ من مدّعاه.

و على الثّانى أولا نمنع أنّه لا يكون فى الزّمان إلا إمام واحد، فانّه متعدّد فى زمان الرّسول صلّى اللّه عليه و آله و من بعده من الائمه، لوجود أولادهم المعصومين معهم و ثانيا أنّ الجمع باعتبار تعدّدهم و ان تعدّدت الازمنه، و لا دلاله فى الآيه على أنّ طاعتهم جميعا لا بدّ و أن يكون فى زمان واحد، لامكان حصولها تدريجا كما وجد واحد منهم و ثالثا بعد الاغماض عمّا ذكر أنّ حمل الجمع على الفرد و إن كان خلاف الظاهر إلاّ أنّه مع قيام المقتضى عليه لا ضير فيه بل اللاّزم حينئذ المصير إليه و المقتضى فى المقام موجود، و هو أنّك قد عرفت أنّ ولىّ الامر لا بدّ و أن يكون معصوما، و قد عرفت انحصار العصمه فيهم و بطلان ما توهّمه النّاصب كغيره من وجودها فى الاجماع، فلا بدّ أن يكون المراد من اولى الامر الامام المعصوم و إن كان استعمال



---

١- (١) هذا جواب بالحل منه

الجمع فی الفرد خلاف الظاهر کما توهّمه النّاصب.

و علی الثّالث أنّه غیر مفهوم المراد إذ لا ملازمه بین کون المراد من اولی الامر الامام المعصوم و بین وجوب أن یقال: فان تنازعتم فی شیء فردّوه إلی الامام، اللّهم إلّا أن یوجّه بأن مراده أنّه لو کان المراد من اولی الامر الامام المعصوم لوجب أن یقال:

فان تنازعتم فی شیء فردّوه إلی اللّه و إلی الرّسول و إلی اولی الامر منکم، و حیث لم یقل کذلک علم أنّ اولی الامر داخلون فی المخاطبین بقوله: فان تنازعتم، فیکون ذلک قرینه علی أنّ المراد باولی الامر فی قوله: و أطیعوا الرّسول و اولی الامر منکم، هو أهل الحلّ و العقد، و الجواب انّا قد بیّنا سابقا أنّ الظاهر أنّ المخاطبین بقوله: فان تنازعتم، هم المخاطبون بقوله: یا أیّها الذین آمنوا، فکما أنّ اولی الامر خارجه عن الخطاب الاوّل قطعا حسبما ذکرنا سابقا، فکذلک خارجه عن ذلک الخطاب أیضا، و أمّا عدم ذکر الرّد إلیهم هنا فلا غناء ذکر الرّد إلی الرّسول عن الرّد إلیهم، لانّ الرّد إلی الائمه القائمین مقام رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بعد وفاته هو مثل الرّد إلی الرّسول فی حیاته لانهم الحافظون لشریعته و الهادون لامّته فجروا مجراه فیه.

لا یقال: هذا الکلام جار فی الرّد إلی الرّسول أیضا، لأنّ الرّد إلیه ردّ إلی اللّه فلم لم یستغن عنه بذکره؟ لانّا نقول: إنّ المراد بالرّد إلی اللّه هو الرّد إلی کتاب اللّه، و بالرّدّ إلی الرّسول هو الرد إلی السّنه، و من المعلوم عدم وفاء الکتاب بالمتنازعات و عدم کفایته فی رفع النّزاع عنها، إذ الاحکام المشتمل علیها الکتاب أقلّ قلیل من الاحکام، فلا یغنی ذکر الرد إلیه عن ذکر الرد إلی السّنه المشتمله علی جمیع الاحکام الشّرعیه الکافیه فی رفع النزاع عنها إلا قلیل منها هذا.

و یؤیّد(۱) ما ذکرنا أعنی کون الردّ إلی اولی الامر مرادا بالآیه أیضا ما رواه



---

۱- (۱) و انما جعلناه مؤید العدم کونه حجه علی الناصب اللعین و ان کان من اقوی الادله عندنا منه.

علیّ بن إبراهیم القمیّ فی تفسیره عن أبی عبد اللّه علیه السّلام قال: نزل فان تنازعتم فی شیء فارجعوه إلی اللّه و إلی الرّسول و إلی أولی الامر منکم، و هو یدلّ علی أنّ فی مصحفهم علیهم السّلام کان قول و إلی اولی الامر منکم، و إن عدم وجوده فی المصاحف التی بأیدینا من اسقاط المحرّفین الذین جعلوا القرآن عضین، و اعتاضوا الدّنیا بالدّین، فقد تحقّق و اتّضح ممّا ذکرنا أنّ الآیه الشّریفه نصّ ظاهر جلیّ لو لا اتّباع الهوی من امثال النّاصب اللّعین.

«أُولئِکَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمالُهُمْ فَلا نُقِیمُ لَهُمْ یَوْمَ الْقِیامَهِ وَزْناً ».

## و منها آیه الإبلاغ

قوله تعالی: «یا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالَتَهُ وَ اللَّهُ یَعْصِمُکَ مِنَ النّاسِ » فقد ذهب الخاصّه ککثیر من العامه إلی أنّها نزلت فی علیّ علیه السّلام، و رووا فی ذلک أخبارا کثیره، مثل ما رواه الفخر الرّازی بعد ما ذکر وجوها سخیفه فی شأن النزول قال: العاشر نزلت الآیه فی فضل علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و لما نزلت هذه الآیه أخذ بیده، و قال: من کنت مولاه فعلیّ مولاه اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه، فلقاه عمر فقال: هنیئا لک یا بن أبی طالب أصبحت مولای و مولی کلّ مؤمن و مؤمنه، و هو قول ابن عباس و البراء بن عازب و محمّد بن علیّ.

و فی غایه المرام من تفسیر الثّعالبی فی تفسیره هذه الآیه قال: قال أبو جعفر محمّد بن علیّ علیهما السّلام: معناه بلّغ ما انزل إلیک من ربّک فی فضل علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و فی نسخه اخری أنّه علیه السّلام قال: یا أیّها الرّسول بلّغ ما انزل إلیک فی علیّ، و قال:

هکذا نزلت، رواه جعفر بن محمّد، فلما نزلت هذه الآیه أخذ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله بید علیّ علیه السّلام و قال: من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه.

و فی کتاب فصول المهمه للمالکی قال روی الامام أبو الحسن الواحدی فی

کتابه المسمّی بأسباب النزول یرفعه بسنده إلی أبی سعید الخدری رضی اللّه عنه قال:

نزلت هذه الآیه: یا أیّها الرّسول بلغ ما انزل إلیک من ربّک یوم غدیر خم فی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام، إلی غیر ذلک من الاخبار المرویه من طرق العامه البالغه حدّ الاستفاضه و المراد من قوله: بلّغ ما انزل، هو تبلیغ ولایه علیّ علیه السّلام إلی النّاس و قد بلغه و أدّاه حیث نزل بالغدیر و أخذ بیده و قال: أیّها النّاس أ لست اولی بکم من أنفسکم قالوا: بلی یا رسول اللّه، قال: من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه، اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه و انصر من نصره و اخذل من خذله و ادر الحق معه کیف ما دار، و فی ذلک الیوم قال حسان بن ثابت:

ینادیهم یوم الغدیر نبیّهم بخم و اکرم بالنّبی منادیا

یقول فمن مولاکم و ولیکم فقالوا و لم یبدوا هناک التّعادیا

الهک مولانا و أنت ولیّنا و لن تجدن منّا لک الدّهر عاصیا

فقال له قم یا علیّ فانّنی رضیتک من بعدی اماما و هادیا

فمن کنت مولاه فهذا ولیّه فکونوا له انصار صدق موالیا

هناک دعا اللهمّ وال ولیّه و کن للذی عادی علیّا معادیا

و قال قیس بن سعد:

قلت لما بغی العدوّ علینا حسبنا ربّنا و نعم الوکیل

حسبنا ربّنا الذی فتق النصره بالامس و الحدیث طویل

و علیّ امامنا و امام لسوانا أتی به التّنزیل

یوم قال النّبی من کنت مولاه فهذا مولاه خطب جلیل

انّما قاله النّبی علی الامه حتما ما فیه قال و قیل

و المراد من المولی فی قوله: من کنت مولاه فهذا علیّ مولاه، هو الاولی بالتّصرف بقرینه قوله أ لست أولی اه، و لعدم صلاحیّه إراده غیر هذا من معانیه الستّه، و هو المعتق و المعتق و الجار و الحلیف و النّاصر، أمّا الاربعه الاول فواضح، و أمّا الخامس فلعدم احتیاجه إلی البیان سیّما و قد قال اللّه تعالی:

«وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِناتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِياءُ بَعْضٍ».

و يؤيّد إراده ذلك المعنى اقتران هذه الجمله ببعض القرائن الموجوده فى بعض طرق ذلك الحديث.

و هو ما رواه علىّ بن أحمد المالكى من أعيان علماء العامه قال: روى الحافظ أبو الفتوح سعد بن أبى الفضائل بن خلف العجلى فى كتابه الموحد فى فضل الخلفاء الاربعه رضى اللّه عنهم، يرفعه بسنده إلى حذيفه بن أسد الغفارى و عامر بن ليلى بن حمزه، قالا: لما صدر رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله من حجه الوداع و لم يحجّ بعد غيرها أقبل حتّى إذا كان بالجحفه(۱) و هى عن سمرات(۲) متقاربات بالبطحاء أن لا ينزل تحتهنّ أحد حتّى إذا أخذ القوم منازلهم أرسل فقمّ ما تحتهنّ حتّى نودى بالصّلاه صلاه الظهر عمد إليهن فصلى بالنّاس تحتهن، و ذلك يوم غدير خم، ثمّ بعد فراغه من الصّلاه قال: أيّها النّاس إنّه قد نبّأنى اللطيف الخبير أنّه لن يعمر نبىّ إلا نصف عمر النّبىّ الذى كان قبله و إنّى لاظن أنّى ادعى فاجيب. فانّى مسئول و أنتم مسئولون هل بلّغت فما أنتم قائلون؟ قالوا: نقول: قد بلّغت و جهدت و نصحت و جزاك اللّه خيرا، قال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا اللّه و أنّ محمّدا «رسول اللّه خ» عبده و رسوله، و أن جنّته حقّ و أنّ ناره حقّ، و البعث بعد الموت حقّ؟ قالوا: بلى نشهد، قال:

اللهمّ اشهد، ثمّ قال: أيها النّاس ألا تسمعون ألا فانّ اللّه مولاى و أنا أولى بكم من أنفسكم ألا و من كنت مولاه فعلىّ مولاه، و أخذ بيد علىّ عليه السّلام فرفعها حتّى نظرها



---

۱- (۱) قال فى القاموس الجحفه كانت قريه جامعه على اثنين و ثمانين ميلا من مكه و كانت تسمى مهيعه و الخم على ثلاثه اميال من الجحفه و قال ابن شهر آشوب فى المناقب الغدير فى وادى الاراك على عشره فراسخ من المدينه و على أربعه اميال من الجحفه عند شجرات خمس دوحات عظام و قوله و هى عن سمرات هكذا فى النسخه و الظاهر انه تحريف من النساخ و لعل الاصل و نهى عن سمرات و يكون قوله ان لا ينزل تحتهن تفسير له و الفقم بالضم جانبا الفم و لعل المراد هنا جانباهن، منه أقول: هكذا ذكره المصنف اعلى اللّه مقامه فى الحاشيه لكن الظاهر ان الفاء من قوله:فقم، ليست جزءا للكلمه، و القم بمعنى الكنس، فمعنى فقم ما تحتهن أى فكنس ما تحتهن «المصحح»

۲- (۲) واحدتها سمره شجر معروف، منه

القوم، ثمّ قال: اللهمّ وال من والاه و عاد من عاداه.

فانّ قراين الدّلاله على المعنى المقصود فى هذه الرّوايه غير خفيّه منها جمعه صلّى اللّه عليه و آله بين التّنبيه على الولايه و بين اصول العقائد من التّوحيد و النّبوه و المعاد، فيعلم منه أنّ المراد بالمولى هو الامام الأولى بالتّصرف، إذ هو الذى يليق بان يعتقد به بعد الاعتقاد بالتّوحيد و الرساله و منها تصدير كلامه صلّى اللّه عليه و آله بحرف التّنبيه(۱) ثمّ توكيدها بتكرارها تنبيها على عظم المقصود، و من المعلوم أن النّصره لا يليق بأن يبالغ فيها تلك المبالغه و يهمّ بها ذلك الاهتمام و منها حثهم على الاستماع بقوله ألا تسمعون، إلى غير هذه من وجوه الدلاله.

و بالجمله فقد تحقّق ممّا ذكرنا كله أنّه لا غبار على دلاله الآيه على خلافته عليه السّلام و لو بمعاونه الأخبار المفسره المستفيضه العاميّه و الخاصيّه كما ظهر دلاله تلك الأخبار و غيرها من أحاديث الغدير المتواتره على المدّعى لو لم نقل بكونها صريحه فى إثبات الدّعوى.

و أنت بعد الخبره بما تلوناه عليك تقدر على دفع ما أورده بعض النّواصب علينا فى الاستدلال بهذه الأخبار.

منها ما ذكره الشّارح القوشجى فى شرح التّجريد عند شرح قول المحقّق الطوسى: و لحديث الغدير المتواتر، حيث قال: و أجيب بأنّه غير متواتر بل هو خبر واحد فى مقابله الاجماع كيف؟ و قد قدح فى صحته كثير من أهل الحديث، و لم ينقله المحققون منهم كالبخارى و مسلم و الواقدى، و أكثر من رواه لم يرو(۲) المقدمه التى جعلت دليلا على أنّ المراد بالمولى الأولى بالتصرف.

و منها ما ذكره أيضا كصاحب المواقف. من أنّ قوله: اللّهمّ وال من والاه يشعر بانّ المراد بالمولى هو النّاصر و المحب، قال القوشجى: بل مجرّد احتمال ذلك كاف فى دفع الاستدلال، و ما ذكر من أن ذلك معلوم ظاهر من قوله: و المؤمنون



---

۱- (۱) حيث قال الا فان اللّه مولاى ثم اكدها بقوله الا و من كنت مولاه، منه

۲- (۲) و هو قوله الست اولى بكم من انفسكم، منه

و المؤمنات بعضهم أولياء بعض، لا يدفع الاحتمال، لجواز أن يكون الغرض على التّنصيص على موالاته و نصرته ليكون أبعد عن التّخصيص الذى يحتمله أكثر العمومات، و ليكون أوفى بافاده الشّرف حيث قرن بموالاه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله.

و منها ما ذكراه أيضا و هو أنّه و إن سلّم أن المراد بالمولى هو الأولى فأين الدّليل على أنّ المراد الأولى بالتّصرف و التّدبير، بل يجوز أن يراد به الأولى فى أمر من الامور كما قال تعالى:

«إِنَّ أَوْلَى النّاسِ بِإِبْراهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ».

و أراد الأولويه فى الاتباع و الاختصاص به و القرب منه لا فى التّصرف فيه.

و منها ما ذكره صاحب المواقف و بعض شرّاح التّجريد من أنّ أولى بمعنى أفعل و مولى بمعنى مفعل و لم يرد أحدهما بمعنى الآخر و إلّا لصحّ أن يقترن لكلّ منهما ما يقترن بالآخر، و ذلك بأن يقال: فلان مولى من فلان كما يقال: فلان أولى من فلان، و فلان أولى فلان كما يقال مولى فلان، و ليس فليس إلى غير ذلك من الوجوه السّخيفه التى لفّقوها و صرف العمر فيها ظلم فى حقّه فالتشاغل عنها أولى.

و لا باس بأن نشير إلى دفع هذه الاعتراضات لتعرف أنّها أضغاث أحلام من عمل الشيطان و ليقاس عليها غيره من الوجوه الضّعيفه البيان فنقول:

أمّا الاعتراض الأول و هو انكار تواتر الحديث، ففيه أنه لم يصدر إلّا عن التّعنت و التعصب يشهد بذلك مراجعه كتب الأخبار العاميّه و الخاصيه.

و قد رواه المحدث العلاّمه السيّد هاشم البحرانى فى كتاب غايه المرام بتسعه و ثمانين طريقا من طرق العامه و ثلاثه و أربعين طريقا من طرق الخاصّه، قال السيّد فى الكتاب المذكور: أقول: خبر غدير خمّ قد بلغ حدّ التّواتر من طرق العامه و الخاصه حتّى أنّ محمّد بن جرير الطبرى صاحب التاريخ أخرج خبر غدير خمّ و طرقه من خمسه و سبعين طريقا و أفرد له كتابا سمّاه كتاب الولايه و هذا الرّجل عاميّ المذهب.

و ذکر أبو العباس أحمد بن محمّد بن سعید بن عقده خبر یوم الغدیر و أفرد له کتابا و طرقه من مأئه و خمسه طرق و هذا قد تجاوز حدّ التواتر فلا یوجد خبر قط نقل من طرق بقدر هذا الطرق، و الدّلیل علی ما ذکرناه من أنّه لم یوجد خبر له طرق کخبر غدیر خم ما حکاه السّید العلامه علیّ بن موسی بن طاوس، و علیّ بن محمّد بن شهر آشوب ذکرا عن شهر آشوب، قال: سمعت أبا المعالی الجوینی یتعجب و یقول شاهدت مجلّدا ببغداد فی ید صحاف فیه روایات غدیر خم مکتوبا علیه المجلّده الثامنه و العشرون من طرق قوله: من کنت مولاه فعلیّ مولاه، و یتلوه المجلّد التّاسع و العشرون انتهی.

و قال قاضی نور اللّه نوّر اللّه مرقده فی کتاب إحقاق الحقّ فی ردّ النّاصب اللعین فضل بن روزبهان: أنّه روی الحدیث فی صحاح القوم کالبخاری و رواه أحمد بن حنبل امامهم فی مسنده بطرق متعدده علی الوجه الذی ذکره المصنف(۱) ، و کذا رواه الثعلبی فی تفسیره، و ابن المغازلی الشّافعی فی کتابه من طرق شتی، و ابن عقده فی مأئه و خمس طرق، و ذکر الشیخ ابن الکثیر الشّامی الشّافعی عند ذکر أحوال محمّد بن جریر الطبری الشّافعی انّی رأیت کتابا جمع فیه أحادیث غدیر خم فی مجلّدین ضخمین و کتابا جمع فیه طرق حدیث الطیر، و نقل عن أبی المعالی الجوینی أنّه کان یتعجب إلی آخر ما حکاه عنه فی غایه المرام، ثمّ قال: و أثبت الشیخ ابن الجزری الشّافعی فی رسالته الموسومه بأسنی المطالب فی مناقب علیّ بن أبی طالب علیه السّلام تواتر هذا الحدیث من طرق کثیره، و نسب منکره إلی الجهل و العصبیه.

و قال ابن شهر آشوب: العلماء مطبقون علی قبول هذا الخبر و إنّما وقع الخلاف فی تأویله، ذکره محمّد بن إسحاق، و أحمد البلادری، و مسلم بن الحجاج، و أبو نعیم الاصفهانی، و أبو الحسن الدارقطنی، و أبو بکر بن مردویه، و ابن شاهین



---

۱- (۱) و هو مطابق لما ذکرناه فیما سبق بقولنا حیث نزل بالغدیر و اخذ بیده و قال إلی آخر ما سبق هناک، منه

و أبو بكر الباقلانى، و أبو المعالى الجوينى، و أبو اسحاق الثعلبى، و أبو سعيد الخرگوشى و أبو المظفر السّمجانى، و أبو بكر بن شيبه، و علىّ بن الجعد، و شعبه، و الأعمش و ابن عباس، و ابن الثّلاج، و الشعبى، و الزّهرى، و الاقليشى، و ابن اليسع، و ابن ماجه، و ابن عبدربّه، و الاسكافى، و أبو يعلى الموصلى من عدّه طرق، و أحمد بن حنبل من أربعين طريقا، و ابن بطه من ثلاث و عشرين طريقا، و ابن جرير الطبرى من نيف و ستّين طريقا، فى كتاب الولايه، و ابو العباس بن عقده عن مأئه و خمس طرق، و أبو بكر الجعانى من مأئه و خمس و عشرين طريقا.

و قد صنف علىّ بن هلال المهلبى كتاب الغدير، و أحمد بن محمّد بن سعد كتاب من روى غدير خم، و مسعود السحرى كتابا فيه رواه هذا الخبر و طرقها.

و استخرج منصور اللالى «اللالكائى ظ» الرّازى فى كتابه أسماء رواتها على حروف المعجم، و ذكر عن الصاحب الكافى أنه قال: روى لناقصه غدير خم القاضى أبو بكر الجعابى عن أبى بكر، و عمر، و عثمان، و علىّ، و طلحه، و الزّبير، و الحسن، و الحسين، و عبد اللّه بن جعفر، و عباس بن عبد المطلب، و عبد اللّه بن عباس، و أبو ذر، و سلمان، و عبد الرّحمن، و أبو قتاده، و زيد بن أرقم، و جرير بن حميد، و عدىّ بن حاتم، و عبد اللّه بن أنيس، و البراء بن عازب، و أبو أيوب، و أبو بريده الأسلمى، و سهل ابن حنيف، و سمره بن جندب، و أبو الهيثم، و عبد اللّه بن ثابت الأنصارى، و سلمه ابن الأكوع، و الخدرى، و عقبه بن عامر، و ابو رافع، و كعب بن عجره، و حذيفه ابن اليمان، و أبو مسعود البدرى، و حذيفه بن أسيد، و زيد بن ثابت، و سعد بن عباده، و خزيمه بن ثابت، و حباب بن عتبه، و جند بن سفيان، و عمر بن أبى سلمه، و قيس بن سعد، و عباده بن الصامت، و أبو زينب، و ابو ليلى، و عبد اللّه بن ربيعه، و اسامه بن زيد، و سعد بن جناده، و حباب بن سمره، و يعلى بن مرّه، و ابن قدامه الأنصارى، و ناحيه بن عميره، و أبو كاهل، و خالد بن الوليد، و حسان بن ثابت، و النّعمان بن عجلان، و أبو رفاعه، و عمر بن الحمق، و عبد اللّه بن يعمر، و مالك بن الحويرث، و أبو الحمراء، و ضمره بن الحبيب «الحديد خ»، و وحشى بن حرب، و عروه ابن أبى الجعد،

و عامر بن النميرى، و بشر بن عبد المنذر، و رفاعه بن عبد المنذر، و ثابت بن وديعه و عمرو بن حريث، و قيس بن عاصم، و عبد الأعلى بن عدىّ، و عثمان بن حنيف، و ابىّ بن كعب، و من النّساء فاطمه الزّهراء، و عايشه، و امّ سلمه، و امّ هانى، و فاطمه بنت حمزه، انتهى.

و بالجمله فقد بلغ هذا الخبر فى الاشتهار إلى حدّ لا يوازيه خبر من الأخبار و تلقته محقّقوا الامه بالقبول و الاعتبار، فلا يردّه إلاّ معاند جاحد، أو من لا اطلاع له على كتب الحديث و الآثار.

و أمّا الاعتراض الثّانى و هو اشعار آخر الحديث باراده النّصره و المحبه، فهو إنّما يتمّ لو قيل إنّ اللّفظ بعد ما اطلق على أحد معانيه لا يناسب أن يطلق ما يدانيه و يناسبه فى الاشتقاق على معنى آخر، و ليس كذلك، بل قد يعدّ ذلك من المحسنات البديعيه، فالاشعار بذلك خصوصا مع المقدمه المتواتره ممنوع، على أنّ مؤخر الخبر جمله دعائيه مستأنفه ليس ارتباطه بوسط الحديث كارتباط المقدّمه به، فاشعاره بذلك لا يكافؤ إشعار المقدمه بخلافه.

هذا كله مضافا إلى أنّ من تأمّل فى الآيه بعين البصيره و الاعتبار يعلم أنّ سياقها يقتضى أنّ المأمور بتبليغه أمر عظيم يفوت بفوات تبليغه ركن من أركان الشريعه على ما يقتضيه قوله: و إن لم تفعل فما بلّغت رسالته، خصوصا على قراءه فما بلّغت رسالاته بصيغه الجمع كما فى الكشّاف و غيره، و اىّ أمر يفوت من الشّريعه بعدم تبليغ أنّ عليّا عليه السّلام ناصر المؤمنين، و أىّ خوف كان للرّسول صلّى اللّه عليه و آله فى إظهار نصرته عليه السّلام حتّى يقول اللّه و اللّه يعصمك من النّاس مع أنّ نصرته للايمان و حمايته للاسلام و كونه ناصرا للمؤمنين و ذابّا عن دين سيّد المرسلين كان بديهيّا غير محتاج إلى البيان.

فبديهه العقل حاكمه بأنّ نزول النّبى صلّى اللّه عليه و آله فى زمان و مكان لم يكن نزول المسافر متعارفا فيهما، حيث كان الهواء على ما روى فى بعض طريق الحديث فى شدّه الحراره حتّى كان الرّجل يستظلّ بدابته و يضع الرّدآء تحت قدميه من شدّه

الرّمضاء و حرّ الهاجره، و المکان ملؤمن الاشواک، ثمّ صعوده علی منبر من الأقتاب و الدّعاء لعلی علیه السّلام علی وجه یناسب شأن الملوک و الخلفاء لم یکن إلاّ لنزول الوحی الحتمی الفوری فی ذلک الزّمان لاستدراک أمر عظیم الشّأن جلیل الخطب یختص بخصوص علی علیه السّلام کنصبه للامامه و الخلافه، لا لمجرّد طلب المحبه و النصره الجاریه فی حقّه و فی حقّ غیره من أهل بیته صلّی اللّه علیه و آله.

و مع ذلک کله فلا مجال لاحتمال إراده النصره حتّی یدفع به الاستدلال کما توهّمه النّاصب القوشجی، کما لا مجال لاحتمال التّخصیص بعد ملاحظه کثره مجاهداته فی الدّین، و نهایه نصرته فی غزواته للمؤمنین حتّی یحتاج إلی التّنصیص علی ما توهّمه أیضا.

و أمّا الاعتراض الثّالث ففیه أنّ التقیید بقوله: من أنفسهم، أو من أنفسکم، علی اختلاف الرّوایتین دلیل علی أنّ المراد بالأولی هو الأولی بالتّصرف دون الأولی فی أمر من الامور، إذ لا معنی للأولویه من النّاس بنفس النّاس إلاّ الاولویه فی التصرف نعم لو لم یوجد القید لتمّ المعارضه بقوله: إنّ أولی النّاس بابراهیم، فانّه لو کان نظم الآیه مثلا إنّ أولی النّاس بابراهیم من نفسه، لکان المراد الأولی بالتصرف.

و أمّا الاعتراض الرّابع ففیه أنّ عدم ورود مولی بمعنی الأول ممنوع، و قد نقله الشّارح القوشجی فی قوله تعالی:

وَ «مَأْواکُمُ النّارُ هِیَ مَوْلاکُمْ » عن أبی عبیده، و استدلّ علی مجیئه بهذا المعنی بهذه الآیه، و بقوله صلّی اللّه علیه و آله أیّما امرأه نکحت بغیر إذن مولاها، أی الاولی بها و المالک لتدبیر أمرها، ثمّ قال: و مثله فی الشّعر کثیر.

و أمّا الاستدلال علیه بعدم صحه اقتران کلّ منهما بما یقارنه الآخر، ففیه أن کون أحد اللفظین بمعنی الآخر لا یقتضی صحه اقترانه بکل ما یقترن به الآخر و لا جریان حکم أحدهما علی الآخر مطلقا ألا تری أنّ الصّلاه بمعنی الدّعاء مع أنّ تعدیه الأوّل بعلی و تعدیه الثانی باللام، یقال: صلی علیه و دعا له، و لو قیل دعا علیه لم

ص:۳۸۱

يكن بمعناه، و أنّ كلمه إلّا بمعنى غير لا يجوز حذف موصوفها، و لا يقال جائنى إلا زيد بخلاف غير فانّه يقال: جائنى غير زيد، و السّر فى ذلك أنّ استعمالات كلام العرب منوطه على التّوقيف و التّوظيف فكلّ مقام استعملت فيه كلمه مخصوصه على كيفيه خاصه فلا بدّ من متابعتها، و لا يجوز التعدّى عنها لبطلان القياس فى اللغات.

و حاصل الكلام أنّه بعد تواتر الحديث كما اعترف به أكابر أهل السنه و وضوح دلالته، يكون ارتكاب القدح فيه و المنع عليه ناشيا عن اعوجاج الفطره و سوء الاستعداد و التورّط فى العصبيه و العناد، ذلك جزاؤهم جهنم بما اتخذوا آيات اللّه و أوليائه هزوا هذا.

و الآيات القرانيه النّازله فى حقّ أمير المؤمنين و أولاده المعصومين سلام اللّه عليهم أجمعين كثيره جدا و سيأتى الاشاره إليها إجمالا فى أخبار مناشدته صلوات اللّه عليه مع الصّحابه يوم الشورى و غيرها، و طوينا عن الزّياده على ما ذكرناه لغرضين، أحدهما مخافه الاطناب، و الثّانى الخوف عن عدم مساعده العمر لاتمام الكتاب و من اراد الاطلاع عليها تفصيلا فليرجع إلى كتب اصحابنا المؤلفه فى ذلك المقصد، ككتاب كشف الحقّ للعلامه الحلى، و كتاب غايه المرام للسيّد هاشم المحدث البحرانى، و غيرهما من مؤلفات القوم، فانّ فيها كفايه لمن له علم و درايه، و إذا عرفت عذرنا فى الاقتصار من الآيات على هذا المقدار فلنتصد إلى الاخبار فنقول:

### القسم الثانى: السنه النّبويه و الاخبار الداله على إمامته عليه السّلام

السنه النّبويه و الاخبار الداله على إمامته عليه السّلام

، و هى أكثر من أن تحصى، و قد صنف علماؤنا فى ذلك و اكثروا و لنقتصر هاهنا على القليل لانّ الكثير غير متناه.

فمنها خبر الغدير المتواتر الذى رويناه سابقا.

و منها قوله صلّى اللّه عليه و آله لعلى عليه السّلام: أنت اخى و وصيّى و خليفتى من بعدى و قاضى دينى، تمسك به فى التّجريد و هو نصّ صريح دالّ على خلافته عليه السّلام و اورد عليه بعض

شرّاحه اولا(۱) بأنّه خبر واحد فی مقابله الاجماع و لو صحّ لما خفی علی الصّحابه و التابعین و المهره المتفننین و المحدثین سیما علیّ و اولاده الطاهرین، و لو سلم فغایته إثبات خلافته علیه السّلام لا نفی خلافه الآخرین و ثانیا(۲) انّه اراد به الوصیه و الخلافه علی المدینه، و یحتمل ذلک فی قضاء دینه و إنجاز موعده، و مع تطرق هذه الاحتمالات لا یمکن التمسک به فی وجوب خلافته.

أقول: اما ما ذکره من انّه خبر واحد فی مقابله الاجماع، ففیه منع صحه الاجماع حسبما یأتی فی مقامه إنشاء اللّه، و ما ذکره من أنّه لو صح لما خفی علی الصحابه، ففیه انّه لم یخف علی علیّ و اولاده الذین هم رؤساء الصّحابه، و قد تمسکوا به و بنظیره فی غیر واحد من احتجاجاتهم و صرّحوا به فی اخبارهم و روایاتهم، اما غیرهم ممن عقدوا قلبهم علی إطفاء نور اللّه و أجمعوا أمرهم علی غصب خلافه اللّه فلم یخف علیهم أیضا و إنما أخفوه عمدا حیث کان إظهاره نقضا لغرضهم، و ما ذکره من أنّه علی تقدیر تسلیمه إنّما یثبت خلافته و لا ینفی خلافه الآخرین، ففیه بعد تسلیم(۳) عدم نفیه لخلافه الآخرین أنّ کفایته لاثبات خلافته علیه السّلام فقط کافیه لنا، و ما المقصود إلاّ ذلک، و أمّا خلافه الآخرین فقد قامت الأدله القاطعه و البراهین السّاطعه علی عدمها حسبما تطلع علیها فی مواردها إن شاء اللّه تعالی.

و أمّا الایراد باحتمال کون الوصیّه و الخلافه علی المدینه ففیه أنّه خلاف الظاهر، إذ ظاهر اللفظ الاطلاق و لا یعدل عنه إلاّ بدلیل و لیس فلیس، بل نقول:

إنّ حذف المتعلق دلیل العموم، بل قوله صلّی اللّه علیه و آله: من بعدی، لا یخلو من إشعار بعدم



---

۱- (۱) هذا الایراد من الشارح القوشجی، منه

۲- (۲) هذا الایراد من الشارح الراغب منه

۳- (۳) قوله بعد تسلیم عدم نفیه اه اشاره إلی دلاله الحدیث علی النفی بمقتضی ظهور لفظ بعدی فی ذلک حیث ان لفظ بعدی و ان کان من حیث الوضع محتملا للبعدیه بلا فصل و بفصل الا ان المفهوم منه بحسب العرف هو الاول الا تری ان القائل اذا قال هذا المال للفقراء بعدی تبادر منه الی الافهام انه اراد بعد موته بلا فصل فیکون حقیقته العرفیه ذلک و کذا اذا ذکر اهل التواریخ ان فلانا جلس علی سریر الملک بعد فلان لا یفهم منه الا ذلک، منه

کون مراده الخلافه علی المدینه کما لا یخفی، و کیف کان فلا ریب فی بطلان الاحتمال المذکور کما لا ریب فی بطلان احتمال کون متعلق الوصیّه قضاء الدّین و انجاز الموعد لما ذکرنا من أصاله الاطلاق خصوصا بملاحظه قوله: و قاضی دینی فانّ تصریحه به مشعر بل مفید لعدم کون متعلق الخلافه و الوصایه ذلک فقط و إلا کان الأنسب أن یقال و وصیّی فی قضاء دینی.

و هذا کله علی التنزل و المماشاه و إلاّ فنقول: إنّه صلّی اللّه علیه و آله لم یکن له دین یبقی علی ذمّته إلی وفاته حتّی یوصی به إلیه، لما روی أنّه فی أیام مرضه طلب برائه الذّمه عن النّاس و لم یدّع علیه أحد شیئا سوی من ادّعی علیه ضرب سوط من عمد، و علی هذا فالظاهر أنّ الدّین فی قوله صلّی اللّه علیه و آله: و قاضی دینی بکسر الدّال کما صرح به المحقّق الطوسی فی التّجرید، و علیه فهو دلیل آخر علی المدّعی إذ الحاکم فی أمر الدّین لا بد و أن یکون خلیفه معصوما.

و منها ما رواه الشّارح المعتزلی فی شرح الخطبه القاصعه و هی الخطبه المأه و الحادیه و التسعون، عن جعفر بن محمّد الصّادق علیهما السّلام قال: کان علی علیه السّلام یری مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله قبل الرّساله الضّوء و یسمع الصّوت، و قال صلّی اللّه علیه و آله له علیه السّلام:

لو لا أنّی خاتم الأنبیاء لکنت شریکا فی النبوه، فان لا تکن نبیّا فانّک وصیّ نبیّ و وارثه بل أنت سیّد الأوصیاء و إمام الأتقیاء.

و منها ما رواه الشّارح هناک أیضا عن الطبرسی فی تاریخه عن عبد اللّه بن عباس عن علیّ بن أبی طالب علیه السّلام، قال: لما نزلت هذه الآیه.

«وَ أَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الْأَقْرَبِینَ » و ساق الحدیث إلی أن قال: ثمّ تکلم رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فقال: یا بنی عبد المطلب إنّی و اللّه ما أعلم أنّ شابا فی العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتکم به إنی قد جئتکم بخیر الدّنیا و الآخره و قد أمرنی اللّه أن أدعوکم إلیه فأیکم یوازرنی علی هذا الأمر علی أن یکون

أخى و وصيّى و خليفتى فيكم؟ فأحجم القوم عنها جميعا و قلت: أنا و إنى لأحدثهم سنّا و أرمضهم عينا و أعظمهم بطنا و أحمشهم ساقا، انا يا رسول اللّه أكون وزيرك عليه فأعاد القول فامسكوا و أعدت ما قلت: فأخذ برقبتى ثمّ قال لهم: هذا اخى و وصيّى و خليفتى فيكم فاسمعوا له و اطيعوا، فقام القوم يضحكون و يقولون لأبى طالب قد أمرك ان تسمع لابنك و تطيع.

أقول: وجوه الدلاله فى هذه الرّوايه من طرق شتّى غير خفيّه على من استضاء قلبه بنور الولايه أو ألقى السّمع و هو شهيد، و سيأتى إنشاء اللّه بتمامه فى مقامه، و العجب كلّ العجب من الشّارح كيف خفى عليه وجوه الدّلاله و عزب عن الاهتداء إليها.

و منها ما رواه هناك أيضا قال: قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى الخبر المجمع على روايته بين ساير فرق الاسلام: أنت منّى بمنزله هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبىّ بعدى، ثم قال: فأثبت له جميع مراتب هارون و منازله عن موسى، فاذا هو وزير رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و شادّ ازره، و لولا أنّه خاتم النّبيين لكان شريكا فى أمره انتهى.

أقول: توضيح الاستدلال و تحقيقه أنه صلّى اللّه عليه و آله أثبت لعلىّ عليه السّلام جميع مراتب هارون من موسى و استثنى النّبوه و يبقى الباقى على عمومه، و من جمله المنازل أنّه كان خليفه لموسى عليه السّلام بدليل قوله تعالى: اخلفنى فى قومى، فكان خليفه فى حياته فيكون خليفه بعد وفاته لو عاش، لكنه لم يعش و علىّ عليه السّلام عاش فتكون خلافته ثابته.

قال القوشجى فى شرح التّجريد: و اجيب بأنّه غير متواتر بل هو خبر واحد فى مقابله الاجماع، و بمنع عموم المنازل بل غايه الاسم المفرد المضاف إلى العلم الاطلاق، و ربّما يدعى كونه معهودا معيّنا كغلام زيد، و ليس الاستثناء المذكور إخراجا لبعض أفراد المنزله بمنزله قولك إلاّ النّبوه، بل منقطع بمعنى لكن، فلا يدلّ على العموم كيف، و من منازله الاخوّه و لم يثبت لعلىّ عليه السّلام، اللّهمّ إلاّ أن يقال إنّها بمنزله المستثنى لظهور انتفائها، و لو سلّم العموم فليس من منازل هارون الخلافه

و التّصرف بطريق النّيابه على ما هو مقتضى الامامه لأنّه شريك له فى النّبوه، و قوله اخلفنى ليس استخلافا، بل مبالغه و تأكيدا فى القيام بأمر القوم، فلو سلّم فلا دلاله على بقائها بعد الموت، و ليس انتفاؤها بموت المستخلف عزلا و لا نقصا، بل ربّما تكون عودا إلى حاله أكمل هى الاستقلال بالنبوّه و التّبليغ من اللّه، و تصرف هارون و نفاذ أمره لو بقى بعد موسى إنّما يكون لنبوّته، و قد انتفت النّبوه فى حقّ علىّ فينتفى ما يبنى عليها و يتسبّب عنها، و بعد اللتيا و التى لا دلاله فيه على نفى إمامه الأئمه الثّلاثه قبل علىّ عليه السّلام انتهى.

و يتوجه عليه وجوه من الكلام و ضروب من الملام الأوّل أنّ إنكار تواتر الخبر ممّا لا يصغى إليه بعد ما سمعته من الشّارح المعتزلى من كونه مجمعا على روايته بين فرق الاسلام، و قد رواه السّيد المحدث البحرانى فى كتاب غايه المرام بمأه طريق من طرق العامه، و بسبعين طريقا من طرق الخاصّه.

الثّانى أنّ عدم إفاده المفرد المضاف للعموم بحسب الوضع مسلم، إلاّ أنّه لا غبار على إفادته له فى المقام بخصوصه بقرينه الاستثناء و بدليل الحكمه، لأنّا لو حملنا المنزله على بعض المنازل دون بعض فامّا أن يكون معيّنه أو مبهمه، و الأوّل ممتنع، ضروره عدم دلاله اللفظ على التّعيين، و الثّانى أيضا ممتنع لما فيه من الاجمال و عدم الافاده، نظير ما قاله الاصوليون فى إفاده المفرد المعرّف للعموم إذا لم يكن ثمّ معهود، مثل قوله: أحلّ اللّه البيع.

الثّالث أنّ الأصل فى الاستثناء الاتّصال و حمل إلّا بمعنى لكن خلاف الظاهر.

الرّابع أنّ معنى قوله: اخلفنى فى قومى، كن خليفتى فيهم كما صرّح به فى الكشّاف، و على ذلك فكان تصرّفه فى القوم بطريق النّيابه عن موسى كما كان نافذ التّصرف بالاصاله بمقتضى نبوّته و حيث انتفى النّبوه فى حقّ علىّ عليه السّلام فيكون تصرّفاته بطريق النّيابه.

الخامس هب أنّ بقاء هارون بعد موسى لا يقتضى كونه نافذ التّصرف من حيث

النّيـابه و الخلافه لامكان النبوه المستقله فى حقّه من اللّه التى هى أعلى و أكمل رتبه من مرتبه الخلافه من موسـى، إلّا أنّ النّبوه لما كانت غير ممكنه فى حقّ علىّ عليه السّلام بمقتضـى الاستثناء فلا بدّ و أن يكون نفوذ تصرّفه المستند إلى الخلافه فى حال حيـاه النبىّ المستفاد من عموم المنزله مستمرا إلى ما بعـد الوفاه، و إلا لزم العزل و النّقص و تنفر الطباع، إذ نفوذ التّصـرف مرتبه جليله لا يحط عنها من ثبت له هـذه المرتبه، لأنّ ذلك يقتضـى غايه التنفير، و بعباره اخرى المجيب قد سلم كون انتفاء الخلافه بموت المستخلف موجبا للعزل و النّقص إلاّ أنّه قد ذبّ عنه بامكـان جبران ذلك النقصان بحصول مرتبه هى أكمل من مرتبه الخلافه، و عليه فأقول: إنّ الجابر للنّقص لما لم يمكن فى حقّ علىّ عليه السّلام، لزم بقـاء الخلافه فى حقّه على حالها لوجود مقتضى البقاء و هو ظاهر لا يخفى.

السّادس أنّ عدم دلالته على نفى إمامه الثّلاثه ممنوع، لأنّه إذا دلت الرّوايه على عموم المنزله حسبما عرفت، فمن جمله منازل هارون هو التّدبير و التّصرف و نفاذ الحكم على فرض التّعيّش بعد موسـى عليه السّلام على عامه الامّه بحيث لم يشذّ منهم أحد، فبعـد إثبات العموم و تسليم الخصم يلزم دخول عامه امّه النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله فى حال حياته و ارتحاله تحت تصـرّف أمير المؤمنين عليه السّلام كما كان عامه قوم موسى تحت تصرّف هارون، و هذا ينفى إمامه الثلاثه مطلقا، فقد تحقق مما ذكرنا كله كفايه الروايه فى إثبات خلافته و نفى خلافه الثّلاثه، و يأتى إنشاء اللّه مزيد تحقيق و بسط لـذلك فى التّنبيه الثالث من شرح الفصل الثّامن من فصول الخطبه المأه و الحاديه و التّسعين، و لنعم ما قال زيد بن على عليه السّلام:

فمن شرّف الاقوام يوما برأيه فانّ عليّا شرّ فته المناقب

و قول رسول اللّه و الحقّ قوله و ان رغمت منه انوف الكواذب

بأنك منّى يا علىّ معالنا كهارون من موسى اخ لى و صاحب

و قال آخر:

و انزله منه على رغمه العدى كهارون من موسى على قدم الدّهر

ص:٣٨٧

فمن كان فى اصحاب موسى و قومه كهارون لازلتم على زلل الكفر

و قال ابن حماد:

نصّ النّبىّ على الهادى أبى الحسن نصّا على صدقه اجمعت انت معى

فى قوله لک منّى اليوم منزله كانت لهارون من موسى فلا نرع

و انّما قال هذا حين خلّفه على المدينه ان انصفت فاقتنع

و منها ما رواه فى غايه المرام عن ابن المغازلى الشّافعى باسناده عن جابر بن عبد اللّه عن النّبى صلّى اللّه عليه و آله، قال: انّ اللّه عزّ و جلّ أنزل قطعه من نور فأسكنها فى صلب آدم فساقها حتّى قسمها جزئين فجعل جزء فى صلب عبد اللّه و جزء فى صلب أبى طالب، فأخرجنى نبيّا و أخرج عليّا وصيّا.

و منها ما رواه فى غايه المرام أيضا عن ابن شيرويه الدّيلمى و هو من أعيان علماء العامه من كتاب الفردوس فى باب الخاء، قال باسناده عن سلمان الفارسى رضى اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: خلقت أنا و علىّ من نور واحد قبل أن يخلق اللّه آدم بأربعه آلاف عام، فلما خلق اللّه آدم ركب ذلک النّور فى صلبه فلم نزل فى شىء واحد حتّى افترقنا فى صلب عبد المطلب ففىّ النّبوه، و فى علىّ الخلافه.

و منها ما رواه فى كشف الحقّ من كتاب المناقب لأبى بكر أحمد بن مردويه، و هو حجه عند المذاهب الأربعه، رواه باسناد إلى أبى ذر، قال: دخلنا على رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فقلنا: من احبّ أصحابک إليک و إن كان أمر كنا معه، و إن كانت نائبه كنا من دونه؟ قال هذا علىّ أقدمكم سلما و إسلاما.

و اورد(۱) عليه بأنّه يدلّ على فضيله أمير المؤمنين عليه السّلام و أنّ النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله يحبه حبّا شديدا و لا يدلّ على النّص بامارته، و لو كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ناصّا على خلافته لكان هذا محلّ إظهاره، و هو ظاهر، فانّه لما لم يقل إنّه الأمير بعدى علم عدم النّص فكيف يصحّ الاستدلال به.

و اجيب(۲) بأنّ النّص على المعنى المراد كما يكون بالدّلاله على ذلک من

ص:۳۸۸

۱- (۱) المورد هو الناصب فضل بن روزبهان، منه

۲- (۲) المجيب قاضى نور اللّه، منه

مجرّد مدلول اللّفظ، كذلك يكون باقامه القراين الواضحه النّافيه للاحتمالات المخالفه للمعنى المقصود، و ما نحن فيه من هذا القبيل، فانّ قول السّائل و إن كان أمر كنّا معه و ان كانت نائبه كنّا من دونه مع قوله صلّى اللّه عليه و آله: هذا علىّ أقدمكم اه، نصّ على إراده الخلافه، فانّ قوله: أقدمكم، بمنزله الدّليل على أهليّته للتقدّم على ساير الامه، فقوله: لو كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله ناصّا لقال إنّه الأمير بعدى، من باب تعيين الطريق الخارج عن شرح المحصلين، بل لو قال النّبى ذلك لكان يتعسف النّاصب الشقىّ و يقول الاماره ليست نصّا صريحا فى الخلافه لاستعماله فى اماره الجيوش و فى اماره قوم دون قوم، كما قال الأنصار، منّا أمير و منكم أمير و بالجمله التّصريح و التطويل لا ينفع المعاند المحيل و لو تليت عليه التّوراه و الانجيل.

و منها ما رواه فيه أيضا من كتاب ابن المغازلى الشّافعى باسناده عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله أنّه قال: لكل نبىّ وصىّ و وارث، و إن وصيّى و وارثى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، و احتمال كون المراد بالوصايه غير الخلافه مدفوع، بأنّ الظاهر من قوله صلّى اللّه عليه و آله: لكلّ نبىّ وصىّ و وارث هو أنّ المراد بالوصىّ الوصىّ فى أمر النّبوه، و إلا يقال إنّ لكلّ احد وصىّ و من المعلوم أنّ الوصايه فى أمر النّبوه هو عباره اخرى للخلافه و سيأتى لذلك مزيد توضيح بعيد ذلك.

و منها ما رواه فيه أيضا من مسند أحمد بن حنبل عن سلمان أنّه قال: يا رسول اللّه من وصيك؟ قال: يا سلمان من وصىّ أخى موسى؟ قال: يوشع بن نون، قال: فان وصيّى و وارثى يقضى دينى و ينجز موعدى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

و أورد عليه النّاصب فضل بن روزبهان بأنّ الوصىّ قد يطلق و يراد به من أوصى له بالعلم و الهدايه و حفظ قوانين الشّريعه و تبليغ العلم و المعرفه، فان اريد هذا من الوصىّ فمسلم أنّه كان وصيّا لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و لا خلاف فى هذا، و إن اريد الوصيّه بالخلافه فقد ذكرنا بالدلايل العقليّه و النّقليه عدم النّص فى خلافه علىّ، و لو كان نصّا جليا لم يخالفه الصّحابه و إن خالفوا لم يطعهم العساكر و عامه العرب سيما الأنصار.

و فيه اولا أن الوصىّ بمعنى الأوّل الذى سلم اتّصافه به أيضا لا بدّ و أن يكون خليفه إذ لا نعنى بالخلافه إلّا حفظ قوانين الدين و حمايه شريعه سيد المرسلين و هدايه الامه إلى أعلام المعرفه و منار اليقين، و أنّى حصل هذا المعنى فى حق الثّلاثه المتحيّرين فى بوادى الضّلاله التائهين فى مفازه الجهاله العاجزين عن معرفه ظواهر الكتاب و السّنه و عن تفسير معنى الأب و الكلاله، فضلا عن ضبط معانيها و عن معرفه أحكامها و عن هدايه الامه إليها.

و ثانيا أنّ ضرب يوشع مثلا لعلىّ عليه السّلام يعطى كون مراده بالوصايه الخلافه، حيث إنّ يوشع كان خليفه لموسى بعده كما صرّح به غير واحد منهم الشهرستانى فى بيان أحوال اليهود حيث قال فى محكىّ كلامه: إنّ الأمر كان مشتركا بين موسى و بين أخيه هارون إذ قال: أشركه فى امرى، فكان هو الوصىّ فلما مات هارون فى حياته انتقل الوصايه إلى يوشع وديعه ليوصلها إلى شبير و شبرا بنى هارون قرارا و ذلك انّ الوصيّه و الامامه بعضها مستقرّ و بعضها مستودع.

و ثالثا أنّ أىّ دليل عقلىّ أو نقلىّ قام على عدم النّص و إن هو إلّا مصادره على الدّعوى.

و أمّا ما ذكره من أنّه لو كان نصّا جليّا لم يخالفه الصحابه، ففيه أنّ من الصحابه من كان قلبه منورا بنور الايمان و العرفان فلم يخالفوه بل ائتمّوا به و اقتبسوا أنواره و اتّبعوا آثاره حتّى أتيهم اليقين و مضوا إلى لقاء ربّ العالمين، و أمّا غيرهم فقد كان همّهم من أوّل الأمر على اطفاء نور اللّه و كتمان آيات اللّه فلا غرو فى كتمانهم و إخفائهم ذلك، و أمّا العساكر فمخالفتهم إنما هو للحقد و السّخايم الثابته فى صدورهم من أجل قتله أقاربهم و أحبائهم و إخوانهم و أولادهم، و لم يكن بطن من بطون قريش إلّا و كان لهم على علىّ عليه السّلام دم أراقه فى سبيل اللّه كما اعترف به غير واحد منهم منهم ذلك النّاصب، و منهم الشّارح المعتزلى و غيرهما، و من المعلوم أنّ الطبايع البشريه مجبوله على بغض من قتل أقارب قوم و أقوامهم، و حرى

على المبغض بمقتضى جبلته أن يخالف القاتل و يعانده و يمنعه ممّا يرومه بقدر وسعه و طاقته.

و منها خبر الثقلين المتواتر بين الفريقين، و قد رواه فى غايه المرام بتسعه و ثلاثين طريقا من طرق العامه و اثنين و ثمانين طريقا من طرق الخاصه، و من جمله طرقه أحمد بن حنبل فى المسند عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: إنى قد تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدى: الثّقلين واحدهما أكبر من الاخر كتاب اللّه حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى هذا و الاخبار الناصّه على خلافته و إمامته بعد النبى صلّى اللّه عليه و آله فوق حدّ الاحصاء و المقام لا يقتضى الزّياده على ما رويناه، و سيأتى إنشاء اللّه كثير منها فى تضاعيف الشرح فى مواضعها المناسبه و من اللّه التّوفيق و الاستعانه.

## المقصد الثانى: فى الادله العقليّه الداله على إمامته عليه السّلام

### اشاره

فى الادله العقليّه الداله على إمامته عليه السّلام

و هى كثيره.

### منها أنّ الامام يجب أن يكون معصوما و غير علىّ عليه السّلام لم يكن معصوما

فتعين أن يكون هو الامام، أمّا الكبرى فبالاجماع منّا و من العامه، و أمّا الصغرى أعنى وجوب عصمه الامام فلما قد مرّ فى الاستدلال بقوله:

«أَطِيعُوا اللّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ » و محصل ما ذكرناه هناك أن طاعه اولى الامر واجبه مطلقا فلو لم يكن معصوما لم يؤمن منه الخطاء، فاما أن يجب متابعته عند صدوره منه، و إما أن يجب ردعه عنه و إنكاره منه، فعلى الاوّل يلزم أن يكون قد أمرنا اللّه سبحانه بالقبيح و هو محال، و على الثانى فيكون الانكار له مضادّا لوجوب طاعته، و أيضا الحاجه إلى الامام إنما هو لاقامه الحدود و الاحكام و حمل الناس على فعل الواجب و الكفّ عن الحرام و انتصاف حقّ المظلوم من الظالم و منع الظالم من الظلم، فلو جازت عليه المعصيه

و صـدرت عنه انتفت هـذه الفوائـد و افتقر إلى إمام آخر و تسـلسل، و يأتى فى شـرح الفصل الثامن من الخطبه المأه و الحاديه و التسعين تقرير آخر لوجوب عصمه الامام إن شاء اللّه تعالى.

### و منها أنّ الامام يجب أن يكون منصوصا و غير علىّ عليه السّلام لم يكن منصوصا

بالاجماع فهو المتعين

، و إنما قلنا بوجوب التنصـيص لما عرفت من انّ شـرط الامام العصمه و هى من الامور الخفيه التى لا يعلمها إلا اللّه تعالى و ايضا سيره النبىّ صلّى اللّه عليه و آله تقتضى التنصيص، لانه اشفق بالامه من الوالد بولده و لهذا لم يقصر فى إرشاد امور جزئيه مثل ما يتعلّق بدخول المسـجد و الخروج منه و لم يترك شـيئا مما يحتاج إليه الامه إلا بيّنه حتى ارش الخدش و الجلده و نصف الجلده، و مع ذلـك كيف يهمـل أمرهم فيما هو من أهمّ الواجبات و أعظم المهمات و لا ينصّ على من يتولى أمرهم بعـده و يأتى تقرير آخر إنشاء اللّه لوجوب النّص و لزومه فى شرح الكلام المأه و الحادى و السّتين من النّقيب أبى جعفر البصرى، و هو ألطف كلام و أمتن دليل نقله الشارح المعتزلى عن النّقيب هناك فليراجع ثمه.

هذا مضافا إلى أنّ اللّه تعالى قد أخبرنا باكمال الدّين و إتمام النعمه، و من المعلوم أنّ الامامه من تمام الدّين فمن زعم أن اللّه لم يكمل دينه فقـد ردّ كتاب اللّه و من ردّ كتاب اللّه فهو كافر، و توضـيح هذا الدّليل يظهر من روايه الكافى عن الرّضا عليه السّـلام التى سبقت فى آخر فصول الخطبه السّابقه عند شرح قوله عليه السّلام: و لهم خصايص حقّ الولايه، فارجع إليها تجدها فى إثبات هذه الدّعوى كنزا مشحونا بأنواع الدّرر و الجواهر، و بحرا موّاجا ليس له ساحل.

### و منها أنّ الامام لا بدّ أن يكون أفضل من رعيته

و غير علىّ عليه السّـلام من الثلاثه لم يكن أفضل فتعين عليه السّلام، أمّا أنّ الامام لابدّ أن يكون أفضل فلأنّه لو لم يكن أفضل لا يخلو إمّـا أن يكون مساويـا أو مفضولاـ أمـا المسـاوى فيسـتحيل تقـديمه لأـنّه يفضـى إلى التّرجيـح بلاـ مرجـح، و أمّا المفضول فترجيحه على الفاضل يبطله العقل لحكمه بقبح تعظيم المفضول و إهانه الفاضل و رفع مرتبه المفضول و خفض مرتبه الفاضل،

و هو بديهى عند العوام فضلا عن الخواص فانظر إلى عقلك هل يحكم بتقديم المبتدى فى الفقه على مثل ابن عباس، و قد نصّ على إنكاره القرآن أيضا فقال تعالى:

«أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ».

و قال «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبابِ ».

و أمّا أنّ غير علىّ عليه السّلام لم يكن أفضل منه فبتسليم الخصم أعنى الشّارح المعتزلى الذى عمده مقصودنا من تمهيد هذه المقدّمه إبطال مذهبه الذى أشرنا إليه فى صدر المقدّمه، حيث ذهب إلى كونه أفضل منهم، و قد قال فى أوائل شرحه بعد ذكر اختلاف العامه فى تفضيل الأربعه ما هذا لفظه: و أمّا نحن فنذهب إلى ما يذهب إليه شيوخنا البغداديّون من تفضيله عليه السّلام، و قد ذكرنا فى كتبنا الكلاميّه ما معنى الأفضل و هل المراد به أكثر ثوابا أم الأجمع لمزايا الفضل و الخلال الحميده، و بيّنا أنه عليه السّلام أفضل على التفسيرين معا، و ليس هذا الكتاب موضوعا لذكر اللّجاج فى ذلك أو فى غيره من المباحث الكلاميّه لنذكره و لهذا موضع هو أليق به انتهى.

أقول: و لا بأس بأن نبسط الكلام فى المقام ايضاحا للمرام و نذكر يسيرا من مناقب أمير المؤمنين و فضائله عليه السّلام رغما لانوف النّواصب اللّئام إذ الاستقصاء غير ممكن، كما روى الخطيب الخوارزمى و هو من أعيان علماء العامه باسناده إلى ابن عباس قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله: لو أنّ الرّياض أقلام و البحر مداد و الجنّ حسّاب و الانس كتاب ما أحصوا فضائل علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

و روى مثله من طريق الخاصه، و هو ما عن الصّدوق فى أماليه باسناده عن سعيد بن جبير قال: أتيت عبد اللّه بن عبّاس فقلت: يابن عمّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله إنّى جئتك أسألك عن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام و اختلاف النّاس فيه، فقال ابن عباس: جئت

تسألنی عن خیر خلق اللّه من الامه بعد محمّد صلّی اللّه علیه و آله جئت تسألنی عن وصیّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و وزیره و خلیفته و صاحب حوضه و لوائه و شفاعته، و الذی نفس ابن عبّاس بیده لو کانت بحار الدّنیا مدادا و أشجارها أقلاما و أهلها کتّابا فکتبوا مناقب علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و فضائله من یوم خلق اللّه عزّ و جلّ الدّنیا إلی أن یفنیها ما بلغوا معشار ما آتاه اللّه تبارک و تعالی.

فمن یقول عنه رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ابن عباس مثل هذا کیف یمکن درک فضائله لکن ما لا یدرک کلّه لا یترک کلّه، و المیسور لا یسقط بالمعسور. فینبغی أن نورد شطرا منها لیعلم بذلک أفضلیّته علی غیره المقتضیه لأحقیّته بالخلافه و الوصایه و استحقاقه علیه السّلام لها فقط دون غیره، لقبح ترجیح المرجوح علی الرّاجح، و المفضول علی الفاضل.

فأقول و باللّه التّوفیق: إنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام أفضل جمیع امّه النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله بل أفضل جمیع من فی الأرض بعد النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله من حیث کثره الثّواب و من حیث جمعه للخصال الحمیده و الکمالات الذّاتیّه و الفضائل النّفسانیه.

أمّا کثره الثّواب فلظهور أنّ الثّواب مترتب علی العباده و بکثرتها و قلتها تتفاوت الثّواب و الجزاء زیاده و نقصانا، و ستعرف أنّه أعبد من الکل فیکون أکثر مثوبه و لو لم یکن له من العبادات إلاّ ضربته یوم الخندق التی قال فیها رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله:

إنّها أفضل من عباده الثقلین، لکفی فی إثبات هذا المرام فضلا عن سایر عباداته التی لا یضبطها الصّحف و الدّفاتر، و لا یحصیها الزّبر و الطوامیر.

و أمّا الخصال الحمیده و الفضائل و الفواضل النّفسانیه و سایر جهات الفضل فکثیره جمّه.

### منها سبقه إلی الاسلام

، و قد صرّح به نفسه فی المختار السّابع و الثّلاثین بقوله أ ترانی أکذب علی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله لأنا أوّل من صدّقه، و فی المختار السّادس و الخمسین بقوله: فانّی ولدت علی الفطره و سبقت إلی الایمان و الهجره، و تعرف تفصیل سبقته علیه السّلام إلیه و تحقیقه فی شرح المختار إن شاء اللّه تعالی.

ص:۳۹۴

و أقول هنا: قد اعترف أبو بكر أيضا بمسابقته عليه السّلام إلى الاسلام منه فيما رواه أبو ذرعه الدّمشقى و أبو اسحاق الثعلبى فى كتابيهما أنّه قال ابو بكر: يا أسفا على ساعه تقدّمنى فيها علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، فلو سبقته لكان لى سابقه الاسلام.

و فى مناقب ابن شهر آشوب من أنساب الصّحابه عن الطبرى التّاريخى، و المعارف عن القتيبى انّ أوّل من أسلم خديجه ثمّ علىّ ثمّ زيد ثمّ أبو بكر، يعقوب النسوى فى التّاريخ، قال الحسن بن زيد: كان ابو بكر الرّابع فى الاسلام، تاريخ الطبرى انّ عمر اسلم بعد خمسه و اربعين رجلا واحدى و عشرين امرأه و فى هذا المعنى قال الحميرى.

من كان وحّد قبل كلّ موحّد يدعو الآله الواحد القهارا

من كان صلّى القبلتين و قومه مثل النّواهق تحمل الأسفارا

و قال أيضا

من فضله انّه قد كان اول منصلى و آمن بالرّحمن اذ كفروا

سبع سنين و اياما محرّمهمع النّبى على خوف و ما شعروا

و له أيضا

ا لم يؤت الهدى و النّاس حيريفوحّد ربّه احد العليّا

و صلّى ثانيا فى حال خوفسنين بحريث سبعا اسيّا

و قال آخر

ا ما لا يرون اقام الصّلاهو توحيده و هم مشركونا

و يشهد ان لا اله سويربّنا احسن الخالقينا

سنين كوامل سبعا ببيتيناجى الاله له مستكينا

بذلك فضّله ربّناعلى اهل فضلكم اجمعينا

**و منها المسابقه بالصّلاه**

و ستعرف تفصيلها أيضا فى شرح المختار إن شاء اللّه تعالى.

و اقول هنا روى فى المناقب عن المرزبانى عن الكلبى عن ابى صالح عن ابن

عباس فی قوله تعالی:

«وَ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِکَ أَصْحابُ الْجَنَّهِ هُمْ فِیها خالِدُونَ ».

نزلت فی علیّ علیه السّلام خاصّه و هو أوّل مؤمن و أوّل مصلّ بعد النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله و فیه عن السّدی عن ابی مالک عن ابن عبّاس فی قوله:

«وَ السّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولئِکَ الْمُقَرَّبُونَ ».

فقال: سابق هذه الامه علیّ بن أبی طالب علیه السّلام.

و فیه من کتاب ابی بکر الشیرازی عن مالک بن انس عن سمی عن ابی صالح عن ابن عباس قال:

«وَ السّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ ».

نزلت فی أمیر المؤمنین علیه السّلام سبق النّاس کلّهم بالایمان و صلّی القبلتین و بایع البیعتین بیعه بدر و بیعه الرّضوان، و هاجر الهجرتین: مع جعفر من مکّه إلی حبشه و من حبشه إلی المدینه، و فی هذا المعنی قال الحمیری:

وصیّ رسول اللّه و الاول الذی أناب الی دار الهدی حین أیفعا

غلاما فصلّی مستسرّا بدینه مخافه ان یبغی علیه فیمنعا

بمکّه اذ کانت قریش و غیرها تظلّ لاوثان سجودا و رکعا

و له ایضا

أ لم یصلّ علیّ قبلهم حججاو وحّد اللّه رب الشّمس و القمر

و هؤلاء و من فی حزب دینهمقوم صلاتهم للعود و الحجر

و له أیضا

فانک کنت تعبده غلامابعیدا من اساف و من منات

و لا وثنا عبدت و لا صلیباو لا عزی و لم تسجد للات

### و منها السّبقه إلى البيعه

روى فى المناقب عن ابن جبير أنّه لما نزل قوله تعالى:

«وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ».

جمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله بنى هاشم و هم يومئذ أربعون رجلا- و أمر عليّا أن ينضج رجل شاه و خبز لهم صاعا من طعام و جاء بعسّ من لبن ثمّ جعل يدخل إليه عشره عشره حتّى شبعوا، و إنّ منهم لمن يأكل الجذعه(۱) و يشرب الفرق.

و فى روايه مقاتل عن الضّحاك عن ابن عباس أنّه صلّى اللّه عليه و آله قال: و قد رأيتم هذه الآيه ما رأيتم و فى روايه براء بن عازب و ابن عباس أنّه بدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرّجل، ثمّ قال النّبىّ صلّى اللّه عليه و آله: إنى بعثت على الأسود و الأبيض و الأحمر إنّ اللّه أمرنى أن أنذر عشيرتك الأقربين، و إنى لا أملك لكم من اللّه شيئا إلا أن تقولوا لا إله إلا اللّه، فقال أبو لهب لهذا دعوتنا، ثمّ تفرّقوا عنه فنزلت:

«تَبَّتْ يَدا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ ».

ثمّ دعاهم دفعه ثانيه و أطعمهم و سقاهم، ثمّ قال لهم يا بنى عبد المطلب أطيعونى تكونوا ملوك الأرض و حكامها، و ما بعث اللّه نبيّا إلاّ جعل له وصيّا أخا و وزيرا فأيكم يكون أخى و وزيرى و وصيّى و وارثى و قاضى دينى، و فى روايه الطبرى عن ابن جبير عن ابن عباس فأيكم يوازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى و وصيّى و خليفتى فيكم، فأحجم القوم.

و فى روايه أبى بكر الشيرازى عن مقاتل عن الضّحاك عن ابن عباس، و فى سند العشره و فضايل الصّحابه عن أحمد باسناده عن ربيعه بن ناجد عن على عليه السّلام فأيكم يبايعنى على أن يكون أخى و صاحبى؟ فلم يقم إليه أحد و كان علىّ أصغر



---

۱- (۱) الجذع من الابل ما دخل فى السنه الخامسه و من البقر و المعز ما دخل فى السنه الثانيه و الفرق وران سدر جمع فرقه السقاء الممتلى لا يمكن ليمخض حتى يفرق هكذا فى النهايه و القاموس منه.

القوم يقول: أنا فقال فی الثّالثه: أجل و ضرب بیده علی ید أمیر المؤمنین علیه السّلام و فی تفسیر الخرکوشی عن ابن عباس و ابن جبیر و أبی مالک، و فی تفسیر الثعلبی عن البراء بن عازب فقال علیّ علیه السّلام و هو أصغر القوم: أنا یا رسول اللّه، فقال أنت فلذلک کان وصیه قالوا: فقام القوم و هم یقولون لأبی طالب أطع ابنک فقد امر علیک، و قد نظمه السّید الحمیری بقوله:

و یوم قال له جبریل قد علموا انذر عشیرتک الادنین ان بصروا

فقام یدعوهم من دون امّته فما تخلّف عنهم منهم بشر

فمنهم آکل فی مجلس جذعا و شارب مثل عسّ و هو محتقر

فصدّهم عن نواحی قصعه شبعا فیها من الحبّ صاع فوقه الوزر

فقال یا قوم انّ اللّه ارسلنی الیکم فاجیبوا اللّه و ادّکروا

فایکم یجتبی قولی و یؤمن بی انی نبیّ رسول فانبری(۱) عذر

فقال(۲) تبا أ تدعونا لتلفتنا عن دیننا ثمّ قال القوم فانشمروا

من الذی قال منهم و هو أحدثهم سنا و خیرهم فی الذکر اذ سطروا

آمنت باللّه قد اعطیت نافله لم یعطها احد جنّ و لا بشر

و انّ ما قلته حقّ و انّهم ان لم یجیبوا فقد خانوا و قد خسروا

ففارقه تایها و اللّه اکرمه فکان سبّاق غایات اذا ابتدروا

و قال آخر

فلمّا دعا المصطفی اهلهالی اللّه سرّا دعاه رفیقا

و لاطفهم عارضا نفسهعلی قومه فجزوه عقوقا

فبایعه دون اصحابهو کان لحمل اذاه مطیقا

و وحّد من قبلهم سابقاو کان علی کلّ فضل سبوقا

**و اما العلم**

فهو علیه السّلام ینبوعه و مصدره و مورده و مأواه و عنه اخذ العلوم

۱- (۱) برى السهم نحته و قد انبرى ق

۲- (۲) اى قال قائل منهم و هو ابو لهب اللعين، منه

جمیعها و هو أبو عذرها و سابق مضمارها و النّاس کلهم عیاله فی جمیع فنونها و هو البحر المتراکم الزّخار و المتلاطم التّیار، و قد أشار عزّ و جلّ إلی غزاره علمه علیه السّلام بلسان الرّمز و الاشاره فی قوله: حمّ عسق، روی الصّفوانی فی الاحن و المحن عن الکلبی عن أبی صالح عن ابن عباس قال حم اسم من أسماء اللّه عسق علم علی سبق کلّ جماعه و تعالی عن کل فرقه بالکنایه، و فی قوله:

«قُلْ کَفی بِاللّهِ شَهِیداً » الآیه.

قال ابن شهر آشوب فی المناقب ما لفظه: محمّد بن مسلم و أبو حمزه الثّمالی و جابر بن یزید عن الباقر علیه السّلام، و علیّ بن فضّال و الفضیل بن یسار عن الصّادق علیه السّلام، و أحمد بن محمّد الحلبی و محمّد بن الفضیل عن الرّضا علیه السّلام، و قد روی عن موسی ابن جعفر علیه السّلام، و عن زید بن علی علیه السّلام، و عن محمّد بن الحنفیّه، و عن سلمان الفارسی و عن أبی سعید الخدری، و عن إسماعیل السّدی أنّهم قالوا فی قوله:

«قُلْ کَفی بِاللّهِ شَهِیداً بَیْنِی وَ بَیْنَکُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْکِتابِ ».

هو علیّ بن أبی طالب علیه السّلام، فاذا انضمّ إلی ذلک قوله تعالی:

«وَ لا رَطْبٍ وَ لا یابِسٍ إِلاّ فِی کِتابٍ مُبِینٍ ».

یثبت کونه علیه السّلام عالما بجمیع فنون العلم، قال العونی:

و من عنده علم الکتاب و علم ما یکون و ما قد کان علما مکتما

و شهد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله أیضا له بالعلم فی قوله: علیّ عیبه علمی، و قوله صلّی اللّه علیه و آله علیّ أعلمکم علما و أقدمکم سلما، و قوله صلّی اللّه علیه و آله أعلم امّتی من بعدی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام، رواه فی المناقب عن علیّ بن هاشم و ابن شیرویه الدّیلمی باسنادهما إلی سلمان، و قال صلّی اللّه علیه و آله أیضا باجماع المخالف و المؤالف: أنا مدینه العلم و علیّ بابها فمن أراد العلم فلیأت الباب، فی المناقب رواه أحمد من ثمانیه طرق، و إبراهیم الثّقفی من سبعه طرق، و ابن بطه من ستّه طرق، و القاضی الجعابی من خمسه طرق، و ابن

شاهين من أربعه طرق، و الخطيب التّاريخى من ثلاثه طرق، و يحيى بن معين من طريقين، و قد رواه السّمعانى و القاضى الماوردى و أبو منصور السّكرى و أبو الصلت الهروى و عبد الرّزاق و شريك عن ابن عباس و مجاهد و جابر، و نعم ما قيل:

هذا الامام لكم بعدى يسدّدكم رشدا و بوسعكم علما و آدابا

إنّى مدينه علم اللّه و هو لها باب فمن رامها فليقصد البابا

قال ابن شهر آشوب بعد روايته هذا الحديث: و هذا يقتضى وجوب الرّجوع إلى أمير المؤمنين عليه السّلام لأنّه صلّى اللّه عليه و آله كنّى عنه بالمدينه و أخبر أنّ الوصول إلى علمه من جهه علىّ عليه السّلام خاصه، لأنّه جعله كباب المدينه الذى لا يدخل إليها إلّا منه، ثمّ أوجب ذلك الأمر به بقوله: فليأت الباب، و فيه دليل على عصمته، لأنّه من ليس بمعصوم يصحّ منه وقوع القبح، فاذا وقع كان الاقتداء به قبيحا فيؤدّى إلى أن يكون صلّى اللّه عليه و آله قد أمر بالقبيح، و ذلك لا يجوز، و يدلّ أيضا أنّه أعلم الامه انتهى، أقول: و مثل هذا الحديث قوله تعالى:

«وَ لكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقى وَ أْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوابِها ».

و قد مضى فى شرح الفصل الرّابع من الخطبه الاولى حديث شريف فى تفسير هذه الآيه فليراجع ثمّه، و قد روى المخالف و المؤالف أيضا أنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله فتح له ألف باب من العلم يفتح من كلّ باب ألف باب، و إليه أشار الحميرى بقوله:

علىّ أمير المؤمنين أخو الهدى و أفضل ذى نعل و من كان حافيا

اسرّ اليه احمد العلم جمله و كان له دون البريه داعيا

و دوّنه فى مجلس منه واحد بألف حديث كلّها كان هاديا

و كلّ حديث من اولئك فاتح له الف باب فاحتواها كما هيا

و فى المناقب النّقاش فى تفسيره قال ابن عباس: علىّ علم علما علمه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و رسول اللّه علمه اللّه، فعلم النّبىّ علم اللّه و علم علىّ من علم النّبىّ، و ما علمى و علم أصحاب محمّد فى علم علىّ إلّا كقطره فى سبعه أبحر، الضّحاك عن ابن عباس قال: اعطى علىّ بن أبى طالب

عليه السّلام تسعه أعشار العلم و أنّه لأعلمهم بالعشر الباقى فامّا قول عمر بن الخطاب و اعترافه بعلمه عليه السّلام فكثير رواه الخطيب فى الأربعين قال: قال عمر: العلم ستّه أسداس لعلىّ من ذلك خمسه أسداس، و للناس سدس، و لقد شاركنا فى السّدس حتّى لهو أعلم به منّا، ابانه بن بطه كان عمر يقول فيما يسأله عن علىّ فيفرّج عنه: لا أبقانى اللّه بعدك، تاريخ البلادرى لا أبقانى اللّه لمعضله ليس لها أبو الحسن الابانه و الفايق أعوذ باللّه من معضله ليس لها أبو الحسن، فى المناقب و قد ظهر رجوعه إلى علىّ عليه السّلام فى ثلاث و عشرين مسأله حتّى قال:

«لَوْ لا عَلِيٌّ لَهَلَكَ عُمَرُ» و قد رواه الخلق منهم أبو بكر بن عبّاس «عياش ظ» و ابو المظفر السّمعانى قال الصّاحب:

هل فى مثل فتواك اذ قالوا مجاهره لو لا علىّ هلكنا فى فتاوينا

خطيب خوارزم:

اذا عمر تخطأ فى جواب و نبّهه علىّ بالصّواب

يقول بعدله لو لا علىّ هلكت هلكت فى ذاك الجواب

هذا و قد مضى فى شرح الفصل الرّابع من الخطبه السّابقه عند شرح قوله عليه السّلام: و عيبه علمه الاشاره الاجماليّه إلى ميزان علمه عليه السّلام.

و قد أفصح عن غزاره علمه بما رواه فى التّوحيد عن الصّادق عن الباقر عليه السّلام فى حديث طويل قال: و لم يجد جدّى أمير المؤمنين عليه السّلام حمله لعلمه حتّى كان يتنفس الصّعداء و يقول على المنبر: سلونى قبل أن تفقدونى فانّ بين الجوانح منّى علما جما هاه هاه ألا لا أجد من يحمله.

و أفصح عنه أيضا بقوله عليه السّلام فى هذه الخطبه التى نحن فى شرحها: ينحدر عنّى السيل و لا يرقى إلىّ الطير.

و عن إحاطته و كونه غير فاقد لشيء من فنون العلوم بقوله الذى ما زال عليه السّلام يقول: سلونى قبل ان تفقدونى.

و عن إحاطته بالاخبار الارضيّه بما يأتى فى الخطبه الثّانيه و التّسعين من قوله عليه السّلام: فاسالونى قبل أن تفقدونى فو الذى نفسى بيده لا تسألونى عن شىء فيما بينكم و بين السّاعه و لا عن فئه تهدى بآيه و تضل بآيه إلّا أنبئتكم بناعقها و قائدها و سائقها و مناخ ركابها و محط رحالها و من يقتل من اهلها قتلا و يموت منهم موتا.

و عن علمه بالأخبار السّماويه بل كونه عليه السّلام أخبر بها من الأخبار الأرضيه بقوله فى الخطبه المأه و الثّامنه و الثّمانين: أيّها النّاس سلونى قبل أن تفقدونى فلأنا بطرق السّماء أعلم منّى بطرق الأرض.

و عن إحاطته بالأخبار الغيبيّه خطبه المتضمّنه للاخبار عن الملاحم، و هى كثيره مثل كلامه السّادس و الخمسين و يأتى إنشاء اللّه فى شرحه جمله من أخباره الغيبيه، و هكذا الخطبه الثّانيه و التّسعون و مثل الخطبه المأه و الخطبه المأه و الثمانيه و العشرين إلى غير هذه ممّا لا نطيل بتعدادها.

و عن إحاطته بالكتب المنزله بما رواه فى المناقب عن ابن البخترى من ستّه طرق، و ابن المفضّل من عشر طرق، و إبراهيم الثقفى من أربعه عشر طريقا أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام قال بحضره المهاجرين و الأنصار و أشار إلى صدره كيف ملاء علما لو وجدت له طالبا سلونى قبل أن تفقدونى هذا سفط العلم هذا لعاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و هذا ما زقّنى رسول اللّه زقّا فاسألونى فانّ عندى علم الأولين و الآخرين، أما و اللّه لو ثنيت لى الوساده ثمّ اجلست عليها لحكمت بين أهل التّوراه بتوراتهم و بين أهل الانجيل بإنجيلهم و بين أهل الزّبور بزبورهم و بين أهل الفرقان بفرقانهم حتّى ينادى كلّ كتاب بأنّ عليّا حكم فىّ بحكم اللّه، و فى روايه حتّى ينطق اللّه التّوراه و الانجيل، و فى روايه اخرى حتّى يزهر كلّ كتاب من هذه الكتب و يقول: يا ربّ

إنّ عليّا قضـى بقضائک ثمّ قال: سـلونی قبل ان تفقدونی فو الذی فلق الحبّه و برء النسمه لو سألتمونی عن آیه آیه فی لیله انزلت او فی نهـار مکیهـا و مـدنیها و سـفریها و حضـریها ناسـخها و منسوخهـا و محکمها و متشابهها و تأویلها و تنزیلها لأخبرتکم هـذا مجمل ما یتعلّق بجهات علمه علیه السّلام.

و أمّا التفصیل فاستمع لما یملاء علیک إن کنت طالبا للهدی مبتغیا رشدا، فأقول و باللّه التّوفیق:

أمّا العلم الالهی فیظهر سبقه علیه السّلام فیه علی الجمیع من خطبه الشّریفه المتضمّنه للتّوحید و المعرفه و تمجید الحقّ الأوّل عزّ و جل باعتبار نعوت جلاله و صـفات جماله لا سیّما الخطبه التسـعون المعروفه بالأشـباح، و الخطبه المأه و الخامسه و الثمانون التی تجمع من اصول العلم ما لا تجمعه خطبه، فراجع المقامین و انظر کیف خاض فی غمار عمّانه و غاص علی فرائده و جمانه.

و أمّا علم التفسـیر و القرائه فیصحّ مسابقته فیه بما مرّ آنفا و بما تقدّم فی ثالث تذییلات الفصل السّابع عشـر من الخطبه الاولی، و أقول: هنا مضافا إلی ما سبق:

قال الشّارح المعتزلی: إذا رجعت إلی کتب التفسـیر علمت صـحّه ذلک لأنّ أکثره عنه علیه السّـلام و عن عبد اللّه بن عباس و قد علم النـاس حـال ابن عبـاس فی ملازمته له و انقطـاعه إلیه و أنّه تلمیـذه و خریجه و قیل له أین علمک من علم ابن عمّک، قال: کنسبه قطره من المطر إلی البحر المحیط انتهی.

و قد روی عن ابن عباس أنّه قال: حدّثنی أمیر المؤمنین علیه السّلام فی باء بسم اللّه الرّحمن الرّحیم من أوّل اللّیل إلی الفجر و لم یتمّ، و عن قوّه قال علیّ علیه السّـلام لو شئت لأوقرت سبعین بعیرا فی تفسیر فاتحه الکتاب، و عن فضائل العکبری قال الشعبی: ما أحد أعلم بکتاب اللّه بعد نبیّ اللّه من علیّ بن أبی طالب علیه السّلام.

و فی المنـاقب القراء السّـبعه إلی قراءته یرجعون، فأمّـا حمزه و الکسائی فیقولان علی قراءه علی و ابن مسـعود و لیس مصـحفهما مصـحف ابن مسـعود فهمـا إنّمـا یرجعـان إلی علی علیه السّـلام و یوافقان ابن مسـعود فیما یجری مجری الاعراب، و قـد قال ابن مسعود

ما رأيت أحدا أقرء من عليّ بن أبى طالب للقرآن، و أمّا نافع و ابن كثير و أبو عمرو فمعظم قراءاتهم يرجع إلى ابن عباس، و ابن عباس قرء على ابى بن كعب و عليّ عليه السّلام و الذى قرأه هؤلاء القراء يخالف قراءه ابىّ فهو إذا مأخوذ عن على عليه السّلام و أمّا عاصم فقرأ على أبى عبد الرّحمن السّلمى، و قال أبو عبد الرّحمن قرأت القرآن كله على عليّ بن أبى طالب عليه السّلام، فقالوا: أفصح القراءات قراءه عاصم لأنه أتى بالأصل و ذلك أنّه يظهر ما ادغمه غيره و يحقّق من الهمز ما ليّنه غيره و يفتح من الالفات ما أماله غيره، و العدد الكوفى فى القرآن منسوب إلى عليّ عليه السّلام و ليس فى الصّحابه من ينسب إليه العدد غيره، و إنّما كتب عدد ذلك كلّ مصر من التّابعين.

و أمّا علم الفقه و الفروع فهو عليه السّلام مرجع الفقهاء كلهم فيه و عنه عليه السّلام تلقوه أمّا فقهاؤنا الاماميه أنار اللّه برهانهم فحالهم ظاهر، و أمّا فقهاء العامه فقد قال الشارح المعتزلى كلّ فقيه فى الاسلام فهو عيال و مستفيد من فقهه، أمّا أصحاب أبى حنيفه كأبى يوسف و محمّد و غيرهما فأخذوا عن أبى حنيفه، و أمّا الشّافعى فقرأ على محمّد ابن الحسن فيرجع فقهه أيضا إليه، و أمّا أحمد بن حنبل فقرأ على الشافعى فيرجع فقهه أيضا إلى أبى حنيفه و قرء أبو حنيفه على جعفر بن محمّد عليهما السّلام، و قرء جعفر على أبيه و ينتهى الأمر إلى عليّ عليه السّلام، و أما مالك بن أنس فقرأ على ربيعه، و قرء ربيعه على عكرمه، و قرء عكرمه على عبد اللّه بن عباس، و قرء عبد اللّه بن عباس على على عليه السّلام انتهى ما قاله الشارح.

و أقول: ما عند فقهاء العامه من الحقّ فى الفروع الفقهيه فقد خرج من أمير المؤمنين و أولاده المعصومين عليهم السّلام، و ما عندهم من الباطل فقد نسجتها استحساناتهم العقليه و أقيستهم الباطله و آراؤهم الفاسده.

و قال فى المناقب: إنّ جميع فقهاء أهل الأمصار إليه يرجعون و من بحره يغترفون أمّا أهل الكوفه و فقهاؤهم سفيان الثّورى و الحسن بن صالح بن حيّ و شريك بن عبد اللّه و ابن أبى ليلى و هؤلاء يقرعون المسائل و يقولون هذا قياس قول

علیّ علیه السّلام و یترجمون الأبواب بذلک، و أمّا أهل البصره و فقهاؤهم الحسن و ابن سیرین و کلاهما کانا یأخذان عمّن أخذ عن علیّ علیه السّلام، و ابن سیرین یفصح بأنه أخذ عن الکوفیّین، و عن عبیده بن السّمانی و هو أخصّ النّاس بعلیّ علیه السّلام، و أما أهل مکّه فأخذوا عن ابن عباس و عن علیّ علیه السّلام و قد أخذ عبد اللّه معظم علمه عنه علیه السّلام و امّا أهل المدینه فعنه علیه السّلام أخذوا، و قد صنّف الشّافعی کتابا مفردا فی الدّلاله علی اتّباع أهل المدینه لعلیّ علیه السّلام و عبد اللّه، و قال محمّد بن الحسن الفقیه لو لا علیّ بن أبی طالب علیه السّلام ما علمنا حکم أهل البغی.

و أمّا علم المناظره ففی الأخبار أنّ أوّل من سنّ دعوه المبتدعه بالمجادله إلی الحقّ علیّ علیه السّلام، و قد ناظره الملاحده و الزّنادقه فی متناقضات القرآن فأجاب لهم بأجوبه متینه، و أجاب مشکلات مسائل الجاثلیق حتّی أسلم، و قال علیه السّلام لرأس الجالوت لما قال له: لم تلبثوا بعد نبیّکم إلاّ ثلاثین سنه حتّی ضرب بعضکم وجه بعض بالسّیف، فقال علیه السّلام: و أنتم لم تجف أقدامکم من ماء البحر حتّی قلتم لموسی علیه السّلام: اجعل لنا إلها کما لهم آلهه، روی أبو بکر بن مردویه فی کتابه عن سفیان أنّه قال ما حاجّ علیّ علیه السّلام أحدا إلاّ حجّه(۱) أقول: و یشهد بذلک الرّجوع إلی احتجاجاته المرویه فی کتاب الاحتجاج لأحمد بن أبی طالب الطبرسی و فی مجلّد احتجاجات الأئمه علیه السّلام و مجلّد الفتن و المحن من البحار للمحدّث العلامه المجلسی (ره).

و أمّا القضاء و الفصل بین الخصوم فیدل علی سبقه علیه السّلام فیه علی الکلّ شهاده الرّسول صلّی اللّه علیه و آله فی حقه و قوله: أقضاکم علیّ، و یفصح عنه ما أخبر به عن نفسه فیما رویناه عنه قریبا من قوله لو ثنیت لی الوساده ثم اجلست علیها لحکمت بین أهل التوراه بتوراتهم الحدیث، و من قوله علیه السّلام الآتی فی الکلام المأه و التاسع عشر: و عندنا أهل البیت أبواب الحکم و ضیاء الأمر، و یدلّ علیه قضایاه علیه السّلام فی الوقایع الاتفاقیّه بما



---

۱- (۱) ای غلبه، منه

یحتار فی أکثرها العقول و سیأتی شطر منها فی شرح هذه الخطبه و غیرها إنشاء اللّه تعالی و رجوع الصّحابه إلیه علیه السّلام فیها مأثور مسطور، و قول عمر فی مواطن کثیره:

لو لا علیّ لهلک عمر، معروف مشهور.

و أمّا علم الفصاحه و البلاغه فهو بارعه و حائز قصب السّبق فی مضماره حتی قیل فی وصفه: إنّ کلامه علیه السّلام فوق کلام المخلوق و دون کلام الخالق، و قد تقدم من الرّضی فی دیباجه المتن وصفه بأنّه مشرع الفصاحه و موردها و منشأ البلاغه و مولدها و منه ظهر مکنونها و عنه اخذت قوانینها، و یشهد بذلک خطبته البارعه المدونه فی هذا الکتاب و سنشیر إلی بعض مزایا کلامه علیه السّلام فی تضاعیف الشّرح إنشاء اللّه تعالی، و قد تقدم فی دیباجه الشّرح الاشاره إلی بعضها علی ما ساعد المجال قال ابن نباته: حفظت من کلامه علیه السّلام ألف خطبه ففاضت ثمّ فاضت.

و أمّا علم النّجوم فیدل علی براعته علیه السّلام فیه ما یأتی منه فی الکلام الثامن و السّبعین و شرحه إنشاء اللّه تعالی من الأحکام النّجومیه العجیبه لم یهتد إلیها المنجمون.

و أمّا علم النّحو و الأدبیّه فقد اتّفق العلماء علی أنّه علیه السّلام هو واضعه و مخترعه، قال أبو القاسم الزّجاجی فی محکی کلامه عن أمالیه: حدثنا أبو جعفر محمّد بن رستم الطبری، حدثنا أبو الحاتم السجستانیّ حدثنا یعقوب بن إسحاق الحضرمی حدثنا سعید بن مسلم الباهلی حدّثنا أبی عن جدی عن أبی الأسود الدّئلی، قال: دخلت علی علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فرأیته متفکرا فقلت له: فیم تفکریا أمیر المؤمنین؟ قال علیه السّلام إنّی سمعت ببلدکم هذا لحنا فأردت أن أصنع کتابا فی اصول العربیّه، فقلت: إن فعلت هذا أحییتنا و بقیت فینا هذه اللّغه، ثمّ أتیته بعد ثلاث فألقی إلیّ صحیفه فیها: بسم اللّه الرّحمن الرّحیم الکلام اسم و فعل و حرف، فالاسم ما انبأ عن المسمّی، و الفعل ما انبأ عن حرکه المسمّی و الحرف ما انبأ عن معنی لیس باسم و لا فعل، ثمّ قال علیه السّلام لی تتبعه و زد فیه ما وقع لک، و اعلم یا أبا الأسود أنّ الأشیاء ثلاثه: ظاهر و مضمر و شیء لیس بظاهر و لا مضمر و إنّما تتفاضل العلماء فیما لیس

بظاهر و لا مضمر قال أبو الأسود، فجمعت منه اشياء و عرضتها عليه عليه السّلام، فكان من ذلک حروف النّصب فذکرت منها إنّ و أنّ و ليت و لعل و کأنّ و لم أذکر لکنّ فقال عليه السّلام: لم ترکتها: فقلت: لم أحسبها منها، فقال عليه السّلام: بلى هى منها فزدها فيها انتهى.

و أمّا علم الحساب فيدل على وفور علمه عليه السّلام فيه ما رواه فى المناقب عن ابن أبى ليلى أنّ رجلين تغدّيا فى سفر و مع أحدهما خمسه أرغفه و مع الآخر ثلاثه و واکلها ثالث فأعطاهما ثمانيه دراهم عوضا فاختصما و ارتفعا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال هذا أمر فيه دنائه و الخصومه فيه غير جميله و الصّلح فيه أحسن، فأبى صاحب الثّلاثه الاّ مرّ القضاء فقال عليه السّلام: إذا کنت لا ترضى إلاّ بمرّ القضاء فانّ لک واحده من ثمانيه و لصاحبک سبعه أليس کان لک ثلاثه ارغفه و لصاحبک خمسه؟ قال: بلى قال: فهذه أربعه و عشرون ثلثا اکلت منها و الضّيف ثمانيه فلما أعطاکما الثّمانيه الدراهم کان لصاحبک سبعه و لک واحده، و يأتى روايه هذه القضيّه بطريق آخر فى تضاعيف الشّرح فى موقعه بأبسط وجه إنشاء اللّه تعالى.

و أمّا علم الکيميا فهو أکثرهم حظا منه، قال فى المناقب و قد سئل عن الصّنعه فقال عليه السّلام: هى اخت النّبوه و عصمه المروه و النّاس يتکلمون فيها بالظاهر و انا أعلم ظاهرها و باطنها، ما هى و اللّه إلاّ ماء جامد و هواء راکد و نار جائله و أرض سائله، قال: و سئل فى أثناء خطبته هى الکيميا يکون فقال عليه السّلام: کان و هو کائن و سيکون، فقيل من أىّ شيء هو؟ فقال عليه السّلام: من الزيبق الرّجراج و الاسرب و الزّاج و الحديد المزعفر و زيخار النحاس الاخضر الحور «الحبور خ» الا- توقف على عابرهن، فقيل فهمنا لا يبلغ إلى ذلک فقال عليه السّلام اجعلوا البعض أرضا و اجعلوا البعض ماء و افلحوا الأرض بالماء و قدتم فقيل زدنا يا أمير المؤمنين، فقال عليه السّلام لا زياده عليه فانّ الحکماء القدماء ما زادوا عليه کيميا «کيماظ» يتلاعب به النّاس.

**و أمّا زهده و طلاقه للدّنيا و رغبته بالکليّه عنها**

فهو من المتواترات القطعيّه أظهر و أبهر من الشّمس فى رابعه النّهار، و يفصح عن ذلک و يبيّن عنه و تأتيک من سبإ

ص:۴۰۷

بنبإ یقین الخطب و الکلمات المدونه عنه فی هذا الکتاب و غیره المتضمنه لزهده علیه سلام اللّه ربّ العالمین ملأ السماوات و الأرضین و قد أقسم فیما یأتی من کلماته القصار بالقسم البارّ و قال: و اللّه لدنیاکم هذه أهون فی عینی من عراق(۱) خنزیر فی ید مجذوم، و قال فی الکلام المأتین و الثّانی و العشرین: و إنّ دنیاکم عندی لأهون من ورقه فی فم جراده تقضمها، ما لعلیّ و لنعیم یفنی و لذه لا تبقی.

و فی المناقب المعروفون من الصّحابه بالورع علیّ و أبو بکر و عمرو بن مسعود و أبو ذر و سلمان و مقداد و عثمان بن مظعون و ابن عمر، و معلوم أنّ ابا بکر توفی و علیه بیت مال المسلمین نیف و أربعون ألف درهم، و عمر مات و علیه نیف و ثمانون ألف درهم، و عثمان مات و علیه ما لا یحصی کثره، و علیّ مات و ما ترک إلا سبعمائه درهم فضلا عن عطائه أعدّها لخادم.

امالی الطوسی فی حدیث عمّار یا علیّ إنّ اللّه قد زینک بزینه لم یزین العباد بزینه أحبّ إلی اللّه منها، زیّنک بالزّهد فی الدنیا و جعلک لا تزرء منها شیئا و لا تزرء منک شیئا، و وهبک حبّ المساکین فجعلک ترضی بهم أتباعا و یرضون بک إماما.

اللّؤلؤئیات قال عمر بن عبد العزیز: ما علمنا أحدا کان فی هذه الامه أزهد من علیّ بن ابی طالب علیه السّلام بعد النّبیّ صلّی اللّه علیه و آله، و یروی أنه کان علیه وقت لا یکون عنده ثلاثه دراهم یشتری بها إزارا و ما یحتاج إلیه ثمّ یقسم کلّ ما فی بیت المال علی النّاس ثمّ یصلّی فیه و یقول: الحمد للّه الذی أخرجنی منه کما دخلته، و اتی إلیه بمال فکوم کومه من ذهب و کومه من فضّه و قال یا صفراء اصفری یا بیضاء ابیضی و غرّی غیری،

هذا خبای «جنای خ» و خیاره فیهو کلّ جان یده إلی فیه

الأشعث العبد قال: رأیت علیّا علیه السّلام اغتسل فی الفرات یوم جمعه ثم ابتاع قمیصا کرابیس بثلاثه دراهم فصلّی بالنّاس الجمعه و ما خیط جربانه بعد، و فی فضائل أحمد رای علی علیّ علیه السّلام إزار غلیظ اشتراه بخمسه دراهم، و رای علیه إزار مرقوع فقیل له فی ذلک فقال علیه السّلام یقتدی به



---

۱- (۱) جمع عرق و هو العظم الذی نحت عنه اللحم ق

المؤمنون و يخشع له القلب و تـذل به النّفس و يقصد به المتابع، مسـند أحمد و كان كمّه لا يجاوز أصابعه و يقول ليس للكمين على اليدين فضل، و نظر إلى فقير انخرق كمّ ثوبه فخرق كمّ قميصه و ألقاه إليه، مسـند الموصـلى الشّـعبى عن الحارثى عن علىّ عليه السّلام قال: ما كان لى ليله اهدى لى فاطمه شيء ينام عليه إلا جلد كبش، و اشترى ثوبا فأعجبه فتصدق به.

### و أمّا العباده و صالح الأعمال

فقـد علم إجمالاـ بمـا قـدّمناه فى كونه أكثر ثوابا و أقول مضافا إلى ما سـبق: إنّه عليه السّـلام قـد كان بالغا فيها غايتها، و كفى به شهيدا أنّه كان يؤخذ النّشاب من جسده عند الصّـلاه و هو غير شاعر له لاسـتغراقه فى شهود جمال الحق و فنائه فى اللّه و انقطاعه لكليّته عمّن سواه، و كان السّجاد علىّ بن الحسين عليهما السّلام يصلى فى اليوم و الليله ألف ركعه ثم يأخذ صحف عبادات أمير المؤمنين عليه السّـلام و ينظر ما فيها سيرا، ثم يتركها من يده كالمتضجر المتأسّف على تقصير نفسه فى العباده، و يقول: من يقدر على عباده علىّ بن أبى طالب عليه السّلام، و فيه نزل قوله تعالى:

«تَراهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللّهِ وَ رِضْواناً سِيماهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ».

روى ابن شهر آشوب فى المناقب عن النّيسابورى فى روضه الواعظين أنّه قال عروه بن الزّبير: سمع بعض التّابعين أنس بن مالك يقول: نزلت فى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام:

«أَمَّنْ هُوَ قانِتٌ آناءَ اللَّيْلِ ساجِداً وَ قائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَ يَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ » الآيه.

قال الرّجل: فأتيت عليّا عليه السّـلام وقت المغرب فوجـدته يصـلّى و يقرأ القرآن إلى أن طلع الفجر، ثمّ جدد وضوءه و خرج إلى المسجد و صلّى بالنّاس صلاه الفجر، ثم

قعد فی التّعقیب إلی أن طلعت الشّمس، ثم قصده النّاس فجعل یقضی بینهم إلی أن قام إلی صلاه الظهر فجدّد الوضوء ثم صلی بأصحابه الظهر، ثم قعد فی التّعقیب إلی أن صلی بهم العصر، ثم کان یحکم بین النّاس و یفتیهم إلی أن غابت الشّمس، و فیه عن الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی:

«إِلاَّـ الَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ » قال: ذاک أمیر المؤمنین علیه السّلام و شیعته «فَلَهُمْ أَجْرٌ غَیْرُ مَمْنُونٍ » و فیه عن محمّد بن عبد اللّه بن الحسن عن آبائه علیهم السّلام و سدی عن أبی مالک عن ابن عباس و محمّد بن علی الباقر علیه السّلام فی قوله تعالی:

«وَ مِنْهُمْ سابِقٌ بِالْخَیْراتِ بِإِذْنِ اللّهِ » و اللّه لهو علیّ بن أبی طالب علیه السّلام.

قال بعض السادات

مفرق الاحزاب ضرّاب الطلیمکسّر الاصنام کشاف الغمم

الزّاهد العابد فی محرابهالسّاجد الرّاکع فی جنح الظلم

صام هجیرا و علی سائلهجاد بافطار الصّیام ثمّ نم

و قال العبدی

و کم غمره للموت للّه خاضهاو لجه بحر فی الحکوم اقامها

و کم لیله لیلا و للّه قامهاو کم صبحه مسجوره الحرّ صامها

و فیه أیضا عن عروه الزّبیر قال تذاکرنا صالح الاعمال فقال ابو الدرداء اعبد النّاس علیّ بن ابی طالب علیه السّلام سمعته قائلا بصوت حزین و نغمه شجیّه فی موضع خال الهی کم من موبقه حملتها «حلمتها خ» عنی فقابلتها بنعمتک و کم من جریره تکرمت علیّ بکشفها بکرمک الهی إن طال فی عصیانک عمری و عظم فی الصحف ذنبی فما انا مؤمّل غیر غفرانک و لا انا براج غیر رضوانک ثمّ رکع رکعات فاخذ فی الدّعاء و البکاء فمن

ص:۴۱۰

مناجاته: الهی افکر فی عفوک فتهون علیّ خطیئتی ثمّ اذکر العظیم من اخذک فیعظم علیّ بلیتی ثم قال آه ان انا قرئت فی الصحف سیئه انا ناسیها و انت محصیها فتقول خذوه فیا له من مأخوذ لا تنجیه عشیرته و لا تنفعه قبیلته یرحمه البلاء اذا اذن فیه بالنداء آه من نار تنضج الاکباد و الکلی آه من نار لواعه للشواء آه من غمره من لهبات لظی ثمّ أنعم(۱) فی البکاء فلم اسمع له حسا فقلت غلب علیه النوم اوقظه لصلاه الفجر فاتیته فان هو کالخشبه الملقاه فحرکته فلم یتحرک فقلت انا للّه و انا الیه راجعون مات و اللّه علیّ بن ابی طالب علیه السّلام قال فأتیت منزله مبادرا انعاه الیهم فقالت فاطمه علیها السّلام ما کان من شأنه؟ فاخبرتها فقالت هی و اللّه الغشیه التی تأخذه من خشیه اللّه تعالی، ثم اتوه بماء فنضحوه علی وجهه فأفاق و نظر الیّ و انا ابکی فقال: مم بکائک یا ابا الدرداء؟ فکیف و لو رأیتنی و دعی بی إلی الحساب و ایقن اهل الجرائم بالعذاب و احوشتنی(۲) ملائکه غلاظ و زبانیه فظاظ فوقفت بین یدی ملک الجبار قد أسلمتنی الاحبّاء و رحمنی اهل الدّنیا اشدّ رحمه لی بین یدی من لا یخفی علیه خافیه.

### و منها الشجاعه

و لقد کان أشجع النّاس و أنسی شجاعه من کان قبله و محا اسم من کان یأتی بعده و تعجّبت الملائکه من حملانه، و فیه قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله لما خرج لقتال عمرو بن عبدود: برز الایمان کله إلی الشّرک کله، فلما قتله قال صلّی اللّه علیه و آله له:

ابشر یا علی فلو وزن عملک الیوم بعمل امّتی لرجح عملک بعملهم، رواه فی المناقب لأحمد بن حنبل و النسائی عن ابن مسعود، و أنزل اللّه تعالی.

«وَ کَفَی اللّهُ الْمُؤْمِنِینَ الْقِتالَ » بعلیّ الآیه، کما عن مصحف ابن مسعود، قال ربیعه السّعدی: أتیت حذیفه الیمان فقلت یا أبا عبد اللّه: إنا لنتحدث عن علیّ و مناقبه فیقول أهل البصره: إنکم لتفرّطون فی علیّ فهل تحدثنی بحدیث؟ فقال حذیفه و الذی نفسی بیده لو وضع جمیع أعمال امّه محمّد صلّی اللّه علیه و آله فی کفّه المیزان منذ بعث اللّه



---

۱- (۱) انعم فی البکاء ای بالغ و الحس بالکسر الصوت

۲- (۲) احوش الصید جاءه من حوالیه لیصرفه الی الحیاز

محمّدا إلی یوم القیامه و وضع عمل علیّ علیه السّلام فی الکفّه الاخری لرجح عمل علیّ علی جمیع أعمالهم، فقال ربیعه هذا الذی لا یقام له و لا یقوم، فقال حذیفه: یا لکع و کیف لا یحمل و إن کان أبو بکر و عمر و حذیفه و جمیع أصحاب النّبی صلّی اللّه علیه و آله یوم عمرو بن عبدود و قد دعا إلی المبارزه فأحجم النّاس کلهم ما خلا علیّا، فانّه نزل إلیه فقتله و الذی نفس حذیفه بیده لعمله ذلک الیوم أعظم أجرا من عمل أصحاب محمّد إلی یوم القیامه.

قال الشّارح المعتزلی: و کانت العرب تفتخر بوقوفها فی الحرب فی مقابلته، فأما قتلاه فافتخار رهطهم بأنّه علیه السّلام قتلهم أظهر و أکثر قالت اخت عمرو بن عبدود ترثیه

لو کان قاتل عمر و غیر قاتلهبکیته ابدا ما دمت فی البلد

لکنّ قاتله من لا نظیر لهو کان یدعی ابوه بیضه البلد

و فی غزاه احد انهزم المسلمون و خشی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و ضربه المشرکون بالسیوف و الرّماح و علیّ یدافع عنه فنظر إلیه النّبی صلّی اللّه علیه و آله بعد إفاقته من غشیته و قال صلّی اللّه علیه و آله: ما فعل المسلمون؟ فقال: نقضوا العهد و ولّوا الدّبر، فقال: اکفنی أمر هؤلاء فکشفهم عنه و صاح صایح بالمدینه قتل رسول اللّه، فانهلعت القلوب و نزل جبرئیل قائلا لا سیف الا ذو الفقار و لا فتی إلا علیّ، و قال للنّبی صلّی اللّه علیه و آله یا رسول اللّه لقد عجبت الملائکه من حسن مواساه علیّ لک بنفسه، قال النّبی صلّی اللّه علیه و آله ما یمنعه عن ذلک و هو منی و أنا منه، إلی غیر ذلک ممّا لا یحکیه قلم و لا یضبطه رقم، و ستطلع علی فتوحاته و مجاهداته تفصیلا فی مواقعها إنشاء اللّه، کما ستطلع علی سایر مکارم أخلاقه و محاسن خصاله علی حسب الاستطاعه و التمکن فی مقاماته المناسبه، و لو أردنا شرح معشار فضایله و خصائصه لاحتجنا إلی افراد کتاب یماثل حجم هذا الکتاب بل یزید.

قال الجاحظ فی محکی کلامه و نعم ما قال حالکونه من أعظم النّاس عداوه لأمیر المؤمنین علیه السّلام: صدق علیّ علیه السّلام فی قوله: نحن أهل البیت لا یقاس بنا أحد کیف

يقاس بقوم. منهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله، و الأطيبان عليّ و فاطمه، و السبطان الحسن و الحسين، و الشهيدان أسد اللّه حمزه و ذو الجناحين جعفر، و سيّد الورى عبد المطلب و ساقى الحجيج العباس و حامى النّبى و معينه و محبه أشدّ حبّا و كفيله و مربيه و المقر بنبوته و المعترف برسالته و المنشد فى مناقبه أبياتا كثيره، و شيخ قريش أبو طالب و النّجده و الخير فيهم، و الأنصار من نصرهم، و المهاجرون من هاجر لهم و معهم، و الصّديق من صدّقهم، و الفاروق من فارق بين الحقّ و الباطل فيهم، و الحوارى حواريهم، و ذو الشّهادتين لأنّه شهد لهم، و لا خير إلا فيهم و لهم و منهم و معهم، و أبان رسول اللّه أهل بيته بقوله: إنّى تارك فيكم الخليفتين كتاب اللّه حبل ممدود من السّماء إلى الأرض، و عترتى أهل بيتى نبأنى اللّطيف الخبير أنّهما لن يفترقا حتّى يرد اعلىّ الحوض، و لو كانوا كغيرهم لما قال عمر لما طلب مصاهره على عليه السّلام إنى سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله يقول كل سبب منقطع يوم القيامه إلا سببى و نسبى فأمّا علىّ فلو أفردنا لفضائله الشّريفه و مقاماته الكريمه و درجاته الرّفيعه و مناقبه السّنيه لأفنينا فى ذلك الطوامير الطوال و الدّفاتر، العرق صحيح، و النّسب صريح، و المولد مكان معظم، و المنشأ مبارك مكرم، و الشّأن عظيم، و العمل جسيم و العلم كثير، و ليس له نظير، و البيان عجيب، و اللسان خطيب، و الصّدر رحيب، و أخلاقه وفق اعراقه، و حديثه يشهد على تقديمه انتهى.

و أنت اذا أحطت خبرا بما مهدناه فى هذه المقدّمه عرفت فساد ما توهّمه النّواصب اللئام من عدم وجود النّص على إمامه أمير المؤمنين و سيد المتقين و يعسوب الدين و قائد الغرّ المحجلين عليه و على أولاده آلاف التّحيه و السّلام، كما عرفت فساد القول بتفضيل غيره عليه، كما اتّفق لجماعه منهم، و كذا القول بتفضيله على غيره مع القول بصحه خلافه الثّلاثه و تقديمهم عليه كما هو مذهب الشّارح المعتزلى و من يحذو حذوه من معتزله بغداد و غيرهم على ما حكى عنهم فى أوائل الشّرح، و عمده ما أوقعه كغيره فى هذا الوهم الفاسد و الرّأى الكاسد ما ذكره فى تضاعيف شرح هذه

ص:۴۱۳

الخطبه و لا بأس أن نذكر كلامه بطوله ثم نتبعه بما يلوح عليه من ضروب الكلام و وجوه الملام.

فأقول: قال الشّارح خذله اللّه عند شرح قوله عليه السّلام: أما و اللّه لقد تقمصها إلى قوله: أرى تراثى نهبا، ما لفظه: إن قيل بيّنوا لنا ما عندكم فى هذا الكلام أليس صريحه دالا على تظليم القوم و نسبتهم إلى اغتصاب الأمر فما قولكم فى ذلك إن حكمتم عليهم بذلك فقد طعنتم فيهم، و إن لم تحكموا عليهم بذلك فقد طعنتم فى المتكلم عليهم؟ قيل: أمّا الاماميّه من الشّيعه فتجرى هذه الألفاظ على ظواهرها و تذهب إلى أن النّبىّ نصّ على أمير المؤمنين و أنّه غصب حقّه، و أمّا أصحابنا رحمهم اللّه قلهم أن يقولوا إنّه لما كان أمير المؤمنين هو الأفضل و الأحقّ و عدل عنه الى من لا يساويه فى فضل و لا يوازيه فى جهاد و علم و لا يماثله فى سودد و شرف ساغ اطلاق هذه الألفاظ و إن كان من وسم بالخلافه قبله عدلا تقيا و كانت بيعته بيعه صحيحه، ألا ترى أنّ البلد قد يكون فيه فقيهان أحدهما أعلم من الآخر بطبقات كثيره فيجعل السّلطان الأنقص علما منهما قاضيا فيتوجد الأعظم و يتألم و ينفث احيانا بالشكوى و لا يكون ذلك طعنا فى القاضى و لا تفسيقا له و لا حكما منه بأنّه غير صالح، بل للعدول عن الأحق و الأولى، و هذا أمر مركوز فى طباع البشر و مجبول فى أصل الغريزه و الفطنه، فاصحابنا لما أحسنوا الظن بالصّحابه و حملوا ما وقع منهم على وجه الصواب و أنّهم نظروا إلى مصلحه الاسلام و خافوا فتنه لا يقتصر على ذهاب الخلافه فقط، بل و يفضى إلى ذهاب النّبوه و المله، فعدلوا عن الأفضل الأشرف الأحق إلى فاضل آخر دونه فعقدوا له، احتاجوا إلى تأويل هذه الألفاظ الصّادره عمّن يعتقدونه فى الجلاله و الرّفعه قريبا من منزله النّبوه، فتأوّلوها بهذا التّأويل و حملوها على التألم للعدول عن الأولى، و ليس هذا بأبعد من تأويل الاماميّه قوله تعالى:

«وَ عَصى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوى »

و قولهم: معنى عصى انه عدل عن الأولى، لأنّ الأمر بترك أكل الشّجره كان أمرا على سبيل الندب فلما تركه آدم كان تاركا للأفضل و الأولى فسمّى عاصيا باعتبار مخالفه الأولى، و حملوا غوى على خاب لا على الغوايه بمعنى الضّلال، و معلوم أنّ تأويل كلام أمير المؤمنين عليه السّلام و حمله على أنّه شكا من تركهم الأولى أحسن من حمل قوله تعالى: و عصى آدم، على أنّه ترك الأولى.

إن قيل: لا يخلو الصّحابه أن يكون عدلت عن الأفضل لعله و مانع فى الأفضل أولا لمانع فان كان لا لمانع كان ذلك عقدا للمفضول بالهوى فيكون باطلا، و إن كان لمانع و هو ما يذكرونه من خوف الفتنه و كون النّاس كانوا يبغضون عليّا و يحسدونه فقد كان يجب أن يعذرهم أمير المؤمنين عليه السّلام فى العدول عنه و يعلم أنّ العقد لغيره هو المصلحه للاسلام، فكيف حسن منه أن يشكوهم بعد ذلك و يتوجد إليهم؟ و أيضا فما معنى قوله: فطفقت أرتاى بين أن أصول بيد جذّاء، على ما تأوّلتم به كلامه فانّ تارك الأولى لا يصال عليه بالحرب.

قيل: يجوز أن يكون أمير المؤمنين لم يغلب على ظنّه ما غلب على ظنون الصّحابه من الشّغب و ثوران الفتنه، و الظنون يختلف باختلاف الامارات فربّ انسان يغلب على ظنّه أمر يغلب على ظنّ غيره خلافه، و أمّا قوله: أرتاى بين أن أصول، فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب، بل صيال الجدل و المناظره، يبين ذلك أنّه لو كان جادلهم و أظهر ما فى نفسه لهم فربما خصموه بأن يقولوا له: قد غلب على ظنوننا أنّ الفساد يعظم و يتفاقم إن وليت الأمر، و لا يجوز مع غلبه ظنوننا لذلك أن نسلّم الأمر إليك، فهو عليه السّلام قال: طفقت أرتاى بين أن أذكر لهم فضائلى عليهم و احاجّهم بها فيجيبونى بهذا الضّرب من الجواب الذى يصير حجتى بهم جذّاء مقطوعه و لا قدره لى على تشييدها و نصرتها، و بين أن أصبر على ما منيت به و وقعت إليه.

إن قيل: إذا كان لم يغلب على ظنّه وجود العلّه و المانع فيه و قد استراد

الصّحابه و شكاهم لعدولهم عن الأفضل الذى لا عله فيه عنده، فقد سلمتم أنّه ظلم الصّحابه و نسبهم إلى غصب حقّه فما الفرق بين ذلك و بين أن يظلمهم لمخالفه النّص و كيف هربتم من نسبته لهم إلى الظلم لدفع النّصّ و وقعتم فى نسبته لهم إلى الظلم الخلاف الأولى من غير علّه فى الأولى؟ و معلوم أن مخالفه الأولى من غير عله فى الأولى كتارك النّص، لأن العقد فى كلا الموضعين يكون فاسدا؟ قيل: الفرق بين الأمرين ظاهر لأنّه لو نسبهم إلى مخالفه النّص لوجب وجود النص، و لو كان النص موجودا لكانوا فساقا أو كفّارا لمخالفته، و أمّا إذا نسبهم إلى ترك الأولى من غير عله فى الأولى فقد نسبهم إلى أمر يدعون فيه خلاف ما يدعى عليه السّلام واحد الأمرين لازم، و هو إمّا أن يكون ظنّهم صحيحا أو غير صحيح، فان كان ظنهم هو الصّحيح فلا كلام فى المسأله، و إن لم يكن ظنهم صحيحا كانوا كالمجتهد إذا ظن و أخطأ، فانّه معذور و مخالفه النّص خارج عن هذا الباب لأنّ مخالفه غير معذور بحال فافترق المحملان، انتهى كلامه.

أقول: لا يخفى ما فيه من وجوه الجهل و ضروب التّجاهل اما أولا فلأنّ قوله:

و إن كان من وسم بالخلافه عدلا تقيا، أوّل الكلام و ستطلع على فسق أسلافه عند التّعرّض لمطاعنهم حيثما بلغ الكلام محله إنشاء اللّه.

و اما ثانيا فلأنّ قوله: و كانت بيعته بيعه صحيحه، ممنوع إذ خلافه ابى بكر لم تنعقد إلّا باعتبار متابعه عمر بن الخطاب له برضاء أربعه: أبى عبيده و سالم مولى حذيفه و بشر بن سعد و اسيد بن حصين لا غير، و قد تخلف عنها وجوه الصّحابه حسبما تعرفه فى محله، و قد صرّح الشّارح فى شرح قوله عليه السّلام: فصيرها فى حوزه خشناء بأنّ استقرار الخلافه له لم يحصل إلّا بوجود عمر حيث قال: و عمر هو الذى شيّد بيعه أبى بكر و رقم المخالفين فيها فكسر سيف الزّبير لما جرّده و دفع فى صدر المقداد و وطأ فى السّقيفه سعد بن عباده و قال: اقتلوا سعدا قتل اللّه سعدا و حطم أنف الحباب ابن المنذر الذى قال يوم السّقيفه: أنا جذيلها المحكك و عذيقها المرجب، و توعد

ص:۴۱۶

من لجأ إلى دار فاطمه من الهاشميين و أخرجهم منها، و لولاه لم يثبت لأبى بكر أمر و لا قامت له قائمه انتهى.

و هذا الكلام كما ترى صريح فى أنّ عقد البيعه لأبى بكر لم يكن من إجماع الكلّ و اجتماعهم عن طوع و رغبه، و إنّما حصل عن تشييد عمر و تأسيسه، و على تقدير تسليم أن يكون أهل البيعه جماعه كثيره فنقول: لاخفاء فى أنّهم تابعون لتصرف الشّرع فيهم لا تصرف لهم فى أنفس غيرهم من آحاد الامه و فى أقل مهمّ من مهماتهم، فكيف يولون الغير على أنفس الخلايق منهم و من غيرهم، فانّ من لا يعقل له التّصرف فى أقلّ الامور لأدنى الأشخاص كيف يكون له القدره على جعل الغير متصرّفا فى نفوس أهل الشّرق و الغرب و فى دمائهم و أموالهم و فروجهم.

و هذا الذى ذكرناه إنّما هو على سبيل المماشاه و إلاّ فقد صرّح صاحب المواقف و شارحه السيّد الشّريف بانعقاد البيعه بالواحد و الاثنين حيث قال: و إذا ثبت حصول الامامه بالاختيار و البيعه فاعلم أنّ ذلك الحصول لا يفتقر إلى الاجماع من جميع أهل الحلّ و العقد إذ لم يقم عليه أى على هذا الافتقار دليل من العقل أو السّمع، بل الواحد و الاثنان من أهل الحلّ و العقد كاف فى ثبوت الامامه و وجوب اتباع الامام على أهل الاسلام، و ذلك لعلمنا بأنّ الصّحابه مع صلابتهم فى الدين و شدّه محافظتهم على امور الشّرع كما هو حقها اكتفوا فى عقد الامامه بذلك المذكور من الواحد و الاثنين كعقد عمر لأبى بكر و عقد عبد الرّحمان بن عوف لعثمان، و لم يشترطوا فى عقدها اجتماع من فى المدينه من أهل الحلّ و العقد فضلا عن إجماع الامه من علماء أمصار الاسلام و مجتهدى جميع أقطارها على هذا كما مضى و لم ينكر عليهم أحد، و عليه أى و على الاكتفاء بالواحد و الاثنين فى عقد الامامه انطوت الأعصار بعدهم إلى وقتنا هذا انتهى.

و مع ذلك كله كيف يمكن أن يقال، ان: بيعه أبى بكر كانت بيعه صحيحه شرعيّه، و كيف يحلّ لمن يؤمن باللّه و اليوم الاخر ايجاب اتباع من لم ينص اللّه و رسوله، و لا اجتمعت الامه عليه على جميع الخلق لأجل مبايعه رجل واحد، و هل يرضى العاقل لنفسه الانقياد إلى هذا المذهب و أن يوجب على نفسه ذل الطاعه لمن لا يعرف

عدالته و لا يدرى حاله من الايمان و عدمه و لا يعرف حقّه من باطله لأجل أن شخصا لا يعرف عدالته و معرفته بايعه، إن هو إلاّ محض الجهل و الحمق و الضّلال عن سبيل الرّشاد.

و اما ثالثا فانّ قوله: ألا ترى أنّ البلداه، ظاهر هذا المثال بملاحظه تطبيقه مع الممثل يعطى أنّ تقديم أبى بكر إنّما حصل بفعل اللّه سبحانه، و هو ظاهر ما ذكره فى خطبه الشّرح من قوله: و قدّم المفضول على الأفضل لمصلحه اقتضاها التكليف، و حينئذ فيتوجه عليه أولا أنّه مناف لما صرّح به بعد ذلك: من أنّ الصّحابه نظروا إلى مصلحه الاسلام فعدلوا من الأفضل الأشرف، حيث إن المستفاد منه أنّ تقديمه إنّما كان بفعل الصّحابه لا بفعل اللّه و ثانيا أنّه يستلزم أن يقدم اللّطيف الخبير المفضول المحتاج إلى التكميل على الفاضل الكامل و هو مع أنّه قبيح عقلا و نقلا افتراء عليه سبحانه، و قد قال تعالى:

«أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلاّ أَنْ يُهْدى فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » و قال: «هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ » و ثالثا أنّه لو كان هذا التّقديم من اللّه لم يصحّ لعليّ عليه السّلام الشكايه مطلقا لانّها حينئذ يكون ردّا على اللّه و الرّد على اللّه على حدّ الشرك باللّه.

و اما رابعا فانّ قوله: و أنّهم نظروا إلى مصلحه الاسلام اه، ممنوع بل نقول إنّ تقديمهم له إنّما نشأ من حبّ الجاه و الرّياسه و عداوه لامام الامه كما يكشف عنه قول طلحه حين كتب أبو بكر وصيّه لعمر بالولايه و الخلافه: و ليته أمس و لاك اليوم.

و قال الغزالى فى كتابه المسمّى بسرّ العالمين على ما حكاه عنه غير واحد فى مقاله الرّابعه التى وضعها لتحقيق أمر الخلافه بعد عده من الأبحاث و ذكر الاختلاف ما هذه عبارته: لكن اسفرت الحجه وجهها و أجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته صلوات اللّه عليه فى يوم غدير باتّفاق الجميع و هو يقول: من كنت مولاه، فعلى

مولاه، فقال عمر: بخّ بخّ یا أبا الحسن لقد أصبحت مولای و مولی کل مؤمن و مؤمنه فهذا تسلیم و رضاء و تحکیم، ثمّ بعد هذا غلب الهوی لحبّ الرّیاسه و حمل عمود الخلافه و عقود البنودو خفقان الهواء فی قعقعه الرّایات و اشتباک ازدحام الخیول و فتح الامصار سقاهم کأس الهوی فعادوا إلی الخلاف الأول فنبذوا الحقّ وراء ظهورهم و اشتروا به ثمنا قلیلا فبئس ما یشترون.

و اما خامسا فلأنّ تمثیله بالآیه لا وجه له، إذ ارتکاب التّأویل فی الآیه الشّریفه بحمل العصیان فیها علی ترک الأولی و حمل الغیّ علی الخیبه إنّما هو من أجل قیام الأدله القاطعه و البراهین السّاطعه من العقل و النّقل علی عصمه الأنبیاء علیهم السّلام حسبما عرفت تفصیلا فی التذنیب الثّالث من تذنیبات الفصل الثّانی عشر من فصول الخطبه الاولی، و أمّا فیما نحن فیه فمجرّد حسن الظن بالصّحابه لا یوجب ارتکاب التّأویل و رفع الید عمّا هو ظاهر فی التّظلم و التشکّی بل صریح فی الطعن و اغتصاب الخلافه.

و اما سادسا فانّ الجواب عن الاعتراض الذی ذکره بقوله: قیل: یجوز أن یکون أمیر المؤمنین علیه السّلام لم یغلب علی ظنه ما غلب علی ظنون الصّحابه، تکلف بارد إذ کیف یمکن أن یجهل علیّ الذی هو باب مدینه العلم و دار الحکمه بما عرفه عامه الخلق مع جهالتهم و انحطاط درجاتهم منه فی العلم من الثری إلی الثریا و لا سیّما انّ هذه الخطبه ممّا خطب علیه السّلام بها فی أواخر عمره الشّریف کما یشهد به مضمونها، فهب أنّه لم یغلب علی ظنه فی أوّل الأمر ما غلب علی ظنون الصّحابه إلاّ أنّه کیف یمکن أن یخفی علیه فی هذه السّنین المتطاوله ما ظهر علی الصّحابه فی بادی الرّأی.

فان قلت: هذه الخطبه منه حکایه حال ماضیه و لا تنافی اطلاعه علی ما اطلع(۱)(۲)(۳)



---

۱- (۱) البند بالباء الموحده ثم النون العلم الکبیر فارسی معرب، لغه

۲- (۲) حکایه صوت السلاح و نحوه لغه

۳- (۳) الشبک و الاشتباک التداخل و منه اشتباک الاصابع، منه

عليه الصحابه بعد هذه الحال.

قلت: المنافاه واضحه إذ اللّازم عليه بعد اطلاعه بما ظنوه أن يعذرهم و يعتذر عنهم و لا يتكلم بمثل هذا الكلام الحاكى عن سوء فعالهم و الكاشف عن قبح أعمالهم، و يأتى لهذا إن شاء اللّه مزيد تحقيق فى شرح الكلام المأتين و الرّابع عشر.

و أما سابعا فانّ ما أجاب به بقوله: و أما قوله: أرتأى بين أن أصول، فيجوز أن يكون لم يعن به صيال الحرب بل صيال الجدل و المناظره، فاسد جدّا.

أما أولا فلأنّ ظاهر الكلام هو الصيّال بالحرب مؤيدا بما هو صريح كلامه عليه السّلام فى الخطبه السّادسه و العشرين و هو قوله: فنظرت فاذا ليس لى معين إلّا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت و اغضيت على القذى و شربت على الشّجى و صبرت على أخذ الكظم و على أمرّ من طعم العلقم، و قد قال الشّارح هناك: فأمّا قوله:

لم يكن لى معين إلّا أهل بيتى فضننت بهم عن الموت، فقول ما زال عليه السّلام يقوله:

و لقد قاله: عقيب وفاه الرّسول صلّى اللّه عليه و آله، قال: لو وجدت أربعين ذوى عزم، ذكر ذلك نصر بن مزاحم فى كتاب صفّين و ذكره كثير من أرباب السّيره انتهى.

و أمّا ثانيا فلأنّه عليه السّلام قد ذكر فضائله و مناقبه و النّصوص الوارده فيه و احتج بها يوم السّقيفه كما ستعرفه فى محلّه، فلم يصبر عن الاحتجاج بها حتّى يقول فصبرت و فى العين قذى و فى الحلق شجى، و كيف كان فقد تحصل ممّا ذكرنا كله أنّ تكلّفات الشّارح و تأويلاته فاسده جدّا و تطلع على فسادها زياده على ما ذكر فى تضاعيف الكتاب إن ساعدنا التّوفيق و المجال إنشاء اللّه.

إلى هنا تم الجزء الثانى من هذه الطبعه النفيسه البهيه، و قد تصدى لتصحيحه و تهذيبه العبد «السيد ابراهيم الميانجى» عفى عنه و وقع الفراغ فى اليوم الخامس عشر من شهر رجب الاصب سنه ۱۳۷۸ و يليه الجزء الثالث، و اوله: «المقدمه الثالثه» و الحمد للّه كما هو أهله

ص:۴۲۰

## درباره مرکز

بسمه تعالی

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

آیا کسانی که می‌دانند و کسانی که نمی‌دانند یکسانند ؟

سوره زمر/ ۹

مقدمه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان، از سال ۱۳۸۵ هـ .ش تحت اشراف حضرت آیت الله حاج سید حسن فقیه امامی (قدس سره الشریف)، با فعالیت خالصانه و شبانه روزی گروهی از نخبگان و فرهیختگان حوزه و دانشگاه، فعالیت خود را در زمینه های مذهبی، فرهنگی و علمی آغاز نموده است.

مرامنامه:

موسسه تحقیقات رایانه ای قائمیه اصفهان در راستای تسهیل و تسریع دسترسی محققین به آثار و ابزار تحقیقاتی در حوزه علوم اسلامی، و با توجه به تعدد و پراکندگی مراکز فعال در این عرصه و منابع متعدد و صعب الوصول، و با نگاهی صرفا علمی و به دور از تعصبات و جریانات اجتماعی، سیاسی، قومی و فردی، بر مبنای اجرای طرحی در قالب « مدیریت آثار تولید شده و انتشار یافته از سوی تمامی مراکز شیعه» تلاش می نماید تا مجموعه ای غنی و سرشار از کتب و مقالات پژوهشی برای متخصصین، و مطالب و مباحثی راهگشا برای فرهیختگان و عموم طبقات مردمی به زبان های مختلف و با فرمت های گوناگون تولید و در فضای مجازی به صورت رایگان در اختیار علاقمندان قرار دهد.

اهداف:

۱.بسط فرهنگ و معارف ناب ثقلین (کتاب الله و اهل البیت علیهم السلام)

۲.تقویت انگیزه عامه مردم بخصوص جوانان نسبت به بررسی دقیق تر مسائل دینی

۳.جایگزین کردن محتوای سودمند به جای مطالب بی محتوا در تلفن های همراه ، تبلت ها، رایانه ها و ...

۴.سرویس دهی به محققین طلاب و دانشجو

۵.گسترش فرهنگ عمومی مطالعه

۶.زمینه سازی جهت تشویق انتشارات و مؤلفین برای دیجیتالی نمودن آثار خود.

سیاست ها:

۱.عمل بر مبنای مجوز های قانونی

۲.ارتباط با مراکز هم سو

۳.پرهیز از موازی کاری

۴.صرفا ارائه محتوای علمی

۵.ذکر منابع نشر

بدیهی است مسئولیت تمامی آثار به عهده ی نویسنده ی آن می باشد .

فعالیت های موسسه :

۱.چاپ و نشر کتاب، جزوه و ماهنامه

۲.برگزاری مسابقات کتابخوانی

۳.تولید نمایشگاه های مجازی: سه بعدی، پانوراما در اماکن مذهبی، گردشگری و...

۴.تولید انیمیشن، بازی های رایانه ای و ...

۵.ایجاد سایت اینترنتی قائمیه به آدرس: www.ghaemiyeh.com

۶.تولید محصولات نمایشی، سخنرانی و...

۷.راه اندازی و پشتیبانی علمی سامانه پاسخ گویی به سوالات شرعی، اخلاقی و اعتقادی

۸.طراحی سیستم های حسابداری، رسانه ساز، موبایل ساز، سامانه خودکار و دستی بلوتوث، وب کیوسک، SMS و...

۹.برگزاری دوره های آموزشی ویژه عموم (مجازی)

۱۰.برگزاری دوره های تربیت مربی (مجازی)

۱۱. تولید هزاران نرم افزار تحقیقاتی قابل اجرا در انواع رایانه، تبلت، تلفن همراه و... در ۸ فرمت جهانی:

۱.JAVA

۲.ANDROID

۳.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

۷.CHM

۸.GHB

و ۴ عدد مارکت با نام بازار کتاب قائمیه نسخه :

۱.ANDROID

۲.IOS

۳.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

به سه زبان فارسی ، عربی و انگلیسی و قرار دادن بر روی وب سایت موسسه به صورت رایگان .

درپایان :

از مراکز و نهادهایی همچون دفاتر مراجع معظم تقلید و همچنین سازمان ها، نهادها، انتشارات، موسسات، مؤلفین و همه

بزرگوارانی که ما را در دستیابی به این هدف یاری نموده و یا دیتا های خود را در اختیار ما قرار دادند تقدیر و تشکر می نماییم.

آدرس دفتر مرکزی:

اصفهان -خیابان عبدالرزاق - بازارچه حاج محمد جعفر آباده ای - کوچه شهید محمد حسن توکلی -پلاک ۱۲۹/۳۴- طبقه اول

وب سایت: www.ghbook.ir

ایمیل: Info@ghbook.ir

تلفن دفتر مرکزی: ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

دفتر تهران: ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

بازرگانی و فروش: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور کاربران: ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹